العَسَلُ المُصَفَّى
مِنْ
سِيْرَةِ النَّبِيِّ المُصْطَفَى

صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ

العَسَلُ المُصَفَّى
مِنْ
سِيْرَةِ النَّبِيِّ المُصْطَفَى

صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ

تأليف

أبي عبد الله فيصل بن عبده قائد الحاشدي

عفا الله عنه





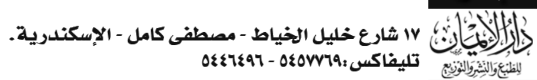


اسم الكتاب: العسل المصفىٰ من سيرة النبي المصطفىٰ
إعداد الشيخ : فيصل الحاشدي
رقم الإيداع: ٠٢٠٢/١٦٧٥٠.
نوع الطباعة: لون واحد.
عدد الصفحات: ٤٤٨.
القياس: ١٧×٢٤.

تجهيزات فنية:
مكتب دار الإيمان للتجهيزات الفنية
أعمال فنية وتصميم الغلاف أ / يسري حسن.

٢٠١٩

الإدارة
دار الإيمان للطبع والنشر والتوزيع


١٧ شارع خليل الخياط - مصطفى كامل - الإسكندرية.
تليفاكس: ٥٤٥٧٧٦٩ - ٥٤٤٦٤٩٦

المبيعات
دار القمة لتوزيع الكتاب والشريط الإسلامي
١٩ شارع خليل الخياط - مصطفى كامل - الإسكندرية.
تليفاكس: ٥٤٥٧٧٦٩ - ٥٢٢٢٠٠٢

E-mail dar_aleman@hotmail.com

دار الإيمان المتحدة
أمام مستشفى الصوفي - أسفل مدارس اليمن الحديثة
مقابل بنك سبأ - شارع رداع - محافظة ذمار
جوال: ٧٧٥٣٠٩٩٣٥

قَالُوا فِي الْكِتَابِ:

إنْ شئتَ تعرفْ سيرةَ المختارِ ... فاشربْ من العسلِ المُصفَّىٰ الجاري
عسلٌ ويحوي الدرر في طياتِهِ ... وَمِنَ الحَلاوَةِ أَصْدَقَ الأَخْبَارِ
قَدْ دبَّجَتْهُ يراعةٌ مَسْلُولَةٌ ... للحاشديِّ الْفَيْصَلِ الْمَغْوَارِ
ذُقْهُ تَجِدْ شَهْدًا عَلَىٰ أَكْنَافِهِ ... وَسَتَلْقَ فِيهِ جُونَةَ العَطَّارِ

مَازِنُ الْعُرْدِي

وإِذَا أَرَدْتَ لذائِذَ الأَخْبَارِ ... فِي وَصْفِ أَحْمَدَ سَيِّد الأبرارِ
فَعَلَيْكَ بِالعَسَلِ الْمُصَفَّىٰ إِنَّه ... ذوقًا يَفُوقُ سَلافَة الْعَصَّارِ

طَاهِرُ الْحَسَنِيُّ

وَضَعْتَ عَلَىٰ النِّقَاطِ الْغُرِّ حَرْفًا ... فَزَانَ بِسيرةِ الْمُصْطَفَىٰ وَصْفَا
إِذَا طَالَعْتَ فِيهِ ذُقْتَ مِنْهُ ... حلاوة وَاضِعِ الْعَسَلِ الْمُصَفَّىٰ

مَحمُودُ الْبَعَادَنِيُّ

إِنَّمَا الْعَسلُ الْمُصَفَّىٰ كِتَابٌ ... كَانَ في سِيرَةِ النَّبِيِّ زَبُورَا
قَدْ حَبَا اللهُ كُلَّ مَنْ قرؤوهُ ... وسقَاهُمْ شَرَابًا طَهُورَا

عَبْدُ الْكَرِيمُ الْعِمَادُ

كِـتَـابٌ قَـدْ حَوىٰ الأَخْبَارُ طُرًّا ... كَمَا قَدْ صَح مِنْ سَنَدِ الرُّوَاةِ
هُوَ الْعَسلُ المُصَفَّىٰ طَابَ وَصْفًا ... بِـهِ كُلُّ الْخِصَالِ السَّاطِعَاتِ
أَفَيْصَلَ يَا رَعَاكَ اللهُ هذا ... لِعُمْرِكَ خَيْرُ إرثٍ في الحياةِ
وَيَبْقَىٰ بَعْدَ مَوْتِكَ دُونَ شَكٍّ ... تِجَارَتُكَ الَّتِي بَعْدَ الْمَمَاتِ

فَيْصَلُ الْجَعْمِيُّ

يَا مَنْ يُرِيدُ بَدِيعَ الْكُتبِ قَاطِبَةً ... فِي وَصْفِ أَحْمَدَ خَيْرَ العُجْمِ وَالْعَرَبِ
فليقرأن كِتَابًا قَدْ حَوىٰ دُرَرًا ... لِلَّهِ كَاتِبَهُ قَدْ جَاءَ بِالْعَجَبِ
لَا يَنْقُلَنْ سِوَىٰ مَا صَح مِنْ خَبَرٍ ... مُحَلِّيًا قَوْلَهُ بِالشِّعْرِ وَالأَدْبِ
سَمَّاهُ بِالْعَسلِ الصَّافِي لِقَارِئِهِ ... وَهُوَ السَّبِيلُ لِمَنْ يرنُوا إلىٰ الرُّتَبِ

بِلَالُ الْحُطْبَانِيُّ

هذا الكتابُ عروسُ الصُّحفِ والكُتُبِ ... جلاهُ كاتِبَهُ فِي بَرْجَدٍ قِشَبِ
قَدْ زَانَهُ ذِكْرُ خَيْرِ الْخَلْقِ قَاطِبَةً ... مُحَمَّدٍ مَنْ رَمَىٰ الإِشْراكَ بالشُّهَبِ
صلَّىٰ عَلَيْهِ إلهُ الْخَلْقِ ما بَزَغَتْ ... شَمْسٌ علىٰ ظُلَمِ الأحياءِ والشِّعَبِ
فَسَمِّ ربَّكَ وانْهَل مِنْ صَحَائِفِهِ ... شَهْدًا مُصَفًّىٰ علىٰ نورٍ مِنَ الذَّهَبِ

عِمَادُ بْنُ عَلِيٍّ

كـــتـــابٌ بـه يُـحتَفَىٰ يُـحتفَىٰ … أَبَــانَ لَـنَا سِـيرَةَ الْمُصْطَفَىٰ
بـلـفـظٍ وجيـزٍ ومعنىٰ جلـي … أضـاء لـنـا سيرة تُصْطَفَىٰ
جَـمِيلُ الْحَواشي كطلٍّ بَـدَا … يَـرُوقُ بِأَنْظَارِ قَلْبٍ هَفَا
فَكَمْ فيه مِنْ عِبْرَةٍ أَصْبَحَتْ … تَفُوحُ كَعَنْبَرِ بَحْرٍ طَفَا
كـتابٌ مَضَىٰ سَائِرٌ في الْوَرَىٰ … يَتِمُّ بأَخْلَاقِ ذَاكَ الصَّفَا
فَلِلَّهِ دَرُّكَ مِنْ لَوْذَعِي … فَقَدْ قُلْتَ مِنْ طَيبَةٍ مَا شَفَا
تَرَنَّمَتْ دَهْرًا عَلىٰ أيكةٍ … فَأتْحَفْتَ مَنْ بالرَّسولِ اقْتَفَىٰ
بِسَفْرٍ فَرِيدٍ لَهُ وَزْنُهُ … يُضِيءُ الطريقَ لجِيلٍ غَفَا
فَيَا رَبِّ صَلِّ وَسَلِّمْ عَلَىٰ … نَبِيٍّ بِهِ يَحْتَفِي مَنْ قَفَا
وَبَارِكْ عَلَيْهِ وَأَزْوَاجِهِ … مَعَ الآلِ والصَّحْبِ أَهْلِ الْوَفَا

عُمَرُ بْنُ صَبِيحٍ

مَا سِيرَةُ المُصْطَفَىٰ مِنْ خيرةِ الرُّسُلِ … بِهَا يُشْبِهُ رِيقَ النَّحْلِ في الْمِثْلِ
لَكِنْ أَصبْتَ فإنَّا لَمْ نَجِدْ مَثَلا … بِهَا يَشْبَهُ أَحْلَىٰ مِنَ الْعَسَلِ
ومَا رَضَيْتَ بأَنَّ سَمَّيْتَهُ عَسَلا … حتَّىٰ أَضَفْتَ لَهُ الصَّافِي مِنَ الدَّخَلِ
سَمَّيْتَهُ عَسَلًا حَتَّىٰ يَكُونَ لَنَا … بِهِ الشِّفَاءُ مِنَ الأَسْقَامِ وَالْعَلَلِ
مِنْ سِيرةِ الْمُصْطَفَىٰ أَخْرَجْتَ نافحةً … مِنْ مَهْجَةِ الْقَلْبِ لا مِنْ مَهْجَةٍ الْوَعَلِ
لِلَّهِ دَرُّكَ مِنْ بَحاثَةٍ نَسَجَتْ … يَدَاكَ ما يَخْلِبُ الأَلْبَابِ مِنْ حَلَلِ
حلة نَسَجَتْهَا كَفُّ صَاحِبِهَا … بِمَغْزِلٍ كنسيجِ الْفِكْرِ فِي الشَّكْلِ

عَبْدُ الْكَرِيمِ الْجَعْمِيُّ

المُقَدِّمَةُ

مَا أَعْذَبَ الشِّعْرَ فِي أَجْوَاءِ سِيْرَتِهِ ... أَكْرِمْ بِمُبْتَدَإٍ مِنْهُ وَمُخْتَتَمِ[١]

اَلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ اَلْعَالَمِينَ، وَالصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ عَلىٰ أَشْرَفِ اَلْمُرْسَلِينَ، وَعَلَىٰ آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِيْن.

تِلْكَ الثَّنِيَّاتُ، فَاذْكُرْ مَطْلَعَ القَمَرِ ... وَاخْشَعْ مَعَ الألَق الطَّافِي عَلَىٰ الذِّكْرِ

لَوِ اسْتَطَعْتُ كَتَبْتُ (النَّثْرَ) مُتَّشِحًا ... ضَوْءًا مِنَ الشَّمْسِ يُحَيِّي أَعْظَمَ البَشَرِ[٢]

دُونَكَ هَدِيَّتِي حَافِلَةً بِالمَوَاقِفِ والعِبَرِ، وَلاَ هَدِيَّةَ أَجْمَلُ مِنْ سِيْرَةِ مَنْ لَمْ تَرَ الدُّنْيَا مِثْلَه، أَوْ مَنْ يُضَارِعُهُ.

فِي سِيْرَةٍ لَمْ يَرَ التَّارِيْخُ تَوْءَمَهَا ... بِرَغْمِ مَا أَبْصَرَتْ عَيْنَاهُ مِنْ سِيَرِ

فِي يَوْمِ مَوْلِدِهِ أَوْ يَوْمِ بِعْثَتِهِ ... أَوْ يَوْمِ هِجْرَتِهِ مَا شِئْتَ مِنْ عِبَرِ![٣]

حَلَّيْتُهَا بِحُلَلٍ وَشِيَّةٍ، وَعَطَّرْتُهَا بِعُطُورٍ نَفِيسَةٍ، فَهِيَ تَتَجَلَّىٰ فِي حَلْيٍ إِبْدَاعُهُ عَلَىٰ الطروس، وَحَالُهَا: «لَا عِطْرَ بَعْدَ عَرُوسٍ»[٤].

---

(١) «مَوْسُوعَةُ الشِّعْرِ الإِسْلاَمِي» (٧٦/ ٥٦٠).

(٢) «الاسْتِهْلالُ» لِلذِيَّابِيِّ (١٢٦)، وَفِيْهِ مَكَان (النَّثْرُ): (الشِّعْرُ).

(٣) المَرْجِعُ السَّابِق (١٥/ ٣٩).

(٤) «الفَاخِرُ» (٢١١)، و«الوَسِيْطُ» (١٩٥)، و«فَصْلُ المَقَال» (٤٢٧)، وَ«مَجْمَعُ الأَمْثَال» (٢/ ٢٦٣).

يَنُمُّ عَلَيْنَا الحَلْيُ، حَتَّىٰ إِذَا رَمَىٰ ... بِهِ، بَاتَ وَاشِي العِطْرِ عَنَّا يُحَدِّثُ[١]

وَاقْتَصَرْتُ فِيْهَا عَلَىٰ الصَّحِيْحِ المُصَفَّىٰ، وَسَمَّيْتُهَا: «العَسَلُ المُصَفَّىٰ مِنْ سِيْرَةِ النَّبِيِّ المُصْطَفَىٰ ﷺ».

قَدْ (اخْتَرْتُهُ) لَوْنًا مِنَ النَّحْلِ نَاصِعًا ... لِيَعْلَمَ مَاتَحْوِيْهِ مِنْ عَسَلِ النَّحْلِ[٢]

وَلَنْ أَتَحَدَّثَ عَنْهَا، فَهِيَ أَوْلَىٰ بِالحَدِيْثِ عَنْ نَفْسِهَا.

والمِسْكُ مَاقَدْ شَفَّ عَنْهُ ذَاتُهُ ... لَا مَا غَدَا يَنْعَتُهُ بَائِعُهُ[٣]

وَصَلَّىٰ اللهُ وَسَلَّمَ عَلَىٰ نَبِيِّنَا مُحَمَّدٍ وَعَلَىٰ آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِيْن.

وَآخِرُ دَعْوَانَا أَنِ الحَمْدُ للهِ رَبِّ العَالَمِيْنَ

وَكَتَبَهُ
أبو عبد الله فيصل بن عبده قائد الحاشدي
عفا الله عنه

---

(١) «دَوَاوِيْنُ الشِّعْرِ العَرَبِيِّ» (٣١/ ١٧٣).

(٢) «مُحَاضَرَةُ الأُدَبَاءِ» (١/ ٧١٩)، وَفِيْهِ مَكَانَ (اخْتَرْتهُ): (انْتَحلتَهُ).

(٣) «إِعْرَابُ القُرْآنِ» لِمُحْيي الدِّيْنِ دَرْوِيْش- رَحِمَهُ اللهُ وَغَفَرَ لَهُ- (١/ ٢١).

اسْمُهُ وَكُنْيَتُهُ

صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ

١ - اسْمُهُ ﷺ:

لعَمْرِكَ مَا الأَسْمَاءُ إِلَّا عَلَامَةٌ مَنَارٌ ... وَمِنْ خَيْرِ المَنَارِ ارْتِفَاعُهَا[1]

أَسْمَاؤُهُ ﷺ كَثِيْرَةٌ، وَكَثْرَةُ الأَسْمَاءِ فِي مَعْهُودِ العَرَبِ تَدُلُّ عَلَىٰ شَرَفِ المُسَمَّىٰ، وَالْعَرَبُ مِنْ عَادَاتِهَا إِطْلَاقُ الأَسْمَاءِ الكَثِيْرَةِ عَلَىٰ كُلِّ مَنْ كَانَ ذَا شَأْنٍ عَظِيْمٍ، وَمَنْزِلَةٍ رَفِيْعَةٍ.

وَمِنْ خَصَائِصِهِ ﷺ تِلْكَ الأَسْمَاءُ العَدِيْدَة، وَالصِّفَاتُ الحَمِيْدَةُ، ذَاتُ المَعَانِي الفَرِيْدَةِ، فَكَانَتْ أَسْمَاؤُهُ ﷺ دَالَّةً كُلَّ الدَّلَالَةِ عَلَىٰ مَعَانِيْهَا، وَمُتَجَسِّدَةً حَقِيْقَةً فِي سُلُوكِهِ وَشُئُونِهِ؛ أَلَيْسَ مِنَ أَمْثَالِ العَرَبِ: «الاسْمُ دَالٌ عَلَىٰ المُسَمَّىٰ»، و«لِكُلِّ شَخْصٍ مِنْ اسْمِهِ نَصِيْبٌ»؟!

وَضَمَّ الإِلَـهُ اسْمَ النَّبِيِّ مَعَ اسْمِهِ ... إِذَا قَالَ فِي الخَمْسِ المُؤَذِّنُ: أَشْهَدُ[2]

فَمِنْ أَسْمَائِهِ ﷺ:

١- مُحَمَّدٌ:

لَوْ قِيْلَ هَبْ لِلْبَدْرِ اسْمًا آخَرَ! ... مَا اخْتَرْتُ إِلَّا أَنْ يَكُونَ مُحَمَّدًا![3]

---

(١) «مَوْسُوعَةُ الشِّعْرِ الْعَرَبِيِّ» (٣/ ٥٥٤).

(٢) «مَوْسُوعَةُ الشِّعْرِ الْعَرَبِيِّ» (٧/ ٢٠).

(٣) قَالَهُ مَازِنُ الْعرويُّ -حَفظَهُ اللهُ-.

وَهُوَ أَشْهَرُهَا، قَدْ وَرَدَ فِي القُرْآنِ الكَرِيْمِ فِي عِدَّةِ مَوَاضِعَ، مِنْهَا قَوْلُهُ -تَعَالَىٰ-: ﴿مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ ٱللَّهِ ۚ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ أَشِدَّآءُ عَلَى ٱلْكُفَّارِ رُحَمَآءُ بَيْنَهُمْ﴾ [الفَتْحُ: ٢٩].

وَبِهِ سُمِّي فِي التَّوْرَاةِ صَرِيْحًا، كَمَا ذَكَرَهُ ابْنُ القَيِّمِ رَحِمَهُ اللهُ فِي «جَلاءِ الأَفْهَامِ فِي فَضْلِ الصَّلاةِ والسَّلاَمِ عَلَىٰ خَيْرِ الأَنَامِ».

وَقَالَ بَعْضُ الْعُلَمَاءِ: أَلْهَمَهُمُ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ أَنْ سَمَّوْهُ مُحَمَّدًا؛ لِمَا فِيهِ مِنَ الصِّفَاتِ الْحَمِيدَةِ، لِيَلْتَقِيَ الِاسْمُ وَالْفِعْلُ، وَيَتَطَابَقَ الِاسْمُ وَالْمُسَمَّىٰ فِي الصُّورَةِ وَالْمَعْنَىٰ كَمَا قَالَ عَمُّهُ أَبُو طَالِبٍ - وَيُرْوَىٰ لِحَسَّانَ -:

وَشَقَّ لَهُ مِنَ اسْمِهِ لِيُجِلَّهُ فَذُو الْعَرْشِ مَحْمُودٌ وَهَذَا مُحَمَّدُ[١]

٢- أَحْمَدُ:

يَا أَحْمَدَ الدُّنْيَا، وَقَدْ يَغْنَىٰ بِهَا عَنْ كُنْيَةٍ، وَاسْمُ العَظِيْمِ عَظِيْمُ[٢]

وَهُوَ الاسْمُ الَّذِي سَمَّاهُ بِهِ المَسِيْحُ، وَجَاءَ فِي القُرْآنِ الكَرِيْمِ فِي قَوْلِهِ -تَعَالَىٰ-: ﴿وَإِذْ قَالَ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ يَٰبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ إِنِّى رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُم مُّصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَىَّ مِنَ ٱلتَّوْرَىٰةِ وَمُبَشِّرًۢا بِرَسُولٍ يَأْتِى مِنۢ بَعْدِى ٱسْمُهُۥٓ أَحْمَدُ ۖ فَلَمَّا جَآءَهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ قَالُوا۟ هَٰذَا سِحْرٌ مُّبِينٌ ﴿٦﴾﴾ [الصَّفُّ: ٦].

لَقَدْ أَكْرَمَ اللهُ النَّبِيَّ مُحَمَّدًا فَأَكْرَمُ خَلْقِ اللهِ فِي النَّاسِ أَحْمَدُ[٣]

---

(١) «البِدَايَةُ والنِّهَايَة» لابْن كَثِيْرٍ (٢/ ٢٦٦).

(٢) «دَوَاوِيْنُ الشِّعْرِ العَرَبِيِّ» (٢٥/ ٤٦٩).

(٣) المَرْجِعُ السَّابِق (١٥/ ٣٩).

والفَرْقُ بَيْنَ مُحَمَّدٍ وَأَحْمَدَ مِنْ وَجْهَيْنِ:

الْوَجْـهُ الأَوَّلُ: أَنَّ مُحَمَّدًا هُوَ الْمَحْمُودُ حَمْدًا بَعْدَ حَمْدٍ، فَهُوَ دَالٌّ عَلَىٰ كَثْرَةِ حَمْـدِ الْحَامِدِيـنَ لَهُ، وَذَلِكَ يَسْـتَلْزِمُ كَثْرَةَ مُوجِبَـاتِ الْحَمْدِ فِيـهِ، وَ (أَحْمَدُ) أَفْعَلُ تَفْضِيلٍ مِنَ الْحَمْدِ، يَدُلُّ عَلَىٰ أَنَّ الْحَمْدَ الَّذِي يَسْـتَحِقُّهُ أَفْضَلُ مِمَّا يَسْـتَحِقُّهُ غَيْرُهُ. فَمُحَمَّـدٌ زِيَادَةُ حَمْـدٍ فِي الْكَمِّيَّـةِ، وَأَحْمَدُ زِيَادَةٌ فِـي الْكَيْفِيَّةِ، فَيُحْمَـدُ أَكْثَرَ حَمْدٍ، وَأَفْضَلَ حَمْدٍ حَمِدَهُ الْبَشَرُ.

وَالْوَجْـهُ الثَّانِي: أَنَّ مُحَمَّدًا هُـوَ الْمَحْمُودُ حَمْدًا مُتَكَرِّرًا كَمَـا تَقَدَّمَ، وَأَحْمَدُ هُوَ الَّذِي حَمِدَهُ لِرَبِّهِ أَفْضَلَ مِنْ حَمْدِ الْحَامِدِينَ غَيْرِهِ. فَدَلَّ أَحَدُ الِاسْـمَيْنِ - وَهُوَ مُحَمَّـدٌ - كَوْنَـهُ مَحْمُـودًا، وَدَلَّ الِاسْـمُ الثَّانِـي: وَهُـوَ أَحْمَـدُ - عَلَىٰ كَوْنِـهِ أَحْمَدَ الْحَامِدِينَ لِرَبِّهِ[1].

٣- الحَاشِرُ:

لِـيَهنِئْكَ مـا أَعـطـاكَ رَبُّـكَ؛ إِنَّهـا ... مَواقِفُ هُنَّ الغُرُّ في مَوْقِفِ الحَشْـرِ[2]

وَهُوَ الَّذِي يُحْشَرُ النَّاسُ عَلَىٰ قَدَمِهِ، فَكَأَنَّهُ بُعِثَ لِيَحْشُرَ النَّاسَ.

٤- المَاحِي: وَهُوَ الَّذِي مَحَا اللهُ بِهِ الكُفْرَ.

٥- العَاقِبُ:

عَـاقِبٌ مَاحٍ، مَحَـا اللهُ عَنْـكَ ... بِـكَ مَـا نَحْـذَرُ مِنْـهُ العِقَـابَا[3]

(١) «جَلاَءُ الأَفْهَامِ» (٨٣).

(٢) «دِيْوَانُ: بَهَاءِ الدِّيْن» (١٦٦).

(٣) «دَوَاوِيْنُ الشِّعْرِ العَرَبِيِّ» (٨/ ٦٢).

والعَاقِبُ: هُوَ الَّذِي يَخْلُفُ مَنْ كَانَ قَبْلَهُ فِي الخَيْرِ، وَهُوَ قَدْ عَقَبَ الأَنْبِيَاءَ، وَكَانَ آخِرَهُمْ ﷺ.

وَمِمَّا يَدُلُّ عَلَىٰ تِلْكَ الأَسْمَاءِ قَوْلُهُ ﷺ: «**أَنَا مُحَمَّدٌ، وَأَنَا أَحْمَدُ، وَأَنَا الْمَاحِي الَّذِي يَمْحُو اللهُ بِيَ الْكُفْرَ، وَأَنَا الْحَاشِرُ الَّذِي يُحْشَرُ النَّاسُ عَلَىٰ قَدَمِي، وَأَنَا الْعَاقِبُ الَّذِي لَيْسَ بَعْدِي نَبِيٌّ**»(١).

٦- المُتَوَكِّلُ:

بَشِيْرٍ نَذِيْرٍ مُشْفِقٍ مُتَعَطِّفٍ ... رَءُوفٍ رَحِيْمٍ شَاهِدٍ مُتَوَكِّلِ(٢)

والمُتَوَكِّلُ: هُوَ الَّذِي يَتَوَكَّلُ عَلَىٰ رَبِّهِ فِي كُلِّ حَالِهِ، قَالَ عَطَاءُ بْنُ يَسَارٍ: لَقِيتُ عَبْدَ اللهِ بْنَ عَمْرِو بْنِ الْعَاصِ، فَقُلْتُ: أَخْبِرْنِي عَنْ صِفَةِ رَسُولِ اللهِ ﷺ فِي التَّوْرَاةِ، قَالَ: فَقَالَ: أَجَلْ وَاللهِ، إِنَّهُ لَمَوْصُوفٌ فِي التَّوْرَاةِ بِبَعْضِ صِفَتِهِ فِي الْقُرْآنِ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ إِنَّآ أَرْسَلْنَٰكَ شَٰهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا ﴿٤٥﴾﴾ [الأَحْزَابُ: ٤٥]، وَحِرْزًا لِلأُمِّيِّينَ، أَنْتَ عَبْدِي وَرَسُولِي، سَمَّيْتُكَ الْمُتَوَكِّلَ، لَيْسَ بِفَظٍّ وَلا غَلِيظٍ، وَلا صَخَّابٍ فِي الأَسْوَاقِ، وَلا يَدْفَعُ بِالسَّيِّئَةِ السَّيِّئَةَ»(٣).

٧- نَبِيُّ التَّوْبَةِ:

وَهُوَ الَّذِي فَتَحَ اللهُ بِهِ بَابَ التَّوْبَةِ عَلَىٰ أَهْلِ الأَرْضِ.

٨- نَبِيُّ الرَّحْمَةِ:

وَإِذَا رَحِمْتَ فَأَنْتَ أُمٌّ أَوْ أَبٌ ... هَذَانِ فِي الدُّنْيَا هُمَا الرُّحَمَاءُ(٤)

---

(١) رَوَاهُ البُخَارِيُّ (٣٥٣٢)، وَمُسْلِمٌ (٢٣٥٤).

(٢) «دَوَاوِيْنُ الشِّعْرِ العَرَبِيِّ» (٨٣/ ٣٩٧).

(٣) رَوَاهُ البُخَارِيُّ، كِتَاب: التَّفْسِيرُ ٤٨ سُورَةُ الفَتْح.

(٤) «دِيْوَانُ شَوْقِي» (٦).

فَهُوَ الَّذِي أَرْسَلَهُ اللهُ رَحْمَةً لِلعَالَمِيْنَ، فَرَحِمَ بِهِ أَهْلَ الأَرْضِ كُلَّهُم، مُؤْمِنَهُمْ وَكَافِرَهُمْ.

فَعَنْ أَبِي مُوْسَىٰ الأَشْعَرِيِّ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ: كَانَ رَسُولُ اللهِ ﷺ يُسَمِّ لَنَا نَفْسَهُ أَسْمَاءً، فَقَالَ: «**أَنَا مُحَمَّدٌ، وَأَنَا أَحْمَدُ، وَالْمُقَفِّي**[١]**، وَالْحَاشِرُ، وَنَبِيُّ التَّوْبَةِ، وَنَبِيُّ الرَّحْمَةِ**»[٢].

٩- نَبِيُّ المَلَاحِمِ:

لَـكُـمْ شِـيَـمٌ لَيْسَـتْ لِخَلْـقٍ سِـوَاكُـمُ ... سَمَاحٌ وَصِدْقُ البَأْسِ عِنْدَ المَلاحِمِ[٣]

وَنَبِيُّ المَلَاحِمِ: هُوَ الَّذِي بُعِثَ بِجِهَادِ أَعْدَاءِ اللهِ.

عَنْ حُذَيْفَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، قَالَ: لَقِيتُ النَّبِيَّ ﷺ فِي بَعْضِ طُرُقِ الْمَدِينَةِ، فَقَالَ: «**أَنَا مُحَمَّدٌ، وَأَنَا أَحْمَد، وَأَنَا نَبِيُّ الرَّحْمَةِ، وَنَبِيُّ التَّوْبَةِ، وَأَنَا الْمُقَفَّىٰ، وَأَنَا الْحَاشِر، وَنَبِيُّ الْمَلاحِمِ**»[٤].

قَالَ المُلَّا عَلِيٌّ القَارِي رَحِمَهُ اللهُ: «لَا تَعَارُض بَيْنَ كَوْنِهِ رَسُولَ الرَّحْمَةِ وَرَسُول المَلْحَمَةِ؛ إِذْ هُوَ سِلْمٌ لِأَوْلِيَائِهِ حَرْبٌ لِأَعْدَائِهِ»[٥].

١٠- الرَّءُوفُ الرَّحِيْمُ:

حَـلِيْـمٌ عَـظِيْـمٌ رَاحِـمٌ مُـتَـكَـرِّمٌ ... رَءُوفٌ رَحِـيْـمٌ وَاهِــبٌ مُـتَـطَـوِّلُ[٦]

---

(١) الْمُقَفِّي: هُوَ بِمَعْنَىٰ العَاقِب، وَهُوَ المُتَّبِعُ لِلأَنْبِيَاءِ.

(٢) رَوَاهُ مُسْلِمٌ (٢٣٥٥).

(٣) «دِيْوَانُ رَبِيْعَة الرَّقِّي» (٣٥).

(٤) (حَسَنٌ) أَخْرَجَهُ البَيْهَقِيُّ فِي «الشَّمَائِلِ» (٣٦٨)، وَحَسَّنَهُ الأَلْبَانِيُّ رَحِمَهُ اللهُ فِي «مُخْتَصَرِ الشَّمَائِلِ» (٣١٦).

(٥) عُمْدَةُ القَارِئ (٣/ ٤٥).

(٦) «دَوَاوِيْنُ الشِّعْرِ العَرَبِيِّ» (٨٣/ ٣٢٥).

قَالَ اللهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ: ﴿لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿١٢٨﴾﴾ [التَّوْبَةُ: ١٢٨].

وَعَنْ جُبَيْرِ بْنِ مُطْعِمٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ أَنَّ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «**أَنَا مُحَمَّدٌ، وَأَنَا أَحْمَدُ، وَأَنَا الْمَاحِي الَّذِي يَمْحُو اللهُ بِيَ الْكُفْرَ، وَأَنَا الْحَاشِرُ الَّذِي يُحْشَرُ النَّاسُ عَلَىٰ عَقِبِي، وَأَنَا الْعَاقِبُ، الَّذِي لَيْسَ بَعْدَهُ نَبِيٌّ، وَقَدْ سَمَّاهُ اللهُ رَءُوْفًا رَحِيْمًا**»[١].

كُنْيَتُهُ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ:

مُبَارَكُ الاسْمِ أَغَرُّ اللَّقَبْ ... كَرِيْمُ الجِرِشَّىٰ، شَرِيْفُ النَّسَبْ[٢]

كُنِّيَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِأَبِي القَاسِمِ، وَهُوَ أَكْبَرُ أَوْلَادِهِ، فَعَنْ أَنَسٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ: كَانَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي السُّوقِ، فَقَالَ رَجُلٌ: يَا أَبَا الْقَاسِمِ! فَالْتَفَتَ إِلَيْهِ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ: إِنَّمَا دَعَوْتُ هَذَا. فَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**سَمُّوا بِاسْمِي، وَلَا تَكَنَّوْا بِكُنْيَتِي**»[٣].

تِلْكَ هِيَ بَعْضُ أَسْمَائِهِ الطَّيِّبَةِ الحَسَنَةِ، الدَّالَّةِ عَلَىٰ مَعَانِيْهَا العَظِيْمَةِ الرَّائِعَةِ، فَهُوَ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَظِيْمٌ مُكَرَّمٌ فِي أَسْمَائِهِ وَصِفَاتِهِ، وَخُلُقِهِ، وَكُلِّ شَمَائِلِهِ.

مُبَارَكُ الإِسْمِ مَيْمُونٌ، مَآثِرُهُ ... عَمَّتْ، فَآثَارُهَا بِالْغَوْرِ وَالأَكَمِ[٤]

---

(١) رَوَاهُ البُخَارِيُّ (٤٨٩٦)، وَمُسْلِمٌ (٢٣٥٤).

(٢) «شَرْحُ دِيْوَانُ المُتَنَبِّي، لِلواحِدِي» (١/ ٣٠٨) وَأَغَرُّ اللَّقَب، أَيْ: مَشْهُورُه، وَالأَغَرُّ مِنَ الخَيْلِ: الأَبْيَضُ الجَبهَةِ، ثُمَّ اسْتُعِيْرَ لِكُلِّ وَاضِحٍ، والجِرِشَّىٰ: النَّفْسُ.

(٣) رَوَاهُ البُخَارِيُّ (٢١٢٠)، وَمُسْلِمٌ (٢١٣١).

(٤) «دِيْوَانُ ابْنُ مَعْتُوقٍ» (١٣) والغَوْرُ: كُلُّ مَا انْحَدَرَ مُغَرِّبًا عَنْ تُهَامَةَ، وَالأَكَم: جَمْعُ أَكَمَّةٍ -بِفَتْحَتَيْنِ- وَهِي المَوْضِعُ يَكُونُ أَشَدُّ ارْتِفَاعًا مِمَّا حَوْلَهُ.

وَقَالَ أُسْتَاذُنَا عَبْدُ الكَرِيْمِ العِمَادُ -حَفِظَهُ اللهُ-:

مَـنْ ذَا كَمِثْلِـكَ -يَـا حَبِيْبَ اللـهِ- إِنْ ذُكِـرَ الأَحَـبُّ تَلاَشَـتِ الأَحْبَابُ
حُـزْتَ الفَضَائِـلَ كُلَّهَـا، فَتَعَـدَّدَتْ لَـكَ إِثْرَهَا الأَسْـمَاءُ وَالأَلْقَابُ

نَسَبُه
صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ

نَسَبٌ بِأَجْنِحَةِ المَلائِكَةِ ارْتَقَىٰ   شَأْوًا إِلَيْهِ الوَهْمُ لَيْسَ بِوَاصِلِ [١]

مَنْ تَأَمَّلَ نَسَبَ النَّبِيِّ ﷺ الشَّرِيْفَ، وَطِيبَ أَصْلِهِ المُنِيْفِ عَرَفَ اصْطِفَاءَ اللهِ لَه، وَكَمَالَ عِنَايَتِهِ بِهِ، وَقَدْ أَقَرَّ بِنَسَبِهِ الشَّرِيْفِ العَدُوُّ قَبْلَ الصَّدِيْقِ؛ فَهَذَا أَبُو سُفْيَانَ يُقِرُّ أَمَامَ هِرَقْلَ بِعُلُوِّ نَسَبَ النَّبِيِّ ﷺ، حِيْنَ سَأَلَهُ: «كَيْفَ نَسَبُهُ فِيكُمْ؟»، فَأَجَابَ أَبُو سُفْيَانَ - وَهُوَ حِيْنَئِذٍ عَلَىٰ الكُفْرِ-: «هُوَ فِيْنَا ذُو نَسَبٍ».

قَالَ هِرَقْلُ: «فَكَذَلِكَ الرُّسُلُ تُبْعَثُ فِي نَسَبِ قَوْمِهَا»[٢].

قَالَ ابْنُ القَيِّمِ رَحِمَهُ اللَّهُ: «هُوَ خَيْرُ أَهْلِ الْأَرْضِ نَسَبًا عَلَىٰ الْإِطْلَاقِ فَلِنَسَبِهِ مِنَ الشَّرَفِ أَعْلَىٰ ذِرْوَةٍ، وَأَعْدَاؤُهُ كَانُوا يَشْهَدُونَ لَهُ بِذَلِكَ، وَلِهَذَا شَهِدَ لَهُ بِهِ عَدُوُّهُ إِذْ ذَاكَ أبو سُفْيَانَ بَيْنَ يَدَيْ مَلِكِ الرُّومِ، فَأَشْرَفُ الْقَوْمِ قَوْمُه، وَأَشْرَفُ الْقَبَائِلِ قَبِيلَتُه، وَأَشْرَفُ الْأَفْخَاذِ فَخِذُهُ[٣]»[٤].

---

(١) «دَوَاوِيْنُ الشِّعْرِ العَرَبِيِّ» (٨٧/ ٢٥٦).

(٢) رَوَاهُ البُخَارِيُّ (٢٧٨٢).

(٣) الفَخِذُ فِي العَشَائِرِ: أَقَلُّ مِنَ البَطْنِ، أَوَّلُهَا الشَّعْبُ، ثُمَّ القَبِيْلَة، ثُمَّ الفَصِيْلَة، ثُمَّ العِمَارَة، ثُمَّ البَطْن، ثُمَّ الفَخِذُ. انْظُر: «الصَّحَاحُ» (٢/ ٥٦٨).

(٤) «زَادُ المِعاد» (١/ ٧٠).

شَـهِدَ الأَنَـامُ بِفَضْلِهِ حَتَّىٰ العِـدَا ... والـفَضْـلُ مَـا شَـهِدَتْ بِـهِ الأَعْـدَاءُ

وَقَالَ أُسْتَاذُنَا عَبْدُ الكَرِيْمِ العِمَادُ -حَفِظَهُ اللهُ-:

يَـا أَنْبَـلَ الـخَـلْـقِ أَصْـلا ... وَأعْـرِقَ الـنَّـاسِ عِـرْقًـا

وَأَطْـهَـرَ الخَـلْـقِ نَـفْسًـا ... وَأَكْـمَـلَ الـخَـلْـقِ خَـلْـقًـا

نَـفْـسِي فِـدَاكَ، وَرُوْحِـي ... فِـدَىٰ لِـعِـرْضِـكَ زُهْـقَـىٰ

قُـلُـوبُـنَـا ذَائِـبَـاتٌ ... إِلَـىٰ لِـقَـائِـكَ شَـوْقًـا

صَـلَّـىٰ عَـلَـيْكَ إِلَـهِـي ... مَـا لاَ حَـتِ الشَّـمْسُ شَـرْقًـا

١ـ نَسَبُهُ ﷺ مِنْ جِهَةِ أَبِيْهِ:

قَـدْ أَخْطَـأَ النَّجْـمُ مَـا نَالَـتْ أُبُوَّتُـهُ ... مِـن سُـؤدُدٍ بـاذخٍ فـي مَظهَـرٍ سَـنِمِ

نُمـوا إِلَيـهِ فَـزادوا فـي الـوَرىٰ شَـرَفًا ... وَرُبَّ أَصْـلٍ لِفَـرعٍ في الفَخـارِ نُمِي[١]

نَسَبُهُ ﷺ كَمَا يَسُوقُهُ عُلَمَاءُ النَّسَبِ هُوَ:

مُحَمَّـدُ بْنُ عَبْدِ اللهِ بْنِ عَبْدِ المُطَّلِبِ بْنِ هَاشِـمِ بْنِ عَبْدِ مَنَافٍ، بْنِ قُصَيٍّ ابْنِ كِلاَبِ بْنِ مُرَّةٍ بْنِ كَعْبِ بْنِ لُؤَيٍّ بْنِ غَالِبِ بْنِ فَهْرِ بْنِ مَالِكٍ بْنِ النَّضْرِ ابْنِ كَنَانَةٍ بْنِ خُزَيْمَةَ بْنِ مُدْرِكَةٍ بْنِ إِلْيَاسٍ بْنِ مُضَرِ ابْنِ نِزَارٍ بْنِ مَعَدٍّ بْنِ عَدْنَانَ»[٢].

---

(١) «مَوْسُوعَةُ الشِّعْرِ الإِسْلَامِيِّ» (٤/ ٥٦٠).

(٢) انْظُرْ: «صَحِيْحُ البُخَارِيُّ» (٤/ ٢٣٨)، بَابَ مَبْعَثِ النَّبِيِّ ﷺ وَ«زَادُ المِعاد» (١/ ٧٠).

قَـالَ ابْنُ القَيِّمِ رَحِمَهُ اللَّهُ بَعْدَ أَنْ سَـاقَ النَّسَـبَ: «إِلَىٰ هَاهُنَا مَعْلُـومُ الصِّحَّةِ مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ بَيْنَ النَّسَّـابِينَ، وَلَا خِلَافَ فِيهِ الْبَتَّةَ، وَمَا فَوْقَ عَدْنَانَ مُخْتَلَفٌ فِيهِ، وَلَا خِلَافَ بَيْنِهِمْ أَنَّ عَدْنَانَ مِنْ وَلَدِ إِسْمَاعِيلَ»[١].

قَالَ الشَّاعِرُ:

سَمَا بِهِ النَّسَبُ الوَضَّاحُ، فَاجْتَمَعَتْ ... فِـيْـهِ المَحَامِـدُ أَشْكَالًا وَأَلْوَانـا [٢]

وَقَالَ آخَرُ:

نَــبِيٌّ حَبَا عَدْنَـانَ فَضْـلًا وَسُـؤْدُدًا ... فَـعَـمَّـتْ جَـمِيْـعَ العَالَمِيْـنَ مَوَاهِبُـهْ
أَخُـو هِمَـمٍ لَا يُـدْرِكُ الدَّهْـرُ شَـأْوَهَا ... وَيَــجْــهَــلُهَا أَعْـدَاؤُهُ وَأَقَـارِبُـهْ[٣]

٢ـ نَسَبُهُ ﷺ مِنْ جِهَةِ أُمِّهِ:

فَأُقْسِمُ مَـا أُنْثَىٰ مِـنَ النَّـاسِ أَنْجَبَتْ ... وَلَا وَلَـدَتْ أُنْثَىٰ مِـنَ النَّـاسِ وَاحِـدَهْ
كَــمَـا وَلَـدَتْ زُهْرِيَّـةٌ ذَاتُ مَفْخَـرٍ ... مُــجَــنَّـبَـةٌ لُـؤْمَ الْقَبَائِـلِ مَاجِـدَهْ [٤]

أُمُّـهُ ﷺ هِـيَ: آمِنَـةُ بِنْـتَ وَهْـبِ بْـنِ عَبْدِ مَنَـافٍ ابْـنِ زُهْـرَةَ بْـنِ كِلَابِ بْنِ مُـرَّةَ[٥]، فَيُصْبِـحُ زُهْـرَةُ الَّـذِي تَنْتَسِـبُ إِلَيْـهِ آمِنَـةُ بِنْـتُ وَهْـبٍ أَخًـا لِقَصِـيٍّ جُـدِّ

(١) «زَادُ المِعاد» (١/ ٧٠).
(٢) «دَوَاوِيْنُ الشِّعْرِ العَرَبِيِّ» (٣٥/ ٤٥٩).
(٣) «مُخْتَارَاتٌ مِنْ أَجْمَلِ الشِّعْرِ» (٣٨).
(٤) «سُبُلُ الهُدَىٰ وَالرَّشَاد فِي سِيْـرَةِ خَيْـرِ العِبَادِ» (١/ ٣٥٢).
(٥) «الرَّوْضُ الأُنُفُ» (١/ ٢٦٩).

النَّبِيِّ ﷺ الرَّابِع، فَزُهْرَةَ وَقُصَيٌّ إِخْوَان، فَيَلْتَقِي نَسَبُ أَبِيْهِ ﷺ مَعَ نَسَبِ أُمِّهِ فِي كِلَابِ ابْنِ مُرَّةَ. وَكَانَ أَبُوهَا وَهْبُ سَيِّدَ بَنِي زُهْرَةَ نَسَبًا وَشَرَفًا.

قَالَ الشَّاعِرُ:

نَسَبٌ كَأَنَّ عَلَيْهِ مِنَ شَمْسِ الضُّحَىٰ ... نُورًا،وَمِنْ فَلَقِ الصَّبَاحِ عَمُودَا (١)

قَالَ آخَرُ:

نَسَبٌ لبَاذِخِ مَجْدِهِ تَعْنُو الوُجُوهُ ... فَكَمْ هُنَالِكَ مِنْ مَلِيْكٍ مَاثِلِ
شَرَفٌ إِلَىٰ العَرْشِ انْتَهَىٰ فَأَمَامَهُ ... تَقِفُ الثَّوَابِتُ وَقْفَةَ المُتَضَا (٢)

وَقَالَ آخَرُ:

وَاخْتَارَ آمِنَةَ العَذْرَاءَ صَاحِبَةً ... لِفَضْلِهَا بَيْنَ أَهْلِ الحِلِّ وَالحَرَمِ
كِلاهُمَا فِي العُلا كُفءٌ لِصَاحِبِهِ ... وَالكُفءُ فِي المَجْدِ لا يُسْتَامُ بِالقِيَمِ
فَأَصبَحَتْ عِندَهُ فِي بَيتِ مَكرُمَةٍ ... شِيدَتْ دَعائِمُهُ فِي مَنصِبٍ سَنِمِ (٣)

فَرَسُولُ اللهِ ﷺ خَيْرَةُ الخَيْرِ مِنْ كِلاَ طَرَفَيْهِ.

---

(١) «أَخْبَارُ أَبِي تَمَّام» (٩).
(٢) «دَوَاوِيْنُ الشِّعْرِ العَرَبِيِّ» (٨٧/ ٢٥٦).
(٣) «مَوْسُوعَةُ الشِّعْرِ الإِسْلَامِيِّ» (٣/ ٦٠٦).

حِفْظُ اللهِ لَهُ فِي أَصْلَابِ آبَائِهِ

وَكَانَ رَسُولُ اللهِ أَكْرَمَ مُنْجَبٍ جَرَىٰ فِي ظُهُورِ الطَّيِّبِينَ الْمَنَاجِبِ
مُقَابَلَةً آبَاؤُهُ أُمَّهَاتِهِ مُبَرَّأَةٌ مِنْ فَاضِحَاتِ الْمَثَالِبِ[1]

مِنْ حِفْظِ اللهِ لِنَبِيِّهِ ﷺ أَنْ حَفِظَهُ فِي أَصْلَابِ آبَائِهِ، فَلَمْ يُصِبْهُ مِنْ سِفَاحِ الجَاهِلِيَّةِ شَيْءٌ مِنْ لَدُنْ آدَمَ.

قَالَ ﷺ: «**خَرَجْتُ مِنْ نِكَاحٍ، وَلَمْ أَخْرُجْ مِنْ سِفَاحٍ، مِنْ لَدُنْ آدَمَ إِلَىٰ أَنْ وَلَدَنِي أَبِي وَأُمِّي، وَلَمْ يُصِبْنِي مِنْ سِفَاحُ الْجَاهِلِيَّةِ شَيْءٌ**»[2].

قَالَ الشَّاعِرُ:

نُورٌ تَنَقَّلَ فِي الأَكْوَانِ سَاطِعُهُ تَنَقُّلَ البَدْرِ مِنْ صُلْبٍ إِلَىٰ رَحِمِ
حَتَّىٰ اسْتَقَرَّ بِعَبْدِ اللهِ فَانْبَلَجَتْ أَنْوَارُ غُرَّتِهِ كَالبَدْرِ فِي البُهُمِ[3]

---

(١) «البِدَايَةُ وَالنِّهَايَة» (٢/ ١٩٨) والشِّعْرُ لابْن شِرْشِيرٍ، انْظُرْ: تَرْجَمَتَهُ هُنَاكَ.

(٢) (حَسَنٌ) أَخْرَجَهُ الطَّبَرَانِيُّ فِي «الأَوْسَطِ» (٤٧٢٨)، وَحَسَّنَهُ الأَلْبَانِيُّ رَحِمَهُ اللهُ فِي «صَحِيحِ الجَامِعِ» (٣٢٢٥) مِنْ حَدِيْثِ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ.

(٣) «مَوْسُوعَةُ الشِّعْرِ الإِسْلَامِيِّ» (٣/ ٦٠٦) البُهُمُ: اللَّيَالِي الثَّلَاثُ الَّتِي لَا يَبْدُو فِيْهَا القَمَرُ، واحدتُها بُهْمَةٌ - بِالضَّمِّ-.

وَقَالَ أُسْتَاذُنَا عَبْدُ الكَرِيْمِ العِمَادُ -حَفِظَهُ اللهُ-:

مِنْ صُلْبِ آدَمَ ثُمَّ فِي الأَرْحَامِ قَدْ ... حَفِظَتْكَ عَيْنَ اللهِ دُونَ سِفَاحِ

وَأَتَىٰ بِكَ الرَّحْمَنُ طُهْرًا خَالِصًا ... حَتَّىٰ تَكُونَ مُطَهِّرَ الأَرْوَاحِ

اصْطِفَاءُ اللهِ لَهُ

١ـ اصْطِفَاءُ النُّبُوَّةِ:

وَكَفَىٰ اصْطِفَاءً كَوْنُنَا مِنْ أُمَّةٍ ... وَسَطٍ أَجَابَتْ مُصْطَفَاهَا أَحْمَدَا[1]

وَقَالَ اللهِ ﷻ: ﴿ٱللَّهُ أَعۡلَمُ حَيۡثُ يَجۡعَلُ رِسَالَتَهُۥ﴾ [الأنعام: ١٢٤].

وَقَالَ اللهِ ﷻ: ﴿ٱللَّهُ يَصۡطَفِي مِنَ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةِ رُسُلٗا وَمِنَ ٱلنَّاسِۚ﴾ [الحَجُّ: ٧٥].

وَقَالَ اللهِ ﷻ: ﴿يُلۡقِي ٱلرُّوحَ مِنۡ أَمۡرِهِۦ عَلَىٰ مَن يَشَآءُ مِنۡ عِبَادِهِۦ﴾ [غَافِرُ: ١٥].

فَعَلِمَ أَنَّ مُحَمَّدًا ﷺ أَهْلُ لِلرِّسَالَةِ، فَخَصَّهُ بِهَا، وَأَنَّ الأَمْرَ لا يُجَارِي أَهْوَاءَ النَّاسِ فِيْمَنْ يُرَشِّحُونَهُ لِذَلِكَ مِنْ كُبَرَائِهِمْ!.

كَمَا قَالَ اللهِ ﷻ: ﴿وَقَالُواْ لَوۡلَا نُزِّلَ هَٰذَا ٱلۡقُرۡءَانُ عَلَىٰ رَجُلٖ مِّنَ ٱلۡقَرۡيَتَيۡنِ عَظِيمٍ ٣١﴾ [الزُّخْرُفُ: ٣١].

فَالاصْطِفَاءُ حَقٌّ لِلهِ وَحْدَه، لاَ يَتَصَرَّفُ فِيْهِ أَحَدٌ؛ فَالمُرْسِلُ هُوَ الَّذِي يَخْتَارُ الرَّسُولَ، وَهُوَ ﷻ لاَ يَخْتَارُ إِلَّا أَزْكَىٰ الخَلْقِ قَلْبًا، وَأَشْرَفَهُمْ بَيْتًا، وَأَطْهَرَهُمْ أَصْلًا، وَأَطْيَبَهُمْ نَفْسًا، وَأَحْسَنَهُمْ خُلُقًا.

وَقَالَ أُسْتَاذُنَا عَبْدُ الكَرِيْمِ العِمَادُ –حَفِظَهُ اللهُ–:

عَلِمَ الإِلَهُ بِأَنَّ أَحْمَدَ أَهْلُهَا ... جَعَلَ الرِّسَالَةَ فِيْهِ دُونَ سِوَاهُ

---

(١) «الوَسِيْطُ فِي تَرَاجِمِ أُدَبَاءِ شِنْقِيْط» (٢٧٢).

فَــأَتَــاهُ جِبْرِيْلُ الأَمِيْنُ بِوَحْيِهِ وَالــلــهُ أَيَّـدَ دِيْـنَـهُ وَحَـمَــاهُ
فَـاللهُ أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ أَمْـرَهُ مَــهْــمَا تَـرَاءَتْ حَوْلَكَ الأَشْبَاهُ

٢ـ اصْطَفَاهُ النَّسَبِ:

لَـهُ النَّسَبُ الوَضَّاحُ فِي جَبْهَةِ العُلَىٰ مَعَ الحَسَبِ السَّامِي جَمِيْعَ الخَلائِقِ[١]

اصْطَفَىٰ اللهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ نَبِيَّهُ ﷺ مِنْ أَعْظَمِ البُيُوتِ وَأَشْرَفِهَا وَأَعْرَقِهَا.

دَلَّ عَلَىٰ ذَلِكَ قَوْلُهُ ﷺ: «إِنَّ اللهَ اصْطَفَىٰ مِنْ وَلَدِ إِبْرَاهِيمَ إِسْمَاعِيلَ، وَاصْطَفَىٰ مِنْ بَنِي إِسْمَاعِيْلَ بَنِي كِنَانَةَ، وَاصْطَفَىٰ مِنْ بَنِي كِنَانَةَ قُرَيْشًا، وَاصْطَفَىٰ مِنْ قُرَيْشٍ بَنِي هَاشِمٍ، وَاصْطَفَانِي مِنْ بَنِي هَاشِمٍ»[٢].

قَالَ الشَّاعِرُ:

يُـعَـدُّ رَسُولُ اللهِ فَخْرًا لمَجْدِهِ وَحَسْبُكَ مَجْدًا فِي الذُّرَىٰ وَالشَّوَاهِقِ[٣]

وَقَالَ أُسْتَاذُنَا عَبْدُ الكَرِيْمِ العِمَادُ -حَفِظَهُ اللهُ-:

يَــا أَرْفَــعَ النَّـاسِ نُبْلا وَأَعْــرَقَ النَّـاسِ أَصْــلا
قَــدْ زَادَكَ الــلــهُ مَجْـدًا فَــكُــنْـتُ لِلْوَحْي أَهْــلا
فَــأَشْــرَقَ الــحَــقُّ نُـورًا يَــمْــحُو ظَلامًا وَجَهْــلا

(١) «دَوَاوِيْنُ الشِّعْرِ العَرَبِيِّ» (٢٥/ ٥٣).
(٢) رَوَاهُ مُسْلِمٌ (٢٠٠٢).
(٣)«دَوَاوِيْنُ الشِّعْرِ العَرَبِيِّ» (٢٥/ ٥٣).

٣ـ اصْطِفَاءُ المَكَانِ:

هُـنَـا بِـمَكَّـةَ آيُ اللـهِ قَـدْ نَزَلَـتْ ... هُـنَا تَرَبَّـىٰ رَسُـولُ اللـه خَيْـرُ نَبِـي
هُنَـا الصَّحَابَـةُ عَاشُـوا يَصْنَعُـونَ لَنَـا ... مَجْـدًا فَرِيْـدًا عَلَـىٰ الأَيَّـامِ لَـمْ يَشِـبِ

اصْطَفَىٰ اللهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ نَبِيَّهُ ﷺ مِنْ أَحَبِّ بِلَادِ اللهِ إِلَىٰ اللهِ، وَإِلَىٰ رَسُولِهِ ﷺ.

فَعَنْ عَبْدِ اللهِ بْنَ عَدِيٍّ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، قَالَ: رَأَيْتُ رَسُولَ ﷺ وَهُوَ عَلَىٰ نَاقَتِهِ، وَاقِفٌ بِالْحَزْوَرَةِ يَقُـولُ: «**وَاللهِ إِنَّـكِ لَخَيْرُ أَرْضِ اللهِ، وَأَحَـبُّ أَرْضِ اللهِ إِلَىٰ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ، وَلَوْلَا قَوْمِي أَخْرَجُونِي مِنْكِ مَا خَرَجْتُ**»(١).

قَالَ الشَّاعِرُ:

دَارُ التُّقَىٰ، وَمُحَمَّـدٌ مِـنْهَـا أَتَـىٰ ... وَالـمَـنْـبَـعُ الـقُـدْسِـيُّ مِنْهَـا يَطْلُـعُ
وَكِـتَـابُ رَبِّـي أَشْـرَقَـتْ آيَاتُـهُ ... فِـي مَـكَّـةَ الأَمْـجَـادِ نُـورٌ يَلْمَـعُ
بَـلَـدٌ إِلَيْـهَا كُـلُّ خَيْـرٍ يَنْتَمِـي ... وَالحَـاكِـمُ الجَـبَّـارُ عَنْهَـا يُمْنَـعُ
وَالـمَـاءُ زَمْـزَمُ، وَالحَطِيـمُ مُبَـارَكٌ ... وَمَـقَـامُ إِبْـرَاهِيـمَ آيٌ تَـسْـطَـعُ
وَالـكَـعْـبَـةُ الشَّـمَّاءُ فِيهَـا قِبْلَـةٌ ... رَمْـزُ الـهُـدَىٰ لِلـعَالَمِيـنَ وَمَنْبَـعُ

٤ـ اصْطِفَاءُ الزَّمَانِ:

سَـجَدَتْ لِطِيْـبِ زَمَانِـكَ الأَزْمَـانُ ... وَتَـضَاءَلَـتْ فِـي وَزْنِـكَ الأَوْزَانُ(٢)

---

(١) (صَحِيْحٌ) أَخْرَجَهُ التِّرْمِذِيُّ (٣٩٢٥)، وَصَحَّحَهُ الأَلْبَانِيُّ رَحِمَهُ اللهُ فِي «المِشْكَاةِ» (٧٠٨٩)، وحَسَّنَهُ شَيْخُنَا الوَادِعِيُّ رَحِمَهُ اللهُ فِي «الصَّحِيحِ المُسْنَدِ» (٧١٠).

(٢) «حَمَاسَةُ الظُّرَفَاءِ» (٣٨).

اصْطَفَىٰ اللهُ ﷻ نَبِيَّهُ ﷺ مِنْ خَيرِ قُرُونِ بَنِي آدَمَ، دَلَّ عَلَىٰ ذَلِكَ قَوْلُهُ ﷺ: «**بُعِثْتُ مِنْ خَيْرِ قُرُونِ بَنِي آدَمَ، قَرْنًا فَقَرْنًا، حَتَّىٰ بُعِثْتُ مِنَ الْقَرْنِ الَّذِي كُنْتُ فِيهِ**»(١).

سَبَقَ البُرْدَ طِيْبُهُ فَهُوَ مَقْرو ... ءٌ، وَمَا فُضَّ عَن كِتابٍ خِتَامُ
وَرَأىٰ النَّاسُ مِن زَمَانِكَ في الـ ... يَقَظَةِ مَا لَا تُرِيْهُمُ الأَحْلَامُ
جَلَّ عَنْ سَائِرِ العُصُورِ فَقَدْ قِيْـ ... ـلَ: مَنَامٌ فَدَامَ هَذَا المَنَامُ(٢)

وَقَالَ أُسْتَاذُنَا عَبْدُ الكَرِيْمِ العِمَادُ -حَفِظَهُ اللهُ-:

يَا سَيِّدَ الأَنْبِيَاءِ الغُرِّ أَجْمَعِهِمْ ... حَتَّىٰ زَمَانُكَ أَضْحَىٰ سَيِّدَ الزَّمَنِ
لَوْ أَنَّ لِلدَّهْرِ أَفْوَاهًا وَأَلْسِنَةً ... لَأَعْجَزَ الدَّهْرَ مَا أَوْلَيْتَ مِنْ مِنَنِ

٥ــ اصْطِفَاءُ النَّاسِ:

النَّاسُ -مَا لَمْ يَرَوْكَ- أَشْبَاهُ ... والدَّهْرُ لَفْظٌ، وَأَنْتَ مَعْنَاهُ(٣)

بُعِثَ النَّبِيُّ ﷺ فِي نَاسٍ مِنْ خَيرِ النَّاسِ فِي الأَوَّلِيْنَ وَالآخِرِيْنَ.

عَنْ عَبْدِ اللهِ رضي الله عنه عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «**خَيْرُ النَّاسِ قَرْنِي، ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ، ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ ثَلَاثًا...**»(٤).

فَقَوْلُهُ ﷺ: «**خَيْرُ النَّاسِ قَرْنِي**» أَيْ: أَهْلُ قَرْنِي، ثُمَّ أَهْلُ القَرْنِ الَّذِيْنَ يَلُونَهُمْ،

---

(١) رَوَاهُ البُخَارِيُّ (٣٥٥٧) عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه.

(٢) «دَوَاوِيْنُ الشِّعْرِ العَرَبِيِّ» (٣٥/ ١٦١).

(٣) «دِيْوَانُ أَبِي الطَّيِّبِ» (٣٨).

(٤) رَوَاهُ البُخَارِيُّ (٢٦٥٢) ومُسْلِمٌ (٢٥٣٣).

ثُمَّ أَهْلُ القَرْنِ الَّذِيْنَ يَلُونَهُمْ، الأَوَّلُ أَصْحَابُهُ، ثُمَّ أَتْبَاعُهُمْ، ثُمَّ أَتْبَاعُ أَتْبَاعِهِمْ.

عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ مَسْعُودٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، قَالَ: «إِنَّ اللهَ نَظَرَ فِي قُلُوبِ الْعِبَادِ، فَوَجَدَ قَلْبَ مُحَمَّدٍ ﷺ خَيْرَ قُلُوبِ الْعِبَادِ، فَاصْطَفَاهُ وَبَعَثَهُ بِرِسَالَتِهِ، ثُمَّ نَظَرَ فِي قُلُوبِ الْعِبَادِ بَعْدَ قَلْبِ مُحَمَّدٍ ﷺ فَوَجَدَ قُلُوبَ أَصْحَابِهِ خَيْرَ قُلُوبِ الْعِبَادِ فَجَعَلَهُمْ وُزَرَاءُ نَبِيِّهِ يُقَاتِلُونَ عَنْ دِينِهِ»[1].

قَالَ العَبَّادُ -حَفِظَهُ اللهُ-: «فَهَذِهِ الأُمَّةُ أُمَّةُ مُحَمَّدٍ ﷺ هِيَ خَيْرُ الأُمَمِ، وَأَصْحَابُ رَسُولِ اللهِ ﷺ هُمْ خَيْرُ هَذِهِ الأُمَّةِ، فَهُمْ أَفْضَلُ مَنْ مَشَىٰ عَلَىٰ الأَرْضِ بَعْدَ الأَنْبِيَاءِ والمُرْسَلِيْنَ، صَلَوَاتُ اللهِ وَسَلامُهُ وَبَرَكَاتُهُ عَلَىٰ رُسُلِهِ، وَرَضِيَ اللهُ -تَعَالَىٰ- عَنِ الصَّحَابَةِ أَجْمَعِيْنَ»[2].

هُمُ النَّاسُ نَاسِي والزَّمَانُ زَمَانُهُمْ   رَبِيْعِي وَكَسْبِي مِنْ رِضَاهُمْ هُوَ الكَسْبُ[3]

---

(١) (حَسَنٌ مَوْقُوفًا) أَخْرَجَهُ الإِمَامُ أَحْمَدُ (١/ ٣٧٩)، وَحَسَّنَهُ الأَلْبَانِيُّ رَحِمَهُ اللهُ فِي «الضَّعِيْفَةِ» (٥٣٣)، وَشَيْخُنَا الوَادِعِيُّ فِي «الصَّحِيْحِ المُسْنَدِ مِمَّا لَيْسَ فِي الصَّحِيْحَيْنِ» (٤١٤).

(٢) «شَرْحُ سُنَنِ أَبِي دَاوُد» (٤/ ١٩).

(٣) «دَوَاوِيْنُ الشِّعْرِ العَرَبِيِّ» (٨١/ ٤٧٨).

صِفَاتُهُ الخَلْقِيَّةُ
صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ

البَـدْرُ دُونَـكَ فِي حُسْـنٍ وَفِي شَـرَفٍ   وَالبَحـرُ دونَكَ فِـي خَيْرٍ وَفِي كَـرَمِ [١]

كَانَ رَسُولُ اللهِ ﷺ أَحْسَنَ النَّاسِ، وَأَجْمَلَ النَّاسِ،لَمْ يَصِفْهُ وَاصِفٌ -قَطُّ- إِلَّا شَبَّهَهُ بِالقَمَرِ لَيْلَةِ البَدْرِ، بَلْ أَجْمَلُ.

فَعَنْ جَابِرِ بْنِ سَـمُرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: «رَأَيْتُ رَسُـولَ اللَّهِ ﷺ فِي لَيْلَةٍ إِضْحِيَانٍ - أَيْ: مُضِيئَـةٍ مُقْمِرَةٍ - وَعَلَيْـهِ حُلَّةٌ حَمْرَاءُ، فَجَعَلْتُ أَنْظُرُ إِلَيْـهِ وَإِلَىٰ القَمَرِ، فَإِذَا هُوَ عِنْدِي أَحْسَنُ مِنَ القَمَرِ»[٢].

عَـنْ رَبِيعَـةَ بْـنِ أَبِـي عَبْـدِ الرَّحْمَـنِ، قَـالَ: سَـمِعْتُ أَنَـسَ بْـنَ مَالِكٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يَصِـفُ النَّبِـيَّ ﷺ، قَـالَ: «كَانَ رَبْعَـةً[٣] مِنَ الْقَـوْمِ لَيْسَ بِالطَّوِيـلِ وَلاَ بِالْقَصِيرِ، أَزْهَـرَ[٤] اللَّـوْنِ، لَيْـسَ بِأَبْيَـضَ أَمْهَـقَ، وَلاَ آدَمَ[٥] لَيْـسَ بِجَعْـدٍ[٦] قَطَـطٍ[٧]

(١) «مَوْسُوعَةُ الشِّعْرِ الإِسْلَامِيِّ» (٣/ ٦٠٦).

(٢) (صَحِيْحٌ) أَخْرَجَهُ التِّرمِذِيُّ (٢٨١١)، والدَّارَمِيُّ(١/ ٣٣)، وَالحَاكِمُ(٤/ ١٨٦)، وَالبَيْهَقِيُّ (١/ ١٩٦)، وَاللَّفْظُ لَهُ، وَصَحَّحَهُ الأَلْبَانِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ فِي «مُخْتَصَرِ الشَّمَائِلِ»(٢٧).

(٣) رَبْعَةً: أَيْ: مُتَوَسِّطٌ بَيْنَ الطُّولِ والقِصَرِ.

(٤) أَزْهَـرَ اللَّوْنِ: هُوَ الأَبْيَضُ المُسْتَنِيْر، وَهُو أَحْسَنُ الأَلْوَانِ، وَالزُّهْرَةُ: البَيَاضُ النَّيِّرُ.

(٥) وَلاَ آدَمَ: الأُدَمَةُ فِي النَّاسِ السُّمْرَةُ الشَّدِيْدَةُ.

(٦) لَيْسَ بِجَعْدٍ: الجَعْدُ بِفَتْحٍ وَسُكُونٍ: الشَّعْرُ فِيْهِ الْتِوَاءٌ وَانْقِبَاضٌ.

(٧) الشَّعْرُ القَطَطُ: الشَّدِيْدُ الجُعُودَةِ.

وَلَا سَبْطٍ[١] رَجِلٍ»[٢].

عَـنْ الْجُرَيْـرِيِّ عَنْ أَبِي الطُّفَيْلِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: رَأَيْتُ رَسُـولَ اللـهِ ﷺ وَمَا عَلَىٰ وَجْـهِ الْأَرْضِ رَجُـلٌ رَآهُ غَيْرِي، قَـالَ: فَقُلْتُ لَـهُ: فَكَيْفَ رَأَيْتَهُ؟، قَـالَ: كَانَ أَبْيَضَ مَلِيحًا مُقَصَّدًا[٣]»[٤].

فَـمَـا طَـلْعَـةُ البَـدْرِ المُنِيْـرِ مُضِيْـئَـةً ... كَطَلْعَتُـهُ الغَـرَراءِ فِـي كُـلِّ غَاسِـقِ
مُـهِـيْـبٌ فَـلَـوْلاَ مَـا بِـهِ مِـنْ تَكَـرُّمٍ ... لَـمَـا لَـمَـحَـتْـهُ هَـيْـبَـةً عَيـنُ رَامِـقِ[٥]

١ـ صِفَةُ وَجْهِهِ وَأَعْضَائِهِ:

كَـأَنَّ وَجْـهَكَ تَحْـتَ النَّقْعِ بَدْرُ دُجىً ... يُـضِـيءُ مُـلْـتَثِمًـا أَوْ غَـيْـرَ مُلتَثِـمِ[٦]

كَانَ رَسُـولُ اللهِ ﷺ أَحْسَـنَ النَّاسِ وَجْهًـا، فَكَانَ وَجْهُهُ كَالقَمَرِ والشَّـمْسِ مُسْـتدَيْرًا، وَكَانَ -صَلَوَاتُ اللهِ وَسَـلاَمُهُ عَلَيْهِ- عَظِيْمَ العَيْنَيْنِ، أَهْدَبَ الأَشْفَارِ[٧]،

(١) وَلاَ سَبْطٍ رَجِلٍ:الشَّعْرُ المُسْتَرْسِلُ،فَالحَاصِلُ أَنَّ شَعْرَهُ ﷺ لَمْ يَكُنْ شَدِيْدُ الجُعُودَةِ، وَلَا شَدِيْدُ السُّبُوطَةِ، بَلْ بَيْنَهُمَا.

(٢) رَوَاهُ البُخَارِيُّ (٣٥٤٧) ومُسْلِمٌ (٢٣٤٧).

(٣) مُقَصَّدًا: وَهُوَ الَّذِي لَيْسَ بِجَسِيمٍ وَلاَ نَحِيفٍ، وَلاَ طَوِيلٍ وَلاَ قَصِيرٍ.

(٤) رَوَاهُ مُسْلِمٌ (٢٣٤٠).

(٥) «دَوَاوِيْنُ الشِّعْرِ الإِسْلَامِيِّ» (٢٥/ ٥٤).

(٦) «مَوْسُوعَةُ الشِّعْرِ الإِسْلَامِيِّ» (٥/ ٥٧٠).

(٧) أَهْدَبَ الأَشْفَارِ: أَيْ: طويلَ الأشْفَارِ، وَهُوَ الَّذِي شَعْرُ أَجْفَانِهِ كَثِيْرٌ مُسْتَطِيْلٌ، وَأشْفَارُ العَيْنِ: هِيَ مَنَابِتُ الشَّعْرِ المُحِيْطِ بِالعَيْنِ، انْظُرْ: «جَامِعُ الأُصُولِ» (١١/ ٢٢٦)، وَ«لِسَانُ العَرَبِ» (٤/ ٤١٨-٤١٩).

مُشَـرَّبَ العَيْنَيْـنَ حُمْرَةً، أَشْـكَلَ أَسْـوَدَ الحَدَقَةِ أَدْعَـجَ(١)، أَكْحَلَ العَيْنَيْـنِ(٢)، دَقِيْقِ الحَاجِبَيْنِ سَابِغَهُمَا، أَزَجَّ(٣)، أَقْرَنَ(٤)، أَبْلَجَ(٥)، وَاسِعَ الجَبِيْنِ، أَغَرَّ أَجْلَىٰ كَأَنَّهُ يَتَلَأْلأُ، وَكَانَ العَرَقُ فِي وَجْهِهِ كَاللُّؤْلُؤِ، وَكَانَ أَسِيْلَ الخَدَّيْنِ(٦) سَـهْلَهُمَا، أَقْنَىٰ الأَنْفِ(٧)، ضَلِيْعَ الفَمِ، حَسَنَ الثَّغْرِ، بَرَّاقَ الثَّنَايَا،إِذَا ضَحِكَ كَانَ يَتَلَأْلَأُ.

وَفِيْمَـا يَلِي بَاقَـةٌ عَطِرَةٌ مِنْ وَصْفِ الوَاصِفِيْنَ لِرَسُـولِ اللهِ ﷺ، مِمَّنْ حَضَرَهُ وَشَاهَدَهُ تُدَلِّلُ عَلَىٰ مَا ذَكَرْنَاهُ»(٨).

عَنِ الْبَرَاءَ بْنِ عَازِب رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ: «**كَانَ رَسُـولُ اللهِ ﷺ أَحْسَـنَ النَّاسِ وَجْهًا، وَأَحْسَنَهُمْ خَلْقًا، لَيْسَ بِالطَّوِيلِ الذَّاهِبِ، وَلَا بِالْقَصِيرِ**»(٩).

---

(١) أَدْعَجَ العَيْنِ: الشَّدِيْدُ سَوَادِ العَيْنَيْنِ. انْظُرْ: «لِسَانُ العَرَبِ»(٢/ ٢٧١).

(٢) الكَحَلُ -بِالتَّحْرِيْكِ- سَوَاءٌ يَكُونُ فِي مَغَارِزِ الأَجْفَانِ خِلْقَةً، قَالَهُ ابْنُ الأَثِيْرِ، انْظُرْ: «جَامِعُ الأُصُولِ» (١١/ ٢٣٣)، وَ«لِسَانُ العَرَبِ» (١١/ ٢٧١).

(٣) أَزَجَّ: الزَّجَجُ -بِفَتْحَتَيْنِ-: رِقَّةُ مَحَطِّ الحَاجِبَيْنِ وَدِقَّتُهُمَا وَطُولُهُمَاوَسُبُوغُمَا واسْتِقْواسُهُما. انْظُرْ: «لِسَانُ العَرَبِ» (٢٨٧٢).

(٤) أَقْرَنَ:القَرَنُ-بِالتَّحْرِيْكِ-:اقْتِرَانُ الحَاجِبَيْنِ بِحَيْثُ يَلْتَقِي طَرَفَاهُمَا.«النِّهَايَةُ» (٤/ ٥٤).

(٥) الأَبْلَجُ: الأَبْيَضُ الْحَسَنُ الْوَاسِعُ الْوَجْهُ، وَالمَعْنَىٰ: مُشْرِقُ الوَجْهِ مُضِيئُه، وَالبَلَجُ -أَيْضًا- عَدَمُ الْتِقَاءِ الْحَاجِبَيْنِ، وَالجَمْعُ بَيْنَ وَصْفِهِ بِالبَلَجِ وَالقَرْنِ: هُوَ أَنَّهُ ﷺ مِنْ شِدَّةِ إِضَاءَةِ وَجْهِهِ لاَ يَظْهَرُ الالتِقَاءُ الَّذِي بَيْنَ حَاجِبَيْهِ لِخِفَّتِهِ «النِّهَايَةُ»(١/ ١٥١ -٤/ ٥٤).

(٦) أَسِيْلُ الخَدَّيْنِ أَيْ: قَلِيْلُ اللَّحْمِ مِنْ غَيْرِ نُتُوءٍ. «مَنَالُ المَطَالِبِ»(٧/ ٥٦٠).

(٧) القَنَا فِي الأَنْفِ: طُولُهُ وَرِقَّةِ أَرْنَبَتِهِ، مَعَ حَدَبٍ فِي وَسَطِهِ. «النِّهَايَةُ» (٤/ ١١٦).

(٨) «نَضْـرَةُ النَّعِيْم»(١/ ٤٢٦).

(٩) رَوَاهُ البُخَارِيُّ (٣٥٤٩) ومُسْلِمُ (٢٣٣٧).

وَسُئِلَ الْبَرَاءَ بْنَ عَازِبٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: أَكَانَ وَجْهُ رَسُولِ اللهِ ﷺ مثل السَّيْفِ؟،[1]، قَالَ: «**لا، بَلْ مثل الْقَمَرِ**»[2].

وَسَأَلَ رَجُلٌ جَابِرِ بْنِ سَمُرَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا قَالَ لَهُ: أَكَانَ وَجْهُ رَسُولِ اللهِ ﷺ مِثْلَ السَّيْفِ؟، قَالَ: «**لا بَلْ مِثْلُ الشَّمْسِ وَالْقَمَرِ كَانَ مُسْتَدِيرًا**[3]»[4].

عَنْ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، قَالَ: «**كَانَ رَسُولُ اللهِ ﷺ ... عَظِيمَ الْعَيْنَيْنِ، أَهْدَبَ الْأَشْفَارِ، مُشْرَبًا بِحُمْرَةٍ**»[5].

عَنْهُ أَيْضًا رَضِيَ اللهُ عَنْهُ فِي نَعْتِ رَسُولِ اللهِ ﷺ قَالَ: «**... كَانَ أَسْوَدَ الْحَدَقَةِ، أَهْدَبَ الْأَشْفَارِ**»[6].

وَفِي حَدِيْثِ يَزِيدَ الْفَارِسِيِّ فِي رُؤْيَتِهِ المَنَامِيَّةِ: لرَسُولِ اللهِ ﷺ والَّتِي قَصَّهَا عَلَىٰ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا، وَأَقَرَّهُ عَلَيْهَا، جَاءَ فِي الوَصْفِ: «... رَأَيْتُ رَجُلًا ... حَسَنُ

---

(١) قَالَ الحَافِظُ ابْنُ حَجَرٍ رَحِمَهُ اللهُ فِي الفَتْحِ: «كَأَنَّ السَّائِلَ أَرَادَ أَنَّهُ مِثْلُ السَّيْفِ فِي الطُّولِ، فَرَدَّ عَلَيْهِ الْبَرَاءُ فَقَالَ: «**بَلْ مِثْلُ الْقَمَرِ**» أَيْ فِي التَّدْوِيرِ، وَيَحْتَمِلُ أَنْ يَكُونَ أَرَادَ مِثْلَ السَّيْفِ فِي اللَّمَعَانِ وَالصِّقَالِ فَقَالَ: بَلْ فَوْقَ ذَلِكَ، وَعَدَلَ إِلَىٰ الْقَمَرِ لِجَمْعِهِ الصِّفَتَيْنِ مِنَ التَّدْوِيرِ وَاللَّمَعَانِ»

(٢) رَوَاهُ البُخَارِيُّ (٣٥٥٢).

(٣) قَالَ الحَافِظُ ابْنُ حَجَرٍ رَحِمَهُ اللهُ فِي الفَتْحِ: «وَلَمَّا جَرَىٰ التَّعَارُفُ فِي أَنَّ التَّشْبِيهَ بِالشَّمْسِ إِنَّمَا يُرَادُ بِهِ غَالِبًا الْإِشْرَاق، وَالتَّشْبِيهُ بِالْقَمَرِ إِنَّمَا يُرَادُ بِهِ الْمَلَاحَةُ دُونَ غَيْرِهِمَا، أَتَىٰ بِقَوْلِهِ: «وَكَانَ مُسْتَدِيرًا» إِشَارَةً إِلَىٰ أَنَّهُ أَرَادَ التَّشْبِيهَ بِالصِّفَتَيْنِ مَعًا: الْحُسْنِ وَالِاسْتِدَارَةِ.

(٤) رَوَاهُ مُسْلِمٌ (٢٣٤٤).

(٥) (صَحِيحٌ) رَوَاهُ الإِمَام أَحْمَدُ فِي «مُسْنَدِهِ» مُطَوَّلاً (١/ ٨٩، ١٠١)، وَقَالَ عَنْهُ الشَّيْخُ أَحْمُد شَاكِر: «إِسْنَادُهُ صَحِيحٌ»، انْظُرْ: «تَرْتِيبُ المُسْنَد» (٢/ ٨٠-٨١) برقم (٦٤٨).

(٦) (صَحِيحٌ) رَوَاهُ البَيْهَقِيُّ فِي «دَلَائِلِ النُّبُوَّةِ» (١/ ٢١٢-٢١٣) وَصَحَّحَهُ الأَلْبَانِيُّ رَحِمَهُ اللهُ فِي «صَحِيحِ الجَامِعِ» (٤٦٢١).

الْمَضْحَكِ، أَكْحَلُ الْعَيْنَيْنِ، جَمِيلُ دَوَائِرِ الْوَجْهِ ...»[١].

عَنْ سِمَاكِ بْنِ حَرْبٍ قَالَ: سَمِعْتُ جَابِرَ بْنَ سَمُرَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ: «كَانَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ضَلِيعَ الْفَمِ، أَشْكَلَ الْعَيْنِ، مَنْهُوسَ الْعَقِبَيْنِ».

قَالَ: قُلْتُ لِسِمَاكٍ: مَا ضَلِيعُ الْفَمِ، قَالَ: عَظِيمُ الْفَمِ، قَالَ: قُلْتُ: مَا أَشْكَلُ الْعَيْنِ، قَالَ: طَوِيلُ شَقِّ الْعَيْنِ[٢]، قَالَ: قُلْتُ: مَا مَنْهُوسُ الْعَقِبِ، قَالَ: قَلِيلُ لَحْمِ الْعَقِبِ[٣].

٢- صِفَةُ رَأْسِهِ وَلِحْيَتِهِ:

عَنْ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، قَالَ: «**كَانَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَبْيَضَ مُشْرَبًا حُمْرَةً، ضَخْمَ الْهَامَةِ**[٤]»[٥].

عَنْ جَابِرِ بْنِ سَمُرَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا قَالَ: «**كَانَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَثِيرَ شَعْرِ اللِّحْيَةِ**»[٦].

عَنْ أَبِي مَعْمَرٍ، قَالَ: قُلْنَا لِخَبَّابِ بْنِ الأَرَتِّ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: أَكَانَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقْرَأُ

---

(١) (حَسَنٌ) رَوَاهُ الإِمَام أَحْمَدُ فِي «مُسْنَدِهِ»(١/ ٣٦١- ٣٦٢)،وَ التِّرْمِذِيُّ فِي «الشَّمَائِل» (٤١٢)، والدَّارَمِيُّ(١/ ٣٣)،وَحَسَّنَهُ الحَافِظُ فِي «الفَتْحِ»(٦/ ٦٥٨)، وَالأَلْبَانِيُّ رَحِمَهُ اللهُ فِي «مُخْتَصَرِ الشَّمَائِلِ»(٣٤٧).

(٢) قَالَ النَّوَوِيُّ رَحِمَهُ اللهُ فِي «شَرْحِهِ عَلَىٰ مُسْلِمٍ»: قَالَ الْقَاضِي: هَذَا وَهْمٌ مِنْ سِمَاكٍ بِاتِّفَاقِ الْعُلَمَاءِ، وَغَلَطٌ ظَاهِرٌ، وَصَوَابُهُ مَا اتَّفَقَ عَلَيْهِ الْعُلَمَاء، وَنَقَلَهُ أَبُو عُبَيْدٍ وَجَمِيعُ أَصْحَابِ الْغَرِيبِ أَنَّ الشُّكْلَةَ حُمْرَةٌ فِي بَيَاضِ الْعَيْنَيْنِ، وَهُوَ مَحْمُودٌ، وَالشُّهْلَةُ بِالْهَاءِ حُمْرَةٌ فِي سَوَادِ الْعَيْنِ.

(٣) رَوَاهُ مُسْلِمٌ (٢٣٣٩).

(٤) الْهَامَةُ: الرَّأْسُ. «لِسَانُ العَرَبِ»(١٢/ ٦٢٤).

(٥) (حَسَنٌ) أَخْرَجَهُ أَحْمَدُ (١/ ١١٦)، وَالبَيْهَقِيُّ فِي «الدَّلَائِلِ» (١/ ٢١٦) وَحَسَّنَهُ وَالأَلْبَانِيُّ رَحِمَهُ اللهُ فِي «صَحِيْحِ الجَامِعِ» (٤٤٩٦).

(٦) رَوَاهُ مُسْلِمٌ (٢٣٤٤).

فِي الظُّهْرِ وَالْعَصْرِ؟، قَالَ: نَعَمْ قُلْنَا: بِأَيِّ شَيْءٍ كُنْتُمْ تَعْرِفُونَ قِرَاءَتَهُ؟، قَالَ: «بِاضْطِرَابِ لِحْيَتِهِ»(١).

٣ـ صِفَةُ شَعْرِ رَأْسِهِ:

فَكَأَنَّهُ ضَوْءُ الصَّبَاحِ إِذَا بَدَا ... يَعْلُوهُ فَوْقَ الرَّأْسِ لَيْلٍ أَسْحَمِ(٢)

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ: «**كَانَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: شَدِيدُ سَوَادِ الشَّعْرِ**»(٣).

وَعَنْ أَنَسٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ: «**كَانَ شَعْرُ رَسُولِ اللهِ ﷺ إِلَىٰ أَنْصَافِ أُذُنَيْهِ**»(٤).

وَعَنِ الْبَرَاءِ بْنِ عَازِبٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا قَالَ: «**كَانَ رَسُولُ اللهِ ﷺ رَجُلًا مَرْبُوعًا، بَعِيدَ مَا بَيْنَ الْمَنْكِبَيْنِ، عَظِيمَ الْجُمَّةِ إِلَىٰ شَحْمَةِ أُذُنَيْهِ**(٥)**، عَلَيْهِ حُلَّةٌ**(٦) **حَمْرَاءُ، مَا رَأَيْتُ شَيْئًا قَطُّ أَحْسَنَ مِنْهُ ﷺ**»(٧).

وَفِي لَفْظٍ لِلْبُخَارِيِّ: «لَهُ شَعَرٌ يَبْلُغُ شَحْمَةَ أُذُنَيْهِ إِلَىٰ مَنْكِبَيْهِ».

وَقَالَ أُسْتَاذُنَا عَبْدُ الكَرِيْمِ العِمَادُ -حَفِظَهُ اللهُ-:

كَمُلَتْ بِكَ الأَخْلَاقُ وَاجْتَمَعَتْ عَلَىٰ ... رَجُلٍ بِأَجْمَلِ صُورَةٍ وَنَقَاءِ

---

(١) رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ (٧٦١).

(٢) قَالَهُ مَازِنُ الْعرويُّ..

(٣) (حَسَنٌ) رَوَاهُ الْبَيْهَقِيُّ فِي «الدَّلَائِلِ» (١/ ٢٧٥) وَحَسَّنَهُ وَالأَلْبَانِيُّ رَحِمَهُ اللهُ فِي «صَحِيْحِ الجَامِعِ» (٤٥٠٩).

(٤) رَوَاهُ مُسْلِمٌ (٢٣٣٨).

(٥) قَالَ النَّوَوِيُّ رَحِمَهُ اللهُ فِي«شَرْحِ مُسْلِمٍ»: وَأَمَّا شَحْمَةُ الْأُذُنِ فَهُوَ اللَّيِّنُ مِنْهَا فِي أَسْفَلِهَا، وَهُوَ مُعَلَّقُ الْقُرْطِ مِنْهَا.

(٦)الحُلَّةُ -بِالضَّمِّ- الثَّوْبُ الجَيِّدُ الجَدِيْد، وَكَانَتْ عِنْدَ العَرَبِ تتَكَوَّنُ مِنْ قَمِيْصٍ، وَإِزَارٍ، وَرِدَاءٍ.

(٧) رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ (٣٥٥١) ومُسْلِمٌ (٢٣٣٧).

وَسَــاوَتْ الأَعْـضَـاءُ فِيْكَ تَفَاخُـرًا ... فَـلَـقَـدْ خُـلِـقْـتَ مُـكَمَّـلَ الأَعْضَاءِ

٤ـ صِفَةُ الشَّيْبِ فِي رَأْسِهِ وَلِحْيَتِهِ:

إِنَّـمَـا الشَّـيْـبُ لابْـنِ آدَمَ نَـاعٍ ... قَـامَ فِـي عَـارِضَـيْـهِ ثُـمَّ نَـعَـاهُ[1]

كَانَ لِرَسُولِ اللهِ ﷺ فِي رَأْسِهِ وَلِحْيَتِهِ قَلِيْلٌ مِنَ الشَّيْبِ، وَكَانَ أَكْثَرُ شَيْبٍ فِي فَوْدَيْ رَأْسِهِ[2]، وَكَانَ أَكْثَرُ شَيْبِ لِحْيَتِهِ فِي عَنْفَقَتِهِ[3] فَوْقَ الذَّقْنِ، وَكَانَ شَيْبُهُ كَأَنَّهُ خُيُوطُ الْفِضَّةِ يَتَلأْلأُ بَيْنَ ظَهْرِيْ سَوَادِ الشَّعْرِ الَّذِي مَعَه، وَإِذَا مَسَّ ذَلِكَ الشَّيْبَ الصُّفْرَةُ -وَكَثِيرًا مَا يَفْعَلُ ذَلِكَ- صَارَ كَأَنَّهُ خُيُوطُ الذَّهَبِ يَتَلأْلأُ بَيْنَ ظَهْرِيْ سَوَادِ الشَّعْرِ الَّذِي مَعَهُ، صَلَوَاتُ اللهَ وَسَلامُهُ عَلَيْهِ»[4].

وَبِنَحْوِ ذَلِكَ وَرَدَتِ الأَحَادِيْثُ وَالأَخْبَار، فَمِنْ ذَلِكَ:

عَنْ أَنَسٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ: «**تُوُفِّيَ رَسُولُ اللهِ ﷺ وَلَيْسَ فِي رَأْسِهِ وَلِحْيَتِهِ عِشْرُونَ شَعْرَةً بَيْضَاءَ**».

قَالَ رَبِيعَةُ: فَرَأَيْتُ شَعَرًا مِنْ شَعَرِ رَسُولِ اللهِ ﷺ فَإِذَا هُوَ أَحْمَرُ، فَسَأَلْتُ فَقِيلَ: «مِنَ الطِّيْبِ»[5].

---

(١) «دِيْوَانُ أَبِي العَتَاهِيَةِ» (١٨١)، وَالعَارِضَان: جَانِبَا الوَجْهِ، وَنَعَاهُ: أَخْبَرَ بِمَوْتِهِ.

(٢) الفَوْدَان: جَانِبَا الفَرْق وَحَرْفَاهُ.

(٣) العَنْفَقَةُ -بِالفَتْحِ- الشَّعْرِ الَّذِي فِي الشَّفَةِ السُّفْلَى، وَقِيْلَ: الشَّعْرُ الَّذِي بَيْنَهَا وَبَيْنَ الذَّقَنِ، وَأَصْلُ العَنَفَقَةِ: خِفَّةُ الشَّيْءِ قِلَّتُهُ. «النِّهَايَةُ» (٣/ ٣٠٩).

(٤) انْظُرْ: «نَضْرَةُ النَّعِيْم» (١/ ٤٣٢).

(٥) رَوَاهُ البُخَارِيُّ (٣٥٤٧) ومُسْلِمٌ (٢٣٤٧) عَدَا قَوْلِ رَبِيْعَةِ.

مَــا شَـــانَ خَـيْرُ الخَلْـقِ شَـيْـبٌ   إِنَّمَـا هِـيَ أَنْجَـمُ تُـتَ الغَمَـامِ بِـوَادِ
فَاحْــرِصْ إِذَا وَافَـاكَ شَـيْنُ الشَّـيْبِ   أَنْ لاَ تَـخَـضِـــنَّ بَـيَاضَـهُ بِسَـوَادِ

٥ـ صِفَةُ مَنْكِبَيْهِ:

مَـا تَدْلُـكُ الشَّـمْسُ إِلَّا حَـذْوَ مَنْكِبِـهِ   فِـي حَوْمَـةٍ حَوْلَهَـا الهَامَاتُ تَبْتَـدَرُ (١)

عَنِ الْبَرَاءِ بْنِ عَازِبٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا قَالَ: «**كَانَ رَسُولُ اللهِ ﷺ بَعِيدَ مَا بَيْنَ الْمَنْكِبَيْنِ**»(٢).

حَـمَـلَ المَـكَارِمَ عَنْهُـمْ فَوفَـىٰ بِهَـا   عَبـلَ الذِّرَاعِ (٣) مَتِيْـنَ حَبْلِ الكَاهِلِ (٤)

٦ ـ صِفَةُ ذِرَاعَيْهِ:

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ فِي نَعْتِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «**كَانَ شَبْحَ الذِّرَاعَيْنِ**(٥)»(٦).

صِفَة الكَفَّيْنِ:

يَــابِــسُ الْـجَنبَيْـنِ مِـنْ غَيْـرِ بُـؤسٍ   وَنَـــدِيُّ الْكَـــفَّـيْـــنِ شَـهْـمٌ مُـدِلُّ (٧)

---

(١) «البَصَائِرُ وَالذَّخَائِرُ» (٤/ ٢٠٩).

(٢) رَوَاهُ البُخَارِيُّ (٣٥٥١) ومُسْلِمٌ (٢٣٣٧).

(٣) عَبْلُ الذِّرَاعِ: ضَخْمُ الذِّرَاعِ، وامْرَأَةٌ عَبْلَةٌ تَامَّةُ الخَلْقِ. «المِصْبَاحُ المُنِيْر» (٢/ ٣٩٠).

(٤) «دَوَاوِيْنُ الشِّعْرِ العَرَبِيِّ» (٢/ ٣٩٠).

(٥) شَبْحَ الذِّرَاعَيْنِ: أَيْ: طَوِيْلَهُمَا، وَقِيْلَ: عَرِيْضُهمَا. «النِّهَايَةُ»(٢/ ٤٣٩).

(٦) (حَسَنٌ) أَخْرَجَهُ أَحْمَدُ (٢/ ٣٢٨-٤٤٨)، والبَيْهَقِيُّ فِي «الدَّلَائِلِ» (١/ ٢٤٤)، وَحَسَّنَهُ وَالأَلْبَانِيُّ رَحِمَهُ اللهُ فِي «صَحِيْحِ الجَامِعِ» (٤٦٩٢).

(٧) «دِيْوَانُ عَمْرُو بْنِ مَالِكٍ» (٢٥).

عَـنْ أَنَـسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَـالَ: «كَانَ النَّبِـيُّ ﷺ ضَخْمَ الْيَدَيْنِ، حَسَـنَ الْوَجْـهِ، لَمْ أَرَ -بَعْدَهُ وَلَا قَبْلَهُ- مِثْلَه، وَكَانَ بَسِطَ الْكَفَّيْنِ[١]»[٢].

٧ـ صِفَةُ السَّاقَيْنِ:

عَـنْ جَابِـرِ بْـنِ سَـمُرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَـالَ: «كَانَ رَسُـولُ اللـهِ ﷺ لَا يَضْحَـكُ إِلَّا تَبَسُّمًا،وَكَانَ فِي سَاقَيْهِ حُمُوشَةٌ[٣]»[٤].

٨ـ صِفَةُ القَدَمَيْنِ:

مَـا العِـزُّ إِلاَّ فـي ثَـرَىٰ القَـدَمِ الَّتـي ... حَـسَـدَتْ عَـلَيْهَـا النَّيِّـرَاتُ ثَـرَاكَا[٥]

عَنْ أَنَسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: «كَانَ النَّبِيُّ ﷺ ضَخْمَ القَدَمَيْنِ»[٦].

وَعَنْهُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: «كَانَ النَّبِيُّ ﷺ شَثْنَ الْقَدَمَيْنِ»[٧].

عَنْ جَابِرِ بْنِ سَمُرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ: «كَانَ رَسُولُ اللهِ ﷺ مَنْهُوسَ[٨] الْعَقِبَيْنِ»[٩].

(١) بَسِطَ الْكَفَّيْنِ: البَسْطَةُ: الزِّيَادَةُ والسَّعَةُ «لِسَانُ العَرَبِ» (٧/ ٢٦٠).

(٢) رَوَاهُ البُخَارِيُّ (٥٩٠٧).

(٣) حُمُوشَةٌ: دِقَّةٌ، وَقَالَ ابْنُ الأَثِيْر: رَجُلٌ أَحْمَشُ السَّاقَيْنِ، أَيْ: دَقِيْقُهُمَا. انْظُرْ: «جَامِعُ الأُصُولِ» (١١/ ٢٣٣).

(٤) (صَحِيْحٌ) أَخْرَجَهُ أَحْمَدُ (٥/ ٩٧-١٠٥)، وَالتِّرْمِذِيُّ (٣٦٤٥)، وَحَسَّنَهُ وَالأَلْبَانِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ فِي «صَحِيْحِ الجَامِعِ» (٤٧٣٧).

(٥) «دِيْوَانُ أَحْمَدُ شَوْقِي» (٧٨٢).

(٦) رَوَاهُ البُخَارِيُّ (٥٩٠٧).

(٧) رَوَاهُ البُخَارِيُّ (٥٩١٠).

(٨) مَنْهُوسَ الْعَقِبَيْنِ أَيْ: قَلِيْلُ لَحمِ الْعَقِبَيْنِ، والعَقِبُ: هُوَ مُؤَخَّرُ القَدَمِ، قَالَ ابْنُ كَثِير تَعْقِيبًا عَلَىٰ أَنَّهُ قَلِيْلُ لَحمِ العَقِبِ: «هَذَا أَنْسَبُ وَأَحْسَنُ فِي حَقِّ الرِّجَالِ» انْظُرْ: «الشَّمَائِلَ» لابْنِ كَثِيرٍ (٤٤).

(٩) رَوَاهُ مُسْلِمٌ (٢٣٣٩).

وَأَحْسَنُ مِنْكَ لَمْ تَرَ قَطُّ عَيْنِي ... وَأَجْمَلُ مِنْكَ لَمْ تَلِدِ النِّسَاءُ [1]

وَقَالَ شَوْقِي رَحِمَهُ اللَّهُ:

أَمَّا الجَمَالُ فَأَنتَ شَمْسُ سَمَائِهِ ... وَمَلاحَةُ الصِّدِّيقِ مِنْكَ أَيَاءُ [2]

وَالحُسْنُ مِنْ كَرَمِ الوُجُوهِ وَخَيْرُهُ ... مَا أُوتِيَ القُوَّادُ وَالزُّعَمَاءُ [3]

٩ـ خَاتَمُ النُّبُوَّةِ:

أَغَرُّ، عَلَيْهِ لِلنُّبُوَّةِ خَاتَمٌ ... مِنَ اللَّهِ مَشْهُودٌ يَلُوحُ وَيُشْهَدُ [4]

عَنْ عَاصِمٍ، عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ سَرْجِسَ، قَالَ: رَأَيْتُ النَّبِيَّ ﷺ وَأَكَلْتُ مَعَهُ خُبْزًا وَلَحْمًا، أَوْ قَالَ ثَرِيدًا، قَالَ فَقُلْتُ لَهُ: أَسْتَغْفَرَ لَكَ النَّبِيُّ ﷺ؟، قَالَ: نَعَمْ، وَلَكَ، ثُمَّ تَلَا هَذِهِ الْآيَةَ ﴿وَٱسْتَغْفِرْ لِذَنۢبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ﴾ [مُحَمَّد: ١٩] قَالَ: ثُمَّ دُرْتُ خَلْفَهُ «فَنَظَرْتُ إِلَىٰ خَاتَمِ النُّبُوَّةِ بَيْنَ كَتِفَيْهِ، عِنْدَ نَاغِضِ كَتِفِهِ [5] الْيُسْرَىٰ جُمْعًا [6]، عَلَيْهِ خِيلَانٌ [7]،

---

(١) «دِيْوَانُ حَسَّان» (١٠)، دَارُ صَادِر.

(٢) أَيَاءُ: الشَّمْسُ -بِالفَتْحِ وَالمَدِّ -نُورُهَا وَحُسْنُهَا.

(٣) «دِيْوَانُ أَحْمَدُ شَوْقِي» (٦).

(٤) «دِيْوَانُ حَسَّانَ بْنِ ثَابِتٍ» (٤٢)،.

(٥) نَاغِضِ كَتِفِهِ: قَالَ الجُمْهُور: هُوَ أَعْلَىٰ الْكَتِف، وَقِيلَ: هُوَ الْعَظْمُ الرَّقِيقُ الَّذِي عَلَىٰ طَرَفِهِ، وَقِيلَ: مَا يَظْهَرُ مِنْهُ عِنْدَ التَّحَرُّكِ، سُمِّيَ نَاغِضًا لِتَحَرُّكِهِ.

(٦) جُمْعًا: مَعْنَاهُ: أَنَّهُ جَمْعِ الكَفِّ، وَهُوَ صُورَتُهُ بَعد أَنْ تَجْمَعَ الأَصَابِع وَتَضُمَّهَا.

(٧) الْخِيلَانَ: جَمْعُ خَالٍ، وَهُوَ الشَّامَةُ فِي الْجَسَدِ.

كَأَمْثَالِ الثَّآلِيلِ[١]»[٢].

وَعَنْ جَابِرِ بْنِ سَمُرَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا قَالَ: «... كَانَ وَجْهُ رَسُولُ اللهِ ﷺ مِثْلَ الشَّمْسِ وَالْقَمَرِ مُسْتَدِيرًا، وَرَأَيْتُ الْخَاتَمَ عِنْدَ كَتِفِهِ مِثْلَ بَيْضَةِ الْحَمَامَةِ[٣] يُشْبِهُ جَسَدَهُ»[٤].

أَكَــرِمْ بِخَلْقِ نَبيٍّ زانَهُ خُلُقٌ ... بالحُسْنِ مُشْتَمِلٍ بالبِشْرِ مُتَّسِمِ

كالزَّهرِ فِي تَرَفٍ وَالبَدْرِ فِي شَرَفٍ ... والبَحْرِ فِي كَرَمٍ والدَّهْرِ فِي هِمَمِ[٥]

١٠ ـ طِيبُ رِيحِ رَسُولِ اللهِ ﷺ:

الطِّيبُ أَنْتَ إِذَا أَصَابَكَ طِيبُهُ ... والماءُ أَنْتَ إِذَا اغْتَسَلْتَ الغاسِلُ[٦]

عن أنس رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ: «دَخَلَ عَلَيْنَا رَسُولُ اللهِ ﷺ فَقَالَ عِنْدَنَا، فَجَاءت أُمِّي أُمُّ سُلَيْم بِقَارورَةٍ فَجَعَلَتْ تَسْلُتُ الْعَرَقَ فِيها، فاسْتَيْقَظَ النَّبِيُّ ﷺ، فَقَالَ: يا أُمُّ سُلَيْمٍ، مَا هذَا الَّذِي تَصْنَعِينَ؟

قَالَتْ: هذا عَرَقُكَ نَجْعَلُهُ فِي طيبنَا، وهُو مِنْ أَطْيَبِ الطِّيبِ»[٧].

---

(١) الثَّآلِيلُ: جَمْع ثُؤْلُو، وهُوَ حُبَيْبَاتُ تَعْلُو الجَسَدَ. قَالَ القَاضِي: «وَهَذِهِ الرِّوَايَاتُ مُتَقَارِبَةٌ مُتَّفَقَةٌ عَلَىٰ أَنَّها شَاخِصٌ جَسَدِهِ قَدْرَ بَيْضَةِ الحَمَامَةِ».

(٢) رَوَاهُ مُسْلِمٌ (٢٣٤٦).

(٣) بَيْضَةُ الْحَمَامَةِ: هِيَ بَيْضَتُهَا المَعْرُوفَةِ.

(٤) رَوَاهُ مُسْلِمٌ (٢٣٤٤).

(٥) «دَوَاوِيْنُ الشِّعْرِ العَرَبِيِّ» (٩/ ٧١).

(٦) تتمة اليتيمة (١/ ١٨٩).

(٧) رواه مسلم (٢٣٣١).

وَعَنْ أنسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَال: مَا مَسسْت ديباجًا ولَا حَرِيرًا أَلْيَنَ مِنْ كَفِّ رَسُولِ اللهِ ﷺ ولا شَمَمْتُ رائحةً أَطْيَبَ مِن رَسُولِ الله ﷺ»[1].

إنْ قَامَ أَرِيجُ الْمِسكِ يَلْحَقُهُ   نَوَاشِرُ الطِّيبِ مِنْ جَنْبِهِ تَنْتَسَمُ

(١) رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ (٣٥٦١).

مَوْلِدُهُ
صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ

وُلِدَ الهُدَىٰ فَالكَائِنَاتُ ضِيَاءُ   وَفَمُ الزَّمَانِ تَبَسُّمٌ وَثَنَاءُ[١]

وُلِدَ رَسُولُ اللهِ ﷺ يَوْمَ الاثْنَيْنِ،وَهَذَا مِمَّا لَا خِلَافَ فِيْهِ[٢].

وَقَدْ سُئِلَ عَنْ صَوْمِ الاثْنَيْنِ، فَقَالَ: **«ذَاكَ يَوْمٌ وُلِدْتُ فِيهِ، وَيَوْمٌ بُعِثْتُ أَوْ أُنْزِلَ عَلَيَّ فِيهِ»**[٣].

وَكَانَ مَوْلِدُهُ ﷺ لِثِنْتَيْ عَشْرَةَ مِنْ رَبِيعِ الأَوَّلِ، وَهَذَا قَوْلُ جُمْهُورِ عُلَمَاءِ السِّيْرَةِ[٤]. وَقِيْلَ: ثَامِنُهُ[٥]، وَالمَشْهُورُ الأَوَّل، وَذَلِكَ عَامَ الفِيْلِ بِاتِّفَاقِ العُلَمَاءِ[٦].

---

(١) «الشَّوقِيَّاتُ» (١/ ١).

(٢) «البِدَايَةُ وَالنِّهَايَةِ» (١/ ٣٧٤).

(٣) رَوَاهُ مُسْلِمٌ (١١٦٢) عَنْ أَبِي قَتَادَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

(٤) سِيْرَةُ أَبِي إِسْحَاقَ(١/ ١٥٩)، وَ«تَارِيْخُ ابْنِ جُرَيْرٍ»(٢/ ١٦٢)، وَ«دَلَائِلُ النُّبُوَّةِ» (١/ ١٧٤)، وَ«البِدَايَةُ وَالنِّهَايَةِ» (٢/ ٢٤٢).

(٥) أَمَّا الثَّامِنُ مِنْ رَبِيْعِ الأَوَّلِ فَرَوَىٰ ذَلِكَ الإِمَامُ مَالِكٌ عَنِ التَّابِعِيِّ الجَلِيْلِ مُحَمَّدِ بْنِ جُبَيْرِ ابْنُ مُطْعِمٍ بِإِسْنَادٍ صَحِيْحٍ؛ وَلِذَلِكَ صَحَّحَ هَذَا القَوْلَ أَصْحَابُ التَّارِيْخِ وَاعْتَمَدُوهُ: كَابْنِ فَارِسٍ فِي «أَوْجَزِ السِّيَرِ» (٧)، وَالمُحِبُّ الطَّبَرِيُّ فِي «خُلَاصَة سِيرَةِ سَيِّدِ البَشَرِ»(١/ ٢١١)، وَحَكَاهُ ابْنُ عَبْدِ البَرِّ فِي «الاسْتِعَابِ» (١/ ١٨-١٩)، عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ مُوسَىٰ الخُوَارَزمِيِّ، وَنَقَلَ ابْنُ كَثِيْرٍ فِي «البِدَايَةِ وَالنِّهَايَة» (٢/ ٢٤٢)، عَنِ الخُوَارَزمِيِّ:أَنَّهُ قَطَعَ بِهِ، وَرَجَّحَهُ الحَافِظُ أَبُو الخَطَّابِ ابْنُ دِحْيَةَ فِي كِتَابِهِ «التَّنْوِيْرُ فِي مَوْلِدِ البَشِيْرِ»، انْظُرْ: «حَاشِيَةُ الفُصُولِ» (٤٢) لِلهَلَالِيِّ.

(٦) انْظُرْ:«الصَّحِيْحَة» (٧/ ٤٣٤)لِلأَلْبَانِيِّ، وَنَقَلَ خَلِيْفَةُ فِي «تَارِيْخِهِ»(٥٣): الإِجْمَاعَ عَلَىٰ ذَلِكَ.

ضَاءَتْ بِهِ غُرَّةُ الإِثْنَيْنِ وَابتَسَمَتْ ... عَنْ حُسنِهِ فِي رَبِيعٍ رَوضَةُ الحَرَمِ[1]

وَقَالَ آخَرُ:

وَأَنْتَ لَمَّا وُلِدْتَ أَشْرَقَتِ الأَرْ ... ضُ وَضَاءَتْ بِنُورِكَ الأُفُقُ

فَنَحْنُ فِي ذَلِكَ الضِّيَاءِ وَفِي النُّو ... رِ وَسُبْلِ الرَّشَادِ نَخْتَرِقُ[2]

وَقَالَ آخَرُ:

قَلْبِي «لآمِنَةٍ» هَلْ أَنْجَتْ وَلَدًا ... أَمْ أَهْدَتْ الأَرْضَ مِيْزَانًا لِتَتَزِنَا

وَقَالَ شَوْقِي رَحِمَهُ اللهُ:

تَجَلَّىٰ مَولِدُ الهَادِي وَعَمَّتْ ... بَشَائِرُهُ البَوَادِيَ وَالقِضَابَا

وَأَسْدَتْ لِلبَرِيَّةِ بِنْتُ وَهْبٍ ... يَدًا بَيْضَاءَ طَوَّقَتِ الرِّقَابَا

لَقَدْ وَضَعَتْهُ وَهَّاجًا مُنِيْرًا ... كَمَا تَلِدُ السَماواتُ الشِّهَابَا

فَقَامَ عَلَىٰ سَمَاءِ البَيْتِ نُورًا ... يُضِيءُ جِبَالَ مَكَّةَ وَالنِّقَابَا

وَضَاعَتْ يَثْرِبُ الفَيْحَاءُ مِسْكًا ... وَفَاحَ القَاعُ أَرْجَاءً وَطَابَا[3]

وَقَالَ آخَرُ:

بُشْرَىٰ النُّبُّوة طَافَتْ كَالشَّذَىٰ سِحْرًا ... وأعْلَنَتْ في الرُّبىٰ مِيلادُ أنوارِ

وَشَقَّتِ الصَّمْتَ والأَنْسَامُ تَحْمِلُهَا ... تَحْتَ السَّكِينةِ من دارٍ إلىٰ دارِ

---

(١) «مَوْسُوعَةُ الشِّعْرِ الإِسْلَامِيِّ» (٣/ ٦٠٦).

(٢) «ثَمَرَاتُ الأَوْرَاق» (٢/ ١٢).

(٣) «مَوْسُوعَةُ الشِّعْرِ الإِسْلَامِيِّ» (٣/ ١٢٠٢).

وَهَدْهَدت «مكة» الوَسْنَىٰ أَنَامِلُها وهــزَّت الْفَجْـرُ إيذانًـا بإسفارِ
فَأَقْبَلَ الْفَجْرُ مِنْ خَلْفِ التلالِ وَفِي عَيْنيهِ أَسْرَارُ عُشاقٍ وسُمَّارِ
كـأن فَيْضَ السنىٰ في كُلِّ رابيةٍ مَوْجٌ وفي كُلِّ سفحٍ جدولُ جاري
تدافع الْفَجْرُ في الدُّنْيا يَزفُّ إلىٰ تارِيخِها فَجْرُ أجيالٍ وأَدْهَارِ
واسْتَقْبَلَتْ طفلًا فِي تَبَسُّمِهِ آيَاتَ بُشْرَىٰ وإِيمَاءَات إِنْذَارِ

(١) «دواوين الشعر العربي» (٥٥/ ٢٥٧).

مَا حَصَلَ يَوْمَ مَوْلِدِهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِنَ الآيَاتِ

إِنَّ النَّبِيَّ هُوَ النُّورُ الَّذِي كُشِفَتْ ... بِهِ عَمَايَاتُ بَاقِيْنَا وَمَاضِيْنَا[١]

١ ـ رَأَتْ أُمُّهُ فِي المَنَامِ نُورًا خَرَجَ مِنْهَا:

قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**أَنَا دَعْوَةُ إِبْرَاهِيمَ، وَبُشْرَىٰ عِيسَىٰ عَلَيْهِمَا السَّلَامُ، وَرَأَتْ أُمِّي حِينَ حَمَلَتْ بِي: أَنَّهُ خَرَجَ مِنْهَا نُورٌ، أَضَاءَتْ لَهُ قُصُورُ الشَّامِ**»[٢].

قَالَ الشَّاعِرُ:

مِنَ الجِزِيْرَةِ مِنْ أَرْضِي وَمِنْ بَلَدِي ... تَأَلَّقَ النُّورُ نُورُ الحَقِّ وَالرَّشَدِ
جَرَىٰ فَأَخْصَبَتِ الدُّنْيَا نَدىً وَهُدَىً ... تَمَازَجَا كَامْتِزَاجِ الرُّوْحِ بِالجَسَدِ[٣]

وَقَالَ مَحْمُودٌ البَارُودِيُّ رَحِمَهُ اللهُ:

قَدْ أَبْلَغَ الوَحْيُ عَنْهُ قَبلَ بِعْثَتِهِ ... مَسَامِعَ الرُّسُلِ قَوْلًا غَيْرَ مُنْكَتِمِ

---

(١) «الجَلِيْسُ الصَّالِح الكَافِي» لِلجُرِيرِيِّ (١١١).

(٢) (صَحِيْحٌ) أَوْرَدَهُ الحَافِظُ ابْنُ كَثِيْرٍ فِي «البِدَايَةِ وَالنِّهَايَةِ» (٢/ ٢٧٥)، وَقَالَ: قَالَ ابْنُ إِسْحَاقَ: ثَنَا ثَوْرُ بْنِ يَزِيْدَ عَنْ خَالِدِ بْنِ مَعْدَانَ عَنْ أَصْحَابِ رَسُولِ اللهِ ﷺ أَنَّهُمْ قَالُوا: يَا رَسُولَ اللهِ، أَخْبِرْنَا عَنْ نَفْسِكَ؟، قَالَ: «**نَعَمْ، أَنَا دَعْوَةُ**...» وَصَحَّحَهُ الأَلْبَانِيُّ رَحِمَهُ اللهُ فِي «الصَّحِيْحَةِ» (١٥٤٥).

(٣) «المَذَاهِبُ الأَدَبِيَّةِ» (٨٣).

فَــــذَاكَ دَعْـــوَةُ إِبْرَاهِيْـمَ خَالِقَـهُ[(١)] وَسِـرُّ مَا قَالَـهُ عِيْسَىٰ مِنَ القِـدَمِ[(٢)(٣)]

إِلَىٰ أَنْ قَالَ:

وَحِيْنَما حَمَلَـتْ بِالمُصْطَفَىٰ وَضَعَتْ يَـدُ المَشِـيْئَةِ عَـنْهَـا كُلفَـةَ الوَجَـمِ[(٤)]

وَلَاحَ مِـــنْ جِسْـمِهَا نُـورٌ أَضَـاءَ لَهَـا قُصُـورَ بُصْرَىٰ بِأَرْضِ الشَّـأْمِ مِنْ أُمَمِ[(٥)]

٢ــ طُلُوعُ نَجْمِهِ الَّذِي وُلِدَ فِيْهِ ﷺ:

أَبَــــىٰ اللهُ إِلَّا أَنْ يُتَـمِّـمَ نُــورَهُ وَيُـطْـفِـئَ نَـارَ الفَاسِـقِيْنَ فَتَخْمُـدَا[(٦)]

عَنْ حَسَّـانَ بْنِ ثَابِتٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ: «وَاللَّهِ إِنِّي لَغُلَامٌ يَفَعَةٌ، ابْنُ سَبْعِ سِنِينَ أَوْ ثَمَـانٍ، أَعْقِلُ كُلَّ مَا سَـمِعْت، إِذْ سَـمِعْتُ يَهُودِيًّـا يَصْرُخُ بِأَعْلَىٰ صَوْتِـهِ عَلَىٰ أَطَمَةٍ بِيَثْرِبَ: يَا مَعْشَـرَ يَهُود، حَتَّىٰ إِذَا اجْتَمَعُوا إِلَيْهِ، قَالُوا لَهُ: وَيْلَكَ مَا لَكَ؟، قَالَ: طَلَعَ اللَّيْلَةَ نَجْمُ أَحْمَدَ الَّذِي وُلِدَ فِيْهِ»[(٧)].

---

(١) حَيْثُ دَعَا إِبْرَاهِيْمُ عَلَيْهِ السَّلَامُ رَبَّهُ بِأَنْ يَبْعَثَ فِي العَرَبِ رَسُولاً مَنْهُمْ، فَقَالَ: ﴿رَبَّنَا وَٱبْعَثْ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُواْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِكَ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَيُزَكِّيهِمْ ۚ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ١٢٩﴾ [البَقَرَة:١٢٩].

(٢) بَشَّرَ نَبِيِّنَا عِيْسَىٰ عَلَيْهِ السَّلَامُ فَقَالَ: ﴿وَمُبَشِّرًۢا بِرَسُولٍ يَأْتِى مِنۢ بَعْدِى ٱسْمُهُۥٓ أَحْمَدُ ۖ﴾ [الصَّفُّ:٦].

(٣) «مَوْسُوعَةُ الشِّعْرِ الإِسْلَامِيِّ» (٢/ ٦٠٦).

(٤) كُلفَةَ الوَجَمِ أَيْ: مَشَقَّةَ الوَضْعِ وَالوِلَادَةِ، فَمَا وَجَدَتْ لَهُ مَشَقَّةَ حَمْلٍ، وَلَا مَشَقَّةَ وَضْعٍ.

(٥) «المَرْجِعُ السَّابِقُ» (٣/ ٦٠٦).

(٦) البَيْتُ لِلأَعْشَىٰ، كَمَاذَكَرَ ذَلِكَ صَاحِبُ «الأَغَانِي» (٦/ ٦٩).

(٧) (حَسَنٌ) أَخْرَجَهُ ابْنُ إِسْحَاق فِي «السِّيْرَةِ» (١/ ١٢٤) وَحَسَّنَهُ وَالأَلْبَانِيُّ رَحِمَهُ اللهُ فِي «صَحِيحِ السِّيْرَةِ» (١٤).

عَنْ أُسَامَةَ بْنِ زَيْدٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا قَالَ: قَالَ زَيْدُ بْنُ عَمْرِو بْنِ نُفَيْلٍ: قَالَ لِي حَبْرٌ مِنْ أَحْبَارِ الشَّامِ: «**قَدْ خَرَجَ فِي بَلَدِكَ نَبِيٌّ -أَوْ هُوَ خَارِجٌ- قَدْ خَرَجَ نَجْمُه، فَارْجِعْ فَصَدِّقْه، واتَّبِعْهُ**»[1].

نَبِيٌّ أَتانا بَعدَ يَأسٍ وَفَترَةٍ ... مِنَ الرُسلِ وَالأَوثانِ في الأَرضِ تُعبَدُ
فَأَمسىٰ سِراجًا مُستَنيرًا وَهادِيًا ... يَلوحُ كَما لاحَ الصَقيلُ المُهَنَّدُ[2]

وَقَالَ أُسْتَاذُنَا عَبْدُ الكَرِيْمِ العِمَادُ -حَفِظَهُ اللهُ-:

نَجْمُ السَّمَاءِ بِنَجْمِ الأَرْضِ بَشَّرَنَا ... فَفَاقَ بِالنُّورِ مَا بِالكَوْنِ مِنْ نُجُمِ
فَسَار مُتَّشِحًا بِالصِّدْقِ مُتَّزِرًا ... بِالعَدْلِ، مُمْتَطِيًا لِلخَيْرِ وَالنِّعَمِ

---

(١) (حَسَنٌ) أَخْرَجَهُ الحَاكِمُ (٣/ ٢١٦)، والطَّبَرَانِيُّ فِي «الكَبِيْرِ» (٥/ ٢٧)، وَحَسَّنَهُ وَالأَلْبَانِيُّ رَحِمَهُ اللهُ فِي «صَحِيْحِ السِّيْرَةِ» (١٤).
(٢) «دِيْوَانُ حَسَّانَ بْنِ ثَابِتٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ» (٤٢).

مُرْضِعَاتُهُ ﷺ

لِلـــهِ دَرُّ الأُلَــىٰ أَرْضَــعْـنَــهُ لَبَنًـا ... فَصِـرْنَ بِاللَّبَـنِ السَّـامِي مِـنَ الرَّحِـمِ(١)

أَرْضَعَ النَّبِيَّ ﷺ اثْنَتَانِ بَعْدَ أُمِّهِ آمِنَةَ بِنْتَ وَهْبٍ، وهُمَا:

١ـ ثُوَيْبَةُ مَوْلَاةُ أَبِي لَهَبٍ:

وَكَــمْ حَـوَتْ ثُوَيْبَـةٌ مِـنْ بَرَكَـةٍ ... لَـمَّـا غَـدَتْ ظِئْـرًا لَـهُ وَبَـرَكَـةٍ

عَنْ أُمِّ حَبِيبَةَ بِنْتِ أَبِي سُفْيَانَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا أَنَّهَا قَالَتْ يَا رَسُولَ اللهِ، انْكِحْ أُخْتِي ابْنَةَ أَبِي سُفْيَانَ قَالَ: أَوَتُحِبِّينَ ذَلِكَ؟، فَقُلْتُ: نَعَمْ، لَسْتُ لَكَ بِمُخْلِيَةٍ(٢)، وَأَحَبُّ مَنْ شَارَكَنِي فِي خَيْرٍ أُخْتِي، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**إِنَّ ذَلِكَ لَا يَحِلُّ لِي**».

قَالَتْ: فَإِنَّا نُحَدَّثُ أَنَّك تُرِيدُ أَنْ تَنْكِحَ بِنْتَ أَبِي سَلَمَةَ، قَالَ: بِنْتَ أُمِّ سَلَمَةَ؟، قَالَتْ: قُلْتُ: نَعَمْ، قَالَ: إِنَّهَا لَوْ لَمْ تَكُنْ رَبِيبَتِي فِي حَجْرِي، مَا حَلَّتْ لِي إِنَّهَا لَابْنَةُ أَخِي مِنْ الرَّضَاعَةِ، أَرْضَعَتْنِي وَأَبَا سَلَمَةَ ثُوَيْبَةُ فَلَا تَعْرِضْنَ عَلَيَّ بَنَاتِكُنَّ وَلَا أَخَوَاتِكُنَّ(٣).

---

(١) قَالَهُ أُسْتَاذُنَا عَبْدُ الكَرِيْمِ العِمَادُ -حَفِظَهُ اللهُ-».

(٢) لَسْتُ لَكَ بِمُخْلِيَةٍ: أَيْ: لَسْتُ بِمُنْفَرِدَةٍ مَعَكَ، وَلَا مَتْرُوكَةٍ لِدَوَامِ الخَلْوَةِ بِكَ.

(٣) رَوَاهُ البُخَارِيُّ (٥١٠١) ومُسْلِمٌ (١٤٤٩).

٢ـ امْرَأَةٌ مِنْ بَنِي سَعْدٍ(١):

بَنُو سَعْدٍ حَازُوا كُلَّ مَجْدٍ وسؤددٍ   فَهُمْ خَيْرُ أَخْوَالٍ لِأَعْظَمِ مُرْسَلِ(٢)

وَأَقَامَ عِنْدَهَا فِي بَنِي سَعْدٍ نَحْوًا مِنْ أَرْبَعِ سِنِيْنَ، وَشُقَّ عَنْ فُؤَادِهِ هُنَاكَ، فَرَدَّتْهُ إِلَىٰ أُمِّهِ، وَعُمُرُهُ نَحْوٌ مِنْ أَرْبَعِ سِنِيْنَ(٣).

دَلَّ عَلَىٰ ذَلِكَ حَدِيْثُ عُتْبَةَ بْنِ عَبْدٍ السُّلَمِيِّ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**كَانَتْ حَاضِنَتِي مِنْ بَنِي سَعْدِ بْنِ بَكْرٍ، فَانْطَلَقْتُ أَنَا وَابْنٌ لَهَا فِي بُهْمٍ لَنَا، وَلَمْ نَأْخُذْ مَعَنَا زَادًا، فَقُلْتُ: يَا أَخِي! اذْهَبْ فَائْتِنَا بِزَادٍ مِنْ عِنْدِ أُمِّنَا، فَانْطَلَقَ أَخِي، وَمَكَثْتُ عِنْدَ الْبُهْمِ، فَأَقْبَلَ طَائِرَانِ أَبْيَضَانِ كَأَنَّهُمَا نَسْرَانِ، فَقَالَ أَحَدُهُمَا لِصَاحِبِهِ: أَهُوَ هُوَ؟، قَالَ: نَعَمْ، فَأَقْبَلا يَبْتَدِرَانِّي، فَأَخَذَانِي فَبَطَحَانِي لِلْقَفَا فَشَقَّا بَطْنِي، ثُمَّ اسْتَخْرَجَا قَلْبِي فَشَقَّاهُ فَأَخْرَجَا مِنْهُ عَلَقَتَيْنِ سَوْدَاوَيْنِ، فَقَالَ أَحَدُهُمَا لِصَاحِبِه، قَالَ يَزِيدُ فِي حَدِيثِهِ: ائْتِنِي بِمَاءِ ثَلْجٍ فَغَسَلا بِهِ جَوْفِي، ثُمَّ قَالَ: ائْتِنِي بِمَاءِ بَرَدٍ فَغَسَلا بِهِ قَلْبِي، ثُمَّ قَالَ: ائْتِنِي بِالسَّكِينَةِ فَذَرَّاهَا فِي قَلْبِي، ثُمَّ قَالَ أَحَدُهُمَا لِصَاحِبِهِ: حُصْهُ(٤)، فَحَاصَهُ وَخَتَمَ عَلَيْهِ بِخَاتَمِ النُّبُوَّةِ، ثُمَّ قَالَ أَحَدُهُمَا لِصَاحِبِهِ: اجْعَلْهُ فِي كِفَّةٍ وَاجْعَلْ أَلْفًا مِنْ أُمَّتِهِ فِي كِفَّةٍ.**

قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**فَإِذَا أَنَا أَنْظُرُ إِلَىٰ الأَلْفِ فَوْقِي أُشْفِقُ أَنْ يُنَحْرَ عَلَيَّ بَعْضُهُمْ.**

---

(١) الصَّوَابُ الَّذِي دَلَّ عَلَيْهِ الدَّلِيْلُ أَنْ مُرْضِعَتَهُ ﷺ امْرَأَةٌ مِنْ بَنِي سَعْدٍ، وَلَمْ يَصِلْنَا بِسَنَدٍ صَحِيحٍ أَنَّ اسْمَهَا حَلِيْمَة السَّعْدِيَّة، والله أَعْلَمُ.

(٢) قَالَهُ أُسْتَاذُنَا عَبْدُ الكَرِيْمِ العِمَادُ -حَفِظَهُ اللهُ-».

(٣) انْظُرْ: «الفُصُولُ فِي سِيْرَةِ الرَّسُولِ» لابْنِ كَثِيْرٍ (٤٥).

(٤) الحَوْصُ: الخِيَاطَة، وَبَابُهُ قَالَ.

فَقَالَ: لَوْ أَنَّ أُمَّتَهُ وُزِنَتْ بِهِ لَمَالَ بِهِمْ، ثُمَّ انْطَلَقَا وَتَرَكَانِي وَفَرِقْتُ فَرَقًا شَدِيدًا[١]، ثُمَّ انْطَلَقْتُ إِلَىٰ أُمِّي فَأَخْبَرْتُهَا بِالَّذِي لَقِيت، فَأَشْفَقَتْ أَنْ يَكُونَ قَدْ أُلْبِسَ بِي، فَقَالَتْ: أُعِيذُكَ بِاللهِ، فَرَحَّلَتْ بَعِيرًا لَهَا، فَحَمَلَتْنِي عَلَىٰ الرَّحْلِ، وَرَكِبَتْ خَلْفِي حَتَّىٰ بَلَغْنَا إِلَىٰ أُمِّي. فَقَالَتْ: أَدَّيْتُ أَمَانَتِي وَذِمَّتِي، وَحَدَّثَتْهَا بِالَّذِي لَقِيتُ، فَلَمْ يَرُعْهَا ذَلِكَ. فَقَالَتْ: إِنِّي رَأَيْتُ خَرَجَ مِنِّي -يَعْنِي نُورًا- أَضَاءَتْ مِنْهُ قُصُورُ الشَّامِ»[٢].

وَقَالَ الشَّاعِرُ:

فَبَيْنَمَا هُوَ يَرْعَىٰ البَهْمَ طَافَ بِهِ ... شَخْصَانِ مِنْ مَلَكُوتِ اللهِ ذِي العِظَمِ
فَأَضْجَعَاهُ وَشَقَّا صَدْرَهُ بِيَدٍ ... رَفِيْقَةٍ لَم يَبِتْ مِنْهَا عَلَىٰ أَلَمِ
وَبَعْدَ ما قَضَيْا مِنْ قَلْبِهِ وَطَرًا ... تَوَلَّيَا غَسْلَهُ بِالسَّلسَلِ الشَّبِمِ[٣]
مَا عَالَجا قَلْبَهُ إِلَّا لِيَخْلُصَ مِنْ ... شَوبِ الهَوَىٰ،وَيَعِي قُدْسِيَّةَ الحِكَمِ[٤]

وَقَالَ أُسْتَاذُنَا عَبْدُ الكَرِيْمِ العِمَادُ -حَفِظَهُ اللهُ-:

وَشُقَّ عَنْ صَدْرِهِ وَالبَدْرُ شُقَّ لَهُ ... وَشَقَّ بِالنُّورِ دَرْبًا حَالِكَ الظُّلَمِ
وَكُلِّ شَقٍّ رَأَىٰ فِي النَّاسِ يَرْدِمُهُ ... وَلَمْ يَشُقَّ عَلَىٰ صَحْبٍ وَلاَ خَدَمِ

---

(١) الفَرَقُ: الخَوْف، وبَابُهُ فَرِحَ.

(٢) (حَسَنٌ) أَخْرَجَهُ أَحْمَدُ (٤/ ١٨٤)، وَالدَّرَامِيُّ (١/ ٨-٩)، الحَاكِمُ (٢/ ٦١٦-٦١٧)، مِنْ طَرِيْقِ بَقِيَّةَ بْنِ الوَلِيْدِ، وَقَدْ صَرَّحَ بِالحَدِيْثِ كَمَا فِي «المَجمَعِ» (٨/ ٢٢٢)، وَحَسَّنَهُ وَالأَلْبَانِيُّ رَحِمَهُ اللهُ فِي «الصَّحِيْحَةِ» (٣٧٣).

(٣) الشَّبِم -بِوَزْنِ كَتِفٍ-: البَارد.

(٤) «مَوْسُوعَةُ الشِّعْرِ الإِسْلَامِيِّ» (٤/ ٦٠٦).

وَفَاةُ وَالِدِهِ عَبْدِ اللهِ بْنِ عَبْدِ المُطَّلِبِ:

وَدَعَاكَ فِي الذِّكْرِ اليَتِيمَ، وَإِنَّمَا أَسْنَى الجَوَاهِرِ مَا يُقَالُ: يَتِمُ [(١)]

لَمْ يَرَ رَسُولُ اللهِ ﷺ أَبَاهُ، فَقَدْ مَاتَ فِي المَدِيْنَةِ عِنْدَ أَخْوَالِهِ بَنِي عَدِيِّ بْنِ النَّجْارِ، فَوُلِدَ رَسُولُ اللهِ ﷺ يَتِيْمَ الأَبِ، وَقَدْ صَحَّتِ الرِّوَايَةُ فِي ذَلِكَ[(٢)].

وَذُكِرَ يُتْمُهُ فِي القُرْآنِ الكَرِيْمِ ﴿أَلَمْ يَجِدْكَ يَتِيمًا فَـَٔاوَىٰ ﴿٦﴾﴾ [الضُّحَى: ٦].

قَالَ الشَّاعِرُ:

وَلَّى أَبُوْكَ عَنِ الدُّنْيَا وَلَمْ تَرَهُ وَأَنْتَ مُرْتَهَنٌ لَا زِلْتَ فِيْ الرَّحِمِ[(٣)]

وَقَالَ آخَرُ:

كَفَاكَ بِالْعِلْمِ فِي الأُمِّيِّ مُعْجِزَةً فِي الْجَاهِلِيَّةِ وَالتَّأْدِيبِ فِي الْيُتُمِ[(٤)]

وَقَالَ آخَرُ:

هَزَّ الوُجُودَ بِكَفِّهِ فِي مَهْدِهِ طِفْلٌ يَتِيْمٌ مِنْ كِنَانَةَ عَافِ[(٥)]

وَقَالَ أُسْتَاذُنَا عَبْدُ الكَرِيْمِ العِمَادُ -حَفِظَهُ اللهُ-:

مَا ضَرَّهُ اليُتْمِ، وَالأَيْتَامُ فِي خَطَرٍ مَنْ يُؤْوِهِ اللهُ لَا يَخْشَى مِنَ اليُتْمُ

---

(١) «دِيْوَانُ ابْنِ نُبَاتَةَ المَصْرِيِّ» (١٧٠٤).

(٢) «صَحِيْحُ مُسْلِمٍ» (٣/ ١٣٩٢).

(٣) «مَوْسُوعَةُ الشِّعْرِ الإِسْلَامِيِّ» (٧٦/ ٥٦٠).

(٤) «دَوَاوِيْنُ الشِّعْرِ العَرَبِيّ» (٩/ ٧٥).

(٥) «مُخْتَارَاتُ مِنْ أَجْمَلِ الأَشْعَارِ» (٤٣).

رَعَــاهُ رَبَّــاهُ، بِـالأَخْـلاَقِ أَدَّبَــهُ حَـتَّـىٰ غَـدَا أُسْـوَةَ الأَخْـلاَقِ والقِيَـمِ

وَفَاةُ أُمِّهِ آمِنَةَ بِنْتُ وَهْبٍ:

وَمَـاتَــتْ الْأُمُّ لَـمَّـا أَنْ أَنْسَـتَ بِهَـا وَلَـمْ تَكُـنْ حِيْـنَ وَلَّـتْ بَالِـغُ الْحُلُـمَ(١)

بَعْـدَ أَنْ رَدَّتْ السَّـعْدِيَّةُ رَسُـولَ اللـهِ ﷺ مَكَثَ عِنْـدَ أُمِّهِ فَتْرَةً مِـنَ الزَّمَنِ، ثُمَّ خَرَجَتْ بِهِ إِلَىٰ المَدِيْنَةِ؛ تَزُورُ أَخْوَالَهُ.

قَالَ ابْنُ إِسْحَاقَ: حَدَّثَنِي عَبْدِ اللهِ بْنِ أَبِي بَكْرِ بْنِ مُحَمَّدِ بْنِ عَمْرِو بْنِ حَزْمٍ، قَالَ: قَدِمَتْ آمِنَةَ بِنْتِ وَهْبٍ أُمُّ رَسُـولِ اللهِ ﷺ بِرَسُـولِ اللهِ ﷺ، عَلَىٰ أَخْوَالِهِ بَنِي عَـدِيِّ بْـنِ النَّجَّارِ بِالْمَدِينَـةِ، ثُمَّ رَجَعَتْ بِـهِ ﷺ، فَلَمَّا كَانُـوا بِالأَبْـوَاءِ هَلَكَتْ بِهَا، ورَسُولُ اللهِ ﷺ ابْنُ سِتِّ سِنِينَ»(٢).

قَالَ ابْنُ كَثِيرٍ رَحِمَهُ اللهُ: «وَلَهُ مِنَ العُمُرِ سِتِّ سِنِينَ، وَثَلاثَةُ أَشْهُرٍ، وَعَشْرَةُ أَيَّامٍ»(٣).

وَقَـدْ مَرَّ رَسُـولُ اللـهِ ﷺ بِالأَبْوَاءِ وَهُوَ ذَاهِـبٌ إِلَىٰ مَكَّةَ عَامَ الفَتْحِ، اسْـتَأْذَنَ رَبَّـهُ فِـي زِيَارَةِ قَبْرِ أُمِّهِ، فَـأَذِنَ لَهُ فَبَكَىٰ وَأَبْكَىٰ مَنْ حَوْلَـهُ، وَكَانَ مَعَهُ أَلْفُ مُقَنَّعٍ (أَيْ بِالحَدِيْدِ)(٤).

عَـنْ بُرَيْدَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ: انْتَهَىٰ النَّبِيُّ ﷺ إِلَىٰ رَسْـمِ قَبْـرٍ فَجَلَسَ وَجَلَسَ النَّاسُ

---

(١) «مَوْسُوعَةُ الشِّعْرِ الإِسْلَامِيِّ» (٧٦/ ٥٦٠).

(٢) رَوَاهُ ابْنُ إِسْحَاق فِي «السِّيْرَةِ» لابْنِ هِشَامٍ (١/ ١٨٨).

(٣) انْظُرْ: «الفُصُولُ» (٤٧-٤٨)، وَبِهِ قَطَعَ ابْنُ إِسْحَاق فِي «السِّيْرَةِ» لابْنِ هِشَامٍ(١/ ١٦٨)، وَالذَّهَبِيُّ فِي تَارِيخِ الإِسْلَامِ» (١/ ٥٠).

(٤) «رَوَاهُ مُسْلِمٌ» (٩٧٦) عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ.

حَوْلَهُ كَثِيرٌ، فَجَعَلَ يُحَرِّكُ رَأْسَهُ كَالْمُخَاطِبِ ثُمَّ بَكَىٰ، فَاسْتَقْبَلَهُ عُمَرُ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ فَقَالَ: مَا يُبْكِيكَ يَا رَسُولَ اللهِ؟، قَالَ: «**هَذَا قَبْرُ آمِنَةَ بِنْتِ وَهْبٍ، اسْتَأْذَنْتُ رَبِّي فِي أَنْ أَزُورَ قَبْرَهَا فَأَذِنَ لِي، وَاسْتَأْذَنْتُهُ فِي الِاسْتِغْفَارِ لَهَا فَأَبَىٰ عَلَيَّ، وَأَدْرَكَتْنِي رِقَّتُهَا فَبَكَيْتُ**» قَالَ: فَمَا رَأَيْتُ سَاعَةً أَكْثَرَ بَاكِيًا مِنْ تِلْكَ السَّاعَةِ[١].

بُنِيَتْ بِالْصَّبْرِ مَجْدًا لا يُمَاثِلُهُ ... مَجْدٌ وَغَيْرُكَ عَنْ نَهْجِ الرَّشَادِ عَمِيَ[٢]

عَوْدَةِ النَّبِيِّ إِلَى مَكَّةَ ﷺ:

لاْ يَرْجِعُ الطَّرْفُ عَنْهَا حِينَ يُبْصِرُهَا ... حَتَّىٰ يَعُوْدَ إِلَيْهَا الطَّرْفُ مُشْتَاْقَا[٣]

كَانَتْ آمِنَةُ بِنْتُ وَهْبٍ أُمُّ النَّبِيِّ ﷺ قَدْ خَرَجَتْ إِلَىٰ المَدِيْنَةِ، وَمَعَهَا أُمُّ أَيْمَنَ، فَأَرْجَعْتِ النَّبِيَّ ﷺ إِلَىٰ مَكَّةَ وَهِي مَوْلاَتُه، وَرِثَهَا مِنْ أَبِيْهِ، واسْمُهَا بَرَكَةُ بِنْتُ ثَعْلَبَةَ بْنِ حُصِيْنٍ.

وَكَانَتْ حَاضِنَةَ رَسُولِ اللهِ ﷺ، فَلَمَّا تَزَوَّجَ خَدِيْجَة رَضِيَ اللهُ عَنْهَا أَعْتَقَهَا وَزَوَّجَهَا زَيْدَ بْنَ حَارِثَةَ، فَوَلَدَتْ لَهُ أُسَامَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُم[٤].

قَالَ أُسْتَاذُنَا عَبْدُ الكَرِيْمِ العِمَادُ -حَفِظَهُ اللهُ-:

قَاسَىٰ فِطَامَ حَنَانِ الأُمِّ فِي صِغَرٍ ... وقَلْبُهُ مِنْ هَوَاهَا غَيْرُ مُنْفَطِمِ

---

(١) (صَحِيْحٌ) أَخْرَجَهُ أَحْمَدُ (٣٥٦٥)، وَصَحَّحَهُ وَالأَلْبَانِيُّ رَحِمَهُ اللهُ فِي «صَحِيْحِ السِّيْرَةِ» (٢٣).

(٢) «مَوْسُوعَةُ الشِّعْرِ الإِسْلَامِيِّ» (٧٦/ ٥٦٠).

(٣) «دَوَاوِيْنُ الشِّعْرِ العَرَبِيِّ» (٣٠/ ٤٩).

(٤) «رَوَاهُ مُسْلِمٌ» (١٧٧١) مِنْ كَلَامِ الزُّهْرِيِّ، تِلْمِيْذِ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ.

وَلَمْ تَزَلْ أُمُّهُ الأُخْرَىٰ عَلَىٰ لَهَفٍ فَبَكَّةٌ مِنْ لَهِيبِ الشَّوْقِ فِي ضَرَمِ
فَسَارَ يَخْطُو وَخَطْوُ القَلْبِ يَسْبِقُهُ شَتَّانَ بَيْنَ مَسِيرِ القَلْبِ وَالقَدَمِ!

كَفَالَةُ جَدِّهِ لَهُ ﷺ:

ذُو مَحْتِدٍ سَنِمٍ رَفِيعٍ سَمْكُهُ تُعْلِي دَعَائِمَ مَجْدِهِ عَدْنَانُ[١]

ظَلَّ رَسُولُ اللهِ ﷺ فِي كَفَالَةِ جَدِّهِ عَبْدِ المُطَّلِبِ، يَحْنُو عَلَيْهِ وَيَرْعَاهُ أَتَمَّ رِعَايَةٍ، وَيُوْلِيْهِ جُلَّ اهْتِمَامِهِ، حَتَّىٰ إِذَا بَلَغَ مِنَ العُمُرِ ثَمَانِيَ سِنِيْنَ، تُوفِّي جَدُّهُ[٢]، وَأَوْصَىٰ بِهِ إِلَىٰ عَمِّهِ أَبِي طَالِبٍ، لِأَنَّه شَقِيْقُ عَبْدُ الله، وَالِدَ النَّبِيِّ ﷺ.

وَمَاتَ جَدُّكَ مِنْ بَعْدِ الْوُلُوعِ بِهِ فَكُنْتُ مِنْ بَعْدِهِمْ فِيْ ذِرْوَةِ الْيُتُمِ

وَقَالَ أُسْتَاذُنَا عَبْدُ الكَرِيْمِ العِمَادُ -حَفِظَهُ اللهُ-:

أَبٌ وَأُمٌّ وَجَدٌّ كُلُّهُمْ رَحَلُوا كَمَا تَفَتَّقَتِ الأَصْدَافُ عَنْ تُوَمِ[٣]
صُبَّتْ عَلَيْكَ البَلَايَا فَارْتَوَيْتَ بِهَا كَمَا يُرَوَّىٰ نَبَاتُ الأَرْضِ بِالدِّيَمِ[٤]
لَازِلْتَ طِفْلًا وَأَحْنَىٰ الأَقْرَبِيْنَ مَضَوْا وَلَمْ تُوَازِ البَلَايَا مُسْتَوىٰ العِظَمِ
جَاوَزَتَ نِيْرَانِهَا مِنَ فَوْقِهَا عَلَمًا فَصِرْتَ أَشْهَرَ مِنْ نَارٍ عَلَىٰ عَلَمِ[٥]

---

(١) «دَوَاوِيْنُ الشِّعْرِ العَرَبِيِّ» (٣١/ ٢٤٨). والمُحْتَدُ - بِوَزْن المَجْلِسِ - الأَصْل.
(٢) قَطَعَ بِذَلِكَ ابْنُ إِسْحَاق فِي «السِّيْرَةِ» لابْنِ هِشَامٍ(١/ ٨٩)،وَتَابَعَهُ ابْنُ حَجَرٍ فِي «المَوَاهِبُ» (١/ ١٨٩)، وَالبَيهَقِيُّ فِي «الدَّلَائِلِ» (١/ ١٦٨).
(٣) التُّوَم: جَمْعُ تُومَةٍ -بِالضَّمِّ- وَهِيَ اللُّؤْلُؤَةُ.
(٤) الدِّيَمُ: جَمْعُ دِيمَةٍ -بِالكَسْرِ- وَهِيَ المَطَرُ يَدُومُ فِي سُكُونٍ بِلَا رَعْدٍ وَبَرْقٍ.
(٥) العَلَمُ -بِفَتْحَتَيْنِ - الجَبَلُ الطَّوِيْلُ.

كَفَالَةُ عَمِّهِ أَبِي طَالِبٍ لَهُ ﷺ:

وَاللهِ لَنْ يَصِلُوا إِلَيْكَ بِجَمْعِهِمْ ... حَتَّىٰ أُوَسَّدَ فِي التُّرَابِ دَفِيْنَا

فَاصْدَعْ بِأَمْرِكَ مَا عَلَيْكَ غَضَاضَةٌ ... وَأَبْشِرْ بِذَاكَ، وَقَرَّ فِيْهِ عُيونًا

انْتَقَلَ رَسُولُ اللهِ ﷺ إِلَىٰ كَفَالَةِ عَمِّهِ أَبِي طَالِبٍ، وَكَانَ عُمُرُهُ حِيْنَئِذٍ ثَمَانِي سَنَواتٍ، وَقَدْ أَحَاطَهُ أَتَمَّ حِياطَةٍ، وَنَصَرَهُ حِيْنَ بَعَثَهُ اللهُ أَعَزَّ نَصْرٍ، مَعَ أَنَّهُ كَانَ مُسْتَمِرًا عَلَىٰ شِرْكِهِ إِلَىٰ أَنْ مَاتَ، فَخَفَّفَ اللهُ بِذَلِكَ مِنْ عَذَابِهِ.

فَعَنِ الْعَبَّاسِ بْنِ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ أَنَّهُ قَالَ: يَا رَسُولَ اللهِ، هَلْ نَفَعْتَ أَبَا طَالِبٍ بِشَيْءٍ؛ فَإِنَّهُ كَانَ يَحُوطُكَ وَيَغْضَبُ لَكَ؟، قَالَ: «**نَعَمْ، هُوَ فِي ضَحْضَاحٍ**[1] **مِنْ نَارٍ، وَلَوْلاَ أَنَا لَكَانَ فِي الدَّرَكِ**[2] **الأَسْفَلِ مِنَ النَّارِ**»[3].

عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ أَنَّهُ سَمِعَ رَسُولَ اللهِ ﷺ وَذُكِرَ عِنْدَهُ عَمُّهُ أَبُو طَالِبٍ فَقَالَ: «**لَعَلَّهُ تَنْفَعُهُ شَفَاعَتِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَيُجْعَلُ فِي ضَحْضَاحٍ مِنْ النَّارِ، يَبْلُغُ كَعْبَيْهِ يَغْلِي مِنْهُ أُمُّ دِمَاغِهِ**»[4].

---

(١) الضَّحْضَاحُ: مَا رَقَّ مِنَ الْمَاءِ عَلَىٰ وَجْهِ الأَرْضِ إِلَىٰ نَحْوِ الْكَعْبَيْنِ، وَاسْتُعِيرَ فِي النَّارِ. والمَعْنَىٰ: أَنَّهُ فِي نَارٍ تَحْتَ رِجْلَيْهِ -فَقَطْ- تَخْفِيفًا لِعَذَابِهِ.

(٢) الدَّرْكِ الأَسْفَلِ: فَتْحُ الرَّاءِ وَإِسْكَانُهَا، قَعْرُ جَهَنَّمَ، وَأَقْصَىٰ أَسْفَلِهَا، وَلِجَهَنَّمَ أَدْرَاكٌ، فَكُلُّ طَبَقَةٍ مِنْ أَطْبَاقِهَا تُسَمَّىٰ دَرْكًا.

(٣) رَوَاهُ البُخَارِيُّ (٣٨٨٣) ومُسْلِمٌ (٢٠٩).

(٤) رَوَاهُ البُخَارِيُّ (٦٥٦٤) ومُسْلِمٌ (٢١٠).

قَالَ أُسْتَاذُنَا عَبْدُ الكَرِيْمِ العِمَادُ -حَفِظَهُ اللهُ-:

ثُـمَّ انْبَـرَىٰ (١) عَمُّـهُ: واللـهِ لَـنْ يَصِلُوا ... حَتَّىٰ أُوَسَّدَ تَحتَ التُّرْبِ فِي الرَّجَمِ (٢)
حَـمَـاهُ وَهُـوَ مُـقِيْـمٌ فِـي ضَـلاَلَتِـهِ ... فَـخَـفَّـفَ اللـهُ عَنْـهُ وَطْـأَةَ الحُـمَـمِ
سُـبْحَانَ مَـنْ سَـخَّرَ الكُفَّـارَ تَحْرُسُـهُ ... مِـنْ بَعْضِهَا مِثْلَ شِـبْلٍ (٣) لاَذَا (٤) بِالأَجَمَ! (٥)
هَـذَا أَبُـو طَالِـبٍ، هَـذَا أَبُو لَهَـبٍ ... صِنْوَانِ فِي الشِّرْكِ مَفرَدُودانِ فِي العِصَمِ
لَـوْلاَ عِـنَايَـةُ رَبِّـي فِـي خَـلائِـقِـهِ ... لَمَّـا نَجَـا الوَرْدُ فِي الأَشْـوَاكِ مِـنْ ثَلَمِ

وَمِمَّا يُنْسَبُ لِأَبِي طَالِبٍ قَوْلُهُ:

كَذَبْتُـمْ وَبَيْـتِ اللهِ نُبْـزَىٰ مُحَمَّـدًا (٦) ... وَلَـمَّـا نُـطَـاعِـنْ دُونَـهُ وَنُـنَاضِـلِ (٧)
وَنُـسْـلِـمُـهُ حَـتَّـىٰ نُـصَـرَّعَ حَـوْلَـهُ ... وَنَـذْهَـلَ عَـنْ أَبْـنَائِنَـا وَالْحَلَائِـلِ (٨)
وَأَبْـيَـضَ يُسْتَسْـقَىٰ الْغَمَـامُ بِوَجْهِـهِ ... ثِمَـالُ (٩) الْيَتَامَىٰ عِصْمَـةٌ (١٠) لِلْأَرَامِلِ (١١) (١٢)

---

(١) يُقَالُ: انْبَرَىٰ لَهُ أَيْ: اعْتَرَضَ لِلدِّفَاعِ
(٢) الرَّجَمِ - بِفَتْحَتَيْنِ- القَبْرُ.
(٣) شِبْل -بِالكَسْرِ- وَلَدُ الأَسَد.
(٤) لاَذَابِالشَّيْء: التَجَأَ إِلَيْهِ وَتَحَصَّنَ بِهِ.
(٥) الأَجَمَ: بِفَتْحَتَيْنِ - جَمْعُ أَجَمَةٍ، وَهِي الشَّجَرُ الكَثِيْر المُلْتَفُّ.
(٦) نُبْزَىٰ مُحَمَّدًا -بِالبِنَاءِ لِلمَجْهُولِ- أَيْ: نُسْلُبُهُ وَنَغْلَبُ عَلَيْهِ.
(٧) النِّضَالُ: التَّرَامِي بالسِّهَامِ.
(٨) الحَلاَئِلُ: الزَّوْجَات.
(٩) الثِّمَال -بِالكَسْرِ- هُوَ العِمَاد، وَالمَلْجَأُ،وَالمُطْعِمُ، وَالمُعِيْنُ، وَالمُغِيْثُ، وَالكَافِي.
(١٠) عِصْمَةٌ أَيْ: يَمْنَعُهُمْ مِمَّا يَضُرُّهُمْ.
(١١) الأَرَامِلُ: المَسَاكِيْن مِنْ النِّسَاءِ وَالرِّجَالِ، وَهُوَ بِالنِّسَاءِ أَخَصُّ وَأَكْثَرُ اسْتِعْمَالًا.
(١٢) «دَوَاوِيْنُ الشِّعْرِ العَرَبِيِّ» (١٥/ ١٥١).

سَفَرُهُ إِلَى الشَّامِ:

وَتَـوَّجـتْ ثَـغْـرَ الشَّـامِ مِنْـكَ جَلالَـةً   تَـمَـنَّـتْ لَهَـا بَغْـدَادُ لَـوْ أَنَّهـا ثَغْـرُ [١]

خَرَجَ عَمُّهُ أَبُو طَالِبٍ فِي تِجَارَةٍ إِلَىٰ الشَّامِ، وَهُوَ ابْنُ ثِنْتَيْ عَشْرَةَ سَنَةً؛ وَذَلِكَ مِنْ تَمَامِ لُطْفِ أَبِي طَالِبٍ بِهِ، وَلِعَدَمِ مَنْ يَقُومُ بِهِ إِذَا تَرَكَهُ فِي مَكَّةَ، فَمَاذَا رَأَىٰ أَبُو طَالِبٍ وَأَصْحَابُهُ مِنَ الآيَاتِ؟!.

عَنْ أَبِي مُوسَىٰ الْأَشْعَرِيِّ ﵁ قَالَ: «خَرَجَ أَبُو طَالِبٍ إِلَىٰ الشَّامِ وَخَرَجَ مَعَهُ النَّبِيُّ ﷺ فِي أَشْيَاخٍ مِنْ قُرَيْشٍ، فَلَمَّا أَشْرَفُوا عَلَىٰ الرَّاهِبِ -يَعْنِي بُحَيْرًا- هَبَطُوا فَحَلُّوا رِحَالَهُمْ، فَخَرَجَ إِلَيْهِمُ الرَّاهِبُ -وَكَانُوا قَبْلَ ذَلِكَ يَمُرُّونَ بِهِ فَلَا يَخْرُجُ إِلَيْهِمْ وَلَا يَلْتَفِتُ».

قَالَ: فَنَزَلَ وَهُمْ يَحُلُّونَ رِحَالَهُمْ، فَجَعَلَ يَتَخَلَّلُهُمُ الرَّاهِبُ حَتَّىٰ جَاءَ فَأَخَذَ بِيَدِ النَّبِيِّ ﷺ، فَقَالَ: هَذَا سَيِّدُ العَالَمِينَ -وَفِي رِوَايَةِ البَيْهَقِيِّ زِيَادَة-: هَذَا رَسُولُ رَبِّ العَالَمِينَ، يَبْعَثُهُ اللهُ رَحْمَةً لِلْعَالَمِينَ».

فَقَالَ لَهُ أَشْيَاخٌ مِنْ قُرَيْشٍ: مَا عِلْمُكَ؟

فَقَالَ: إِنَّكُمْ حِينَ أَشْرَفْتُمْ مِنَ العَقَبَةِ لَمْ يَبْقَ شَجَرٌ وَلَا حَجَرٌ إِلَّا خَرَّ سَاجِدًا وَلَا يَسْجُدَانِ إِلَّا لِنَبِيٍّ، وَإِنِّي أَعْرِفُهُ بِخَاتَمِ النُّبُوَّةِ أَسْفَلَ مِنْ غُضْرُوفِ كَتِفِهِ، ثُمَّ رَجَعَ فَصَنَعَ لَهُمْ طَعَامًا، فَلَمَّا أَتَاهُمْ بِهِ وَكَانَ هُوَ فِي رِعْيَةِ الإِبِلِ، قَالَ: أَرْسِلُوا إِلَيْهِ.

فَأَقْبَلَ وَعَلَيْهِ غَمَامَةٌ تُظِلُّهُ، فَلَمَّا دَنَا مِنَ القَوْمِ وَجَدَهُمْ قَدْ سَبَقُوهُ إِلَىٰ فَيْءِ الشَّجَرَةِ، فَلَمَّا جَلَسَ مَالَ فَيْءُ الشَّجَرَةِ عَلَيْهِ، فَقَالَ: انْظُرُوا إِلَىٰ فَيْءِ الشَّجَرَةِ مَالَ عَلَيْهِ، قَالَ: فَبَيْنَمَا هُوَ قَائِمٌ عَلَيْهِمْ وَهُوَ يُنَاشِدُهُمْ أَنْ لَا يَذْهَبُوا بِهِ إِلَىٰ الرُّومِ؛ فَإِنَّ

---

(١) «دَوَاوِيْنُ الشِّعْرِ العَرَبِيِّ» (٤٦/ ٣٢).

الـرُّومَ إِنْ رَأَوْهُ عَرَفُـوهُ بِالصِّفَـةِ فَيَقْتُلُونَـهُ، فَالتَفَتَ فَإِذَا بِسَـبْعَةٍ قَدْ أَقْبَلُـوا مِنَ الرُّومِ فَاسْتَقْبَلَهُمْ، فَقَالَ: مَا جَاءَ بِكُمْ؟.

قَالُوا: جِئْنَا، إِنَّ هَذَا النَّبِيَّ خَارِجٌ فِي هَذَا الشَّهْرِ، فَلَمْ يَبْقَ طَرِيقٌ إِلَّا بُعِثَ إِلَيْهِ بِأُنَـاسٍ وَإِنَّـا قَدْ أُخْبِرْنَا خَبَـرَهُ فَبُعِثْنَا إِلَىٰ طَرِيقِكَ هَذَا، فَقَالَ: فَهَـلْ خَلْفَكُمْ أَحَدٌ هُوَ خَيْرٌ مِنْكُمْ؟؟، قَالُوا: لا، إِنَّمَا أُخْبِرْنَا خَبَرَهُ بِطَرِيقِكَ هَذِه.

قَـالَ: أَفَرَأَيْتُـمْ أَمْـرًا أَرَادَ اللهُ أَنْ يَقْضِيَهُ هَلْ يَسْـتَطِيعُ أَحَدٌ مِـنَ النَّاسِ رَدَّهُ؟، قَالُوا: لَا، قَالَ: فَبَايَعُوهُ وَأَقَامُوا مَعَهُ قَالَ: أَنْشُدُكُمْ بِاللهِ أَيُّكُمْ وَلِيُّهُ؟.

قَالُـوا: أَبُو طَالِبٍ، فَلَمْ يَزَلْ يُنَاشِـدُهُ حَتَّىٰ رَدَّهُ أَبُو طَالِـبٍ وَبَعَثَ مَعَهُ أَبُو بَكْرٍ بِلَالًا وَزَوَّدَهُ الرَّاهِبُ مِنَ الكَعْكِ وَالزَّيْتِ»[1].

قَالَ الشَّاعِرُ:

لَـمَّـا رَأَه بُحِيْـرًا قَـالَ نَعْـرِفُـهُ ... بِمَا حِفِظْنَـا مِـنَ الأَسْـمَاءِ والسِّـيَمِ[2]
وَظَلَّـلَـتـهُ فَـصـارَت تَـسـتَـظِـلُّ بِـهِ ... غَـمـامَـةٌ جَـذَبَـتـهـا خـيـرَةُ الـدِيَـمِ
مَـحَـبَّـةٌ لِـرَسـولِ الـلَـهِ أُشــرِبَهـا ... قَعائِـدُ الديـرِ وَالرُهبـانُ فـي القِمَمِ[3]

(١) (صَحِيْحٌ) أَخْرَجَهُ التِّرْمِذِيُّ (٣٦٢٠)، وابْن أَبِي شَيْبَةَ فِي «المُصَنَّف» (١٨٣٩٠)، وَالبَيْهَقِيُّ فِي «الدَّلَائِلِ» (١/ ٣٧٠)، وَصَحَّحَهُ وَالأَلْبَانِيُّ رَحِمَهُ اللهُ فِي «صَحِيْحِ السِّيْرَةِ» (٢٩-٣٠). عَدا ذِكْرِ أَبِي بَكْرٍ وَبِلالٍ فَهِيَ مُدْرَجَةٌ كَمَا قَالَ الحَافِظُ ابْنُ حَجَرٍ فِي «الإِصَابَةِ»: هَذِهِ اللَّفْظَةُ مُدرجَةٌ فِي هَذَا الحَدِيْثِ مُقْتَطَعَةٌ مِنْ حَدِيثٍ آخَرَ ... وَبِالجُمْلَةِ فَهِيَ وَهْمٌ مِنْ أَحَدِ رُوَاتِهِ»، انْظُرْ: «الإِصَابَةُ» (١/ ١٧٧). وحَسَّنَهُ شَيْخَنَا الوَادِعِيُّ رَحِمَهُ اللهُ فِي «صَحِيْحِ المُسْنَدِ» (٨٢٠)، وَقَالَ ذَكَرَ أَبِي بَكْرٍ وَبِلَالٍ فِي الحَدِيْثِ وَهْمٌ كَمَا قَالَ الحَافِظُ فِي «الإِصَابَةِ» فِي «تَرْجَمَةِ حِيرِيِّ الرَّاهِبِ» وَكَمَا قَالَ «الجَزْرِيُّ» فِي «تُحْفَةَ الأَحْوَذِيِّ».
(٢) السِّيَمِ: جَمْعُ سِيْمَةٍ -بِالكَسْرَةِ- وَهِيَ العَلَامَةُ.
(٣) «جَوَاهِرُ الأَدَبِ» (٢/ ٢٥٤).

وَقَالَ آخَرُ:

وَقــالَ عَـنـهُ بُـحَيـرا حِيْـنَ أَبصَـرَهُ ... بَــأَرْضِ بُصْـرَىٰ مَقَـالًا غَيْـرَ مُتَّـهَـمِ

إِذ ظَلَّـلَتـهُ الغَمـامُ الغُـرُّ وَانهَصَـرَتْ [١] ... عَطفًـا عَلَيهِ فُـروعُ الضَّالِ[٢] وَالسَّـلَمِ[٣]

هَــذَا نَـبِــيٌّ وَلَـم يَنـزِل بِسَـاحَتِهَا ... إِلَّا نَبِيٌّ كَـرِيْـمُ النَّفـسِ وَالشِّـيَـمِ [٤]

وَقَالَ أُسْتَاذُنَا عَبْدُ الكَرِيْمِ العِمَادُ -حَفِظَهُ اللهُ-:

يَـكْفِـي قُـرَيْشًـا بَحِيْـرَا فِـي شَـهَادَتِهِ ... مِــنَ الدَّلَائِـلِ مَـا يُغْنِـي عَـنِ التُّـهَـمِ

لَــكِـنَّـهَــا أَعْـيُــنٌ عُـمْــيٌ وَأَفْئِـدَةٌ ... غُلْفٌ، وَلَمْ يُغْنِ نُورُ الشَّمْسِ عَيْنَ عَمِي

---

(١) انهَصَرَتْ: مَالَتْ وَانْعَطَفَتْ.

(٢) الضَّال: مَا كَانَ مِنَ السِّدْرِ بَرِّيًا، وَاحِدَتُهُ: ضَالَةٌ - بِالتَّخْفِيْفِ -.

(٣) السَّلَم - بِفَتْحَتَيْنِ - شَجَرَةُ القَرَظ.

(٤) الشِّيَم: جَمْعُ شِيْمَةٍ - بِالكَسْرِ - وَهِيَ الطَّبِيْعَة وُالخُلُق.

حَيَاتُهُ قَبْلَ البِعْثَةِ ﷺ

١ ـ التَّحَلِّي بِالمَكَارِمِ:

يَـعـرِفـهُ أَهـلُ الـصِّـدْقِ وَالأُمَنَـاءُ[(١)] — بِسِوىٰ الأَمَانَةِ فِي الصِّبَا وَالصِدْقِ لَمْ

كَانَتْ حَيَاتُهُ ﷺ قَبْلَ البَعْثَةِ حَيَاةً فَاضِلَةً شَرِيْفَةً، لَمْ تُعْرَفْ فِيْهِ هَفْوَةٌ، وَلَمْ تُحْصَ عَلَيْهِ فِيْهَا زِلَّةٌ، فَقَدْ حَفِظَهُ اللهُ مِنْ أَقْذَارِ الجَاهِلِيَّةِ؛ لِمَا يُرِيْدُهُ لَهُ مِنْ كَرَامَتِهِ وَرِسَالَتِهِ، حَتَّىٰ صَارَ أَفْضَلَ قَوْمِهِ مُرُوءَةً، وَأَحْسَنَهُمْ خُلُقًا، وَأَعْظَمُ جِوَارًا، وَأَصْدَقَهُمْ حَدِيْثًا، وَأَعْظَمُهُمْ أَمَانَةً، حَتَّىٰ عُرِفَ بَيْنَ قَوْمِهِ بِالصَّادِقِ الأَمِيْنِ.

قَالَ أُسْتَاذُنَا عَبْدُ الكَرِيْمِ العِمَادُ -حَفِظَهُ اللهُ-:

يَـاوَيْحَـهُـمْ عَـرَفُـوهُ قَـبْـلَ بعْثَتِـهِ — بِـأَنَّـهُ غَـايَـةٌ فِـي الصِّـدْقِ وَالكَـرَمِ
لَـمْ يَعْرِفُوا خُلُقًـا، لَمْ تَسْمعُوا صِفةً — مِـنَ الشَّـمَائِلِ إِلَّا كَـانَ فِـي القِمَـمِ
وَأَعْـجَـزُ الـنَّـاسَ كُلَّ العَالَمِيْـنَ إِذَا — جَـاءُوا عَلَـىٰ قَلْـبِ فَـرْدٍ حَـاذِقٍ فَهِـمِ
أَنْ يَحْصُرُوا مَا حَوىٰ المُخْتَارُ مِنْ قِيَمٍ — أَوْ يَجْمَعُـوا بَعْـضَ مَـا فِيْهِ مِنَ الشِّـيَمِ

وَقَالَ -أَيْضًا-:

مَـــنْ مِــثْـلُ أَحْـمَـدَ فِــي الــمُـرُو — ءَةِ وَالـكَـــرَامَـــةِ وَالـمَـكَـانَـــةْ؟!

---

(١) «الشَّوْقِيَّات» (١/ ٤).

مَــــنْ مِــثْــلُ خَيْــرِ الـخَـلْـقِ فِـي ... صِــدْقِ الـحَـدِيْـثِ وَفِـي الأَمَـانَهْ؟!
خَـــيْـــرُ الــخَــلائِــقِ كُـلِّـهِـمْ ... خُـــلُـــقًـا، وَأَحْـسَـنُـهُـمْ دِيَـانَـهْ
جَـــمَـــعَ الـــمَـكَـــارِمَ رَبُّـــهُ ... فِــيْــهِ، وَأَيَّـــدَهُ وَصَـــانَـــهْ

٢ ـ رَعْيُ الغَنَمِ:

تَــوَاضَـعَ إِذْ نَـالَ الَّتِـي لَيْـسَ فَوْقَهَـا ... مَنَـالٌ، وَهَلْ فَوْقَ الَّتِي نَـالَ مَصْعَدُ؟![١]

عَـنْ أَبِـي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «**مَا بَعَثَ اللهُ نَبِيًّا إِلَّا رَعَىٰ الغَنَمَ**»، فَقَالَ أَصْحَابُهُ: وَأَنْتَ؟، فَقَالَ: «**نَعَمْ، كُنْتُ أَرْعَاهَا عَلَىٰ قَرَارِيطَ**[٢] **لِأَهْلِ مَكَّةَ**»[٣].

وَعَـنْ جَابِـرِ بْنِ عَبْدِ اللهِ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا، قَالَ: كُنَّا مَعَ النَّبِـيِّ ﷺ نَجْنِي الْكَبَاثَ - أَيْ: النَّضِيجُ مِنْ ثَمَرِ الْأَرَاكِ - فَقَالَ ﷺ: «**عَلَيْكُمْ بِالأَسْوَدِ مِنْهُ فَإِنَّهُ أَطْيَبُهُ**»، قَالَ: قُلْنَا: وَكُنْتَ تَرْعَىٰ الْغَنَمَ يَا رَسُولَ اللهِ؟، قَالَ ﷺ: «**وَهَلْ مِنْ نَبِيٍّ إِلا وَقَدْ رَعَاهَا**»[٤].

قَالَ أُسْتَاذُنَا عَبْدُ الكَرِيْمِ العِمَادُ -حَفِظَهُ اللهُ-:

تَــوَاضُـعٌ مِنْـهُ أَنْ يَرْعَـىٰ لَهُـمْ غَنِمًـا ... وَقَــدْ أُعَـلِّـمَ لِيَرْعَـىٰ أَكْـرَمَ الأُمَـمِ
غَـدَتْ خِمَاصًا[٥] عَلَىٰ حَدْبَـاءَ قَاحِلَةٍ ... فَــبَــارَكَ الـلـهُ بِـالـمَرْعَـىٰ وَبالغَنَـمِ

---

(١) «دِيْوَانُ ابْنِ الرُّومِيِّ» (١٢٦٠).
(٢) القَرَارِيطَ: جَمْعُ قِيْرَاطٍ، وَهُوَ مِنْ أَجْزَاءِ الدِّيْنَارِ.
(٣) رَوَاهُ البُخَارِيُّ (٢٢٦٢).
(٤) رَوَاهُ البُخَارِيُّ (٣٤٠٦) ومُسْلِمٌ (٢٠٥٠).
(٥) خِمَاصًا -بِالكَسْرِ- أَيْ: جِيَاعًا.

فِـي قَـلْبِـهِ النُّـورُ مِحْـرَابٌ لَـهُ أَبَـدًا   والـخَـيْـرُ مَـرْعَـاهُ أَنَّـىٰ سَـامَهُ يَسُـمِ

٣ـ لَمْ يَعْمَلْ أعْمَالَ الجَاهِلَيَّةِ:

كَـفَـاكَ بِالْـعِلْـمِ فـي الأُمِّـيِّ مُعْجِـزَةً   فـِي الجَاهِلِيَّـةِ وَالتَّأْدِيـبِ فـي اليُتُـمِ [1]

أَجْمَـعَ العُلَمَاءُ عَلَىٰ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ مَعْصُومٌ عَنِ الكُفْرِقَبْلِ الوَحْيِ وَبَعْدَهُ، فَلَمْ يَتَقَرَّبْ لِصَنَمٍ، وَلَمْ يَتَمَسَّحْ بِهِ.

فَعَنْ زَيْدِ بْنِ حَارِثَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ: كَانَ صَنَمٌ مِنْ نُحَاسٍ، يُقَالُ لَهُ: إِسَافٌ، أَوْ نَائِلَةُ، يَتَمَسَّحُ بِهِ الْمُشْرِكُونَ إِذَا طَافُوا -أَيْ بِالبَيْتِ-، فَطَافَ رَسُولُ اللهِ ﷺ وَطُفْتُ مَعَه، فَلَمَّا مَرَرْتُ مَسَحْتُ بِهِ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**لا تَمَسَّهُ**»، قَالَ زَيْدٌ فَطُفْت، فَقُلْتُ فِي نَفْسِي: لأَمَسَّنَّهُ حَتَّىٰ أَنْظُرَ مَا يَكُون، فَمَسَحْتُه، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**أَلَمْ تُنْهَ؟**».

قَالَ زَيْدٌ: فَوَالَّذِي هُوَ أَكْرَمَهُ وَأَنْزَلَ عَلَيْهِ الْكِتَابَ مَا اسْتَلَمَ صَنَمًا -قَطُّ- حَتَّىٰ أَكْرَمَهُ اللهُ بِالَّذِي أَكْرَمَهُ وَأَنْزَلَ عَلَيْهِ[2].

بَـلْ إِنَّـهُ ﷺ كَانَ يُخَالِفُ قَوْمَه، حَتَّىٰ فِي بَعْضِ العِبَـادَةِ الَّتِي خَالَفُوا فِيْهَا مِلَّةَ أَبَيْهِمْ إِبْرَاهِيْمَ.

فَعَـنْ نَافِـعِ بْـنِ جُبَيْرٍ عَنْ أَبِيـهِ قَالَ: «كَانَـتْ قُرَيْشٌ إِنَّمَـا تَدْفَعُ مِـنَ الْمُزْدَلِفَةِ وَيَقُولُـونَ نَحْـنُ (الْحُمْسُ)[3]، فَلاَ نَخْـرُجُ مِنَ الْحَرَمِ، وَقَدْ تَرَكُـوا الْمَوْقِفَ بِعَرَفَةَ، قَـالَ: فَرَأَيْتُ رَسُـولَ اللهِ ﷺ فِي الْجَاهِلِيَّةِ يَقِفُ مَـعَ النَّاسِ بِعَرَفَةَ عَلَىٰ جَمَلٍ لَهُ ثُمَّ

(١) «دَوَاوِيْنُ الشِّعْرِ العَرَبِيِّ» (٩/ ٧٥).

(٢) (حَسَنٌ) أَخْرَجَهُ الطَّبَرَانِيُّ (٤٦٦٥)،وَحَسَّنَهُ الأَلْبَانِيُّ رَحِمَهُ اللهُ فِي «صَحِيْحِ السِّيْرَةِ» (٣٢).

(٣) الْحُمْسُ: جَمْعث أَحْمَسَ، وَهُوالشَّدِيْدُ الصُّلْبُ، وَسُمُّوا حُمْسًا؛لأَنَّهُمْ تَشَدَّدُواوَتَصَلَّبُوا فِي دِيْنَهُمْ، وَكَانُوا لاَ يَسْتَظِلُّونَ بِمِنًى.

يُصْبِحُ مَعَ قَوْمِهِ بِالْمُزْدَلِفَةِ، فَيَقِفُ مَعَهُمْ وَيَدْفَعُ إِذَا دَفَعُوا»[١].

قَالَ أُسْتَاذُنَا عَبْدُ الكَرِيْمِ العِمَادُ -حَفِظَهُ اللهُ-:

لَمْ يُغْرِهِ فِي الجَاهِلِيَّةِ مِنْهُمْ ... عَمَلٌ يُخَالِفُ دِيْنَ إِبْرَاهِيْمَا
بَلْ كَانَ مَعْصُومًا بِتَقْوَىٰ رَبِّهِ ... أَبَدًا، وَدِيْنُ الحَقِّ فِيْهِ مُقِيْمَا

وَقَالَ أَيْضًا:

مَا هُمَّ يَوْمًا وَلَمْ يَخْطُر بِخَاطِرِهِ ... شَيْءٌ مِنَ الشِّرْكِ مِنْ قَبْرٍ وَمِنْ صَنَمِ
وَكَيْفَ يَجْرُؤُ شِرْكٌ أَنْ يَمُرَّ عَلَىٰ ... قَلْبٍ عَلَىٰ قِمَّةِ التَّوْحِيْدِ مُسْتَنِمِ[٢]
وَطَهَّرَ اللهُ مَبْدَاهُ وَمَخْتَمَهُ ... وَمَنْ يُقَوَّمْ بِعَيْنِ اللهِ يَسْتَقِمِ

٤- شَهِدَ حِلْفَ الفُضُولِ مَعَ عُمُومَتِهِ:

شَهِدَ (الفُضُولَ) بِأَرْضِ مَكَّةَ يَافِعًا ... كَيْ لاَ يَرَىٰ مِنْ حَوْلِهِ مَظْلُومَا

عَنْ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ عَوْفٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «شَهِدْتُ مَعَ عُمُومَتِي حِلْفَ الْمُطَيَّبِينَ[٣]، وَأَنَا غُلَامٌ، فَمَا أُحِبُّ أَنَّ لِي حُمْرَ النَّعَمِ[٤] وَإِنِّي أَنْكُثُهُ»[٥].

---

(١) (صَحِيْحٌ) أَخْرَجَهُ الحَاكِمُ (١/ ٤٦٤)، وَصَحَّحَهُ الأَلْبَانِيُّ رَحِمَهُ اللهُ فِي «صَحِيْحِ السِّيْرَةِ» (٣٤).

(٢) مُسْتَنِمِ أَيْ: مُعْتَلٍ.

(٣) قَالَ فِي «النِّهَايَةِ» (٣/ ١٤٩): «اجْتَمَعَ بَنُو هَاشِمٍ وَبَنُو زُهْرَةَ وَتَيْمٌ فِي دَارِ ابْنِ جُدْعَانَ فِي الْجَاهِلِيَّةِ، وَجَعَلُوا طِيبًا فِي جَفْنَةٍ وَغَمَسُوا أَيْدِيَهُمْ فِيهِ، وَتَحَالَفُوا عَلَىٰ التَّنَاصُرِ وَالْأَخْذِ لِلْمَظْلُومِ مِنَ الظَّالِمِ؛ فَسُمُّوا الْمُطَيَّبِينَ.

(٤) حُمْرَ النَّعَمِ: الحُمْرُ -بِضَمٍّ فَسُكُونٍ- جَمْعُ أَحْمَرَ، والنَّعَمِ -بِفَتْحَتَيْنِ- الأَنْعَامُ وَالدَّوَابّ، وَالمُرَادُ بِهَا الإِبِلُ، والحُمْرُ مِنْهَا أَحْسَنُ أَنْوَاعِهَا.

(٥) (صَحِيْحٌ) رَوَاهُ البَيْهَقِيُّ (٢/ ٣٨)، وَصَحَّحَهُ الأَلْبَانِيُّ رَحِمَهُ اللهُ فِي حَاشِيَةِ «فِقْهُ السِّيْرَةِ» (٧٥).

وَحِلْفُ الفُضُولِ كَمَا قَالَ ابْنُ إِسْحَاق: «تَدَاعَتْ قَبَائِلُ مِنْ قُرَيْشٍ إِلَىٰ حِلْفٍ، فَاجْتَمَعُوا لَهُ فِي دَارِ عَبْدِ اللهِ بْنِ جُدْعَانَ بْنِ عَمْرِو بْنِ كَعْبٍ، لِشَرَفِهِ وَسِنِّه، فَتَعَاقَدُوا وَتَعَاهَدُوا عَلَىٰ أَنْ لَا يَجِدُوا بِمَكَّةَ مَظْلُومًا مِنْ أَهْلِهَا وَغَيْرِهِمْ مِمَّنْ دَخَلَهَا مِنْ سَائِرِ النَّاسِ إِلَّا قَامُوا مَعَه، وَكَانُوا عَلَىٰ مَنْ ظَلَمَهُ حَتَّىٰ تُرَدَّ عَلَيْهِ مَظْلِمَتُه، فَسَمَّتْ قُرَيْشٌ ذَلِكَ الْحِلْفَ حِلْفَ الْفُضُولِ»(١).

قَالَ أُسْتَاذُنَا عَبْدُ الكَرِيْمِ العِمَادُ -حَفِظَهُ اللهُ-:

عَشِقَ العَدَالَةَ مِنْ طُفُولَتِهِ فَلَمْ ... يَظْلِمْ ضَعِيْفًا، أَوْ يَصُدَّ يَتِيْمًا
شَهِدَ (الفُضُولَ) بِأَرْضِ مَكَّةَ يَافِعًا ... كَيْ لاَ يَرَىٰ مِنْ حَوْلِهِ مَظْلُومًا

٥ـ زَوَاجُه مِنْ خَدِيْجَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهَا:

كَتَبْتَ حُرُوفًا مِنْ حَيَاةِ مُحَمَّدٍ ... فَأَصْبَحْتِ فِي أَعْلَىٰ صَحَائِفِهَا سَطْرًا!

لَمَّا بَلَغَ النَّبِيُّ ﷺ خَمْسَةً وَعِشْرِيْنَ مِنَ العُمُرِ، تَزَوَّجَ خَدِيْجَةَ بِنْتَ خُوَيْلِدٍ، وَكَانَتْ أَوْسَطَ نِسَاءِ قُرَيْشٍ نَسَبًا، وَأَعْظَمَهُنّ شَرَفًا، وَأَكْثَرَهُنّ مَالًا؛ كُلُّ قَوْمِهَا كَانَ حَرِيصًا عَلَىٰ ذَلِكَ مِنْهَا، لَوْ يَقْدِرُ عَلَيْه(٢).

فَوَالِدُهَا هُوَ خُوَيْلِدُ بْنُ أَسَدِ بْنِ عَبْدِ العُزَّىٰ بْنِ قُصَيٍّ.

قَالَ الحَافِظُ ابْنُ حَجَرٍ رَحِمَهُ اللهُ: «تَجْتَمِعُ مَعَ النَّبِيِّ ﷺ فِي قُصَيٍّ، وَهِيَ مِنْ أَقْرَبِ نِسَائِهِ إِلَيْهِ فِي النَّسَبِ، وَلَمْ يَتَزَوَّجْ مِنْ ذُرِّيَّةِ قُصَيٍّ غَيْرَهَا إِلَّا أُمَّ حَبِيبَةَ»(٣).

---

(١) «سِيْرَةُ ابْن هِشَامٍ» (١/ ١٣٤-١٣٥).
(٢) «سِيْرَةُ ابْن هِشَامٍ» (١/ ١٤٢).
(٣) «الفَتْحُ» (٧/ ١٦٧).

وَتَزَوَّجَتْ خَدِيجَةُ بِنْتُ خُوَيْلِدٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهَا عَتِيقُ بْنُ عَائِذِ بْنِ عَبْدِ اللهِ المَخْزُومِي، فَوَلَدَتْ لَهُ جَارِيَةً اسْمُهَا هِنْدٌ، ثُمَّ هَلَكَ عَتِيْقٌ عنْهَا، فَخَلَفَ عَلَيْهَا أَبُو هَالَةَ التَّمِيمِيُّ، فَوَلَدَتْ لَهُ غُلَامَيْنِ: هِنْدًا، وَهَالَةَ الصَّحَابِيِّيْنِ، ثُمَّ هَلَكَ أَبُو هَالَةَ عَنْهَا، فَقَضَتْ مُدَّةً طَوِيْلَةً وَهِيَ تَرْفُضُ الكَثِيْرِيْنَ مِنْ أَشْرَفِ قُرَيْشٍ، حَتَّىٰ خَلَفَ عَلَيْهَا رَسُولُ اللهِ ﷺ فَبَنَىٰ بِهَا سَنَةَ خَمْسٍ وَعِشْرُيْنَ مِنْ مَوْلِدِهِ فَي قَوْلِ الجُمْهُور، وَكَانَتْ أَسَنَّ مِنْهُ بِقَلِيْلٍ، وَكَانَتْ أَوَّلَ امْرَأَةٍ تَزَوَّجَهَا، فَوَلَدَتْ لَهُ وَلَدَهُ كُلَّهُمْ إِلاَّ إِبْرَاهِيْمَ، وَهُمْ: الْقَاسِم، وَهُوَ أَكْبَرُ وَلَدِهِ، وَبِهِ كَانَ يُكْنَىٰ بِهِ ﷺ ثُمَّ زَيْنَبُ، ثُمَّ رُقَيَّة، ثُمَّ أُمُّ كُلْثُومٍ، ثُمَّ فَاطِمَة، ثُمَّ عَبْدُ اللهِ، وَكَانَ يُقَالُ لَهُ: الطَّيِّب، وَالطَّاهِرُ؛ لِأَنَّهُ وُلِدَ بَعْدَ النُّبُوَّةِ.

وَقَدْ مَاتَ الذَّكَرَانِ صَغِيْرَيْنِ، وَأَمَّا البَنَاتُ: فَكُلُّهُنَّ أَدْرَكْنَ الإِسْلاَمَ فَأَسْلَمْنَ، وَهَاجَرْنَ مَعَه، إِلَّا أَنَّهُنَّ أَدْرَكَتْهُنَّ الوَفَاةُ فِي حَيَاتِهِ سِوَىٰ فَاطِمَةَ، فَقَدْ تَأَخَّرَتْ بَعْدَهُ سِتَّةَ أَشْهُرٍ، ثُمَّ كَانَتْ أَوَّلَ أَهْلِهِ لُحُوقًا[1].

قَالَ الشَّاعِرُ فِي مَدْحِ فَاطِمَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهَا:

المَجْدُ يَشْرُقُ فِي ثَلاثِ مَطَالِعٍ ... فِي مَهْدِ فَاطِمَةٍ فَمَا أَعْلاَهَا

هِيَ بِنْتُ مَنْ؟ هيَ زَوجُ مَنْ؟، هِيَ أُمُّ مَنْ؟ ... مَنْ ذَا يُدَانِي فِي الفَخَارِ أَبَاهَا

هِيَ وَمْضَةٌ مِنْ نُورِ عَيْنِ المُصْطَفَىٰ ... هَادِي الشُّعُوبِ إِذَا تَرومُ هُدَاهَا

هِوَ رَحْمَةٌ لِلعَالَمينَ وَكَعْبَةُ الآ ... مَالِ فِي الدُّنْيَا وَفِي أُخْرَاهَا

وَأَمَّا خَدِيجَةُ رَضِيَ اللهُ عَنْهَا فَمَاتَتْ فِي رَمَضَانَ لِسَبْعَ عَشْرَةَ لَيْلَةٍ خَلَتْ مِنْهُ[2]، سَنَةَ

---

(١) «سِيْرَةُ ابْن هِشَام» (١/ ١٤٢)، وَ«الفَتْحُ» (٧/ ٥٠٧)،و«البِدَايَةِ وَالنِّهَايَةِ» (٥/ ٣٣١).

(٢) ثَبَتَ ذَلِكَ فِي «صَحِيْحِ البُخَارِيِّ» (٣٨٩٦).

عَشْرٍ مِنَ البَعْثَةِ، قَبْلَ الهِجْرَةِ بِثَلاَثِ سِنِيْنَ[١]، وَدُفِنَتْ رَضِيَ اللهُ عَنْهَا بِالحَجُونِ[٢]، وَنَزَلَ رَسُولُ اللهِ ﷺ فِي قَبْرِهَا، وَحَزِنَ عَلَيْهَا حُزْنًا شَدِيْدًا، وَتَتَابَعَتْ عَلَيْهِ المِحَنُ بَعْد مَوْتِهَا.

قَالَ الشَّاعِرُ:

لَقَدْ شَكَرَ المَوْلَىٰ صَنِيْعَكِ إِنَّهُ الشْـ ... ـشَكُورُ وَهَذَا الفِعْلُ يَسْتَوْجِبُ الشُّكْرا
فَأهْدَاكِ مَوْلاكِ السَّلامُ سَلامَةً ... وأَعْطَاكِ فِي الفِرْدَوْسِ مِنْ قَصَبٍ قَصْرا
مَرَاتِبُ لا يُعْلىٰ عَلَيْهَا وَرِفْعَةٌ ... لَكُمْ خُصِّصَتْ، فَاللهُ أَعْلَاكُمُ قَدْرا

وَقَالَ أُسْتَاذُنَا عَبْدُ الكَرِيْمِ العِمَادُ -حَفِظَهُ اللهُ-:

إِذَا هَدَىٰ اللهُ قَلْبًا لَمْ يَخِبْ أَبَدًا ... وَإِنْ أَضَلَّ فَمَا فِي الكَوْنِ مِنْ عَصَمِ
خَدِيْجَةُ الخَيْرِ وَالإِيْمَانِ قَدْ غَنِمَتْ ... وَمَنْ يَجِدْ فُرْصَةً لِلنُّورِ يَغْتَنِمِ
تَخَيَّرَتْهُ وَلَمْ تَقْبَلْ بِهِ بَدَلا ... مِنَ الرِّجَالِ فَلَمْ تُعْذَلْ وَلَمْ تُلَمِ
كَمْ حَامَ مِنْ حَوْلَهَا الأَشْرَافُ تَخْطِبهَا ... لَوْلاَ مَكَانَتُهَا فِي القَوْمِ لَمْ تَحُمِ
رَأَتْهُ بِالقَلْبِ والعَقْلِ الحَكِيْمِ وَمَنْ ... تَقْصُرْ رِضَاهَا عَلَىٰ مَظْنُونِهَا تُضَمِ[٣]
فَكَانَ فَوْقَ الَّذِي ظَنَّتْ وَمَا أَمَلَتْ ... وَمَا رَأَتْ مِنْ جَمَالِ الخَلْقِ وَالشِّيَمِ
أَوْفَتْ لَهُ الحُبَّ وَالإِيْمَانَ دَاعِمَةً ... بِالمَالِ وَالرَّأْيِ والتَّثْبِيْتِ فِي اللِّمَمِ
طُوبَىٰ لَهَا؛ فَهِيَ فِي الدُّنْيَا مُكَرَّمَةٌ ... وَعِنْدَ بَارِئِهَا فِي أَطْيَبِ النِّعَمِ

(١) «أَزْوَاجُ النَّبِيِّ ﷺ» لِلدِّمَشْقِيِّ (٦٥).

(٢) «السِّيَرُ» (١/ ١١١).

(٣) الضَّيْمِ: الظُّلْمُ وَالإِذْلَال.

٦ـ مُشَارَكَتُهُ فِي بِنَاءِ الكَعْبَةِ:

فَمَنْ مِثْلُهُ فِي النَّاسِ أَيُّ مُؤَمَّلٍ ... إِذَا قَاسَهُ الْحُكَّامُ عِنْدَ التَّفَاضُلِ[١]

بَعْدَ بِنَاءِ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ - صَلَوَاتُ وَسَلامُهُ عَلَيْهِمَا - لِلكَعْبَةِ المُعَظَّمَةِ، تَعَرَّضَتْ -بَعْدَ أَنْ مَضَتْ قُرُونٌ مِنْ بِنَائِهَا - لِلعَوَادِي الَّتِي أَوْهَتْ بِنَاءَهَا، وَصَدَّعَتْ جُدْرَانَهَا، وَكَانَ مِنْ بَيْنِ هَذِهِ العَوَادِي سَيْلٌ عَرِمٌ، جَرَفَ مَكَّةَ قَبْلَ البِعْثَةِ بِسَنَوَاتٍ قَلِيلَةٍ، حَيْثُ زَادَ ذَلِكَ مِنْ تَصَدُّعِ جُدْرَانِهَا، وَضَعْفِ بُنْيَانِهَا، فَلَمْ تَجِدْ قُرَيْشٌ بُدًّا مِنْ إِعَادَةِ تَشْيِيدِ الكَعْبَةِ؛ حِرْصًا عَلَىٰ مَا لِهَذَا البِنَاءِ مِنْ حُرْمَةٍ وَقَدَاسَةٍ خَالِدَةٍ.

وَلَقَدْ ظَلَّ احْتِرَامُ الكَعْبَةِ وَتَعْظِيمُهَا بِقِيَّةً مِمَّا ظَلَّ مَحْفُوظًا مِنْ شَرِيعَةِ إِبْرَاهِيمَ -عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ- بَيْنَ العَرَبِ، وَقَدْ شَارَكَ ﷺ فِي بِنَاءِ الكَعْبَةِ، وَمِمَّا يَدُلُّ عَلَىٰ ذَلِكَ حِدِيْثُ جَابِرَ بْنَ عَبْدِ اللهِ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا، قَالَ: لَمَّا بُنِيَتِ الْكَعْبَةُ ذَهَبَ النَّبِيُّ ﷺ وَالْعَبَّاسُ يَنْقُلَانِ الْحِجَارَةَ، فَقَالَ الْعَبَّاسُ لِلنَّبِيِّ ﷺ: اجْعَلْ إِزَارَكَ عَلَىٰ رَقَبَتِكَ، فَخَرَّ بِالْأَرْضِ، وَطَمَحَتْ عَيْنَاهُ إِلَىٰ السَّمَاءِ، ثُمَّ قَامَ، فَقَالَ: «**أَرِنِي إِزَارِي، فَشَدَّهُ عَلَيْهِ**»[٢].

وَعَنْ أَبِي الطُّفَيْلِ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، وَذَكَرَ بِنَاءَ الْكَعْبَةِ فِي الْجَاهِلِيَّةِ، قَالَ: فَهَدَمَتْهَا قُرَيْشٌ، وَجَعَلُوا يَبْنُونَهَا بِحِجَارَةِ الْوَادِي، تَحْمِلُهَا قُرَيْشٌ عَلَىٰ رِقَابِهَا، فَرَفَعُوهَا فِي السَّمَاءِ عِشْرِينَ ذِرَاعًا، فَبَيْنَا النَّبِيُّ ﷺ يَحْمِلُ حِجَارَةً مِنْ أَجْيَادٍ[٣]، وَعَلَيْهِ نَمِرَةٌ[٤]، فَضَاقَتْ عَلَيْهِ النَّمِرَةُ، فَذَهَبَ يَضَعُ النِّمِرَةَ عَلَىٰ عَاتِقِهِ فَتُرَىٰ عَوْرَتُهُ مِنْ صِغَرِ النَّمِرَةِ، فَنُودِيَ: يَا

---

(١) «دَوَاوِيْنُ الشِّعْرِ العَرَبِيِّ» (١٥/ ٥٣).

(٢) رَوَاهُ البُخَارِيُّ (١٥٨٢) ومُسْلِمٌ (٣٤٠).

(٣) أَجْيَاد: جَبَل بِمَكَّةَ.

(٤) نَمِرَة: كِسَاء أَسْوَد.

مُحَمَّد، خَمِّرْ عَوْرَتَكَ - وَفِي رِوَايَةٍ: لاَ تَكْشِفْ عَوْرَتَكَ -، فَلَمْ يُرَ عُرْيَانًا بَعْدَ ذَلِكَ[١].

٧ـ وَضع الحَجَر الأَسْوَد بِيَدِهِ الشَّرِيْفَةِ:

تَـعُـودُ بِـرَأْيِـهِ الـظَّلْمَاءُ صُبْحَا ... وَيَسْتَسْقَىٰ بِحِكْمَتِهِ الغَمَامُ

عَـنْ عَلِـيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ: لَمَّا انْهَدَمَ الْبَيْتُ بَعْدَ جُرْهُم بَنَتْهُ قُرَيْشٌ، فَلَمَّا أَرَادُوا وَضْعَ الْحَجَرِ تَشَاجَرُوا مَنْ يَضَعُـه؟، فَاتَّفَقُوا أَنْ يَضَعَهُ أَوَّلُ مَنْ يَدْخُلُ مِـنْ هَـذَا الْبَابِ، فَدَخَلَ رَسُـولُ اللهِ ﷺ مِنْ بَابِ بَنِي شَـيْبَةَ، فَأَمَرَ رَسُـولُ اللهِ ﷺ بِثَوْبٍ فَوَضَعَ الْحَجَرَ فِي وَسَطِهِ، وَأَمَرَ كُلَّ فَخِذٍ أَنْ يَأْخُذُوا بِطَائِفَةٍ مِنَ الثَّوْبِ، فَرَفَعُوه، وَأَخَذَهُ رَسُولُ اللهِ ﷺ فَوَضَعَهُ[٢].

وَعَنْ مُجَاهِدٍ عَنْ مَوْلَاهُ - وَهُو السَّائِب بْنُ عَبْدِ اللهِ - أَنَّهُ حَدَّثَهُ أَنَّهُ كَانَ فِيمَنْ يَبْنِي الْكَعْبَةَ فِي الْجَاهِلِيَّةِ، قَالَ: وكَانَ لِي حَجَرٌ أَنَا نَحَتُّهُ بِيَدَيَّ، أَعْبُدُهُ مِنْ دُونِ اللهِ - تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ -، قَالَ: وَكُنْتُ أَجِيءُ بِاللَّبَنِ الْخَاثِرِ[٣]، الَّذِي أَنْفَسُهُ عَلَىٰ نَفْسِي - أَيْ أُوثِرُهُ عَلَىٰ نَفْسِي - فَأَصُبُّهُ عَلَيْهِ، فَيَجِيءُ الْكَلْبُ فَيَلْحَسُهُ ثُمَّ يَشْغَرُ[٤]، فَيَبُولُ عَلَيْهِ.

قَالَ: فَبَنَيْنَا حَتَّىٰ بَلَغْنَا مَوْضِعَ الْحَجَرِ وَمَا يَرَىٰ الْحَجَرَ أَحَدٌ، فَإِذَا هُوَ وَسْطَ أَحْجَارِنَا مِثْلَ رَأْسِ الرَّجُلِ يَكَادُ يَتَرَاءَىٰ مِنْهُ وَجْهُ الرَّجُلِ؟.

فَقَالَ بَطْنٌ مِنْ قُرَيْشٍ: نَحْنُ نَضَعُه، وَقَالَ آخَرُونَ: نَحْنُ نَضَعُه، فَقَالُوا:

---

(١) (صَحِيْحٌ) أَخْرَجَهُ أَحْمَدُ (٥/ ٤٥٥)، وَصَحَحَهُ الأَلْبَانِيُّ رَحِمَهُ اللهُ فِي «الصَّحِيْحَةِ» (٢٣٧٨).

(٢) (حَسَنٌ) أَخْرَجَهُ الطَّيَالِسِيُّ فِي «مُسْنَدِهِ» (٢/ ٨٦)، وَالحَاكِمُ (١/ ٤٥٨-٤٥٩) وَحَسَّنَهُ الأَلْبَانِيُّ رَحِمَهُ اللهُ فِي «صَحِيْحِ السِّيْرَةِ» (٤٥).

(٣) الْخَاثِرِ أَي: الرَّائِب.

(٤) شَغَرَ الكَلْبُ: رَفَعَ إِحْدَىٰ رِجْلَيْهِ لِيَبُولَ.

اجْعَلُوا بَيْنَكُمْ حَكَمًا، قَالُوا: أَوَّلَ رَجُلٍ يَطْلُعُ مِنَ الْفَجِّ، فَجَاءَ النَّبِيُّ ﷺ فَقَالُوا: أَتَاكُمْ الْأَمِين، فَقَالُوا لَه، فَوَضَعَهُ فِي ثَوْبٍ، ثُمَّ دَعَا بُطُونَهُمْ، فَأَخَذُوا بِنَوَاحِيهِ [مَعَهُ] فَوَضَعَهُ هُوَ ﷺ(١).

وَحِينَما أَجْمَعَتْ أَمْرًا قُرَيشُ عَلَىٰ ... بِنايَةِ البَيتِ ذي الحُجّابِ وَالخَدَمِ
تَجَمَّعَت فِرَقُ الأَحلافِ وَاقتَسَمَت ... بِناءَهُ عَن تَراضٍ خَيرَ مُقتَسَمِ
حَتّىٰ إِذا بَلَغَ البُنيانُ غايَتَهُ ... مِن مَوضِعِ الرُّكنِ بَعدَ الكَدِّ وَالجُشَمِ(٢)
تَسابَقوا طَلَبًا لِلأَجرِ وَاختَصَمُوا ... فِيمَن يَشُدُّ بِناهُ كُلَّ مُختَصَمِ
فَقالَ ذُو رَأيِهِم لا تَعجَلُوا وَخُذُوا ... بِالحَزْمِ فَهوَ الَّذي يَشفِي مِنَ الحَزَمِ(٣)
لِيَرضَ كُلُّ امرِئٍ مِنّا بِأَوَّلِ مَن ... يَأتي فَيَقسِطُ فِينا قِسطَ مُحتَكِمِ
فَقالَ كُلٌّ رَضينا بِالأَمينِ عَلَىٰ ... عِلمٍ فَأَكرِمْ بِهِ مِن عادِلٍ حَكَمِ
فَكانَ أَوَّلَ آتٍ بَعدَما اتَّفَقُوا ... مُحَمَّدٌ وَهوَ في الخَيراتِ ذُو قَدَمِ
فَأَعلَمُوهُ بِما قَد كانَ وَاحتَكَمُوا ... إِلَيهِ في حَلِّ هَذا المُشْكِلِ العَمَمِ
فَمَدَّ ثَوبًا وَحَطَّ الرُّكنَ في وَسَطٍ ... مِنهُ وَقالَ ارفَعُوهُ جانِبَ الرَّضَمِ(٤)
حَتّىٰ إِذا اقتَرَبوا تِلْقاءَ مَوْضِعِهِ ... مِنْ جانِبِ البَيْتِ ذِي الأَرْكانَ وَالدَّعَمِ
مَدَّ الرَّسُولُ يَدًا مِنهُ مُبارَكَةً ... بَنَتْهُ في صَدَفٍ مِن باذِخٍ سَنِمِ(٥)

---

(١) (حَسَنٌ) أَخْرَجَهُ أَحْمَدُ (١٥٥٠٤)، وَحَسَّنَهُ الْأَلْبَانِيُّ رَحِمَهُ اللهُ فِي تَعْلِيقَهُ عَلَىٰ «فِقْهِ السِّيْرَةِ» (٨٤).

(٢) الجشَم: الثِّقَلُ والمَشَقَّةَ.

(٣) الحَزَم: الغُصَّةُ فِي الصَّدْرِ، وَبَابُهُ فَرِحَ.

(٤) الرَّضَم: حِجَارَةِ مَرْصُوصَة بَعْضُهَا فَوْقَ بَعْضٍ.

(٥) «مَوْسُوعَةُ الشِّعْرِ الإِسْلَامِيِّ» (٦٠٦/ ٥-٦).

البشَارَاتُ به
صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ

١ـ بِشَارَةُ الأَنْبِيَاءِ وَأَتْبَاعِهِمْ:

فَـهَـلاَّ تَـأَمَّلْتُـمْ بِـعَـيْـنٍ بَـصِيْـرَةٍ وَفِكْـرٍ مُنِيْـرٍ مُنْصِفٍ بَـاسِـمِ الثَّـغْـرِ
وَرَاجَعْتُـمُ التَّـارِيْخَ فِـيْ نَعْتِ أَحْمَـدٍ فَـإِنَّ رَسُوْلَ اللهِ كَالشَّـمْـسِ وَالْبَدْرِ[1]

لَقَدْ أَخَذَ اللهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى المِيْثَاقَ عَلَى الأَنْبِيَاءِ أَنْ يُؤْمِنُوا بِمُحَمَّدٍ ﷺ وَيَنْصُرُوهُ إِذَا بُعِثَ وَهُمْ أَحْيَاءٌ، وَأَنْ يُبَلِّغُوا أَقْوَامَهُمْ بِذَلِكَ؛ لِيُشِيعَ خَبَرُهُ بَيْنَ جَمِيعِ الأُمَمِ.

قَالَ اللهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿وَإِذْ أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَٰقَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ لَمَآ ءَاتَيْتُكُم مِّن كِتَٰبٍ وَحِكْمَةٍ ثُمَّ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مُّصَدِّقٌ لِّمَا مَعَكُمْ لَتُؤْمِنُنَّ بِهِۦ وَلَتَنصُرُنَّهُۥ ۚ قَالَ ءَأَقْرَرْتُمْ وَأَخَذْتُمْ عَلَىٰ ذَٰلِكُمْ إِصْرِى ۖ قَالُوٓا۟ أَقْرَرْنَا ۚ قَالَ فَٱشْهَدُوا۟ وَأَنَا۠ مَعَكُم مِّنَ ٱلشَّٰهِدِينَ ﴿٨١﴾﴾ [آلُ عِمْرَانَ: ٨١].

وَقَدْ وَرَدَتْ فِي كُلٍّ مِنَ التَّوْرَاةِ وَالإِنْجِيْلِ صِفَاتُ النَّبِيِّ ﷺ وَعَلامَاتُهُ.

قَالَ اللهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿ٱلَّذِينَ يَتَّبِعُونَ ٱلرَّسُولَ ٱلنَّبِىَّ ٱلْأُمِّىَّ ٱلَّذِى يَجِدُونَهُۥ مَكْتُوبًا عِندَهُمْ فِى ٱلتَّوْرَىٰةِ وَٱلْإِنجِيلِ يَأْمُرُهُم بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَىٰهُمْ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ ٱلْخَبَٰٓئِثَ وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَٱلْأَغْلَٰلَ ٱلَّتِى كَانَتْ

(١) «مَوْسُوعَةُ الشِّعْرِ الإِسْلَامِيِّ» (١٠٠٢/ ٢).

عَلَيْهِمْ ۚ فَالَّذِينَ ءَامَنُوا بِهِۦ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَاتَّبَعُوا النُّورَ الَّذِي أُنزِلَ مَعَهُۥٓ ۙ أُولَٰٓئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴿١٥٧﴾﴾ [الأَعْرَافُ: ١٥٧].

وَأَهْلُ الكِتَابِ يَعْرِفُونَ النَّبِيَّ ﷺ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَاءَهُمْ، لِأَنَّهُمْ تَلَقَّوا ذَلِكَ عَنْ كُتُبِهِمْ وَعَنْ أَنْبِيَائِهِمْ.

وَقَالَ اللهُ ﷻ: ﴿الَّذِينَ ءَاتَيْنَٰهُمُ الْكِتَٰبَ يَعْرِفُونَهُۥ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَآءَهُمْ ۖ﴾ [البَقَرَةُ: ١٤٦].

وَقَالَ اللهُ ﷻ: ﴿وَيَقُولُ الَّذِينَ كَفَرُوا لَسْتَ مُرْسَلًا ۚ قُلْ كَفَىٰ بِاللَّهِ شَهِيدًۢا بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ وَمَنْ عِندَهُۥ عِلْمُ الْكِتَٰبِ ﴿٤٣﴾﴾ [الرَّعْدُ: ١٤٦].

وَقَالَ اللهُ ﷻ: ﴿أَوَلَمْ يَكُن لَّهُمْ ءَايَةً أَن يَعْلَمَهُۥ عُلَمَٰٓؤُا بَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ﴿١٩٧﴾﴾ [الشُّعَرَاءِ: ١٩٧].

وَكَانَ آخِرُ مَنْ بَشَّرَ بِرَسُولِ اللهِ ﷺ عِيسَىٰ ابْنُ مَرْيَمَ -عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ-.

وَقَالَ اللهُ ﷻ: ﴿وَإِذْ قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ يَٰبَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُم مُّصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيَّ مِنَ التَّوْرَىٰةِ وَمُبَشِّرًۢا بِرَسُولٍ يَأْتِي مِنۢ بَعْدِي اسْمُهُۥٓ أَحْمَدُ ۖ فَلَمَّا جَآءَهُم بِالْبَيِّنَٰتِ قَالُوا هَٰذَا سِحْرٌ مُّبِينٌ ﴿٦﴾﴾ [الصَّفُّ: ٦].

فَالبِشَارَاتُ بِمُحَمَّدٍ ﷺ فِي الكُتُبِ السَّابِقَةِ مُبَيِّنَةٌ اسْمَهُ، وَصِفَاتِهِ البَدَنِيَّةَ وَالمَعْنَوِيَّةَ، وَنَسَبَهِ، وَمَكَانَ مَبْعَثِهِ، وَصِفَةَ أَصْحَابِهِ، وَصِفَةَ أَعْدَائِهِ عِنْدَ ظُهُورِهِ، وَانْطِبَاقُ تِلْكَ الأَوْصَافِ عَلَيْهِ، وَهِيَ أَوْصَافٌ وَبِشَارَاتٌ تَلَقَّاهَا أَهْلُ تِلْكَ الأَدْيَانِ نَقْلًا عَنْ رُهْبَانِهِمْ وَأَحْبَارِهِمْ وَكَهَنَتِهِمْ قَبْلَ وِلَادَةِ مُحَمَّدٍ ﷺ بِقُرُونٍ كَثِيْرَةٍ.

فَلَمَّا جَاءَهُمْ مَا عَرَفُوا جَحَدُوا ذَلِكَ وَكَفَرُوا، كَمَا ذَكَرَ اللهُ عَنْهُمْ.

قَالَ اللهُ ﷻ: ﴿وَلَمَّا جَآءَهُمْ كِتَٰبٌ مِّنْ عِندِ اللَّهِ مُصَدِّقٌ لِّمَا مَعَهُمْ وَكَانُوا مِن قَبْلُ يَسْتَفْتِحُونَ عَلَى الَّذِينَ كَفَرُوا فَلَمَّا جَآءَهُم مَّا عَرَفُوا كَفَرُوا بِهِۦ ۚ فَلَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الْكَٰفِرِينَ ﴿٨٩﴾﴾ [البَقَرَةُ: ٨٩].

وَمِمَّا جَاءَ فِي أَسْبَابِ نُزُولِ هَذِهِ الآيَةِ:

عَنْ قَتَادَةَ، عَنْ رِجَالٍ مِنْ قَوْمِهِ، قَالُوا: «إِنَّ مِمَّا دَعَانَا إِلَىٰ الْإِسْلَامِ، مَعَ رَحْمَةِ اللهِ تَعَالَىٰ وَهُدَاهُ لَنَا، لَمَا كُنَّا نَسْمَعُ مِنْ رِجَالِ يَهُودَ، كُنَّا أَهْلَ شِرْكٍ أَصْحَابَ أَوْثَانٍ، وَكَانُوا أَهْلَ كِتَابٍ، عِنْدَهُمْ عِلْمٌ لَيْسَ لَنَا، وَكَانَتْ لَا تَزَالُ بَيْنَنَا وَبَيْنَهُمْ شُرُورٌ، فَإِذَا نِلْنَا مِنْهُمْ بَعْضَ مَا يَكْرَهُونَ، قَالُوا لَنَا: إِنَّهُ قَدْ تَقَارَبَ زَمَانُ نَبِيٍّ يُبْعَثُ الْآنَ نَقْتُلُكُمْ مَعَهُ قَتْلَ عَادٍ وَإِرَمٍ، فَكُنَّا كَثِيرًا مَا نَسْمَعُ ذَلِكَ مِنْهُمْ، فَلَمَّا بَعَثَ اللهُ رَسُولَهُ ﷺ أَجَبْنَاه، حِينَ دَعَانَا إِلَىٰ اللهِ تَعَالَىٰ، وَعَرَفْنَا مَا كَانُوا يَتَوَعَّدُونَنَا بِهِ، فَبَادَرْنَاهُمْ إِلَيْهِ، فَآمَنَّا بِهِ، وَكَفَرُوا بِهِ، فَبَيْنَنَا وَبَيْنَهُمْ نَزَلَتْ هَذِهِ الآيَةُ: ﴿وَلَمَّا جَآءَهُمْ كِتَٰبٌ مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ مُصَدِّقٌ لِّمَا مَعَهُمْ وَكَانُوا۟ مِن قَبْلُ يَسْتَفْتِحُونَ عَلَى ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ فَلَمَّا جَآءَهُم مَّا عَرَفُوا۟ كَفَرُوا۟ بِهِۦ ۚ فَلَعْنَةُ ٱللَّهِ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٨٩﴾﴾ [البَقَرَة: ٨٩](١).

وَعَنْ سَلَمَةَ بْنِ سَلَامَةَ بْنِ وَقْشٍ - وَكَانَ سَلَمَةُ مِنْ أَهْلِ بَدْرٍ - قَالَ: كَانَ لَنَا جَارٌ يَهُودِيٌّ فِي بَنِي عَبْدِ الْأَشْهَلِ، فَخَرَجَ عَلَيْنَا يَوْمًا مِنْ بَيْتِهِ قَبْلَ مَبْعَثِ رَسُولِ اللهِ ﷺ بِيَسِيرٍ حَتَّىٰ وَقَفَ عَلَىٰ مَجْلِسِ بَنِي عَبْدِ الْأَشْهَلِ - قَالَ سَلَمَةُ: وَأَنَا يَوْمَئِذٍ أَحْدَثُ مَنْ فِيهِ سِنًّا، عَلَيَّ بُرْدَةٌ مُضْطَجِعًا فِيهَا بِفِنَاءِ أَهْلِي - فَذَكَرَ الْبَعْثَ وَالْقِيَامَةَ وَالْحِسَابَ وَالْمِيزَانَ وَالْجَنَّةَ وَالنَّارَ.

قَالَ: ذَلِكَ لِأَهْلِ شِرْكٍ أَصْحَابِ أَوْثَانٍ، لَا يَرَوْنَ أَنَّ بَعْثًا كَائِنًا بَعْدَ الْمَوْتِ، فَقَالُوا لَهُ: وَيْحَكَ يَا فُلَانُ، تَرَىٰ هَذَا كَائِنًا أَنَّ النَّاسَ يُبْعَثُونَ بَعْدَ مَوْتِهِمْ إِلَىٰ دَارٍ فِيهَا جَنَّةٌ وَنَارٌ، يُجْزَوْنَ فِيهَا بِأَعْمَالِهِمْ؟!.

---

(١) (حَسَنٌ) أَخْرَجَهُ ابْنُ إِسْحَاقَ فِي «السِّيْرَةِ» ابْن هِشَامٍ (١/ ٢٢٥)، وَصَحَّحَهُ الأَلْبَانِيُّ رَحِمَهُ اللهُ فِي «صَحِيحِ السِّيْرَةِ» (٥٧).

فَقَالَ: نَعَمْ وَالَّذِي يُحْلَفُ بِهِ، يَوَدُّ أَنَّ لَهُ بِحَظِّهِ مِنْ تِلْكَ النَّارِ أَعْظَمَ تَنُّورٍ فِي الدُّنْيَا يَحْمُونَهُ، ثُمَّ يُدْخِلُونَهُ إِيَّاهُ فَيُطَيِّنُونَهُ عَلَيْهِ، وَأَنْ يَنْجُوَ مِنْ تِلْكَ النَّارِ غَدًا، قَالُوا لَهُ: وَيْحَكَ وَمَا آيَةُ ذَلِكَ؟، قَالَ: نَبِيٌّ يُبْعَثُ مِنْ نَحْوِ هَذِهِ الْبِلَادِ، وَأَشَارَ بِيَدِهِ نَحْوَ مَكَّةَ وَالْيَمَنِ.

قَالُوا: وَمَتَىٰ تَرَاهُ؟، قَالَ: فَنَظَرَ إِلَيَّ وَأَنَا مِنْ أَحْدَثِهِمْ سِنًّا-: إِنْ يَسْتَنْفِذْ هَذَا الْغُلَامُ عُمْرَهُ يُدْرِكْهُ.

قَالَ سَلَمَةُ: فَوَاللهِ مَا ذَهَبَ اللَّيْلُ وَالنَّهَارُ حَتَّىٰ بَعَثَ اللهُ مُحَمَّدًا رَسُولَهُ ﷺ وَهُوَ حَيٌّ بَيْنَ أَظْهُرِنَا[١]، فَآمَنَّا بِهِ، وَكَفَرَ بَغْيًا وَحَسَدًا، فَقُلْنَا لَهُ: وَيْحَكَ -يَا فُلَانُ- أَلَسْتَ الَّذِي قُلْتَ لَنَا فِيهِ مَا قُلْتَ؟، قَالَ: بَلَىٰ، وَلَكِنَّهُ لَيْسَ بِهِ»[٢].

وَعَنْ عَاصِمُ بْنُ عُمَرَ بْنِ قَتَادَةَ عَنْ شَيْخٍ مِنْ بَنِي قُرَيْظَةَ قَالَ لِي: هَلْ تَدْرِي عَمَّ كَانَ إِسْلَامُ ثَعْلَبَةَ بْنِ سَعْيَةَ وَأَسِيدِ بْنِ سَعْيَةَ وَأَسَدِ بْنِ عُبَيْدٍ، نَفَرٍ مِنْ بَنِي هَدْلٍ، إِخْوَةِ بَنِي قُرَيْظَةَ، كَانُوا مَعَهُمْ فِي جَاهِلِيَّتِهِمْ ثُمَّ كَانُوا سَادَتَهُمْ فِي الْإِسْلَامِ.

قَالَ: قُلْتُ: لَا وَاللَّهِ؛ قَالَ: فَإِنَّ رَجُلًا مِنَ الْيَهُودِ مِنْ أَهْلِ الشَّامِ، يُقَالُ لَهُ: ابْنُ الْهَيَّبَانِ، قَدِمَ عَلَيْنَا قُبَيْلَ الْإِسْلَامِ بِسِنِيْنَ، فَحَلَّ بَيْنَ أَظْهُرِنَا، لَا وَاللَّهِ مَا رَأَيْنَا رَجُلًا -قَطْ- لَا يُصَلِّي الْخَمْسَ أَفْضَلَ مِنْه، فَأَقَامَ عِنْدَنَا فَكُنَّا إِذَا قَحِطَ عَنَّا الْمَطَرُ قُلْنَا لَهُ: اُخْرُجْ يَا ابْنَ الْهَيَّبَانِ فَاسْتَسْقِ لَنَا. فَيَقُولُ: لَا وَاللَّهِ حَتَّىٰ تُقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيْ مَخْرَجِكُمْ صَدَقَةً. فَنَقُولُ لَهُ: كَمْ؟، فَيَقُولُ: صَاعًا مِنْ تَمْرٍ: أَوْ مُدَّيْنِ مِنْ شَعِيرٍ.

قَالَ: فَنُخْرِجُهَا ثُمَّ يَخْرُجُ بِنَا إِلَىٰ ظَاهِرِ حَرَّتِنَا فَيَسْتَسْقِي اللهُ لَنَا. فَوَاللَّهِ مَا

(١) أَي: اليَهُودِيُّ الَّذِي أَخْبَرَهُمْ عَنِ البَعْثِ والحِسَابِ وَبِعْثَةِ النَّبِيِّ ﷺ.

(٢) (صَحِيْحٌ) أَخْرَجَهُ ابْنُ إِسْحَاقَ فِي «السِّيْرَةِ» ابْن هِشَامٍ (١/ ٢٢٦)، وَصَحَّحَهُ الأَلْبَانِيُّ رَحِمَهُ اللهُ فِي «صَحِيْحِ السِّيْرَةِ» (٥٩).

يَبْرَحُ مَجْلِسَهُ حَتَّىٰ يَمُرَّ السَّحَابُ وَنُسْقَىٰ، قَدْ فَعَلَ ذَٰلِكَ غَيْرَ مَرَّةٍ وَلَا مَرَّتَيْنِ وَلَا ثَلَاثٍ. قَالَ: ثُمَّ حَضَرَتْهُ الْوَفَاةُ عِنْدَنَا.

فَلَمَّا عَرَفَ أَنَّهُ مَيِّتٌ، قَالَ: يَا مَعْشَرَ يَهُودَ، مَا تَرَوْنَهُ أَخْرَجَنِي مِنْ أَرْضِ الْخَمْرِ وَالْخَمِيرِ إِلَىٰ أَرْضِ الْبُؤْسِ وَالْجُوعِ؟، قَالَ: قُلْنَا: إِنَّكَ أَعْلَمُ؛ قَالَ: فَإِنِّي إِنَّمَا قَدِمْتُ هَـٰذِه الْبَلْدَةَ أَتَوَكَّفُ -أَيْ أَنْتَظِر- خُرُوجَ نَبِيٍّ قَدْ أَظَلَّ زَمَانُهُ؛ وَهَذِهِ الْبَلْدَةُ مُهَاجَرُه، فَكُنْتُ أَرْجُو أَنْ يُبْعَثَ فَأَتَّبِعَه، وَقَدْ أَظَلَّكُمْ زَمَانُه، فَلَا تُسْبَقُنَّ إِلَيْهِ يَا مَعْشَرَ يَهُودَ، فَإِنَّهُ يُبْعَثُ بِسَفْكِ الدِّمَاءِ، وَسَبْيِ الذَّرَارِيِّ وَالنِّسَاءِ مِمَّنْ خَالَفَه، فَلَا يَمْنَعْكُمْ ذَٰلِكَ مِنْهُ.

فَلَمَّا بُعِثَ رَسُولُ اللهِ ﷺ وَحَاصَرَ بَنِي قُرَيْظَةَ، قَالَ هَـٰؤُلَاءِ الْفِتْيَة، وَكَانُوا شَبَابًا أَحْدَاثًا: يَا بَنِي قُرَيْظَةَ، وَاللَّهِ إِنَّهُ لِلنَّبِيِّ الَّذِي كَانَ عَهِدَ إِلَيْكُمْ فِيهِ ابْنُ الْهَيَّبَانِ؛ قَالُوا: لَيْسَ بِهِ، قَالُوا: بَلَىٰ وَاللَّهِ، إِنَّهُ لَهُوَ بِصِفَتِهِ، فَنَزَلُوا وَأَسْلَمُوا، وَأَحْرَزُوا دِمَاءَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ وَأَهْلِيهِمْ»[١].

قَالَ الشَّاعِرُ:

أَتَاكُمْ رَسُوْلُ اللهِ بِالنُّوْرِ وَالْهُدَىٰ ... وَأَنْذَرَ مَنْ يَعْصِيْهِ بِالْوَيْلِ فِي الْحَشْرِ
وَعَلَّمَكُمْ دَرْبَ النَّجَاةِ مُبَيِّنًا لِمَا ... جَاءَ فِي التَّنْزِيْلِ سَطْرًا عَلَىٰ سَطْرِ
ضَلَلْتُمْ وَحَرَّفْتُمْ كِتَابَ هِدَايَةٍ ... وَمِلْتُمْ وَأَسْرَعْتُمْ عِنَادًا إِلَىٰ الشَّرِّ
وَآمَنَ مِنْكُمْ بِالنَّبِيِّ أُولُوا النُّهَىٰ ... أَولُوا الْعَدْلِ وَالإِنْصَافِ وَالْفَهْمِ وَالْفِكْرِ
وَكَمْ شَهِدَتْ مِنْكُمْ رِجَالٌ بِنُبْلِهِ ... وَأَخْلَاقِهِ الْعَلْيَاءِ عَاطِرَةِ النَّشْرِ[٢]

---

(١) (صَحِيحٌ) أَخْرَجَهُ ابْنُ إِسْحَاقَ، انْظُرْ: «السِّيْرَةِ النَّبَوِيَّة» لابْنِ هِشَامٍ (١/ ٢٢٦-٢٢٨)، وَصَحَّحَهُ الأَلْبَانِيُّ رَحِمَهُ اللهُ فِي «صَحِيحِ السِّيْرَةِ» (٦٠).

(٢) «مَوْسُوعَةُ الشِّعْرِ الإِسْلَامِيِّ» (١-٢/ ١٠٠٢).

٢ـ قِصَّةُ عَبْدِ اللهِ بْنِ سَلَامٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ:

نُورٌ بَدَا فَأَبَانَ عَنْ فَلَقِ الْهُدَىٰ وَجَلَا الضَّلَالَةَ فِي سَنَىٰ بُرْهَانِهِ(١)

مَنْ مِنَّا يَجْهَلُ حَالَ اليَهُودِ وَعَدَاوَتَهُمُ الشَّدِيْدَةَ لِأُمَّةِ الإِسْلَامِ، وَنَبِيِّهَا مُحَمَّدٍ ﷺ.

قَالَ اللهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿ لَتَجِدَنَّ أَشَدَّ ٱلنَّاسِ عَدَٰوَةً لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱلْيَهُودَ وَٱلَّذِينَ أَشْرَكُوا۟ ﴾ [المَائِدَة: ٨٢].

وَلِشِدَّةِ عَدَاوَةِ اليَهُودِ وَحِقْدِهِمْ وَحَسَدِهِمْ لَمْ يُسْلِمْ مِنْهُمْ إِلَّا القَلِيْلُ، يُعَدُّونَ بِالأَصَابِعِ.

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**لَوْ آمَنَ بِي عَشَرَةٌ مِنَ الْيَهُودِ لَآمَنَ بِي الْيَهُودُ**»(٢).

وَفِي رِوَايَةٍ لِمُسْلِمٍ: «**لَوْ تَابَعَنِي عَشَرَةٌ مِنَ الْيَهُودِ لَمْ يَبْقَ عَلَىٰ ظَهْرِهَا يَهُودِيٌّ إِلَّا أَسْلَمَ**».

فَاليَهُودُ أَهْلُ عِنَادٍ وَمُكَابَرَةٍ، وَالنَّبِيُّ ﷺ يَقْصِدُ مَنْ حَوْلَهُ فِي المَدِيْنَةِ مِنْ رُؤَسَاءِ اليَهُودِ.

قَالَ الحَافِظُ ابْنُ حَجَرٍ رَحِمَهُ اللَّهُ: «وَالَّذِي يَظْهَرُ أَنَّهُمُ الَّذِينَ كَانُوا حِينَئِذٍ رُؤَسَاءَ فِي الْيَهُودِ وَمَنْ عَدَاهُمْ كَانَ تَبَعًا لَهُمْ، فَلَمْ يُسْلِمْ مِنْهُمْ إِلَّا الْقَلِيلُ كَعَبْدِ اللهِ بْنِ سَلَامٍ وَكَانَ مِنَ الْمَشْهُورِينَ بِالرِّيَاسَةِ فِي الْيَهُودِ عِنْدَ قُدُومِ النَّبِيِّ ﷺ»(٣).

وَهَا هُوَ -عَالِمُ اليَهُودِ وَسَيِّدُهُمْ يَشْهَدُ بِنُبُوَّةِ رَسُولِ اللهِ ﷺ.

---

(١) «دِيْوَانُ ابْنِ مَعْتُوقٍ» (٦).

(٢) رَوَاهُ البُخَارِيُّ (١/ ٣٩٤) ومُسْلِمٌ (٢٧٩٣).

(٣) «فَتْحُ البَارِي» (٧/ ٢٧٥).

عَـنْ زُرَارَةَ بْـنِ أَبِـي أَوْفَىٰ، عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ سَـلامٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ: لَمَّـا قَدِمَ النَّبِيُّ ﷺ الْمَدِينَـةَ انْجَفَلَ النَّاسُ قَبْلَهُ، وَقِيْلَ: قَدِ قَدِمَ رَسُـولُ اللهِ ﷺ (ثَلاثًا) فَجِئْتُ فِي النَّاسِ؛ لأَنْظُرَ؛ فَلَمَّا تَبَيَّنَ لِي وَجْهُهُ، عَرَفْتُ أَنَّهُ لَيْسَ بِوَجْهِ كَذَّابٍ»[١].

عَنْ أَنَسٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، قَالَ: سَـمِعَ عَبْدُ اللهِ بْنُ سَلاَمٍ، بِقُدُومِ رَسُولِ اللهِ ﷺ، فَأَتَىٰ النَّبِيَّ ﷺ فَقَالَ: «إِنِّي سَائِلُكَ عَنْ ثَلاَثٍ لاَ يَعْلَمُهُنَّ إِلَّا نَبِيٌّ:

فَمَا أَوَّلُ أَشْرَاطِ السَّاعَةِ؟.

وَمَا أَوَّلُ طَعَامِ أَهْلِ الجَنَّةِ؟.

وَمَا يَنْزِعُ الوَلَدُ إِلَىٰ أَبِيهِ أَوْ إِلَىٰ أُمِّهِ؟.

قَالَ: «**أَخْبَرَنِي بِهِنَّ جِبْرِيلُ آنِفًا**» قَالَ: جِبْرِيلُ؟: قَالَ: «**نَعَمْ**»، قَالَ: ذَاكَ عَدُوُّ اليَهُودِ مِنَ المَلاَئِكَةِ.

فَقَرَأَ هَذِهِ الآيَةَ: ﴿مَن كَانَ عَدُوًّا لِّجِبْرِيلَ فَإِنَّهُۥ نَزَّلَهُۥ عَلَىٰ قَلْبِكَ بِإِذْنِ ٱللَّهِ﴾

[البَقَرَةُ: ٩٧].

ثُمَّ قَالَ: «**أَمَّا أَوَّلُ أَشْرَاطِ السَّاعَةِ فَنَارٌ تَحْشُرُ النَّاسَ مِنَ المَشْرِقِ إِلَىٰ المَغْرِبِ.**

وَأَمَّا أَوَّلُ طَعَامٍ يَأْكُلُهُ أَهْلُ الجَنَّةِ فَزِيَادَةُ كَبِدِ حُوتٍ.

وَإِذَا سَبَقَ مَاءُ الرَّجُلِ مَاءَ المَرْأَةِ نَزَعَ الوَلَدَ، وَإِذَا سَبَقَ مَاءُ المَرْأَةِ نَزَعَتْ».

قَالَ: أَشْـهَدُ أَنْ لاَ إِلَهَ إِلَّا اللهُ، وَأَشْـهَدُ أَنَّكَ رَسُـولُ اللهِ، يَا رَسُـولَ اللهِ، إِنَّ اليَهُودَ قَوْمٌ بُهُتٌ[٢]، وَإِنَّهُمْ إِنْ يَعْلَمُوا بِإِسْلاَمِي قَبْلَ أَنْ تَسْأَلَهُمْ يَبْهَتُونِي.

---

(١) (صَحِيْحٌ) أَخْرَجَهُ التِّرْمِذِيُّ (٢٤٨٥)، وَصَحَّحَهُ الأَلْبَانِيُّ رَحِمَهُ اللهُ فِي «الصَّحِيْحَةِ» (٥٦٩).

(٢) بُـهْت - بِسُكُونِ الهَاءِ وَتُضَمُّ -: جَمْعُ بَهِيْتٍ، وهُوَ الَّذِي تَبهَت العُقُولُ لَهُ؛ بِمَا تَفْتَرِيْهِ مِنَ الكَذِبِ، أَيْ: كَذَّابُونَ مُمَارُونَ لاَ يَرْجِعُونَ إِلَىٰ الحَقِّ.

فَجَاءَتِ اليَهُودُ، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «**أَيُّ رَجُلٍ عَبْدُ اللهِ فِيكُمْ**».

قَالُوا: خَيْرُنَا وَابْنُ خَيْرِنَا، وَسَيِّدُنَا وَابْنُ سَيِّدِنَا.

قَالَ: «**أَرَأَيْتُمْ إِنْ أَسْلَمَ عَبْدُ اللهِ بْنُ سَلاَمٍ**»؟.

فَقَالُوا: أَعَاذَهُ اللهُ مِنْ ذَلِكَ.

فَخَرَجَ عَبْدُ اللهِ فَقَالَ: أَشْهَدُ أَنْ لاَ إِلَهَ إِلَّا اللهُ، وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللهِ، فَقَالُوا: شَرُّنَا وَابْنُ شَرِّنَا، وَانْتَقَصُوهُ.

قَالَ: فَهَذَا الَّذِي كُنْتُ أَخَافُ يَا رَسُولَ اللهِ»[1].

بُشْرَكَ يَا ابْنُ سَلامٍ بِالَّذِي ظَفَرْتَ ... بِهِ يَدَاكَ مِنَ الإِسْلاَمِ والشَّرَفِ
أَظْهَرْتَ مِنْ وَصَفِ خَيْرِ النَّاسِ قَاطِبَةً ... مَا كَانَ مُكتَتِبًا فِي بَاطِنِ الصُّحُفِ
وَلَمْ يَعْرِجْ عَلَىٰ قَوْلِ اليَهُودِ وَمَا ... مَالُوا إِلَيْهِ مِنَ الْهُتَانِ وَالجَنَفِ

أَرُومُ امْتِدَاحَ المُصْطَفَىٰ فَيَرُدُّنِي ... قُصُورِي عَنِ إِدْرَاكِ تِلْكَ المَنَاقِبِ
وَمَنْ لِي بِحَصْرِ البَحْرِ، وَالبَحْرُ زَاخِرٌ ... وَمَنْ لِي بِإِحْصَاءِ الحَصَىٰ وَالكَوَاكِبِ
وَلَوْ أَنَّ أَعْضائِي غَدَتْ أَلْسُنًا إِذًا ... لَمَا بَلغَتْ فِي المدْحِ بعْضَ مِآرِبِي
وَلَوْ أَنَّ كُلَّ العَالَمِيْنَ تَأَلَّفُوا[2] ... عَلَىٰ مَدْحِهِ، لمْ يبْلغُوُا بعْضَ وَاجِبِ
فأَمْسَكْتُ عنْهُ هَيبَةً وتأَدُّبًا ... وعَجْزًا وإعْظَامًا لأَرْفَعِ جَانِبِ
وَرُبَّ سُكُوتٍ كَانَ فِيْهِ بَلاغَةٌ ... وَرُبَّ كَلامٍ فِيْهِ عَتْبٌ لِعَاتِبِ[3]

(١) رَوَاهُ البُخَارِيُّ (٤٢١٠).
(٢) تَأَلَّفُوا أَيْ: اجْتَمَعُوا.
(٣) «نَفْحُ الطِّيْبِ مِنْ غُصْنِ الأَنْدَلُسِ الرَّطِيْبِ» (٥/ ٥١٦).

٣ـ قِصَّةُ سَلْمَانَ الفَارِسِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ:

لِلـهِ هِـمَّـتُـكَ الَّـتِـي رَجَعْـتْ بِهَـا ... هِمَـمُ المُلُـوكِ الصَّاعِـدَاتِ هُمُومًا [١]

تَأَمَّلْ إِلَىٰ قِصَّةِ سَلْمَانَ الفَارِسِيِّ مَلِيًّا، تَجِدْ عِظَةً وَبِشَارَةً، وَمَوْضِعُ الشَّاهِدِ مِنْهَا هِيَ بِشَارَةُ أَعْلَمِ أَهْلِ الكِتَابِ فِي زَمَانِهِ، إِذْ بَشَّرَ بِهِ سَلْمَانَ، وَدَلَّهُ عَلَىٰ مَكَانِهِ، وَذَكَرَ لَهُ عَلامَاتٍ قَادَتْ سَلْمَانَ إِلَىٰ تَصْدِيْقِهِ والإِيْمَانِ بِهِ، كَمَا جَاءَ فِي حَدِيْثِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ: حَدَّثَنِي سَلْمَانُ الْفَارِسِيّ، حَدِيْثَهُ مِنْ فِيْهِ:

قَالَ: كُنْتُ رَجُلًا فَارِسِيًّا مِنْ أَهْلِ أَصْبَهَانَ مِنْ قَرْيَةٍ مِنْهَا يُقَالُ لَهَا: جَيٌّ، وَكَانَ أَبِي دِهْقَانَ[٢] قَرْيَتِهِ، وَكُنْتُ أَحَبَّ خَلْقِ اللهِ إِلَيْهِ، فَلَمْ يَزَلْ بِهِ حُبُّهُ إِيَّايَ حَتَّىٰ حَبَسَنِي فِي بَيْتِهِ (أَيْ: مُلازَمَ النَّارِ) كَمَا تُحْبَسُ الْجَارِيَة، وَاجْتَهَدْتُ فِي الْمَجُوسِيَّةِ حَتَّىٰ كُنْتُ قَطَنَ النَّارِ[٣] الَّذِي يُوقِدُهَا، لاَ أَتْرُكُهَا تَخْبُو سَاعَةً. قَالَ: فَكَانَتْ لأَبِي ضَيْعَةٌ عَظِيمَةٌ، قَالَ: فَشُغِلَ فِي بُنْيَانٍ لَهُ يَوْمًا فَقَالَ لِي: يَا بُنَيَّ، إِنِّي قَدْ شُغِلْتُ فِي بُنْيَانِي هَذَا الْيَوْمَ عَنْ ضَيْعَتِي فَاذْهَبْ فَاطَّلِعْهَا، وَأَمَرَنِي فِيهَا بِبَعْضِ مَا يُرِيدُ.

فَخَرَجْتُ أُرِيدُ ضَيْعَتَه، فَمَرَرْتُ بِكَنِيسَةٍ مِنْ كَنَائِسِ النَّصَارَىٰ، فَسَمِعْتُ أَصْوَاتَهُمْ فِيهَا وَهُمْ يُصَلُّونَ، وَكُنْتُ لَا أَدْرِي مَا أَمْرُ النَّاسِ، لِحَبْسِ أَبِي إِيَّايَ فِي بَيْتِهِ، فَلَمَّا مَرَرْتُ بِهِمْ، وَسَمِعْتُ أَصْوَاتَهُمْ، دَخَلْتُ عَلَيْهِمْ أَنْظُرُ مَاذَا يَصْنَعُونَ، فَلَمَّا رَأَيْتُهُمْ أَعْجَبَتْنِي صَلَاتُهُمْ وَرَغِبْتُ فِي أَمْرِهِمْ، وَقُلْتُ: هَذَا وَاللهِ خَيْرٌ مِنَ الدِّينِ

---

(١) «التَّذْكِرَةُ الفَخْرِيَّة» (١٠٠).

(٢) الدِّهْقَان -بِالكَسْرِ وَالضَّمِّ- كَبِيْرُ القَرْيَةِ وَزَعِيمُهَا، العَارِفُ بِالفِلاحَةِ وَمَا يَصْلح بالأَرْضِ مِنَ الشَّجَرِ، وَيُلْجَأُ إِلَيْهِ فِي مَعْرِفَةِ ذَلِكَ.

(٣) قَطَنَ النَّارِ أَيْ: خَازِنُها وَخَادِمُهَا الَّذي يَخْدُمُهَا مِنْ أَنْ تُطْفَأَ لِتَعْظِيْمَهُمْ إِيَّاهَا.

الَّـذِي نَحْنُ عَلَيْهِ، فَوَاللهِ مَا تَرَكْتُهُمْ حَتَّىٰ غَرَبَتِ الشَّـمْس، وَتَرَكْتُ ضَيْعَةَ أَبِي وَلَمْ آتِهَا، فَقُلْتُ لَهُمْ: أَيْنَ أَصْلُ هَذَا الدِّينِ؟، قَالُوا: بِالشَّـامِ. قَالَ: ثُمَّ رَجَعْتُ إِلَىٰ أَبِي، وَقَـدْ بَعَثَ فِي طَلَبِي وَقَدْ شَـغَلْتُهُ عَـنْ عَمَلِهِ كُلِّهِ، قَالَ: فَلَمَّا جِئْتُـهُ قَالَ: أَيْ بُنَيَّ أَيْنَ كُنْتَ؟، أَلَمْ أَكُنْ عَهِدْتُ إِلَيْكَ مَا عَهِدْتُ؟!. قُلْتُ: يَا أَبَتِي مَرَرْتُ بِنَاسٍ يُصَلُّونَ فِي كَنِيسَةٍ لَهُمْ فَأَعجَبَنِي مَا رَأَيْتُ مِنْ دِينِهِمْ، فَوَاللهِ مَا زِلْتُ عِنْدَهُمْ حَتَّىٰ غَرَبَتِ الشَّمْسُ. قَالَ: أَيْ بُنَيَّ لَيْسَ فِي ذَلِكَ الدِّينِ خَيْرٌ، دِينُكَ وَدِينُ آبَائِكَ خَيْرٌ مِنْهُ قَالَ: قُلْتُ: كَلَّا -وَاللهِ- إِنَّهُ لَخَيْرٌ مِنْ دِينِنَا، قَالَ: فَخَافَنِي، فَجَعَلَ فِي رِجْلِي قَيْدًا، ثُمَّ حَبَسَنِي فِي بَيْتِهِ.

قَـالَ: وَبَعَثْـتُ إِلَىٰ النَّصَـارَىٰ، وَقُلْتُ لَهُـمْ: إِذَا قَدِمَ عَلَيْكُمْ رَكْبٌ مِنَ الشَّـامِ تُجَّـارٌ مِنَ النَّصَـارَىٰ، قَالَ: فَأَخْبَرُونِي بِهِمْ، فَقَدِمَ عَلَيْهِمْ رَكْبٌ مِنَ الشَّـامِ تُجَّارٌ مِنَ النَّصَارَىٰ، قَالَ: فَأَخْبَرُونِي بِهِمْ.

قَالَ: فَقُلْتُ: إِذَا قَضَوْا حَوَائِجَهُمْ، وَأَرَادُوا الرَّجْعَةَ إِلَىٰ بِلَادِهِمْ، فَآذِنُونِي بِهِمْ. قَالَ: فَلَمَّا أَرَادُوا الرَّجْعَةَ إِلَىٰ بِلَادِهِمْ أَخْبَرُونِي بِهِمْ، ثُمَّ خَرَجْتُ مَعَهُمْ حَتَّىٰ قَدِمْتُ الشَّامِ.

فَلَمَّا قَدِمْتُهَا قُلْتُ: مَنْ أَفْضَلُ أَهْلِ هَذَا الدِّينِ؟، قَالُوا: الْأَسْقُفُ[١] فِي الْكَنِيسَةِ. قَـالَ: فَجِئْتُـه، فَقُلْتُ: إِنِّي قَـدْ رَغِبْتُ فِي هَذَا الدِّيـنِ، وَأَحْبَبْتُ أَنْ أَكُـونَ مَعَكَ فِي كَنِيسَـتِكَ، أَخْدُمُكَ فِي كَنِيسَتِكَ وَأَتَعَلَّمُ مِنْكَ وَأُصَلِّي مَعَكَ. قَالَ: ادْخُلْ، فَدَخَلْتُ مَعَهُ. قَالَ: فَكَانَ رَجُلَ سَوْءٍ، يَأْمُرُهُمْ بِالصَّدَقَةِ وَيُرَغِّبُهُمْ فِيهَا، فَإِذَا جَمَعُوا مِنْهَا شَيْئًا اكْتَنَزَهُ لِنَفْسِـهِ وَلَمْ يُعْطِ الْمَسَـاكِينَ، حَتَّىٰ جَمَعَ سَـبْعَ قِلَالٍ[٢] مِنْ ذَهَـبٍ وَوَرِقٍ[٣].

---

(١) الْأَسْقُفّ -بِتَشْدِيْدِ الفَاء وَتَخْفِيْفَا-: عَالِم النَّصَارَىٰ الَّذِي يُقِيْمُ لَهُمْ أَمْرَ دِيْنَهُم.

(٢) قِلَال: جَمْعُ قُلَّةٍ، وَهِي إِنَاءٌ كَبِير لِلعَرَبِ كَالجَرَّة الكَبِيْرَة، وَسُمِّيَتْ قُلَّةً لأَنَّهَا تُقَلُّ بِاليَدِ(أَي تُحْمَلُ.

(٣) وَوَرِقٍ: الفِضَّة.

قَالَ: وَأَبْغَضْتُهُ بُغْضًا شَدِيدًا لِمَا رَأَيْتُهُ يَصْنَع، ثُمَّ مَاتَ فَاجْتَمَعَتْ إِلَيْهِ النَّصَارَىٰ لِيَدْفِنُوه، فَقُلْتُ لَهُمْ: إِنَّ هَذَا كَانَ رَجُلَ سُوءٍ، يَأْمُرُكُمْ بِالصَّدَقَةِ وَيُرَغِّبُكُمْ فِيهَا، فَإِذَا جَمَعْتُمْ لَهُ مِنْهَا أَشْيَاءَ جِئْتُمُوهُ بِهَا اكْتَنَزَهَا لِنَفْسِهِ، وَلَمْ يُعْطِ الْمَسَاكِينَ مِنْهَا شَيْئًا قَالُوا: وَمَا عِلْمُكَ بِذَلِكَ؟، قُلْتُ: أَنَا أَدُلُّكُمْ عَلَىٰ كَنْزِهِ قَالُوا: فَدَلَّنَا عَلَيْهِ قَالَ: فَأَرَيْتُهُمْ مَوْضِعَه، فَاسْتَخْرَجُوا مِنْهُ سَبْعَ قِلَالٍ مَمْلُوءَةٍ ذَهَبًا وَوَرِقًا، فَلَمَّا رَأَوْهَا قَالُوا: وَاللهِ لَا نَدْفِنُهُ أَبَدًا قَالَ: فَصَلَبُوه، ثُمَّ رَجَمُوهُ بِالْحِجَارَةِ، ثُمَّ جَاءُوا بِرَجُلٍ آخَرَ فَجَعَلُوهُ بِمَكَانِهِ.

قَالَ: يَقُولُ سَلْمَانُ: فَمَا رَأَيْتُ رَجُلًا لَا يُصَلِّي الْخَمْسَ أَرَىٰ أَنَّهُ أَفْضَلُ مِنْهُ، وَلَا أَزْهَدُ فِي الدُّنْيَا وَلَا أَرْغَبُ فِي الْآخِرَةِ، وَلَا أَدْأَبُ لَيْلًا وَنَهَارًا مِنْهُ.

قَالَ: فَأَحْبَبْتُهُ حُبًّا لَمْ أُحِبَّهُ مِنْ قَبْلِهِ، فَأَقَمْتُ مَعَهُ زَمَانًا، ثُمَّ حَضَرَتْهُ الْوَفَاة، فَقُلْتُ لَهُ: يَا فُلَان، إِنِّي كُنْتُ مَعَكَ، وَأَحْبَبْتُكَ حُبًّا لَمْ أُحِبَّهُ أَحَدًا قَبْلَكَ، وَقَدْ حَضَرَكَ مَا تَرَىٰ مِنْ أَمْرِ اللهِ، فَإِلَىٰ مَنْ تُوصِي بِي؟، وَمَا تَأْمُرُنِي؟.

قَالَ: أَيْ بُنَيَّ، وَاللهِ مَا أَعْلَمُ أَحَدًا الْيَوْمَ عَلَىٰ مَا كُنْتُ عَلَيْهِ، لَقَدْ هَلَكَ النَّاسُ وَبَدَّلُوا وَتَرَكُوا أَكْثَرَ مَا كَانُوا عَلَيْهِ إِلَّا رَجُلٌ بِالْمَوْصِلِ، وَهُوَ فُلَانٌ، فَهُوَ عَلَىٰ مَا كُنْتُ عَلَيْهِ فَالْحَقْ بِهِ.

قَالَ: فَلَمَّا مَاتَ وَغُيِّبَ، لَحِقْتُ بِصَاحِبِ الْمَوْصِلِ، فَقُلْتُ لَهُ: يَا فُلَان، إِنَّ فُلَانًا أَوْصَانِي عِنْدَ مَوْتِهِ أَنْ أَلْحَقَ بِكَ، وَأَخْبَرَنِي أَنَّكَ عَلَىٰ مِثْلِ أَمْرِهِ، قَالَ: أَقِمْ عِنْدِي فَأَقَمْتُ عِنْدَهُ فَوَجَدْتُهُ خَيْرَ رَجُلٍ، عَلَىٰ أَمْرِ صَاحِبِهِ، فَلَمْ يَلْبَثْ أَنْ مَاتَ، فَلَمَّا حَضَرَتْهُ الْوَفَاةُ قُلْتُ لَهُ: يَا فُلَان، إِنَّ فُلَانًا أَوْصَانِي إِلَيْكَ، وَقَدْ أَمَرَنِي بِاللُّحُوقِ بِكَ،

وَقَدْ حَضَرَكَ مِنْ أَمْرِ اللهِ مَا تَرَىٰ فَإِلَىٰ مَنْ تُوصِي بِي؟، وَمَا تَأْمُرُنِي؟

قَالَ: أَيْ بُنَيَّ، وَاللهِ مَا أَعْلَمُ رَجُلًا عَلَىٰ مِثْلِ مَا كُنَّا عَلَيْهِ إِلَّا رَجُلًا بِنَصِيبِينِ، وَهُوَ فُلَانٌ، فَالْحَقْ بِهِ، قَالَ: فَلَمَّا مَاتَ وَغُيِّبَ لَحِقْتُ بِصَاحِبِ نَصِيبِينَ، فَجِئْتُهُ فَأَخْبَرْتُهُ خَبَرِي، وَمَا أَمَرَنِي بِهِ صَاحِبِي قَالَ: أَقِمْ عِنْدِي، فَأَقَمْتُ عِنْدَه، فَوَجَدْتُهُ عَلَىٰ أَمْرِ صَاحِبَيْهِ، فَأَقَمْتُ مَعَ خَيْرِ رَجُلٍ، فَوَاللهِ مَا لَبِثَ أَنْ نَزَلَ بِهِ الْمَوْت، فَلَمَّا حَضَرَ قُلْتُ: يَا فُلَان، إِنَّ فُلَانًا كَانَ أَوْصَىٰ بِي إِلَىٰ فُلَانٍ، ثُمَّ أَوْصَىٰ بِي فُلَانٌ إِلَيْكَ، فَإِلَىٰ مَنْ تُوصِي بِي؟، وَمَا تَأْمُرُنِي؟، قَالَ: أَيْ بُنَيَّ، وَاللهِ مَا أَعْلَمُ أَحَدًا بَقِيَ عَلَىٰ أَمْرِنَا آمُرُكَ أَنْ تَأْتِيَهُ إِلَّا رَجُلًا بِعَمُّورِيَّةَ، فَإِنَّهُ عَلَىٰ مِثْلِ مَا نَحْنُ عَلَيْهِ، فَإِنْ أَحْبَبْت فَأْتِهِ، فَإِنَّهُ عَلَىٰ مِثْلِ أَمْرِنَا.

قَالَ: فَلَمَّا مَاتَ وَغُيِّبَ لَحِقْتُ بِصَاحِبِ عَمُّورِيَّةَ، فَأَخْبَرْتُهُ خَبَرِي، فَقَالَ: أَقِمْ عِنْدِي، فَأَقَمْتُ مَعَ رَجُلٍ عَلَىٰ أَمْرِ أَصْحَابِهِ وَهَدْيِهِمْ، وَاكْتَسَبْتُ حَتَّىٰ صَارَتْ لِي بُقَيْرَاتٌ وَغُنَيْمَةٌ. قَالَ: ثُمَّ نَزَلَ بِهِ أَمْرُ اللهِ عَزَّوَجَلَّ.

قَالَ: فَلَمَّا حَضَرَ قُلْتُ لَهُ: يَا فُلَان، إِنِّي كُنْتُ مَعَ فُلَانٍ وَإِنَّهُ أَوْصَىٰ بِي إِلَىٰ فُلَانٍ، وَأَوْصَىٰ إِلَىٰ فُلَانٍ وَأَوْصَىٰ إِلَىٰ فُلَانٍ إِلَىٰ فُلَانٍ وَأَوْصَانِي فُلَانٌ إِلَىٰ فُلَانٌ إِلَيْكَ، فَإِلَىٰ مَنْ تُوصِي بِي؟، وَمَا تَأْمُرُنِي؟، قَالَ: فَإِنَّنِي وَاللهِ مَا أَعْلَمُ أَحَدًا عَلَىٰ مَا كُنَّا عَلَيْهِ مِنَ النَّاسِ آمُرُكَ أَنْ تَأْتِيَه، وَلَكِنْ قَدْ أَظَلَّكَ زَمَانُ نَبِيٍّ هُوَ مَبْعُوثٌ بِدِينِ إِبْرَاهِيمَ يَخْرُجُ بِأَرْضِ الْعَرَبِ، مُهَاجَرُهُ إِلَىٰ أَرْضٍ بَيْنَ حَرَّتَيْنِ، بَيْنَهُمَا نَخْلٌ، بِهِ عَلَامَاتٌ لَا تَخْفَىٰ: يَأْكُلُ الْهَدِيَّةَ، وَلَا يَأْكُلُ الصَّدَقَةَ، بَيْنَ كَتِفَيْهِ خَاتَمُ النُّبُوَّةِ، فَإِنِ اسْتَطَعْتَ أَنْ تَلْحَقَ بِتِلْكَ الْبِلَادِ فَافْعَلْ.

قَالَ: ثُمَّ مَاتَ وَغُيِّبَ، فَمَكَثْتُ بِعَمُورِيَّةَ مَا شَاءَ اللهُ أَنْ أَمْكُثَ، ثُمَّ مَرَّ بِي نَفَرٌ مِنْ كَلْبٍ تُجَّارٌ، فَقُلْتُ لَهُمْ: تَحْمِلُونِي إِلَىٰ أَرْضِ الْعَرَبِ وَأُعْطِيكُمْ بُقَيْرَاتِي هَذِهِ وَغُنَيْمَتِي هَذَا؟، فَقَالُوا: نَعَمْ، فَأَعْطَيْتُمُوهَا فَحَمَلُونِي حَتَّىٰ إِذَا قَدِمُوا بِي وَادِي الْقُرَىٰ ظَلَمُونِي فَبَاعُونِي مِنْ رَجُلٍ مَنْ يُهُودَ، وَكُنْتُ عِنْدَهُ، وَرَأَيْتُ النَّخْلَ، وَرَجَوْتُ أَنْ يَكُونَ الْبَلَدَ الَّذِي وَصَفَ لِي صَاحِبِي وَلَمْ يَحِقُّ فِي نَفْسِي، فَبَيْنَا أَنَا عِنْدَهُ قَدِمَ عَلَيْهِ ابْنُ عَمٍّ لَهُ مِنَ الْمَدِينَةِ مِنْ بَنِي قُرَيْظَةَ، فَابْتَاعَنِي مِنْهُ فَحَمَلَنِي إِلَىٰ الْمَدِينَةِ، فَوَاللهِ مَا هُوَ إِلَّا أَنْ رَأَيْتُهَا فَعَرَفْتُهَا بِصِفَةِ صَاحِبِي، فَأَقَمْتُ بِهَا، وَبَعَثَ اللهُ رَسُولَهُ ﷺ فَأَقَامَ بِمَكَّةَ، لَا أَسْمَعُ لَهُ بِذِكْرٍ مَعَ مَا أَنَا فِيهِ مِنْ شُغْلِ الرِّقِّ[1]، ثُمَّ هَاجَرَ إِلَىٰ الْمَدِينَةِ، فَوَاللهِ إِنِّي لَفِي رَأْسِ عَذْقٍ[2] لِسَيِّدِي أَعْمَلُ فِيهِ بَعْضَ الْعَمَلِ، وَسَيِّدِي جَالِسٌ إِذْ أَقْبَلَ ابْنُ عَمٍّ لَهُ حَتَّىٰ وَقَفَ عَلَيْهِ، فَقَالَ: فُلَانٌ، قَاتَلَ اللهُ بَنِي قَيْلَةَ وَاللهِ إِنَّهُمُ الْآنَ مُجْتَمِعُونَ عَلَىٰ رَجُلٍ قَدِمَ مِنْ مَكَّةَ الْيَوْمَ يَزْعُمُ أَنَّهُ نَبِيٌّ.

قَالَ: فَلَمَّا سَمِعْتُهَا أَخَذَتْنِي الْعُرَوَاءُ[3]، حَتَّىٰ ظَنَنْتُ سَأَسْقُطُ عَلَىٰ سَيِّدِي. قَالَ: وَنَزَلْتُ عَنِ النَّخْلَةِ، وَجَعَلْتُ أَقُولُ لِابْنِ عَمِّهِ ذَلِكَ: مَاذَا تَقُولُ؟، مَاذَا تَقُولُ؟، فَغَضِبَ سَيِّدِي، فَلَكَمَنِي لَكْمَةً شَدِيدَةً، ثُمَّ قَالَ: مَا لَكَ وَلِهَذَا؟، أَقْبِلْ عَلَىٰ عَمَلِكَ. قَالَ: قُلْتُ: لَا شَيْءَ إِنَّمَا أَرَدْتُ أَنْ أَسْتَثْبِتَهُ عَمَّا قَالَ.

وَكَانَ عِنْدِي شَيْءٌ قَدْ جَمَعْتُه، فَلَمَّا أَمْسَيْتُ أَخَذْتُهُ ثُمَّ ذَهَبْتُ بِهِ إِلَىٰ رَسُولِ اللهِ ﷺ وَهُوَ بِقُبَاءَ، فَدَخَلْتُ عَلَيْهِ، فَقُلْتُ لَهُ: إِنَّهُ بَلَغَنِي أَنَّكَ رَجُلٌ صَالِحٌ وَمَعَكَ

---

(١) الرِّقّ - بِالكَسْرِ - العُبُودِيَّة.

(٢) العَذْق -بِفَتْحِ العَيْنِ - النَّخْلَةَ، وَالعِذْقُ - بِكَسْرِ العَيْنِ: عَنْقُودُ النَّخْلَةِ.

(٣) أَخَذَتْنِي الْعُرَوَاءُ أَيْ: أَصَابَتْنِي الرِّعْدَةُ.

أَصْحَابٌ لَكَ غُرَبَاءُ ذُو حَاجَةٍ، وَهَذَا شَيْءٌ كَانَ عِنْدِي لِلصَّدَقَةِ فَرَأَيْتُكُمْ أَحَقَّ بِهِ مِنْ غَيْرِكُمْ، فَقَرَّبْتُهُ إِلَيْهِ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ لِأَصْحَابِهِ: «**كُلُوا**». وَأَمْسَكَ يَدَهُ فَلَمْ يَأْكُلْ قَالَ: فَقُلْتُ فِي نَفْسِي: هَذِهِ وَاحِدَةٌ.

ثُمَّ انْصَرَفْت، عَنْهُ فَجَمَعْتُ شَيْئًا، وَتَحَوَّلَ رَسُولُ اللهِ ﷺ إِلَىٰ الْمَدِينَةِ، ثُمَّ جِئْتُه، فَقُلْتُ: إِنِّي رَأَيْتُكَ لَا تَأْكُلُ الصَّدَقَةَ، وَهَذِهِ هَدِيَّةٌ أَكْرَمْتُكَ بِهَا، قَالَ: فَأَكَلَ رَسُولُ اللهِ ﷺ مِنْهَا، وَأَمَرَ أَصْحَابَهُ فَأَكَلُوا مَعَهُ. قَالَ: فَقُلْتُ فِي نَفْسِي: هَذِهِ اثْنَتَانِ.

قَالَ: ثُمَّ جِئْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ وَهُوَ بِبَقِيعِ الْغَرْقَدِ وَقَدْ تَبِعَ جِنَازَةً مِنْ أَصْحَابِهِ، عَلَيْهِ شَمْلَتَانِ لَه، وَهُوَ جَالِسٌ فِي أَصْحَابِهِ، فَسَلَّمْتُ عَلَيْهِ، ثُمَّ اسْتَدَرْتُ أَنْظُرُ إِلَىٰ ظَهْرِهِ هَلْ أَرَىٰ الْخَاتَمَ الَّذِي وَصَفَ لِي صَاحِبِي، فَلَمَّا رَآنِي رَسُولُ اللهِ ﷺ اسْتَدْبَرْتُهُ عَرَفَ أَنِّي أَسْتَثْبِتُ فِي شَيْءٍ قَدْ وُصِفَ لِي. قَالَ: فَأَلْقَىٰ رِدَاءَهُ عَنْ ظَهْرِهِ، فَنَظَرْتُ إِلَىٰ الْخَاتَمِ وَعَرَفْتُه، فَانْكَبَبْتُ عَلَيْهِ أُقَبِّلُهُ وَأَبْكِي، فَقَالَ لِي رَسُولُ اللهِ ﷺ: «تَحَوَّلْ». فَتَحَوَّلْت، فَقَصَصْتُ عَلَيْهِ حَدِيثِي - كَمَا حَدَّثْتُكَ يَا ابْنَ عَبَّاسٍ - فَأَعْجَبَ رَسُولَ اللهِ ﷺ أَنْ يَسْمَعَ ذَلِكَ أَصْحَابُه، ثُمَّ شَغَلَ سَلْمَانَ الرِّقُّ حَتَّىٰ فَاتَهُ مَعَ رَسُولِ اللهِ ﷺ بَدْرٌ وَأُحُدٌ.

قَالَ: ثُمَّ قَالَ لِي رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**كَاتِبْ يَا سَلْمَانُ**».

فَكَاتَبْتُ صَاحِبِي عَلَىٰ ثَلَاثِ مِائَةِ نَخْلَةٍ أُحْيِيهَا لَهُ بِالْفَقِيرِ[1]، وَبِأَرْبَعِينَ أُوقِيَّةً.

فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ لِأَصْحَابِهِ: «**أَعِينُوا أَخَاكُمْ**».

فَأَعَانُونِي بِالنَّخْلِ، الرَّجُلُ بِثَلَاثِينَ وَدِيَّةً، وَالرَّجُلُ بِعِشْرِينَ وَدِيَّةً، وَالرَّجُلُ بِخَمْسَ عَشْرَةَ وَدِيَّةً، وَالرَّجُلُ بِعَشْرٍ، يُعِينُ الرَّجُلُ بِقَدْرِ مَا عِنْدَه، حَتَّىٰ إِذَا اجْتَمَعَتْ

(١) الْفَقِيْر أَيْ: بِالحَفْرِ وَبِالغَرْسِ.

إِلَيَّ ثَلَاثُمِائَةِ وَدِيَّةٍ قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**اذْهَبْ يَا سَلْمَانُ فَعَقِّرْ لَهَا**(١)، **فَإِذَا فَرَغْتَ فَائْتِنِي فَأَكُونَ أَنَا أَضَعُهَا بِيَدِي**».

قَالَ: فَعَقَّرْتُ لَهَا وَأَعَانَنِي أَصْحَابِي حَتَّى إِذَا فَرَغْتُ مِنْهَا جِئْتُهُ فَأَخْبَرْتُهُ، فَخَرَجَ رَسُولُ اللهِ ﷺ مَعِي إِلَيْهَا، فَجَعَلْنَا نُقَرِّبُ إِلَيْهِ الْوَدِيَّ(٢)، وَيَضَعُهُ رَسُولُ اللهِ ﷺ بِيَدِهِ، فَوَالَّذِي نَفْسُ سَلْمَانَ بِيَدِهِ مَا مَاتَ مِنْهَا وَدِيَّةٌ وَاحِدَةٌ، فَأَدَّيْتُ النَّخْلَ وَبَقِيَ عَلَيَّ الْمَالُ، فَأُتِيَ رَسُولُ اللهِ ﷺ بِمِثْلِ بَيْضَةِ دَجَاجَةٍ مِنْ ذَهَبٍ مِنْ بَعْضِ الْمَعَادِنِ، فَقَالَ: «**مَا فَعَلَ الْفَارِسِيُّ الْمُكَاتَبُ؟**». قَالَ: فَدُعِيتُ لَه، فَقَالَ: «**خُذْ هَذِهِ فَأَدِّ بِهَا مَا عَلَيْكَ يَا سَلْمَانُ**».

قَالَ: قُلْتُ: وَأَيْنَ تَقَعُ هَذِهِ يَا رَسُولَ اللهِ مِمَّا عَلَيَّ؟، قَالَ: «**خُذْهَا**» **فَإِنَّ اللهَ سَيُؤَدِّي بِهَا عَنْكَ**».

قَالَ: فَأَخَذْتُهَا، فَوَزَنْتُ لَهُمْ مِنْهَا وَالَّذِي نَفْسُ سَلْمَانَ بِيَدِهِ أَرْبَعِينَ أُوقِيَّةً، فَأَوْفَيْتُهُمْ حَقَّهُمْ وَعَتَقْت، فَشَهِدْتُ مَعَ رَسُولِ اللهِ ﷺ الْخَنْدَقَ، ثُمَّ لَمْ يَفُتْنِي مَعَهُ مَشْهَدٌ(٣).

قَالَ أَخُونَا عُمَرُ بنُ صُبَيْحٍ - حَفِظَهُ اللهُ -:

مِن (فارسٍ) طلبَ الهُدَىٰ سلمانُ ... **فغدَا بجِدٍّ إنه الإيمانُ**
لَوْ كَانَ ذلك فِي الثُّرَيَّا عالقًا ... **لسَما إِلَيْهِ وَنَالَهُ سلمانُ**
رَغْمَ المتاعِبِ ظلَّ يَسْعَىٰ جاهدًا ... **يَهْفُو بشوقٍ حبَّذَا ذا العنوانُ**
سلمانُ قَدْ قطعَ الفِيافِي رغبةً ... **فِي دينِ أحْمَدَ أيُّها الإخوانُ**

---

(١) فَعَقِّرْ لَهَا أَيْ: احْفِرْ لَهَا.

(٢) الوَدِيُّ: فِرَاخُ النَّخْلِ الصِّغَار، وَاحِدَتُهَا وَدِيَّةٌ.

(٣) (حَسَنٌ) أَخْرَجَهُ الإِمَامُ أَحْمَدُ (٥/ ٣٥٤)، وَحَسَّنَهُ شَيْخُنَا الوَادِعِيُّ رَحِمَهُ اللهُ فِي «الجَامِعِ صَحِيحِ» (٢٥١٩). وَحَسَّنَهُ الأَلْبَانِيُّ رَحِمَهُ اللهُ فِي «الصَّحِيحَةِ» (٨٩٤).

ولـكـم تـنـقَّـلَ باحثًا عَنْ نـوره | فِـي رِحلـةٍ دَوَّتْ بِـها الأزمـانُ
حتَّىٰ رأىٰ وجـه الهدىٰ فاسْتَبْشَـرتْ | عـينـاهُ بـل وتحـرَّر الإنـسـانُ

٤ـ قِصَّةُ هِرَقْلَ مَلِكِ الرُّوْمِ(١):

شَـهِـدَتْ مِـنْ تَـارِيْخِـهِ قِصَّـة | رَوَائِـعُ التَّـمْـثِيْلِ فِيْهَا ضُرُوبُ(٢)

عَنِ ابْنَ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا، قَالَ: «إِنَّ أَبَا سُفْيَانَ بْنَ حَرْبٍ أَخْبَرَهُ أَنَّ هِرَقْلَ أَرْسَلَ إِلَيْهِ فِي رَكْبٍ مِنْ قُرَيْشٍ وَكَانُوا تُجَّارًا بِالشَّأْمِ فِي الْمُدَّةِ(٢) الَّتِي كَانَ رَسُولُ اللهِ ﷺ مَادَّ فِيهَا أَبَا سُفْيَانَ وَكُفَّارَ قُرَيْشٍ، فَأَتَوْهُ وَهُمْ بِإِيلِيَاءَ فَدَعَاهُمْ فِي مَجْلِسِهِ، وَحَوْلَهُ عُظَمَاءُ الرُّومِ ثُمَّ دَعَاهُمْ وَدَعَا بِتَرْجُمَانِهِ فَقَالَ أَيُّكُمْ أَقْرَبُ نَسَبًا بِهَذَا الرَّجُلِ الَّذِي يَزْعُمُ أَنَّهُ نَبِيٌّ فَقَالَ أَبُو سُفْيَانَ: فَقُلْتُ أَنَا أَقْرَبُهُمْ نَسَبًا.

فَقَالَ: أَدْنُوهُ مِنِّي، وَقَرِّبُوا أَصْحَابَهُ، فَاجْعَلُوهُمْ عِنْدَ ظَهْرِهِ(٣). ثُمَّ قَالَ لِتَرْجُمَانِهِ قُلْ لَهُمْ: إِنِّي سَائِلٌ هَذَا عَنْ هَذَا الرَّجُلِ، فَإِنْ كَذَبَنِي فَكَذِّبُوهُ.

فَوَاللهِ لَوْلاَ الْحَيَاءُ مِنْ أَنْ يَأْثِرُوا عَلَيَّ كَذِبًا لَكَذَبْتُ عَنْهُ، ثُمَّ كَانَ أَوَّلَ مَا سَأَلَنِي عَنْهُ أَنْ قَالَ كَيْفَ نَسَبُهُ فِيكُمْ قُلْتُ هُوَ فِينَا ذُو نَسَبٍ.

قَالَ: فَهَلْ قَالَ هَذَا الْقَوْلَ مِنْكُمْ أَحَدٌ قَطُّ قَبْلَهُ قُلْتُ لاَ.

قَالَ: فَهَلْ كَانَ مِنْ آبَائِهِ مِنْ مَلِكٍ قُلْتُ لاَ.

---

(١) «مَوْسُوعَةُ الشِّعْرِ الإسْلاَمِيِّ» (٤٣/ ٢٧١).

(٢) فِي الْمُدَّةِ: يَعنِي مُدَّةَ الصُّلْحِ بِالحُدَيْبِيَةِ، وَكَانَتِ الحُدَيْبِيَةُ فِي أَوَاخِرِ سَنَةِ سِتٍّ مِنَ الهِجْرَةِ، وَكَانَتْ مُدَّتُهَا عَشَرَ سِنِيْنَ.

(٣) أَيْ: لِئَلاَّ يَسْتَحِيُوا أَنْ يُوَاجِهُوهُ بِالتَّكْذِيبِ إِنْ كَذَبَ.

قَالَ: فَأَشْرَافُ النَّاسِ يَتَّبِعُونَهُ أَمْ ضُعَفَاؤُهُمْ فَقُلْتُ بَلْ ضُعَفَاؤُهُمْ.

قَالَ: أَيَزِيدُونَ أَمْ يَنْقُصُونَ قُلْتُ: بَلْ يَزِيدُونَ. قَالَ: فَهَلْ يَرْتَدُّ أَحَدٌ مِنْهُمْ سَخْطَةً لِدِينِهِ بَعْدَ أَنْ يَدْخُلَ فِيهِ قُلْتُ: لاَ.

قَالَ: فَهَلْ كُنْتُمْ تَتَّهِمُونَهُ بِالْكَذِبِ قَبْلَ أَنْ يَقُولَ مَا قَالَ، قُلْتُ: لاَ.

قَالَ: فَهَلْ يَغْدِرُ قُلْتُ لاَ، وَنَحْنُ مِنْهُ فِي مُدَّةٍ لاَ نَدْرِي مَا هُوَ فَاعِلٌ فِيهَا. قَالَ: وَلَمْ تُمْكِنِّي كَلِمَةٌ أُدْخِلُ فِيهَا شَيْئًا غَيْرُ هَذِهِ الْكَلِمَةِ.

قَالَ: فَهَلْ قَاتَلْتُمُوهُ قُلْتُ نَعَمْ.

قَالَ: فَكَيْفَ كَانَ قِتَالُكُمْ إِيَّاهُ قُلْتُ: الْحَرْبُ بَيْنَنَا وَبَيْنَهُ سِجَالٌ[1]، يَنَالُ مِنَّا وَنَنَالُ مِنْهُ.

قَالَ: مَاذَا يَأْمُرُكُمْ قُلْتُ يَقُولُ اعْبُدُوا اللهَ وَحْدَهُ، وَلاَ تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا، وَاتْرُكُوا مَا يَقُولُ آبَاؤُكُمْ، وَيَأْمُرُنَا بِالصَّلاَةِ وَالصِّدْقِ وَالْعَفَافِ وَالصِّلَةِ.

فَقَالَ لِلتَّرْجُمَانِ: قُلْ لَهُ سَأَلْتُكَ عَنْ نَسَبِهِ، فَذَكَرْتَ أَنَّهُ فِيكُمْ ذُو نَسَبٍ، فَكَذَلِكَ الرُّسُلُ تُبْعَثُ فِي نَسَبِ قَوْمِهَا.

وَسَأَلْتُكَ هَلْ قَالَ أَحَدٌ مِنْكُمْ هَذَا الْقَوْلَ فَذَكَرْتَ أَنْ لاَ، فَقُلْتُ لَوْ كَانَ أَحَدٌ قَالَ هَذَا الْقَوْلَ قَبْلَهُ لَقُلْتُ رَجُلٌ يَأْتَسِي بِقَوْلٍ قِيلَ قَبْلَهُ.

وَسَأَلْتُكَ هَلْ كَانَ مِنْ آبَائِهِ مِنْ مَلِكٍ فَذَكَرْتَ أَنْ لاَ، قُلْتُ فَلَوْ كَانَ مِنْ آبَائِهِ مِنْ مَلِكٍ قُلْتُ رَجُلٌ يَطْلُبُ مُلْكَ أَبِيهِ.

وَسَأَلْتُكَ هَلْ كُنْتُمْ تَتَّهِمُونَهُ بِالْكَذِبِ قَبْلَ أَنْ يَقُولَ مَا قَالَ فَذَكَرْتَ أَنْ لاَ، فَقَدْ

---

(١) سِجَال أَيْ: نَوبٌ نَوْبَةٌ لَنَا، وَنَوْبَةٌ لَه، وَأَصْلُهُ: أَنَّ الْمُسْتَقِيَيْنِ بِالسّجْلِ(وَهِي الدَّلْوُ المَلأَىٰ) يَكُونَ لِكُلِّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا سَجْلٌ.

أَعْرِفُ أَنَّهُ لَمْ يَكُنْ لِيَذَرَ الْكَذِبَ عَلَىٰ النَّاسِ وَيَكْذِبَ عَلَىٰ اللهِ.

وَسَأَلْتُكَ أَشْرَافُ النَّاسِ اتَّبَعُوهُ أَمْ ضُعَفَاؤُهُمْ فَذَكَرْتَ أَنَّ ضُعَفَاءَهُمُ اتَّبَعُوهُ، وَهُمْ أَتْبَاعُ الرُّسُلِ.

وَسَأَلْتُكَ أَيَزِيدُونَ أَمْ يَنْقُصُونَ فَذَكَرْتَ أَنَّهُمْ يَزِيدُونَ، وَكَذَلِكَ أَمْرُ الإِيمَانِ حَتَّىٰ يَتِمَّ.

وَسَأَلْتُكَ أَيَرْتَدُّ أَحَدٌ سَخْطَةً لِدِينِهِ بَعْدَ أَنْ يَدْخُلَ فِيهِ فَذَكَرْتَ أَنْ لاَ، وَكَذَلِكَ الإِيمَانُ حِينَ تُخَالِطُ بَشَاشَتُهُ الْقُلُوبَ.

وَسَأَلْتُكَ هَلْ يَغْدِرُ فَذَكَرْتَ أَنْ لاَ، وَكَذَلِكَ الرُّسُلُ لاَ تَغْدِرُ.

وَسَأَلْتُكَ بِمَا يَأْمُرُكُمْ، فَذَكَرْتَ أَنَّهُ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تَعْبُدُوا اللهَ، وَلاَ تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا، وَيَنْهَاكُمْ عَنْ عِبَادَةِ الأَوْثَانِ، وَيَأْمُرُكُمْ بِالصَّلاَةِ وَالصِّدْقِ وَالْعَفَافِ.

فَإِنْ كَانَ مَا تَقُولُ حَقًّا فَسَيَمْلِكُ مَوْضِعَ قَدَمَيَّ هَاتَيْنِ، وَقَدْ كُنْتُ أَعْلَمُ أَنَّهُ خَارِجٌ، لَمْ أَكُنْ أَظُنُّ أَنَّهُ مِنْكُمْ، فَلَوْ أَنِّي أَعْلَمُ أَنِّي أَخْلُصُ[١] إِلَيْهِ لَتَجَشَّمْتُ لِقَاءَهُ[٢]، وَلَوْ كُنْتُ عِنْدَهُ لَغَسَلْتُ عَنْ قَدَمِهِ.

ثُمَّ دَعَا بِكِتَابِ رَسُولِ اللهِ ﷺ الَّذِي بَعَثَ بِهِ دِحْيَةُ إِلَىٰ عَظِيمِ بُصْرَىٰ[٣]، فَدَفَعَهُ إِلَىٰ هِرَقْلَ فَقَرَأَهُ فَإِذَا فِيهِ بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ. مِنْ مُحَمَّدٍ عَبْدِ اللهِ وَرَسُولِهِ إِلَىٰ هِرَقْلَ عَظِيمِ الرُّومِ. سَلاَمٌ عَلَىٰ مَنِ اتَّبَعَ الْهُدَىٰ، أَمَّا بَعْدُ فَإِنِّي أَدْعُوكَ بِدِعَايَةِ الإِسْلاَمِ، أَسْلِمْ تَسْلَمْ، يُؤْتِكَ اللهُ أَجْرَكَ مَرَّتَيْنِ، فَإِنْ تَوَلَّيْتَ فَإِنَّ عَلَيْكَ إِثْمَ

---

(١) أَخْلُص أَيْ: أَحِيْلُ.

(٢) لَتَجَشَّمْتُ لِقَاءَهُ أَيْ: تَكَلَّفْتُ الوُصُولَ إِلَيْهِ.

(٣) عَظِيمِ بُصْرَىٰ أَيْ: أَمِيْرهَا.

الأَرِيسِيِّينَ[١]، وَ﴿ قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ تَعَالَوْاْ إِلَىٰ كَلِمَةٍ سَوَآءِۭ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا ٱللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِۦ شَيْـًٔا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِۚ فَإِن تَوَلَّوْاْ فَقُولُواْ ٱشْهَدُواْ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ ﴿٦٤﴾ ﴾ [آلُ عِمْرَان: ٦٤].

قَالَ أَبُو سُفْيَانَ: فَلَمَّا قَالَ مَا قَالَ، وَفَرَغَ مِنْ قِرَاءَةِ الْكِتَابِ كَثُرَ عِنْدَهُ الصَّخَبُ[٢]، وَارْتَفَعَتِ الأَصْوَاتُ وَأُخْرِجْنَا، فَقُلْتُ لأَصْحَابِي حِينَ أُخْرِجْنَا لَقَدْ أَمِرَ[٣] أَمْرُ ابْنِ أَبِي كَبْشَةَ[٤]، إِنَّهُ يَخَافُهُ مَلِكُ بَنِي الأَصْفَرِ[٥]. فَمَا زِلْتُ مُوقِنًا أَنَّهُ سَيَظْهَرُ حَتَّىٰ أَدْخَلَ اللهُ عَلَيَّ الإِسْلاَمَ.

وَكَانَ ابْنُ النَّاطُورِ صَاحِبُ إِيلِيَاءَ[٦] وَهِرَقْلَ سُقُفًّا[٧] عَلَىٰ نَصَارَىٰ الشَّأْمِ، يُحَدِّثُ أَنَّ هِرَقْلَ حِينَ قَدِمَ إِيلِيَاءَ أَصْبَحَ يَوْمًا خَبِيثَ النَّفْسِ[٨]، فَقَالَ بَعْضُ بَطَارِقَتِهِ[٩]:

---

(١) الأَرِيسِيِّينَ: اخْتَلَفَ فِي الْمُرَادِ بِهِ هُنَا: وَالصَّحِيْحُ المَشْهُورُ: أَنَّهُمُ الأَكَّارُونَ (أَيِ الْفَلاَّحُونَ وَالزَّرَّاعُونَ)، وَمَعْنَاهُ: أَنَّ عَلَيْكَ إِثْمَ رَعَايَاكَ الَّذِينَ يَتْبَعُونَكَ وَيَنْقَادُونَ بِانْقِيَادِكَ، وَنَبَّهَ بِهَؤُلَاءِ عَلَىٰ جَمِيعِ الرَّعَايَا لِأَنَّهُمُ الْأَغْلَب، وَلِأَنَّهُمْ أَسْرَعُ انْقِيَادًا.

(٢) الصَّخَبَ- بِالتَّحْرِيْكِ -الصَّوْتُ المُخْتَلَطُ المُرْتَفِعُ.

(٣) أَمِرَ - بِكَسْرِ المَيْمِ - عَظُمَ.

(٤) ابْنِ أَبِي كَبْشَةَ: أَرَادَ بِهِ النَّبِيَّ ﷺ؛ لَأَنَّ أَبَا كَبْشَةَ أَحَدُ أَجْدَادِهِ، وَعَادَةُ العَرَبِ إِذَا انْتَقَصَتْ نُسِبْ إِلَىٰ جَدٍّ غَامِضٍ. وَ قِيْلَ: هُوَ رَجُلٌ مِنْ خُزَاعَةَ كَانَ يَعْبُدُ الشِّعْرَىٰ، وَلَمْ يُوَافِقْهُ أَحَدٌ مِنَ الْعَرَبِ فِي عِبَادَتِهَا فَشَبَّهُوا النَّبِيَّ ﷺ بِهِ لِمُخَالَفَتِهِ إِيَّاهُمْ فِي دِينِهِمْ كَمَا خَالَفَهُمْ أَبُو كَبْشَةَ.

(٥) بَنِي الأَصْفَرِ: هُمُ الرُّومِ.

(٦) إِيلِيَاءَ: بَيْتُ المَقْدِسِ.

(٧) السُقُفُّ: الرَّئِيْس الدِّيْنِي عِنْدَ النَّصَارَىٰ.

(٨) خَبِيثَ النَّفْسِ أَيْ: مَهْمُومًا.

(٩) بَطَارِقَةٌ: رِجَالُ الكَنِيْسَةِ، وَاحِدَهُمْ بِطْرِيْقٌ.

قَدِ اسْتَنْكَرْنَا هَيْئَتَكَ. قَالَ ابْنُ النَّاطُورِ: وَكَانَ هِرَقْلُ حَزَّاءً(١) يَنْظُرُ فِي النُّجُومِ، فَقَالَ لَهُمْ حِينَ سَأَلُوهُ إِنِّي رَأَيْتُ اللَّيْلَةَ حِينَ نَظَرْتُ فِي النُّجُومِ مَلِكَ الْخِتَانِ قَدْ ظَهَرَ(٢)، فَمَنْ يَخْتَتِنُ مِنْ هَذِهِ الأُمَّةِ قَالُوا: لَيْسَ يَخْتَتِنُ إِلاَّ الْيَهُودُ فَلاَ يُهِمَّنَّكَ شَأْنُهُمْ وَاكْتُبْ إِلَىٰ مَدَايِنِ مُلْكِكَ، فَيَقْتُلُوا مَنْ فِيهِمْ مِنَ الْيَهُودِ. فَبَيْنَمَا هُمْ عَلَىٰ أَمْرِهِمْ أُتِيَ هِرَقْلُ بِرَجُلٍ أَرْسَلَ بِهِ مَلِكُ غَسَّانَ(٣)، يُخْبِرُ عَنْ خَبَرِ رَسُولِ اللهِ ﷺ فَلَمَّا اسْتَخْبَرَهُ هِرَقْلُ قَالَ: اذْهَبُوا فَانْظُرُوا أَمُخْتَتِنٌ هُوَ أَمْ لاَ. فَنَظَرُوا إِلَيْهِ، فَحَدَّثُوهُ أَنَّهُ مُخْتَتِنٌ، وَسَأَلَهُ عَنِ الْعَرَبِ فَقَالَ هُمْ يَخْتَتِنُونَ.

فَقَالَ هِرَقْلُ: هَذَا مَلِكُ هَذِهِ الأُمَّةِ قَدْ ظَهَرَ. ثُمَّ كَتَبَ هِرَقْلُ إِلَىٰ صَاحِبٍ لَهُ بِرُومِيَةَ، وَكَانَ نَظِيرَهُ فِي الْعِلْمِ، وَسَارَ هِرَقْلُ إِلَىٰ حِمْصَ، فَلَمْ يَرِمْ حِمْصَ(٤) حَتَّىٰ أَتَاهُ كِتَابٌ مِنْ صَاحِبِهِ يُوَافِقُ رَأْيَ هِرَقْلَ عَلَىٰ خُرُوجِ النَّبِيِّ ﷺ وَأَنَّهُ نَبِيٌّ، فَأَذِنَ هِرَقْلُ لِعُظَمَاءِ الرُّومِ فِي دَسْكَرَةٍ(٥) لَهُ بِحِمْصَ ثُمَّ أَمَرَ بِأَبْوَابِهَا فَغُلِّقَتْ، ثُمَّ اطَّلَعَ فَقَالَ: يَا مَعْشَرَ الرُّومِ، هَلْ لَكُمْ فِي الْفَلاَحِ وَالرُّشْدِ وَأَنْ يَثْبُتَ مُلْكُكُمْ فَتُبَايِعُوا هَذَا النَّبِيَّ، فَحَاصُوا(٦) حَيْصَةَ حُمُرِ الْوَحْشِ(٧) إِلَىٰ الأَبْوَابِ، فَوَجَدُوهَا قَدْ غُلِّقَتْ.

---

(١) حَزَّاءً أَيْ: كَاهِنًا.

(٢) ظَهَرَ أَيْ: غَلَبَ.

(٣) مَلِكُ غَسَّانَ: هُوَ صَاحِبُ بُصْرَىٰ.

(٤) لَمْ يَرِمْ حِمْصَ أَيْ: لَمْ يُغَادِرْهَا.

(٥) الدَّسْكَرَة -بِفَتْحٍ فَسُكُونٍ- القَصْرُ الَّذِي حَوْلَهُ بُيُوتٌ.

(٦) فَحَاصُوا أَيْ: نَفَرُوا.

(٧) حُمُرِ الْوَحْشِ: شبَّهَهُمْ بِالوُحُوشِ؛ لأَنَّ نَفْرَتَهَا أَشَدُّ مِنْ نَفْرَةِ البَهَائِمِ الإِنْسِيَّةِ. وَشَبَّهَهُمْ بِالحُمُرِ دُونَ غَيْرِهَا مِنَ الوُحُوشِ لِمُنَاسَبَةِ الجَهْلِ وَعَدَمِ الفِطْنَةِ، بَلْ هُمْ أَضَلُّ.

فَلَمَّا رَأَىٰ هِرَقْلُ نَفْرَتَهُمْ، وَأَيِسَ مِنَ الإِيمَانِ قَالَ: رُدُّوهُمْ عَلَيَّ.

وَقَالَ: إِنِّي قُلْتُ مَقَالَتِي آنِفًا(١) أَخْتَبِرُ بِهَا شِدَّتَكُمْ عَلَىٰ دِينِكُمْ، فَقَدْ رَأَيْتُ. فَسَجَدُوا لَهُ وَرَضُوا عَنْهُ، فَكَانَ ذَلِكَ آخِرَ شَأْنِ هِرَقْلَ(٢).

٥ـ قِصَّةُ أَصْحَمَةَ مَلِكِ الحَبَشَةِ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ:

مَلِكٌ مُقسِطٌ وأَفضَلُ مَن يمـ ـشِي وَمِن دُونَ مَا لَدَيهِ الثَّنَاءُ(٣)

عَنْ أُمِّ سَلَمَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهَا ابْنَةِ أَبِي أُمَيَّةَ بْنِ الْمُغِيرَةِ زَوْجِ النَّبِيِّ ﷺ، قَالَتْ: «لَمَّا نَزَلْنَا أَرْضَ الْحَبَشَةِ جَاوَرْنَا بِهَا خَيْرَ جَارٍ، النَّجَاشِيَّ، أَمِنَّا عَلَىٰ دِينِنَا، وَعَبَدْنَا اللهَ لَا نُؤْذَىٰ وَلَا نَسْمَعُ شَيْئًا نَكْرَهُهُ، فَلَمَّا بَلَغَ ذَلِكَ قُرَيْشًا، ائْتَمَرُوا أَنْ يَبْعَثُوا إِلَىٰ النَّجَاشِيِّ فِينَا رَجُلَيْنِ جَلْدَيْنِ(٤)، وَأَنْ يُهْدُوا لِلنَّجَاشِيِّ هَدَايَا مِمَّا يُسْتَطْرَفُ مِنْ مَتَاعِ مَكَّةَ، وَكَانَ مِنْ أَعْجَبِ مَا يَأْتِيهِ مِنْهَا إِلَيْهِ الْأَدَمُ(٥)، فَجَمَعُوا لَهُ أَدَمًا كَثِيرًا، وَلَمْ يَتْرُكُوا مِنْ بَطَارِقَتِهِ بِطْرِيقًا إِلَّا أَهْدَوْا لَهُ هَدِيَّةً، ثُمَّ بَعَثُوا بِذَلِكَ مَعَ عَبْدِ اللهِ عَبْدِ بْنِ رَبِيعَةَ ابْنِ الْمُغِيرَةِ الْمَخْزُومِيِّ، وَعَمْرِو بْنِ الْعَاصِ بْنِ وَائِلٍ السَّهْمِيِّ، وَأَمَرُوهُمَا أَمْرَهُمْ، وَقَالُوا لَهُمَا: ادْفَعَا إِلَىٰ كُلِّ بِطْرِيقٍ هَدِيَّتَهُ قَبْلَ أَنْ تُكَلِّمُوا النَّجَاشِيَّ فِيهِمْ، ثُمَّ قَدِّمُوا لِلنَّجَاشِيِّ هَدَايَاه، ثُمَّ سَلُوهُ أَنْ يُسْلِمَهُمْ إِلَيْكُمْ قَبْلَ أَنْ يُكَلِّمَهُمْ.

(١) آنِفًا أَيْ: قَرِيْبًا.

(٢) رَوَاهُ البُخَارِيُّ (٣٥٣٥)، وَمُسْلِمٌ (٢٢٨٦).

(٣) «شَرْحُ المُعَلَّقَاتِ» للزَّوْزَنِيِّ (٢٧٧)، وَالمُقْسِطُ: العَادِل.ومَعْنَىٰ: (**وَمِن دُونَ مَا لَدَيهِ الثَّنَاءُ**) مِنَّا عَلَيْهِ أَقَلُّ مِمَّا فِيْهِ، وَعِنْدَهُ مِنَ الخَيْرِ وَالمَعْرُوفِ أَكْثَرُ مِمَّا نَصِفُ وَنُثْنِي.

(٤) جَلْدَيْنِ أَيْ: شَدِيْدَيْنِ قوتيَّيْنِ.

(٥) الأَدَمُ -بِالتَّحْرِيْكِ: الجَلدُ المَدْبُوغ.

قَالَتْ: فَخَرَجَا، فَقَدِمَا عَلَىٰ النَّجَاشِيِّ، وَنَحْنُ عِنْدَهُ بِخَيْرِ دَارٍ، وَعِنْدَ خَيْرِ جَارٍ، فَلَمْ يَبْقَ مِنْ بَطَارِقَتِهِ بِطْرِيقٌ إِلَّا دَفَعَا إِلَيْهِ هَدِيَّتَهُ قَبْلَ أَنْ يُكَلِّمَا النَّجَاشِيَّ، ثُمَّ قَالَا: لِكُلِّ بِطْرِيقٍ مِنْهُمْ إِنَّهُ قَدْ صَبَا إِلَىٰ بَلَدِ الْمَلِكِ مِنَّا غِلْمَانٌ سُفَهَاء، فَارَقُوا دِينَ قَوْمِهِمْ، وَلَمْ يَدْخُلُوا فِي دِينِكُمْ، وَجَاءُوا بِدِينٍ مُبْتَدَعٍ لَا نَعْرِفُهُ نَحْنُ وَلَا أَنْتُمْ، وَقَدْ بَعَثَنَا إِلَىٰ الْمَلِكِ فِيهِمْ أَشْرَافُ قَوْمِهِمْ لِنَرُدَّهُمْ إِلَيْهِمْ، فَإِذَا كَلَّمْنَا الْمَلِكَ فِيهِمْ، فَتُشِيرُوا عَلَيْهِ بِأَنْ يُسْلِمَهُمْ إِلَيْنَا، وَلَا يُكَلِّمَهُمْ، فَإِنَّ قَوْمَهُمْ أَعْلَىٰ بِهِمْ عَيْنًا، وَأَعْلَمُ بِمَا عَابُوا عَلَيْهِمْ، فَقَالُوا لَهُمَا: نَعَمْ، ثُمَّ إِنَّهُمَا قَرَّبَا هَدَايَاهُمْ إِلَىٰ النَّجَاشِيِّ فَقَبِلَهَا مِنْهُمَا، ثُمَّ كَلَّمَاهُ فَقَالَا لَهُ: أَيُّهَا الْمَلِكُ، إِنَّهُ قَدْ صَبَا إِلَىٰ بَلَدِكَ مِنَّا غِلْمَانٌ سُفَهَاء، فَارَقُوا دِينَ قَوْمِهِمْ، وَلَمْ يَدْخُلُوا فِي دِينِكَ، وَجَاءُوا بِدِينٍ مُبْتَدَعٍ لَا نَعْرِفُهُ نَحْنُ، وَلَا أَنْتَ، وَقَدْ بَعَثَنَا إِلَيْكَ فِيهِمْ أَشْرَافُ قَوْمِهِمْ مِنْ آبَائِهِمْ، وَأَعْمَامِهِمْ، وَعَشَائِرِهِمْ، لِتَرُدَّهُمْ إِلَيْهِمْ، فَهُمْ أَعْلَىٰ بِهِمْ عَيْنًا، وَأَعْلَمُ بِمَا عَابُوا عَلَيْهِمْ، وَعَاتَبُوهُمْ فِيهِ.

قَالَتْ: وَلَمْ يَكُنْ شَيْءٌ أَبْغَضَ إِلَىٰ عَبْدِ اللهِ بْنِ أَبِي رَبِيعَةَ، وَعَمْرِو بْنِ الْعَاصِ، مِنْ أَنْ يَسْمَعَ النَّجَاشِيُّ كَلَامَهُمْ، فَقَالَتْ بَطَارِقَتُهُ حَوْلَهُ: صَدَقُوا أَيُّهَا الْمَلِك، قَوْمُهُمْ أَعْلَىٰ بِهِمْ عَيْنًا، وَأَعْلَمُ بِمَا عَابُوا عَلَيْهِمْ، فَأَسْلِمْهُمْ إِلَيْهِمَا، فَلْيَرُدَّاهُمْ إِلَىٰ بِلَادِهِمْ وَقَوْمِهِمْ، قَالَتْ: فَغَضِبَ النَّجَاشِيّ، ثُمَّ قَالَ: لَا هَا اللهِ(١) ايْمُ اللهِ(٢) -إِذًا- لَا أُسْلِمُهُمْ إِلَيْهِمَا، وَلَا أُكَادُ قَوْمًا جَاوَرُونِي، وَنَزَلُوا بِلَادِي، وَاخْتَارُونِي عَلَىٰ مَنْ

(١) لاَ هَا اللهِ أَيْ: لَا وَاللهِ، اسْتُغْنِي عَنْ وَاوَ الْقَسَمِ بِحَرْفِ التَّنْبِيهِ، وَلَا يَكُونُ ذَلِكَ إِلاَّ مَعَ اللهِ.

(٢) ايْمُ اللهِ: كَانُوا يَحْلِفُونَ بِأَيْمُنِ اللهِ، فَيَقُولُونَ يَمِينُ اللهِ لاَ أَفْعَلُ، ثُمَّ جَمَعُوا الْيَمِينَ عَلَىٰ أَيْمُنٍ، ثُمَّ حَلَفُوا بِهِ، فَقَالُوا: أَيْمَنُ اللهِ لأَفْعَلَنَّ كَذَا، ثُمَّ كَثُرَ فِي كَلَامِهِمْ وَخَفَّ عَلَىٰ أَلْسِنَتِهِمْ حَتَّىٰ حَذَفُوا مِنْهُ النُّونَ، فَقَالُوا: أَيْمُ اللهِ، وَأَلِفُهُ أَلِفُ وَصْلٍ عِنْدَ أَكْثَرِ النَّحْوِيِّين.

سِوَايَ، حَتَّىٰ أَدْعُوَهُمْ فَأَسْأَلَهُمْ مَاذَا يَقُولُ هَذَانِ فِي أَمْرِهِمْ، فَإِنْ كَانُوا كَمَا يَقُولَانِ، أَسْلَمْتُهُمْ إِلَيْهِمَا وَرَدَدْتُهُمْ إِلَىٰ قَوْمِهِمْ، وَإِنْ كَانُوا عَلَىٰ غَيْرِ ذَلِكَ، مَنَعْتُهُمْ مِنْهُمَا، وَأَحْسَنْتُ جِوَارَهُمْ مَا جَاوَرُونِي.

قَالَتْ: ثُمَّ أَرْسَلَ إِلَىٰ أَصْحَابِ رَسُولِ اللهِ ﷺ فَدَعَاهُمْ، فَلَمَّا جَاءَهُمْ رَسُولُهُ اجْتَمَعُوا، ثُمَّ قَالَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ: مَا تَقُولُونَ لِلرَّجُلِ إِذَا جِئْتُمُوهُ؟، قَالُوا: نَقُولُ وَاللهِ مَا عَلَّمَنَا، وَمَا أَمَرَنَا بِهِ نَبِيُّنَا ﷺ، كَائِنٌ فِي ذَلِكَ مَا هُوَ كَائِنٌ فَلَمَّا جَاءُوهُ وَقَدْ دَعَا النَّجَاشِيُّ أَسَاقِفَتَهُ، فَنَشَرُوا مَصَاحِفَهُمْ حَوْلَه، سَأَلَهُمْ فَقَالَ: مَا هَذَا الدِّينُ الَّذِي فَارَقْتُمْ فِيهِ قَوْمَكُمْ، وَلَمْ تَدْخُلُوا فِي دِينِي، وَلَا فِي دِينِ أَحَدٍ مِنْ هَذِهِ الْأُمَمِ؟

قَالَتْ: فَكَانَ الَّذِي كَلَّمَهُ جَعْفَرُ بْنُ أَبِي طَالِبٍ، فَقَالَ لَهُ: أَيُّهَا الْمَلِك، كُنَّا قَوْمًا أَهْلَ جَاهِلِيَّةٍ، نَعْبُدُ الْأَصْنَامَ، وَنَأْكُلُ الْمَيْتَةَ، وَنَأْتِي الْفَوَاحِشَ، وَنَقْطَعُ الْأَرْحَامَ، وَنُسِيءُ الْجِوَارَ، يَأْكُلُ الْقَوِيُّ مِنَّا الضَّعِيفَ، فَكُنَّا عَلَىٰ ذَلِكَ حَتَّى بَعَثَ اللهُ إِلَيْنَا رَسُولًا مِنَّا نَعْرِفُ نَسَبَهُ وَصِدْقَهُ وَأَمَانَتَهُ وَعَفَافَه، فَدَعَانَا إِلَىٰ اللهِ لِنُوَحِّدَهُ وَنَعْبُدَه، وَنَخْلَعَ مَا كُنَّا نَعْبُدُ وَآبَاؤُنَا مِنْ دُونِهِ مِنَ الْحِجَارَةِ وَالْأَوْثَانِ، وَأَمَرَنَا بِصِدْقِ الْحَدِيثِ، وَأَدَاءِ الْأَمَانَةِ وَصِلَةِ الرَّحِمِ وَحُسْنِ الْجِوَارِ وَالْكَفِّ عَنِ الْمَحَارِمِ وَالدِّمَاءِ، وَنَهَانَا عَنِ الْفَوَاحِشِ، وَقَوْلِ الزُّورِ وَأَكْلِ مَالَ الْيَتِيمِ وَقَذْفِ الْمُحْصَنَةِ، وَأَمَرَنَا أَنْ نَعْبُدَ اللهَ وَحْدَهُ لَا نُشْرِكُ بِهِ شَيْئًا، وَأَمَرَنَا بِالصَّلَاةِ وَالزَّكَاةِ وَالصِّيَامِ.

قَالَتْ: فَعَدَّدَ عَلَيْهِ أُمُورَ الْإِسْلَامِ، فَصَدَّقْنَاهُ وَآمَنَّا بِهِ وَاتَّبَعْنَاهُ عَلَىٰ مَا جَاءَ بِهِ، فَعَبَدْنَا اللهَ وَحْدَهُ فَلَمْ نُشْرِكْ بِهِ شَيْئًا، وَحَرَّمْنَا مَا حَرَّمَ عَلَيْنَا وَأَحْلَلْنَا مَا أَحَلَّ لَنَا، فَعَدَا عَلَيْنَا قَوْمُنَا فَعَذَّبُونَا وَفَتَنُونَا عَنْ دِينِنَا لِيَرُدُّونَا إِلَىٰ عِبَادَةِ الْأَوْثَانِ مِنْ عِبَادَةِ اللهِ،

وَأَنْ نَسْتَحِلَّ مَا كُنَّا نَسْتَحِلُّ مِنَ الْخَبَائِثِ، فَلَمَّا قَهَرُونَا وَظَلَمُونَا وَشَقُّوا عَلَيْنَا وَحَالُوا بَيْنَنَا وَبَيْنَ دِينِنَا، خَرَجْنَا إِلَىٰ بَلَدِكَ وَاخْتَرْنَاكَ عَلَىٰ مَنْ سِوَاكَ وَرَغِبْنَا فِي جِوَارِكَ، وَرَجَوْنَا أَنْ لَا نُظْلَمَ عِنْدَكَ أَيُّهَا الْمَلِك، قَالَتْ: فَقَالَ لَهُ النَّجَاشِيُّ: هَلْ مَعَكَ مِمَّا جَاءَ بِهِ عَنِ اللهِ مِنْ شَيْءٍ؟، قَالَتْ: فَقَالَ لَهُ جَعْفَرٌ: نَعَمْ، فَقَالَ لَهُ النَّجَاشِيُّ: فَاقْرَأْهُ عَلَيَّ، فَقَرَأَ عَلَيْهِ صَدْرًا مِنْ ﴿كٓهيعٓصٓ ۝١﴾ [مَرْيَم: ١].

قَالَتْ: فَبَكَىٰ -وَاللهِ- النَّجَاشِيّ، حَتَّىٰ أَخْضَلَ لِحْيَتَهُ[١]، وَبَكَتْ أَسَاقِفَتُهُ حَتَّىٰ أَخْضَلُوا مَصَاحِفَهُمْ[٢] حِينَ سَمِعُوا مَا تَلاَ عَلَيْهِمْ، ثُمَّ قَالَ النَّجَاشِيُّ: إِنَّ هَذَا وَاللهِ وَالَّذِي جَاءَ بِهِ مُوسَىٰ لَيَخْرُجُ مِنْ مِشْكَاةٍ[٣] وَاحِدَةٍ، انْطَلِقَا فَوَاللهِ لاَ أُسْلِمُهُمْ إِلَيْكُمْ أَبَدًا، وَلَا أُكَادُ.

قَالَتْ أُمُّ سَلَمَةَ: فَلَمَّا خَرَجَا مِنْ عِنْدِهِ، قَالَ عَمْرُو بْنُ الْعَاصِ: وَاللهِ لَأُنَبِّئَنَّهُ غَدًا عَيْبَهُمْ عِنْدَه، ثُمَّ أَسْتَأْصِلُ بِهِ خَضْرَاءَهُمْ[٤]، قَالَتْ: فَقَالَ لَهُ عَبْدُ اللهِ بْنُ أَبِي رَبِيعَةَ، وَكَانَ أَتْقَىٰ الرَّجُلَيْنِ فِينَا، لَا تَفْعَلْ، فَإِنَّ لَهُمْ أَرْحَامًا، وَإِنْ كَانُوا قَدْ خَالَفُونَا، قَالَ: وَاللهِ لَأُخْبِرَنَّهُ أَنَّهُمْ يَزْعُمُونَ أَنَّ عِيسَىٰ ابْنَ مَرْيَمَ عَبْدٌ، قَالَتْ: ثُمَّ غَدَا عَلَيْهِ الْغَدَ، فَقَالَ لَهُ: أَيُّهَا الْمَلِكُ إِنَّهُمْ يَقُولُونَ فِي عِيسَىٰ ابْنِ مَرْيَمَ قَوْلًا عَظِيمًا، فَأَرْسِلْ إِلَيْهِمْ فَاسْأَلْهُمْ عَمَّا يَقُولُونَ فِيهِ.

---

(١) أَخْضَلَ لِحْيَتَهُ: أَبَلَّهَا بِالدُّمُوعِ.

(٢) مَصَاحِفَهُمْ: أَنَاجِيْلَهُمْ.

(٣) المِشْكَاة -الكَسْر- الكُوَّة الَّتِي لَيْسَتْ بِنَافِذَةٍ، وَهِيَ مَحَطُّ المَصَابِيح غَالِبًا، وَالمُرَادُ: أَنَّ القُرْآنَ وَالإِنْجِيْلَ مِنْ مَصْدَرٍ وَاحِدٍ، وَهُوَ الوَحْيِ الإِلَهِيُّ.

(٤) خَضْرَاءَهُمْ أَيْ: سَوَادُهُمْ وَمُعْظَمِهُمْ.

قَالَتْ: فَأَرْسَلَ إِلَيْهِمْ يَسْأَلُهُمْ عَنْهُ، قَالَتْ: وَلَمْ يَنْزِلْ بِنَا مِثْلُهَا، فَاجْتَمَعَ الْقَوْمُ، فَقَالَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ: مَاذَا تَقُولُونَ فِي عِيسَىٰ إِذَا سَأَلَكُمْ عَنْهُ؟، قَالُوا: نَقُولُ وَاللهِ فِيهِ مَا قَالَ اللهُ وَمَا جَاءَ بِهِ نَبِيُّنَا، كَائِنًا فِي ذَلِكَ مَا هُوَ كَائِنٌ، فَلَمَّا دَخَلُوا عَلَيْهِ، قَالَ لَهُمْ: مَا تَقُولُونَ فِي عِيسَىٰ ابْنِ مَرْيَمَ؟، فَقَالَ لَهُ جَعْفَرُ ابْنُ أَبِي طَالِبٍ: نَقُولُ فِيهِ الَّذِي جَاءَ بِهِ نَبِيُّنَا هُوَ عَبْدُ اللهِ، وَرَسُولُهُ، وَرُوحُهُ، وَكَلِمَتُهُ، أَلْقَاهَا إِلَىٰ مَرْيَمَ الْعَذْرَاءِ الْبَتُولِ(١).

قَالَتْ: فَضَرَبَ النَّجَاشِيُّ يَدَهُ إِلَىٰ الْأَرْضِ، فَأَخَذَ مِنْهَا عُودًا، ثُمَّ قَالَ: مَا عَدَا عِيسَىٰ ابْنُ مَرْيَمَ، مَا قُلْتَ هَذَا الْعُودَ، فَتَنَاخَرَتْ بَطَارِقَتُهُ(٢) حَوْلَهُ حِينَ قَالَ مَا قَالَ، فَقَالَ: وَإِنْ نَخَرْتُمْ وَاللهِ، اذْهَبُوا فَأَنْتُمْ سُيُومٌ بِأَرْضِي، وَالسُّيُومُ: الْآمِنُونَ مَنْ سَبَّكُمْ غُرِّمَ، ثُمَّ مَنْ سَبَّكُمْ غُرِّمَ، فَمَا أُحِبُّ أَنَّ لِي دَبْرًا ذَهَبًا، وَأَنِّي آذَيْتُ رَجُلًا مِنْكُمْ، وَالدَّبْرُ بِلِسَانِ الْحَبَشَةِ: الْجَبَل، رُدُّوا عَلَيْهِمَا هَدَايَاهُمَا، فَلَا حَاجَةَ لَنَا بِهَا، فَوَاللهِ مَا أَخَذَ اللهُ مِنِّي الرِّشْوَةَ حِينَ رَدَّ عَلَيَّ مُلْكِي فَآخُذَ الرِّشْوَةَ فِيهِ، وَمَا أَطَاعَ النَّاسَ فِيَّ فَأُطِيعَهُمْ فِيهِ، قَالَتْ: فَخَرَجَا مِنْ عِنْدِهِ مَقْبُوحَيْنِ مَرْدُودًا عَلَيْهِمَا مَا جَاءَا بِهِ، وَأَقَمْنَا عِنْدَهُ بِخَيْرِ دَارٍ مَعَ خَيْرِ جَارٍ.

قَالَتْ: فَوَاللهِ إِنَّا عَلَىٰ ذَلِكَ إِذْ نَزَلَ بِهِ، يَعْنِي مَنْ يُنَازِعُهُ فِي مُلْكِهِ، قَالَ: فَوَاللهِ مَا عَلِمْنَا حُزْنًا قَطُّ كَانَ أَشَدَّ مِنْ حُزْنٍ حزِنَّاهُ عِنْدَ ذَلِكَ، تَخَوُّفًا أَنْ يَظْهَرَ ذَلِكَ عَلَىٰ النَّجَاشِيِّ، فَيَأْتِيَ رَجُلٌ لَا يَعْرِفُ مِنْ حَقِّنَا مَا كَانَ النَّجَاشِيُّ يَعْرِفُ مِنْهُ.

قَالَتْ: وَسَارَ النَّجَاشِيُّ وَبَيْنَهُمَا عُرْضُ النِّيلِ، قَالَتْ: فَقَالَ أَصْحَابُ رَسُولِ

---

(١) أَصْلُ البَتْلُ: القَطْع،وَسُمِّيَتِ البَتُولَ؛ لانْقِطَاعِهَا عَنْ نِسَاءِ زَمَانِهَا فَضْلاًوَدِينًا وَحَسَبًا، وَقِيْلَ: لانْقِطَاعِهَا عَنِ الدُّنْيَا إِلَىٰ اللهِ -تَعَالَىٰ-. وَقِيْلَ: المُنْقَطِعَة عَنِ الرِّجَالِ، لاَ شَهْوَةَ لَهَا فِيهِمْ.

(٢) فَتَنَاخَرَتْ بَطَارِقَتُهُ أَيء: تَكَلَّمَتْ، وَكَأَنَّهُ كَلَامٌ مَعَ غَضَبٍ وَنَفُورٍ.

اللهِ ﷺ: مَنْ رَجُلٌ يَخْرُجُ حَتَّىٰ يَحْضُرَ وَقْعَةَ الْقَوْمِ، ثُمَّ يَأْتِيَنَا بِالْخَبَرِ؟

قَالَتْ: فَقَالَ الزُّبَيْرُ بْنُ الْعَوَّامِ: أَنَا، قَالَتْ: وَكَانَ مِنْ أَحْدَثِ الْقَوْمِ سِنًّا، قَالَتْ: فَنَفَخُوا لَهُ قِرْبَةً، فَجَعَلَهَا فِي صَدْرِهِ، ثُمَّ سَبَحَ عَلَيْهَا، حَتَّىٰ خَرَجَ إِلَىٰ نَاحِيَةِ النِّيلِ الَّتِي بِهَا مُلْتَقَىٰ الْقَوْمِ، ثُمَّ انْطَلَقَ حَتَّىٰ حَضَرَهُمْ.

قَالَتْ: وَدَعَوْنَا اللهَ لِلنَّجَاشِيِّ بِالظُّهُورِ عَلَىٰ عَدُوِّهِ، وَالتَّمْكِينِ لَهُ فِي بِلَادِهِ، وَاسْتَوْثَقَ عَلَيْهِ أَمْرُ الْحَبَشَةِ، فَكُنَّا عِنْدَهُ فِي خَيْرِ مَنْزِلٍ، حَتَّىٰ قَدِمْنَا عَلَىٰ رَسُولِ اللهِ ﷺ وَهُوَ بِمَكَّةَ»(١).

قُضِيَ الزَّمَانُ وَنَعْتُهُ وَصِفَاتُهُ ... مِنْ قَبْلِ مَبْعَثِهِ بِكُلِّ كِتَابِ
أَخْبَارُهُ مَعَ سَائِرِ الأَحْبَارِ، وَالْـ ... رُهْبَانِ، والكُهَّانِ، والحُسَّابِ
عَرَفُوهُ قَبْلَ شُهُودِهِ بِدَلائِلٍ ... عُنْوَانُهُنَّ مَنَاصِبُ الأَنْسَابِ (٢)

إخبار الكهان والجان ببعثته ﷺ:

أَصْغَتْ إِلَيْكَ الْجِنُّ وَانبهَرَتْ بِمَا ... تَتْلُو، وعَمَّ قُلُوبَها اسْتِبْشَارُ(٣)

عَنْ عبد الله بن عُمَرَ قَالَ: مَا سَمِعْتُ عُمَرَ لِشَيءٍ قَطُّ يَقُولُ: إِنِّي لَأَظُنُّهُ كَذَا إِلَّا كَانَ كَمَا يَظُنُّ، بَيْنَمَا عُمَرُ جَالِسٌ إِذْ مَرَّ بِهِ رَجُلٌ جَمِيلٌ.

---

(١) (حَسَنٌ) أَخْرَجَهُ أَحْمَدُ (١٧٤٠)، وَحَسَّنَهُ شَيْخُنَا الوَادِعِيُّ رَحِمَهُ اللهُ فِي «الجَامِعِ الصَّحِيْحِ» (٢١٧٨)، وَجَوَّدَ إِسْنَادَهُ الأَلْبَانِيُّ رَحِمَهُ اللهُ فِي «الصَّحِيحَةِ» (٣١٩٠). وَالشَّيْخُ الأَلْبَانِيُّ رَحِمَهُ اللهُ ذَكَرَ أَوَّلَهُ وَقَالَ: الحَدِيْثُ بِقَوْلِهِ رَوَاهُ أَحْمَدُ فِي «المُسْنَدِ» وَسَنَدَهُ جَيِّدٍ، كَمَا فِي «الصَّحِيْحَةِ» تَحْتَ رَقم (٣١٩٠) (٧/ ٥٧٧).

(٢) «دَوَاوِيْنُ الشِّعْرِ العَرَبِيِّ» (٨٣/ ٣٦٢).

(٣) من عيون الشعر (١/ ٦٧٠).

فَقَال: لَقَدْ أَخْطَأَ ظَنِّي أَو أَنَّ هذا عَلىٰ دِينِهِ فِي الْجَاهِلِيَّةِ، أَوْ لَقَدْ كَانَ كَاهِنُهُمْ، عَلىٰ الرَّجُل فَدُعِيَ لَهُ فَقَالَ لَهُ ذَلِكَ، فَقَالَ ما رأَيْتُ كَالْيَوْمِ اسْتُقْبِلَ بِهِ رَجُلٌ مُسْلِمٌ، قَالَ: فإِنِّي أَعْزِمُ عَلَيْكَ إِلَّا ما أَخْبَرْتَني.

قَالَ: كُنْتُ كَاهِنَهُمْ في الجَاهِلِيَّةِ، قَالَ: فَمَا أَعْجَبُ مَا جَاءَتْكَ بِهِ جِنِّيَّتُكَ؟

قَالَ: بَيْنَما أَنَا يَوْمًا فِي السُّوقِ جَاءَتْنِي أَعْرِفُ فِيهَا الْفَزَعَ، فقَالَتْ:

أَلَمْ تَرَ الْجِنَّ وإِبْلَاسَهَا[1] وَيَأْسَهَا مِنْ بَعْدِ إِنْكَاسِهَا

وَلُحُوقَهَا بالْقِلاصِ وأَحْلَاسِهَا

قَالَ عُمَرُ: صَدَقَ بَيْنَمَا أَنَا نَائِمٌ عِنْدَ آلِهَتِهِمْ إِذْ جاءَ رجُلٌ بِعجْلٍ فَذَبحَهُ فَصَرَخَ بِهِ صَارِخٌ لَمْ أَسْمَعْ صَارِخًا قَطُّ أَشَدَّ صَوْتًا مِنْهُ يقُولُ: يا جَليحْ[2] أَمْرٌ نجيحْ رَجُلٌ فَصيحْ يَقُولُ: لا إِلَهَ إِلَّا الله فَوَثَبَ الْقَوْمُ فَقُلْتُ: لا أَبْرَحُ حَتَّىٰ أَعْلَمَ هذا، ثُمَّ نَادَىٰ: يا جَلِيح أَمْرٌ نَجِيح رَجُلٌ فَصِيحْ يَقُولُ: لا إله إِلَّا اللهُ فَقُمْتُ فَمَا نشبنا[3] أَنْ قِيلَ هذا نبيٌّ»[4].

وصرح ابن حجر رَحِمَهُ اللَّهُ أَنَّ الرَّجُلَ هو: سَوادُ بنُ قاربٍ، كما جاء فِي بعض طُرُقِ الحديثِ.

وَكَانَ من عَلامَةِ نبوته ﷺ أَنْ مُنعت الشياطينُ من استراقِ السَّمعِ[5].

ومِنْ هَوَاتِفِ الجان – أيضًا – ما رواه أبو نعيم عَنْ جَابر بنِ عبد اللهِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا

---

(١) موسوعة الشعر الإسلامي (١/ ٦٧٠).

(٢) الجليح: معناه: الوقحُ المكافحُ بِالعَدَاوةِ.

(٣) فما نشبنا: أي فما لبثنا.

(٤) رواه البخاري (٣٨٦٦).

(٥) رواه البخاري (٤٩٢١).

أن أول خبر كان بالمدينة بمبعث رسول الله ﷺ أن امرأة بالمدينة كَانَ لها تابع من الجن، فجاء في صورة طائر أبيض، فوقع علىٰ حائطٍ لهم، فقالت له: ألا تنزل إلينا وتحدثنا ونحدثك، وتخبرنا ونخبرك؟

فَقَالَ لها: إنَّه قَدْ بُعِثَ نبي بمكة حرم الزِّنا، ووضع مِنَّا القرار(١).

والجن تهتفُ والأنْوَارُ سَاطِعَةٌ ... وَالْحَقُّ يَظْهَرُ مِنْ مَعْنَىٰ وَمِنْ كَلِمِ
عَمُوا وصَمُّوا فإعْلَانُ البشائرِ لَمْ ... تُسْمعْ وبارقة الإنذار لم تَشُمِ
مِنْ بَعْدِ أنْ أَخْبَرَ الْقَوْمَ كَاهِنُهُم ... بأنَّ دِينَهُم الْمعوَجَّ لَمْ يقمِ

---

(١) (حسن) أخرجه أبو نعيم في الدلائل (٢٩)، وحسنه الألباني في «صحيح السير» (٨٣).

البِعْثَةُ النَّبَوِيَّةُ

الــرُّوحُ وَالـمَـلأُ المَلائِـكُ حَولَـهُ لِلـدِّيْـنِ وَالـدُّنْـيا بِـهِ بُـشْـرَاءُ(١)

لَمَّا أَرَادَ اللهُ ﷻ رَحْمَةَ عِبادِهِ وَإِكْرَامَهُمْ، أَرْسَلَ إِلَيْهِمْ رَسُولَهُ ﷺ عَلَىٰ حِيْنَ فَتْرَةٍ مِنَ الرُّسُلِ؛ لِيُخْرِجَهُمْ مِنَ الظُّلَمَاتِ إِلَىٰ النُّورِ، فَنَزَلَ عَلَيْهِ الوَحْيِ وَهُوَ فِي سِنِّ الأَرْبَعِيْنَ.

عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا قَالَ: «أُنْزِلَ عَلَىٰ رَسُولِ اللهِ ﷺ وَهُوَ ابْنُ أَرْبَعِينَ، فَأَقَامَ بِمَكَّةَ ثَلَاثَ عَشْرَةَ، وَبِالْمَدِينَةِ عَشْرًا، وَتُوُفِّيَ وَهُوَ ابْنُ ثَلَاثٍ وَسِتِّينَ»(٢).

أَطَـلَّ فَـجْـرُ هُـدَاهُ وَالدُّجَـىٰ عَمَـمُ بَـاتَ الأَنَـامُ وَظَـلُّـوا فِـيْـهِ عُمْيَانـا
هَــذَا يُـصَــوِّرُ تِـمْـثَـالًا وَيَعْبُـدُهُ وَذَاكَ يَـعْـبُـدُ أَحْـبَـارًا وَكُهَّانـا(٣)

١ ـ نُزُولُ الوَحْيِ:

﴿ٱقۡرَأۡ وَرَبُّكَ﴾ فِـي حِـرَاءِ تَـحَـرَرَتَ وَاسْـتَـيْـقَظَ الـتَّـأْرِيـخُ مِـنْ غَفَوَاتِـهِ

جَـاءَهُ الوَحْيُ وَهُوَ يَتَعَبَّـدُ فِي غَارِ حِرَاءٍ - وَهُوَ الغَارُ الَّـذِي فِي أَعْلَىٰ الجَبَلِ المُسَمَّىٰ جَبَلَ النُّورِ، شَرْقِيَّ شَمَالِ مَكَّةَ عَلَىٰ يَمِيْنِ الدَّاخِلِ إِلَيْهَا.

(١) «الشَّوْقِيَّات» (١/ ١).

(٢) رَوَاهُ البُخَارِيُّ (٣٨٥١)، وَمُسْلِمٌ (٢٣٥١).

(٣) «مَوْسُوعَةُ الشِّعْرِ الإِسْلَامِي» (٧/ ١٥٠). وَالدُّجَىٰ -بِزِنَةِ الهُدَىٰ- الظُّلْمَةُ. وَعَمَمُ أَيْ: تَامٌّ عَامٌّ.

عَنْ عَائِشَةَ أُمِّ الْمُؤْمِنِينَ رَضِيَ اللهُ عَنْهَا أَنَّهَا قَالَتْ: أَوَّلُ مَا بُدِئَ بِهِ رَسُولُ اللهِ ﷺ مِنَ الْوَحْيِ الرُّؤْيَا الصَّالِحَةُ فِي النَّوْمِ، فَكَانَ لَا يَرَىٰ رُؤْيَا إِلَّا جَاءَتْ مِثْلَ فَلَقِ الصُّبْحِ[1]، ثُمَّ حُبِّبَ إِلَيْهِ الْخَلَاءُ، وَكَانَ يَخْلُو بِغَارِ حِرَاءٍ فَيَتَحَنَّثُ فِيهِ، وَهُوَ التَّعَبُّدُ اللَّيَالِيَ ذَوَاتِ الْعَدَدِ، قَبْلَ أَنْ يَنْزِعَ إِلَىٰ أَهْلِهِ وَيَتَزَوَّد، لِذَلِكَ ثُمَّ يَرْجِعُ إِلَىٰ خَدِيجَةَ فَيَتَزَوَّدُ لِمِثْلِهَا، حَتَّىٰ جَاءَهُ الْحَقُّ وَهُوَ فِي غَارِ حِرَاءٍ، فَجَاءَهُ الْمَلَكُ فَقَالَ: اقْرَأْ، قَالَ: مَا أَنَا بِقَارِئٍ، قَالَ: فَأَخَذَنِي فَغَطَّنِي[2]، حَتَّىٰ بَلَغَ مِنِّي الْجَهْدَ[3]، ثُمَّ أَرْسَلَنِي فَقَالَ: «**اقْرَأْ قُلْتُ مَا أَنَا بِقَارِئٍ فَأَخَذَنِي فَغَطَّنِي الثَّانِيَةَ حَتَّىٰ بَلَغَ مِنِّي الْجَهْدَ ثُمَّ أَرْسَلَنِي فَقَالَ اقْرَأْ فَقُلْتُ مَا أَنَا بِقَارِئٍ فَأَخَذَنِي فَغَطَّنِي الثَّالِثَةَ ثُمَّ أَرْسَلَنِي فَقَالَ:** ﴿ٱقۡرَأۡ بِٱسۡمِ رَبِّكَ ٱلَّذِي خَلَقَ ۝١ خَلَقَ ٱلۡإِنسَٰنَ مِنۡ عَلَقٍ ۝٢ ٱقۡرَأۡ وَرَبُّكَ ٱلۡأَكۡرَمُ ۝٣﴾ [العَلَقُ: ١-٣].

فَرَجَعَ بِهَا رَسُولُ اللهِ ﷺ يَرْجُفُ فُؤَادُه، فَدَخَلَ عَلَىٰ خَدِيجَةَ بِنْتِ خُوَيْلِدٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهَا، فَقَالَ: «**زَمِّلُونِي**[4] **زَمِّلُونِي**»، فَزَمَّلُوهُ حَتَّىٰ ذَهَبَ عَنْهُ الرَّوْعُ[5]، فَقَالَ لِخَدِيجَةَ وَأَخْبَرَهَا الْخَبَرَ، لَقَدْ خَشِيتُ عَلَىٰ نَفْسِي، فَقَالَتْ خَدِيجَةُ: كَلَّا وَاللهِ مَا يُخْزِيكَ اللهُ أَبَدًا، إِنَّكَ لَتَصِلُ الرَّحِمَ، وَتَحْمِلُ الْكَلَّ[6]، وَتَكْسِبُ الْمَعْدُومَ[7]، وَتَقْرِي

(١) فَلَقِ الصُّبْحِ -بِالتَّحْرِيْك- ضَوْؤُهُ وإِنَارَتُهُ، وَالمَعْنَىٰ: تَأْتِي رُؤْيَاهُ مُبَيَّنَةً مِثْلَ مَجِيءِ الصُّبْحِ.

(٢) الغَطُّ: العَصْرُ الشَّدِيْدُ وَالكَبْسُ، قِيْلَ: إِنَّمَا غَطَّهُ؛ لِيَخْتَبِرَهُ هَلْ يَقُولُ مِنْ تِلْقَاءِ نَفْسِهِ شَيْئًا.

(٣) حَتَّىٰ بَلَغَ مِنِّي الْجَهْدَ أَيْ: بَلَغَ الغَطُّ مِنِّي غَايَةَ وَسَعِي.

(٤) زَمِّلُونِي أَيْ: لُفُّونِي فِي الثِّيَابِ، وَدَثِّرُونِي بِهَا؛ لِيَسكُنَ مَا حَصَلَ لِي مِنَ الرِّعْدَةِ.

(٥) الرَّوْعُ: الإِفْزَاعُ وَالخَوْف.

(٦) الكَلّ -بِالفَتْحِ- الثِّقْل، وَيَدْخُلُ فِي حَمْلِ الكَلِّ الإِنْفَاقُ عَلَىٰ الضَّعِيْفِ، وَاليَتِيْمِ، والعِيَالِ، وَغَيْرِ ذَلِكَ.

(٧) تَكْسِبُ الْمَعْدُومَ: تُكْسِبُ غَيْرَكَ الْمَالَ الْمَعْدُومَ (أَيْ تُعْطِيهِ إِيَّاهُ تَبَرُّعًا)، وَقِيلَ مَعْنَاهُ تُعْطِي النَّاسَ مَا لَا يَجِدُونَهُ عِنْدَ غَيْرِكَ مِنْ مَعْدُومَاتِ الْفَوَائِدِ وَمَكَارِمِ الْأَخْلَاقِ.

الضَّيْفَ[١]، وَتُعِينُ عَلَىٰ نَوَائِبِ الْحَقِّ[٢].

فَانْطَلَقَتْ بِهِ خَدِيجَةُ حَتَّىٰ أَتَتْ بِهِ وَرَقَةَ بْنَ نَوْفَلِ بْنِ أَسَدِ بْنِ عَبْدِ الْعُزَّىٰ، ابْنَ عَمِّ خَدِيجَةَ، وَكَانَ امْرَأً قَدْ تَنَصَّرَ فِي الْجَاهِلِيَّةِ، وَكَانَ يَكْتُبُ الْكِتَابَ الْعِبْرَانِيَّ، فَيَكْتُبُ مِنْ الْإِنْجِيلِ بِالْعِبْرَانِيَّةِ مَا شَاءَ اللهُ أَنْ يَكْتُبَ، وَكَانَ شَيْخًا كَبِيرًا قَدْ عَمِيَ، فَقَالَتْ لَهُ خَدِيجَةُ: يَا ابْنَ عَمِّ اسْمَعْ مِنْ ابْنِ أَخِيكَ، فَقَالَ لَهُ وَرَقَةُ: يَا ابْنَ أَخِي مَاذَا تَرَىٰ، فَأَخْبَرَهُ رَسُولُ اللهِ ﷺ خَبَرَ مَا رَأَىٰ.

فَقَالَ لَهُ وَرَقَةُ: هَذَا النَّامُوسُ[٣] الَّذِي نَزَّلَ اللهُ عَلَىٰ مُوسَىٰ، يَا لَيْتَنِي فِيهَا[٤] جَذَعٌ[٥]، لَيْتَنِي أَكُونُ حَيًّا إِذْ يُخْرِجُكَ قَوْمُكَ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**أَوَمُخْرِجِيَّ هُمْ**»، قَالَ: نَعَمْ، لَمْ يَأْتِ رَجُلٌ قَطُّ بِمِثْلِ مَا جِئْتَ بِهِ إِلَّا عُودِيَ، وَإِنْ يُدْرِكْنِي يَوْمُكَ أَنْصُرْكَ نَصْرًا مُؤَزَّرًا، ثُمَّ لَمْ يَنْشَبْ[٦] وَرَقَةُ أَنْ تُوُفِّيَ، وَفَتَرَ الْوَحْيُ[٧]»[٨].

---

(١) تَقْرِي الضَّيْفَ -بِفَتْحِ التَّاء- تُضَيِّفُهُ.

(٢) النَّوَائِبَ: جَمْعُ نَائِبَةٍ، وَهِيَ الْحَادِثَةُ والمُصِيبَةُ، إِنَّمَا قَالَتْ نَوَائِبَ الْحَقِّ لِأَنَّ النَّائِبَةَ تَكُونُ فِي الْحَقِّ وَالبَاطِلِ.

(٣) النَّامُوسُ: صَاحِبُ سِرِّ الخَيْرِ، والمُرَادُ بِهِ هُنَا جِبْرِيْلُ؛ سُمِّيَ بِذَلِكَ؛ لأَنَّ اللهَ -تَعَالَىٰ- خَصَّهُ بِالغَيْبِ وَالوَحْيِ الَّذِي لاَ يَطْلَعُ عَلَيْهِ غَيْره.

(٤) فِيْهَا: الضَّمِيْرِ يَعُودُ إِلَىٰ الأَيَّامِ النُّبُوَّةِ وَمُدَّتِهَا.

(٥) جَذَعَ -بِالتَّحْرِيْك- أَيْ: شَابٌّ قَوِيٌّ؛ حَتَّىٰ أُبَالِغَ فِي نُصْرَتِكَ.

(٦) لَمْ يَنْشَبْ: لَمْ يَلْبَثْ.

(٧) فَتَرَ الْوَحْيُ: احْتَبَسَ بَعْدَ مُتَابَعَتِهِ وَتَوَالِيْهِ فِي النُّزُولِ، وَلَعَلَّ الحِكْمَةَ فِي إِبْطَائِهِ ذَهَابُ مَا حَصَلَ لَهُ مِنَ الرَّوْعِ، وَالتَّشَوُّفُ إِلَىٰ عَوْدِهِ.

(٨) رَوَاهُ البُخَارِيُّ (٣)، وَمُسْلِمٌ (٢٥٢).

قَالَ الشَّاعِرُ:

إِنَّ البَرِيَّةَ يَوْمَ مَبْعَثِ أَحْمَدٍ ... نَظَرَ الإِلَهُ لَهَا، فَبَدَّلَ حَالَهَا
بَلْ كَرَّمَ الإِنْسَانَ حِيْنَ اخْتَارَ مِنْ ... خَيْرِ البَرِيَّةِ، نَجْمَهَا وَهِلاَلَهَا[١]

وَقَالَ حَسَّانُ بْنُ ثَابِتٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ:

نَبِيٌّ أَتَانَا بَعْدَ يَأْسٍ وَفَتْرَةٍ ... مِنَ الرُّسُلِ، وَالأَوْثَانِ فِي الأَرْضِ تُعْبَدُ
فَأَمْسَىٰ سِرَاجًا مُسْتَنِيرًا وَهَادِيًا ... يَلُوحُ كَمَا لَاحَ الصَّقِيْلُ المُهَنَّدُ
وَأَنْذَرَنَا نَارًا، وَبَشَّرَ جَنَّةً ... وَعَلَّمَنَا الإِسْلَامَ، فَاللهَ نَحْمَدُ[٢]

وَقَالَ أُسْتَاذُنَا عَبْدُ الكَرِيْمِ العِمَادُ -حَفِظَهُ اللهُ-:

وَافَيْتُ وَالأَرْضُ ظَمْأَىٰ وَالأَنَامُ عَلَىٰ ... أَرْجَائِهَا بَيْنَ مَعْمِيٍّ وَبَيْنَ عَمِي
فَكُنْتُ غَيْثًا وَنَوَّارًا[٣] فَارْتَوَتْ،وَرَأَوْا ... شَمْسَ الهِدَايَةِ لَاحَتْ فِي الدُّجَىٰ العَمَمِ
فَجَاءَ عَصْرُكَ أَنْوَارٌ صَحَائِفُهُ ... وَكَانَ قَبْلَكَ حَرْفًا غَيْرَ مُنْعَجِمِ[٤]

---

(١) «مَوْسُوعَةُ الشِّعْرِ الإِسْلاَمِي»(٣ / ١٥٠).

(٢) «دِيْوَانُ حَسَّانُ بْنُ ثَابِتٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ» (٤٢)، وَالصَّقِيْلُ: السَّيْفُ المَجلُوُّ المُنْجَرِدُ المَاضِي فِي الضَّرِيْبَةِ. وَالمُهَنَّد: المَطْبُوع مِنْ حَدِيْدِ الهِنْدِ.

(٣) النَّوَّارُ: الأَزْهَار، وَاحِدَتُهَا نَوَّارَةٌ.

(٤) الحَرْفُ غَيْرَ المُنْعَجِمُ: المُزَالُ إِبْهَامُهُ بِالنَّقْطِ وَالشَّكْلِ.

وَقَالَ آخَرُ:

سَطَعْتَ وَلَيْلُ الغَيِّ[١] مُلْقٍ جِرَانَهُ[٢] ... عَلَىٰ الكَوْنِ تَهْمِي[٣] بِالرَّزَايَا[٤] سَحَائِبُهْ
فَجِئْتَ بِقُرْآنٍ حَوَىٰ كُلَّ حِكْمَةٍ ... أَنَارَتْ دَيَاجِي[٥] الكَائِنَاتِ كَوَاكِبُهْ[٦]

٢ـ فَتْرَةُ الوَحْيِ:

وَلَأَنْتَ أَسْمَىٰ المُرْسَلِيْنَ مَكَانَةً ... بِجَلَالِ قَدْرٍ أَوْ عُلُوِّ رِكَابِ[٧]

المُرَادُ بِفَتْرَةِ الْوَحْيِ: احْتِبَاسِهِ، وَعَدَمُ تَتَابُعِهِ وَتَوَالِيْهِ فِي النُّزُولِ، وَالصَّحِيْحِ أَنَّ هَـذِهِ الفَتْرَةَ لَمْ تَتَعَدَّ شَهْرًا، جَاءَ ذَلِك مُصَرَّحًا فِي حَدِيْثِ جَابِرٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**جَاوَرْتُ بِحِرَاءٍ شَهْرًا فَلَمَّا قَضَيْتُ جِوَارِي نَزَلْتُ فَاسْتَبْطَنْتُ بَطْنَ الْوَادِي فَنُودِيتُ فَنَظَرْتُ أَمَامِي وَخَلْفِي وَعَنْ يَمِينِي وَعَنْ شِمَالِي فَلَمْ أَرَ أَحَدًا ثُمَّ نُودِيتُ فَنَظَرْتُ فَلَمْ أَرَ أَحَدًا.**

ثُمَّ نُودِيتُ فَرَفَعْتُ رَأْسِي فَإِذَا هُوَ عَلَىٰ الْعَرْشِ فِي الْهَوَاءِ -يَعْنِي جِبْرِيلَ عَلَيْهِ السَّلَامُ **- فَأَخَذَتْنِي رَجْفَةٌ شَدِيدَةٌ فَأَتَيْتُ خَدِيجَةَ فَقُلْتُ: دَثِّرُونِي فَدَثَّرُونِي فَصَبُّوا**

(١) الغَيّ: خِلافُ الرُّشْدِ وَالهِدَايَةِ.
(٢) الجِرَان - بِالكَسْرِ - بَاطِنُ عُنُقِ البَعِيْرِ، وَقَدِ اسْتَعَارَهُ لِلَّيْلِ.
(٣) تَهْمِي: تَسِيْلُ.
(٤) الرَّزَايَا: جَمْعُ رَزِيَّةٍ، وَهِي المُصِيْبَةُ.
(٥) الدَّيَاجِي: الظُّلُمَاتُ، وَاحِدَتُهَا دَيْجَاةٌ.
(٦) مُخْتَارَاتٌ مِنْ أَجْمَلِ الشِّعْرِ» (٨٣).
(٧) «دَوَاوِيْنُ الشِّعْرُ العَرَبِيّ» (٣٨/ ٣٦٣).

عَلَيَّ مَاءً فَأَنْزَلَ اللهُ عَزَّوَجَلَّ ﴿يَا أَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ (١) قُمْ فَأَنذِرْ (٢) وَرَبَّكَ فَكَبِّرْ (٣) وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ (٤)﴾ [المُدَّثِّر: ١-٤](١).

وَفِي رِوَايَةٍ: عَنْ جَابِرٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ يُحَدِّثُ عَنْ فَتْرَةِ الْوَحْيِ: «**بَيْنَا أَنَا أَمْشِي إِذْ سَمِعْتُ صَوْتًا مِنَ السَّمَاءِ، فَرَفَعْتُ بَصَرِي، فَإِذَا المَلَكُ الَّذِي جَاءَنِي بِحِرَاءٍ جَالِسٌ عَلَىٰ كُرْسِيٍّ بَيْنَ السَّمَاءِ وَالأَرْضِ، فَرُعِبْتُ مِنْهُ، فَرَجَعْتُ فَقُلْتُ: زَمِّلُونِي زَمِّلُونِي**» فَأَنْزَلَ اللهُ تَعَالَىٰ: ﴿يَا أَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ (١) قُمْ فَأَنذِرْ (٢)﴾ [المُدَّثِّر: ١-٢] إِلَىٰ قَوْلِهِ تَعَالَىٰ: ﴿وَالرُّجْزَ فَاهْجُرْ (٥)﴾ [المُدَّثِّر: ٥] فَحَمِيَ الوَحْيُ وَتَتَابَعَ»(٢).

أَتَىٰ الهُدَىٰ نُورًا وَنِعْمَةً ... وَقَدْ كَانَ وَجْهُ الكَوْنِ بِالشِّرْكِ مُظْلِمَا
فَجَلَّىٰ بِأَنْوَارِ الهُدَىٰ كُلَّ ظُلْمَةٍ ... وَأَطْلَعَ فِي الآفَاقِ لِلدِّيْنِ أَنْجُمَا

وَقَالَ عِمادُ بْن عَلِي - حَفَظَهُ اللهُ-:

كَانَ الزَّمَانُ لَيَالٍ لاَ بَيَاضَ بِهَا ... حَتَّىٰ أَتَاهُ رَسُولَ اللهِ بِالفَجْرِ
مُحُمَّدٌ مِنْ هَدَىٰ الإِنْسَان فِطْرَتَهُ ... وَكَانَ فِي دُجْنَةِ الأَفْكَارِ كَالبَدْرِ

٣ـ كَيْفَ كَانَ يَأْتِيْهِ الوَحْيُ:

سَارٍ مِنَ الوَحْيِ مَنْ يُنْكِرْ جَلَالَتَهُ ... يَكْشِفْ لَهُ اللهُ عَنْ رَوْعَاتِ جِبْرِيْل(٣)

(١) رَوَاهُ البُخَارِيُّ (٤)، وَمُسْلِمٌ (٢٥٧) وَاللَّفْظُ لَهُ.
(٢) رَوَاهُ البُخَارِيُّ (٤) وَاللَّفْظُ لَه، وَمُسْلِمٌ (٣٢٥).
(٣) «دِيْوَانُ أَحْمَد مُحَرَّم» (٤٣٣).

كَانَ رَسُـولُ اللـهِ ﷺ يُعَالِجُ مِنَ التَّنْزِيْلِ شِـدَّةً»[١]، وَكَانَ جَبِيْنُـهُ يَتَفَصَّدُ عَرَقًا فِـي اليَوْمِ الشَّـدِيْدِ البَرْدِ، وَكَانَ وَجْهُـهُ يَتَغَيَّرُ وَيَكْرُبُ[٢]، وَجِسْـمُهُ يَثْقُل، يَقُولُ زَيْدُ بْنُ ثَابِتٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: «أَنْزَلَ اللهُ عَلَىٰ رَسُـولِهِ ﷺ وَفَخِذُهُ عَلَىٰ فَخِذِي فَثَقُلَتْ عَلَيَّ حَتَّىٰ خِفْتُ أَنْ تَرُضَّ فَخِذِي»[٣].

وَكَانَ ﷺ يُرَكِّزُ ذِهْنَهُ بِشِـدَّةٍ لِحِفْظِ القُرْآنِ، فَيُحَرِّكُ بِهِ لِسَـانِهِ وَشَفَتَيْهِ، فَنَزَلَتْ الآيَـةُ: ﴿لَا تُحَرِّكْ بِهِۦ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِۦٓ ﴿١٦﴾ إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُۥ وَقُرْءَانَهُۥ ﴿١٧﴾ فَإِذَا قَرَأْنَٰهُ فَٱتَّبِعْ قُرْءَانَهُۥ ﴿١٨﴾ ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا بَيَانَهُۥ ﴿١٩﴾﴾ [القِيَامَةُ: ١٦-١٧][٤].

وَكَانَ حِـرْصُ النَّبِـيِّ ﷺ عَلَـىٰ تَبْلِيْـغِ القُـرْآنِ الكَرِيْـمِ يَدْفَعُـهُ إِلَـىٰ التَّعَجُّلِ فِي تَلَقِّيْهِ،وَالشَّـوْقِ إِلَيْهِ،وَقَـدْ بَيَّنَـتِ ذَلِـكَ الآيَـةُ: ﴿وَلَا تَعْجَلْ بِٱلْقُرْءَانِ مِن قَبْلِ أَن يُقْضَىٰٓ إِلَيْكَ وَحْيُهُۥ ۖ وَقُل رَّبِّ زِدْنِى عِلْمًا ﴿١١٤﴾﴾ [طَه: ١١٤].

وَقَـدْ أَوْضَحَ النَّبِيُّ ﷺ كَيْفَ يَأْتِيْهِ الوَحْي،قَـالَ: «**أَحْيَانًا يَأْتِينِي مِثْلَ صَلْصَلَةِ الْجَرَسِ، وَهُوَ أَشَـدُّهُ عَلَيَّ، فَيَفْصِمُ عَنِّي وَقَـدْ وَعَيْتُ عَنْهُ مَا قَالَ، وَأَحْيَانًا يَتَمَثَّلُ لِيَ الْمَلَكُ رَجُلًا فَيُكَلِّمُنِي،فَأَعِي مَا يَقُولُ**»[٥].

وَكَانَ الوَحْيُ يَأْتِيْهِ فِي اليَقَظَةِ، كَمَا تَدُلُّ عَلَيْهِ الأَحَادِيْثُ الصَّحِيْحَةُ[٦].

وَقَدْ اسْـتَغْرَقَ نُزُولُ الوَحْي ثَلاثًا وَعِشْرِيْنَ سَنَةً، مِنْهَا ثَلاثَةَ عَشَرَ عَامًا بِمَكَّةَ،

(١) رَوَاهُ مُسْلِمٌ (٢٣٣٣).

(٢) رَوَاهُ مُسْلِمٌ (٢٣٣٤).

(٣) رَوَاهُ البُخَارِيُّ (٢٦٧٧).

(٤) رَوَاهُ البُخَارِيُّ (٥)، وَمُسْلِمٌ (٤٤٨).

(٥) رَوَاهُ البُخَارِيُّ (٢)، وَمُسْلِمٌ (٢٣٣٣).

(٦) رَوَاهُ البُخَارِيُّ (١-٢-٣)، وَمُسْلِمٌ (١٨١٧).

وَهَذَا المَشْهُورُ(١)، وَعَشْرُ سِنِيْنَ فِي المَدِيْنَةِ، وَهَذَا هُوَ المُتَّفَقُ عَلَيْهِ(٢).

لَا يَبْلُغُ البُلَغَاءُ وَصْفَ مَنَاقِبٍ　　　أَثْنَى عَلَى إِحْسَانِهَا التَّنْزِيْلُ

شِيَمٌ لَكُمْ غُرٌّ أَتَى بِمَدِيْحِهَا الْـ　　　ـفُرْقَانُ، وَالتَّوْرَاةُ، وَالإِنْجِيْلُ (٣)

وَقَالَ أُسْتَاذُنَا عَبْدُ الكَرِيْمِ العِمَادُ -حَفِظَهُ اللهُ-(٣):

أَتَى بِهَا الوَحْيُ آيَاتٍ مُنَزَّلَةٍ　　　فُصْحَى عَلَى وِفْقِ مَا اعْتَادُوا مِنَ الكَلِمِ

لَكِنَّهَا أَعْجَزَتْهُمْ فِي بَلَاغَتِهَا　　　وَسِحْرُ أُسْلُوبِهَا أَعْيَا ذَوِي الحِكَمِ!!

---

(١) رَوَاهُ البُخَارِيُّ (٤/ ٢٣٨)، وَمُسْلِمٌ (١٨٢٦).
(٢) انْظُرْ «عُيُونُ الأَثَرِ» لابْن سَيِّدِ النَّاسِ (١/ ٨٩) وَ«نَضْرَةُ النَّعِيْمِ»(١/ ٢٠٧).
(٣) «النُّكَتُ العَصْرِيَّةُ» (٣٠٦).

نُبِّيْءَ بِاقرَأْ وَأُرْسِلَ بِالمُدَّثِّرِ

دِيْـنٌ يُشَيِّدُ آيَةً فِي آيَةٍ　　لَبِنَاتُهُ السُّورَاتُ وَ الأَضْوَاءُ(١)

كَانَ بِدْءُ نُبُوَّتِهِ ﷺ بِنُزُولِ قَوْلِ اللهِ ﷻ: ﴿ٱقۡرَأۡ بِٱسۡمِ رَبِّكَ ٱلَّذِى خَلَقَ ۝١﴾ [العَلَق: ١]، وَبُدِئَتْ رِسَالَتُهُ ﷺ بِنُزُولِ ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡمُدَّثِّرُ ۝١ قُمۡ فَأَنذِرۡ ۝٢﴾ [المُدَّثر: ١-٢].

قَالَ الإِمَامُ مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ الوَهَّابِ رَحِمَهُ اللهُ: «نُبِّيْءَ بِاقرَأْ، وَأُرْسِلَ بِالمُدَّثِّرِ»(٢).

أَيْ: نُبِّيءَ بِخَمْسِ آياتٍ مِنْ أَوَّلِ سُورَةِ العَلَقِ.

قَالَ القُرْطُبِيُّ رَحِمَهُ اللهُ: «أَلَا تَرَىٰ أَنَّهُ ﷺ كَانَ عَبْدًا قَبْلَ أَنْ يَكُونَ نَبِيًّا، ثُمَّ كَانَ نَبِيًّا قَبْلَ أَنْ يَكُونَ رَسُولًا»(٣).

رَأَيْتُكَ يَا خَيْرَ الْبَرِيَّةِ كُلِّهَا　　نَشَرْتَ كِتَابًا جَاءَ بِالْحَقِّ مُعْلِمَا
وَنَوَّرْتَ بِالْبُرْهَانِ أَمْرًا مُدَمَّسًا　　وَأَطْفَأْتَ بِالْبُرْهَانِ نَارًا مُضَرَّمَا(٤)

وَقَالَ أُسْتَاذُنَا عَبْدُ الكَرِيْمِ العِمَادُ -حَفِظَهُ اللهُ-:

وَحَّدتَ رَبَّكَ ثُمَّ اخْتُرْتَ خَاتِمَةً　　لِلأَنْبِيَاءِ وَرُسْلِ اللهِ كُلِّهِمِ

---

(١) «الشَّوْقِيَّاتُ» (١/ ١١)، وَاللَّبِنَاتُ: جَمْعُ لَبِنَةٍ -بِوَزْنِ كَلِمَةٍ-، وَهِيَ الَّتِي تُتَّخَذُ مِنْ طِيْنٍ، وَيُبْنَىٰ بِهَا.

(٢) «الأُصُولُ الثَّلاثَةُ»(١١).

(٣) «الجَامِعُ لِفِقْهِ القُرْطُبِيِّ» (١/ ١١٦).

(٤) «دَوَاوِيْنُ الشِّعْرُ العَرَبِيِّ» (٣١/ ١٣٤)، وَالأَمْرُ المُدَمَّسُ: هُوَ المَسْتُور، وَنَارًا مُضَرَّمًا، أَيْ: مُوْقَدَةً مُشْعَلَةً.

نُبِّئْتَ بِـ (اقْـرَأْ) وَبِالمُدَّثِّـرْ ابْتَـدَأْتْ   بُـشْـرَىٰ رِسَـالَـتِكَ الغَـرَّاءِ لِلأُمَمِ
فَـسِرْتَ بِالوَحْيِ تَدْعُو غَيْـرَ مُكْتَرِثٍ   بِـمَـا تُـلاَقِيْـهِ مِـنْ صَدٍّ وَمِـنْ نِقَـمِ
سَـقَـيْتَ مِـنْ سَـلْـسَبِيْلِ الآيِ أَفْئِدَةً   ظَمْـأَىٰ، وَكَانَتْ عَلَىٰ الكُفَّارِ كَالحُمَمِ

الدَّعْوَةُ السِّرِّيَّةُ:

سَـرَيْتَ سِـرًّا، فَسَـارَ الـنُّورُ مُسْتَتِرًا   أَنَّـىٰ تَوَجَّهْـتَ فِي لُطْـفٍ وَفِـي كَتَمِ[١]

بَعْـدَ أَنْ أَنْزَلَ اللـهُ ﷻ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمُدَّثِّرُ ۝١ قُمْ فَأَنذِرْ ۝٢ وَرَبَّكَ فَكَبِّرْ ۝٣ وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ ۝٤ وَٱلرُّجْزَ فَٱهْجُرْ ۝٥ وَلَا تَمْنُن تَسْتَكْثِرُ ۝٦ وَلِرَبِّكَ فَٱصْبِرْ ۝٧﴾ [المُدَّثِّر: ١-٧].

قَامَ رَسُـولُ اللهِ ﷺ بِمَا أَمَرَهُ اللهُ فِي هَذِهِ الآيَاتِ أَتَمَّ قِيَامٍ فَكَانَ مِنَ الطَّبِيْعِيِّ أَنْ يَبْدَأَ بِأَهْلِ بَيْتِهِ وَأَقْرَبِ النَّاسِ إِلَيْهِ، فَكَانَ أَوَّلَ مَنْ آمَنَ بِهِ ﷺ مِنَ النِّسَـاءِ خَدِيْجَةُ رَضِيَ اللهُ عَنْهَا، بَلْ هِيَ أَوَّلُ المُسْلِمِيْنَ إِطْلاَقًا.

وَأَوَّلُ مَنْ أَسْلَمَ مِنَ الصِّبْيَانِ عَلِيُّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، وَكَانَ عُمُرُهُ -حِيْنَئِذٍ- عَشْـرَ سِـنِيْنَ. وَ أَوَّلُ مَنْ أَسْـلَمَ مِنَ الأَحْرَارِ أَبُو بَكْرٍ الصِّدِّيْقِ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ بَلْ هُوَ أَوَّلُ مَنْ أَسْلَمَ مِنَ الأَحْرَارِ مُطْلَقًا، وَهَوَ المَشْهُورِ عِنْدَ جُمْهُورِ أَهْلِ السُّنَّةِ[٢].

وَأَوَّلُ مَنْ أَسْلَمَ مِنَ مِنَ المَوَالِي زَيْدُ بْنُ حَارِثَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، فَهُؤُلاَءِ هُمْ أَوَّلُ النَّاسِ إِسْلاَمًا بِإِجْمَاعِ العُلَمَاء، حَكَىٰ الإِجْمَاعَ عَلَىٰ ذَلِكَ غَيْرَ وَاحِدٍ مِنْ أَهْلِ العِلْمِ، مِنْهُمُ ابْنُ الأَثِيرِ رَحِمَهُ اللهُ[٣].

---

(١) قَالَهُ أُسْتَاذُنَا عَبْدُ الكَرِيْمِ العِمَادُ -حَفِظَهُ اللهُ-.

(٢) «سِيْرَةُ ابْنِ كَثِيْرٍ» (١/ ٤٣٥)، وَ«فَتْحُ البَارِي» (٧/ ٢٤).

(٣) «صَحِيْحُ السِّيْرَة» (١٢٣).

قَالَ ابْنُ كَثِيرٍ رَحِمَهُ اللَّهُ: «أَنَّ خَدِيجَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا أَوَّلُ مَنْ أَسْلَمَ مِنَ النِّسَاءِ، وَقَبْلَ الرِّجَالِ -أَيْضًا- وَأَوَّلُ مَنْ أَسْلَمَ مِنَ الْمَوَالِي زَيْدُ بْنُ حَارِثَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وَأَوَّلُ مَنْ أَسْلَمَ مِنَ الْغِلْمَانِ عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، فَإِنَّهُ كَانَ صَغِيرًا دُونَ الْبُلُوغِ عَلَىٰ الْمَشْهُورِ، وَهَؤُلَاءِ كَانُوا إِذْ ذَاكَ أَهْلَ الْبَيْتِ.

وَأَوَّلُ مَنْ أَسْلَمَ مِنَ الرِّجَالِ الْأَحْرَارِ أَبُو بَكْرٍ الصِّدِّيقُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وَإِسْلَامُهُ كَانَ أَنْفَعَ مِنْ إِسْلَامِ مَنْ تَقَدَّمَ ذِكْرُهُمْ، إِذْ كَانَ صَدْرًا مُعَظَّمًا، وَرَئِيسًا فِي قُرَيْشٍ مُكَرَّمًا، وَصَاحِبَ مَالٍ، وَدَاعِيَةً إِلَىٰ الْإِسْلَامِ، وَكَانَ مُحَبَّبًا مُتَأَلِّفًا يَبْذُلُ الْمَالَ فِي طَاعَةِ اللهِ وَرَسُولِهِ»[1].

مِنْ ثِمَارِ الصِّدِّيْقِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ:

سَلَامٌ عَلَىٰ الصِّدِّيْقِ إِذْ هُوَ لَمْ يَزَلْ ... لَخَيْرِ البَرَايَا فِي الحَيَاتَيْنِ يَصْحَبُ
فَثَانِيْهِ فِي الغَارِ، الخَلِيْفَةُ بَعْدَهُ ... لِأُمَّتِهِ نِعْمَ الحَبِيْبُ المُقَرَّبُ![2]

بَعْدَ أَنْ أَسْلَمَ أَبُو بَكْرٍ الصِّدِّيقُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، انْطَلَقَ يَدْعُو غَيْرَهُ إِلَىٰ هَذَا الدِّيْنِ، والإِيْمَانِ بِمُحَمَّدٍ ﷺ، فَاسْتَجَابَ لَهُ كَوْكَبَةٌ مِنْ خِيَارِ النَّاسِ، وَهُمْ:

١- عُثْمَانُ بْنُ عَفَّانَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.
٢- عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ عَوْفٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.
٣- سَعْدُ بْنُ أَبِي وَقَّاصٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.
٤- الزُّبَيْرُ بْنُ العَوَّامِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

---

(١) المَرْجِعُ السَّابِقُ (١١٩).
(٢) «دَوَاوِيْنُ الشِّعْرِ العَرَبِيِّ» (٧٧/ ٤٥٧).

٥- طَلْحَةُ بْنُ عُبَيْدِ اللهِ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ.

لِلَّـهِ كَوْكَبَـةٌ قَـدْ آمَنَـتْ رَغَبًـا ... وَيَـا لَـهُ رَغْبًـا مَـا مِثْلُـهُ رَغَبُ!
الصِّدْقُ إِنْ عَاهَدُوا يَزْهَىٰ وَإِنْ بَذَلُوا ... حَسِبْتَ أَنَّ أَيَادِيَهُمْ هِيَ السُّحُبُ
بُورِكْتَ قَائِدَهُمْ، بُورِكْتَ صَاحِبَهُمْ ... وَبُورِكُوا صُحْبَةً وَفَوْا لِمَ صَحِبُوا![1]

هَـؤُلاَءِ هُمْ ثِمَارٌ مِنْ ثِمَارِ الصِّدِّيْقِ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، دَعَاهُمْ فَاسْتَجَابُوا، وَجَاءَ بِهِمْ إِلَىٰ رَسُولِ اللهِ ﷺ فُرَادَىٰ، فَأَسْلَمُوا بَيْنَ يَدَيْهِ، فَكَانُوا هُمُ الدِّعَامَةَ الأُوْلَىٰ الَّتِي قَامَ بِهَا صَرْحُ الدَّعْوَةِ، والعُدَّةَ الأُوْلَىٰ فِي تَقْوِيَةِ جَانِبِ النَّبِيِّ ﷺ، وَبِهِمْ أَعَزَّهُ اللهُ وَأَيَّدَه، وَتَتَابَعَ النَّاسُ يَدْخُلُونَ فِي دِيْنِ اللهِ أَفْوَاجًا، رِجَالًا وَنِسَاءً.

فَأَخَذَهُمْ سُفَهَاءُ أَهْلِ مَكَّةَ بِالأَذَىٰ والعُقُوبَةِ، وَصَانَ اللهُ رَسُولَهُ ﷺ، وَحَمَاهُ بِعَمِّهِ أَبِي طَالِبٍ؛ لِأَنَّهُ كَانَ شَرِيْفًا مُطَاعًا فِيْهِمْ، نَبِيْلًا بَيْنَهُمْ، لاَ يَتَجَاسَرُونَ عَلَىٰ مُفَاجَأَتِهِ بِشَيءٍ فِي أَمْرِ مُحَمَّدٍ ﷺ؛ لِمَا يَعْلَمُونَ مِنْ مَحَبَّتِهِ لَه، وَكَانَ مِنْ حِكْمَةِ اللهِ بَقَاؤُهُ عَلَىٰ دِيْنِهِمْ؛ لِمَا فِي ذَلِكَ مِنَ المَصْلَحَةِ.[2]

قَالَ حَسَّانُ بْنُ ثَابِتٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ:

إِذَا تَذَكَّرْتَ شَجْوًا مِنْ أَخِي ثِقَةٍ ... فَاذْكُرْ أَخَاكَ أَبَا بَكْرٍ بِمَا فَعَلا
التَّالِي الثَّانِي الْمَحْمُودَ مَشْهَدُهُ ... وَأَوَّلَ النَّاسِ طُرًّا[3] صَدَّقَ الرُّسُلا

(١) «مُخْتَارَاتٌ مِنْ أَجْمَلِ الشِّعْرِ» (٨٢-٨٣).
(٢) «الفُصُول فِي سِيْرَةِ الرَّسُولِ ﷺ»، لابْنِ كَثِيْرٍ (٥٧).
(٣) طُرًّا أَيْ: جَمِيْعًا.

الثَّانِي اثْنَيْنِ فِي الْغَارِ الْمُنِيفِ وَقَدْ ... طَافَ الْعَدُوُّ بِهِ إِذْ صَعَّدَ الْجَبَلا
وَكَانَ رِدْفَ رَسُولِ اللهِ قَدْ عَلِمُوا ... مِنَ الْبَرِيَّةِ لَمْ يَعْدِلْ بِهِ رَجُلا
خَيْرَ الْبَرِيَّةِ أَتْقَاهَا وَأَرْأَفُهَا ... بَعْدَ النَّبِيِّ، وَأَوْفَاهَا بِمَا حَمَلَا (١)

الدَّعْوَةُ الجَهْرِيَّةُ:

فَدَعَا إِلَىٰ التَّوْحِيْدِ ضُلَّالَ الوَرَىٰ ... جَهْرًا، وَلَوْلاَ مَنْعُهُمْ لَمْ يَجْهَرْ (٢)

لَقَدْ اسْتَمَرَّتْ الدَّعْوَةُ السِّرِّيَّةُ الَّتِي أَعْقَبَتْ نُزُول قَوْلِ اللهِ ﷻ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمُدَّثِّرُ ١﴾ [المُدَّثِّر: ١]، وَاسْتَمَرَّتْ إِلَىٰ نُزُولِ قَوْلِهِ -تَعَالَىٰ-: ﴿وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ ٱلْأَقْرَبِينَ ٢١٤﴾ [الشُّعَرَاءُ: ٢١٤].

حِيْنَهَا جَهَرَ النَّبِيُّ ﷺ بِدَعْوَتِهِ.

فَعَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا، قَالَ: لَمَّا نَزَلَتْ: ﴿وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ ٱلْأَقْرَبِينَ ٢١٤﴾ [الشُّعَرَاءُ: ٢١٤]، أَتَىٰ النَّبِيُّ ﷺ الصَّفَا فَصَعِدَ عَلَيْهِ، ثُمَّ نَادَىٰ: «**يَا صَبَاحَاهْ**»، فَاجْتَمَعَ النَّاسُ إِلَيْهِ فَمِنْ رَجُلٍ يَجِيءُ وَمِنْ آخَرَ يَبْعَثُ رَسُولَه، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ «**يَا بَنِي عَبْدِ الْمُطَّلِبِ يَا بَنِي فِهْرٍ يَا بَنِي لُؤَيٍّ، أَرَأَيْتَكُمْ لَوْ أَخْبَرْتُكُمْ أَنَّ خَيْلا بِسَفْحِ هَذَا الْجَبَلِ تُرِيدُ أَنْ تُغِيرَ عَلَيْكُمْ، أَصَدَّقْتُمُونِي؟**»، قَالُوا: نَعَمْ، قَالَ: فَإِنِّي ﴿نَذِيرٌ لَّكُم بَيْنَ يَدَىْ عَذَابٍ شَدِيدٍ ٤٦﴾ [سَبَأُ: ٤٦].

---

(١) «دِيْوانُ حَسَّانُ بْنُ ثَابِتٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ» (١٦٢).

(٢) «دَوَاوِيْنُ الشِّعْرِ العَرَبِيِّ» (٩٠/ ٣١).

فَقَالَ أَبُو لَهَبٍ: تَبًّا لَكُمْ سَائِرَ الْيَوْمِ، أَمَا دَعَوْتَنَا إِلَّا لِهَذَا، فَأَنْزَلَ اللهُ عَزَّوَجَلَّ: ﴿تَبَّتْ يَدَآ أَبِى لَهَبٍ وَتَبَّ ﴿١﴾﴾[1].

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ: قَامَ رَسُولُ اللهِ ﷺ حِينَ أَنْزَلَ اللهُ: ﴿وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ ٱلْأَقْرَبِينَ ﴿٢١٤﴾﴾ [الشُّعَرَاءُ: ٢١٤].

قَالَ: «**يَا مَعْشَرَ قُرَيْشٍ -أَوْ كَلِمَةً نَحْوَهَا- اشْتَرُوا أَنْفُسَكُمْ لا أُغْنِي عَنْكُمْ مِنَ اللهِ شَيْئًا، يَا بَنِي عَبْدِ مَنَافٍ، لا أُغْنِي عَنْكُمْ مِنَ اللهِ شَيْئًا، يَا عَبَّاسُ بْنَ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ، لا أُغْنِي عَنْكَ مِنَ اللهِ شَيْئًا، وَيَا صَفِيَّةُ عَمَّةَ رَسُولِ اللهِ، لا أُغْنِي عَنْكِ مِنَ اللهِ شَيْئًا، وَيَا فَاطِمَةُ بِنْتَ مُحَمَّدٍ، سَلِينِي مَا شِئْتِ مِنْ مَالِي، لا أُغْنِي عَنْكِ مِنَ اللهِ شَيْئًا**»[2].

قَالَ أُسْتَاذُنَا عَبْدُ الكَرِيْمِ العِمَادُ -حَفِظَهُ اللهُ-:

وَجَاءَكَ الأَمْرُ (فَاصْدَعْ)، فَانْطَلَقْتَ بِهَا … جَهْرًا، تُنَادِي بِلاَ خَوْفٍ وَلاَ سَأَمِ
جُنَّتْ قُرَيْشُ جُنُونَ الوَحْشِ، وَانْتَفَضَتْ … كَأَنَّمَا فُجِعَتْ بِالحَادِثِ العَمَمِ

وَقَالَ آخَرُ:

نَادَىٰ الرَّسُولُ نِدَاءَ العَدْلِ فَاحْتَشَدَتْ … كَتَائِبُ الجَوْرِ تُنْضِي كُلَّ بَتَّارِ
كَأَنَّهَا خَلْفَهُ نَارٌ مُجَنَّحَةٌ … تَعْدُو قُدَامُهُ أَفْوَاجَ إِعْصَارِ
فَضَجَّ بِالحَقِّ وَالدُّنيَا بِمَا رَحُبَتْ … تَهْوِي عَلَيْهِ بِأَشْدَاقٍ وَأَظْفَارِ

---

(١) رَوَاهُ البُخَارِيُّ (١٣٩٤)،وَمُسْلِمٌ (٣٥٥)، وَأَحْمَدُ (١/ ٢٨-٣٠)وابْنُ جَرِيْرٍ (٢/ ٣١٩).
(٢) رَوَاهُ البُخَارِيُّ (٢٧٥٣)،وَمُسْلِمٌ (٤٢٤).

أَذَى المُشْرِكِيْنَ لِرَسُولِ اللّٰه ﷺ

١ ـ مُحَاوَلَةُ صَدِّهِ عَنْ طَرِيْقِ عَمِّهِ:

لَـمَّـا أَضَـاءَ الـلـهُ مُـهْجَـةَ قَلْبِـهِ   هَـانَـتْ عَلَيْـهِ الـرُّوحُ فِـي مَرْضَاتِهِ [١]

بَعْدَ أَنْ أَنْزَلَ اللهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ: ﴿فَٱصْدَعْ بِمَا تُؤْمَرُ وَأَعْرِضْ عَنِ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿٩٤﴾﴾ [الحِجْرُ: ٩٤].

قَامَ رَسُولُ اللهِ ﷺ بِمَا أَمَرَهُ رَبُّهُ أَتَمَّ قِيَامٍ، يَدْعُو اللهِ تَعَالَىٰ لَيْلًا وَنَهَارًا، وَسِرًّا وَجِهَارًا، لَا يَصْرِفُهُ عَنْ ذَلِكَ صَارِفٌ، وَلَا يَرُدُّهُ عَنْهُ رَادٌّ، وَلَا يَصُدُّهُ عَنْهُ صَادٌّ، يَتْبَعُ النَّاسَ فِي أَنْدِيَتِهِمْ وَمَجَامِعِهِمْ وَمَحَافِلِهِمْ، وَفِي الْمَوَاسِمِ، وَمَوَاقِفِ الْحَجِّ، يَدْعُو مَنْ لَقِيَهُ مِنْ حُرٍّ وَعَبْدٍ، وَضَعِيفٍ وَقَوِيٍّ، وَغَنِيٍّ وَفَقِيرٍ، جَمِيعُ الْخَلْقِ فِي ذَلِكَ عِنْدَهُ شَرَعٌ سَوَاءٌ.

وَتَسَلَّطَ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ مَنِ اتَّبَعَهُ مِنْ آحَادِ النَّاسِ مِنْ ضُعَفَائِهِمُ الْأَشِدَّاءُ الْأَقْوِيَاءُ مِنْ مُشْرِكِي قُرَيْشٍ بِالْأَذِيَّةِ الْقَوْلِيَّةِ وَالْفِعْلِيَّةِ.

وَكَانَ مِنْ أَشَدِّ النَّاسِ عَلَيْهِ عَمُّهُ أَبُو لَهَبٍ، وَاسْمُهُ عَبْدُ الْعُزَّىٰ بْنُ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ وَامْرَأَتُهُ أُمُّ جَمِيلٍ أَرْوَىٰ بِنْتُ حَرْبِ بْنِ أُمَيَّةَ، أُخْتُ أَبِي سُفْيَانَ، وَخَالَفَهُ فِي ذَلِكَ عَمُّهُ أَبُو طَالِبِ بْنُ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ وَكَانَ رَسُولُ اللهِ ﷺ أَحَبَّ خَلْقِ اللهِ إِلَيْهِ طَبْعًا، فَكَانَ

(١) «مَوْسُوعَةُ الشِّعْرِ الإِسْلَامِي» (٧٣/ ٥٦٠).

يَحْنُو عَلَيْهِ وَيُحْسِنُ إِلَيْهِ، وَيُدَافِعُ عَنْهُ وَيُحَامِي، وَيُخَالِفُ قَوْمَهُ فِي ذَلِكَ، مَعَ أَنَّهُ عَلَىٰ دِينِهِمْ وَعَلَىٰ خُلَّتِهِمْ، إِلَّا أَنَّ اللهَ تَعَالَىٰ قَدِ امْتَحَنَ قَلْبَهُ بِحُبِّهِ حَبًّا طَبْعِيًّا لَا شَرْعِيًّا.

وَكَانَ اسْتِمْرَارُهُ عَلَىٰ دِينِ قَوْمِهِ مِنْ حِكْمَةِ اللهِ تَعَالَىٰ، وَمِمَّا صَنَعَهُ لِرَسُولِهِ مِنَ الْحِمَايَةِ، إِذْ لَوْ كَانَ أَسْلَمَ أَبُو طَالِبٍ لَمَا كَانَ لَهُ عِنْدَ مُشْرِكِي قُرَيْشٍ وَجَاهَةٌ وَلَا كَلِمَةٌ، وَلَا كَانُوا يَهَابُونَهُ وَيَحْتَرِمُونَه، وَلَاجْتَرَؤُوا عَلَيْهِ وَلَمَدُّوا أَيْدِيَهُمْ وَأَلْسِنَتَهُمْ بِالسُّوءِ إِلَيْهِ، وَرَبُّكَ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَيَخْتَارُ وَقَدْ قَسَّمَ خَلْقَهُ أَنْوَاعًا وَأَجْنَاسًا، فَهَذَانَ الْعَمَّانِ كَافِرَانِ أَبُو طَالِبٍ وَأَبُو لَهَبٍ وَلَكِنَّ هَذَا يَكُونُ فِي الْقِيَامَةِ فِي ضَحْضَاحٍ مِنْ نَارٍ، وَذَلِكَ ﴿ سَيَصْلَىٰ نَارًا ذَاتَ لَهَبٍ ٣ ﴾.

وَمِمَّا يَدُلُّ عَلَىٰ أَنَّ أَبَا طَالِبٍ فِي ضَحْضَاحٍ مِنْ نَارٍ، حَدِيْثُ الْعَبَّاسِ بْنِ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ أَنَّهُ قَالَ: يَا رَسُولَ اللهِ هَلْ نَفَعْتَ أَبَا طَالِبٍ بِشَيْءٍ فَإِنَّهُ كَانَ يَحُوطُكَ وَيَغْضَبُ لَكَ؟!.

قَالَ: «**نَعَمْ هُوَ فِي ضَحْضَاحٍ مِنْ نَارٍ، وَلَوْلَا أَنَا (أَيْ: شَفَاعَتُهُ) لَكَانَ فِي الدَّرْكِ الْأَسْفَلِ مِنْ النَّارِ**»[١].

وَمِمَّا يَدُلُّ عَلَىٰ أَنَّ أَبَا لَهَبٍ ﴿ سَيَصْلَىٰ نَارًا ذَاتَ لَهَبٍ ٣ ﴾ مَا أَنْزَلَ اللهُ فِيهِ مِنْ آيَاتٍ تُتْلَىٰ عَلَىٰ الْمَنَابِرِ إِلَىٰ قِيَامِ السَّاعَةِ، تَتَضَمَّنُ أَنَّهُ سَيَصْلَىٰ نَارًا ذَاتَ لَهَبٍ، وَامْرَأَتُهُ حَمَّالَةَ الْحَطَبِ، قَالَ اللهُ ﷻ: ﴿تَبَّتْ يَدَآ أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ ١ مَآ أَغْنَىٰ عَنْهُ مَالُهُۥ وَمَا كَسَبَ ٢ سَيَصْلَىٰ نَارًا ذَاتَ لَهَبٍ ٣ وَٱمْرَأَتُهُۥ حَمَّالَةَ ٱلْحَطَبِ ٤ فِي جِيدِهَا حَبْلٌ مِّن مَّسَدٍۭ ٥ ﴾ [المَسَدُ: ١-٥].

---

(١) رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ (٣٨٨٣)، وَمُسْلِمٌ (٤٣١).

وَأَبُو لَهَبٍ هَذَا كَانَ يُحَذِّرُ النَّاسَ مِنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ وَمَا يَدْعُو إِلَيْهِ. كَمَا جَاءَ فِي حَدِيْثِ رَبِيعَةَ بْنُ عَبَّادٍ مِنْ بَنِي الدِّيلِ، وَكَانَ جَاهِلِيًّا فَأَسْلَمَ، قَالَ: رَأَيْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ فِي الْجَاهِلِيَّةِ، فِي سُوقِ ذِي الْمَجَازِ، وَهُوَ يَقُولُ: «**يَا أَيُّهَا النَّاس، قُولُوا: لا إِلَهَ إِلَّا اللهُ تُفْلِحُوا**».

وَالنَّاسُ مُجْتَمِعُونَ عَلَيْهِ، وَوَرَاءَهُ رَجُلٌ وَضِيءُ الْوَجْهِ، أَحْوَل، ذُو غَدِيرَتَيْنِ، يَقُولُ: إِنَّهُ صَابِئٌ كَاذِبٌ[١]، يَتْبَعُهُ حَيْثُ ذَهَبَ، فَسَأَلْتُ عَنْه، فَقَالُوا: هَذَا عَمُّهُ أَبُو لَهَبٍ[٢].

أَبَا لَهَبٍ تَبَّتْ يَدَاكَ أَبَا لَهَبْ ... وَتَبَّتْ يَدَاهَا تِلْكَ حَمَّالَة الحَطَبْ

خَذَلْتَ نَبِيًّا خَيْرُ مَنْ وَطِئ الحَصَىٰ ... فَكُنْتَ كَمَنْ بَاعَ السَّلَامَة بِالْعَطَبْ

وَأَمَّا أَبُو طَالِبٍ فَكَانَ فِي غَايَةِ الشَّفَقَةِ وَالْحُنُوِّ الطَّبِيعِيِّ، دَلَّ عَلَىٰ ذَلِك حَدِيْثُ عَقِيلِ بْنِ أَبِي طَالِبٍ قَالَ: جَاءَتْ قُرَيْشٌ إِلَىٰ أَبِي طَالِبٍ فَقَالُوا: إِنَّ ابْنَ أَخِيكَ هَذَا قَدْ آذَانَا فِي نَادِينَا وَمَسْجِدِنَا، فَانْهَهُ عَنَّا.

فَقَالَ: يَا عَقِيلُ انْطَلِقْ فَأْتِنِي بِمُحَمَّدٍ، فَانْطَلَقْتُ إِلَيْهِ، فَاسْتَخْرَجْتُهُ مِنْ كِبْسٍ أَوْ حَنَسٍ -بَيْتٍ صَغِيرٍ- فَجَاءَ بِهِ فِي الظَّهِيرَةِ فِي شِدَّةِ الْحَرِّ، فَلَمَّا أَتَاهُمْ، قَالَ: إِنْ بَنِي عَمِّكَ هَؤُلَاءِ زَعَمُوا أَنَّكَ تُؤْذِيهِمْ فِي نَادِيهِمْ وَمَسْجِدِهِمْ، فَانْتَهِ عَنْ أَذَاهُمْ.

فَحَلَّقَ رَسُولُ اللهِ ﷺ بِبَصَرِهِ إِلَىٰ السَّمَاءِ، فَقَالَ: «**تَرَوْنَ هَذِهِ الشَّمْسَ**». قَالُوا: نَعَمْ. قَالَ: «**فَمَا أَنَا بِأَقْدَرَ عَلَىٰ أَنْ أَدَعَ ذَلِكَ مِنْكُمْ عَلَىٰ أَنْ تَسْتَشْعِلُوا مِنْهَا**

---

(١) الصَّابِيء: هُوَ مَنْ خَرَجَ مِنْ دِيْنٍ إِلَىٰ دِيْنٍ آخَرَ.

(٢) (حَسَنٌ) رَوَاهُ الإِمَام أَحْمَدُ فِي «مُسْنَدِهِ»(٣/ ٤٩٢- ٣٤١)، وَالأَلْبَانِيُّ رَحِمَهُ اللهُ فِي حَاشِيَةِ «فِقْهِ السِّيْرَةِ» (٣٤٢): إِسْنَادُهُ جَيِّدٌ.

شُعْلَةً». فَقَالَ أَبُو طَالِبٍ: وَاللهِ مَا كَذَبَ ابْنُ أَخِي قَطّ، فَارْجِعُوا(١).

وَلَمَّا لَمْ تُفْلِحْ قُرَيْش فِي صَدِّ رَسُولِ اللهِ ﷺ عَنْ دَعْوَتِهِ، انْتَقَلُوا إِلَىٰ الإِيْذَاءِ النَّفْسِيِّ.

قال أبو تمام رَحِمَهُ اللهُ:

حَسَدُ الْقَرَابَةِ لِلْقَرَابَةِ قَرْحَةٌ ... أعْيَتْ عَوَانِدُهَا وجُرْحٌ أقْدَمُ

تِلْكُمْ قُرَيْشٌ لم تَكُنْ آراؤُها ... تَهْفُو ولا أحلامُها تَتَقَسَّمُ

حتَّىٰ إذا بُعِثَ النَّبِيُّ محمدٌ ... فيهمْ غدتْ شحناؤهُمْ تَتَضَرَّمُ(٢)

٢ـ الإِيْذَاءُ النَّفْسِيُّ:

مُتَأَهِّبٍ لاَ يَسْتَفِزُّ جَنَانَهُ ... زَجِلُ الرُّعُودِ وَلاَمِعُ الإِبْرَاقِ(٣)

انْتَقَلَ المُشْرِكُونَ إِلَىٰ الإِيْذَاءِ النَّفْسِيِّ لِرَسُولِ اللهِ ﷺ عَنْ طَرِيْقِ الإِتِّهَامَاتِ البَاطِلَةِ؛ لِصَدِّ النَّاسِ عَنْهُ وَعَنْ دَعْوَتِهِ، وَمِنْ تِلْكَ الإِتِّهَامَاتِ:

١ ـ الجُنُونُ:

لَمْ يَعْهَدُوا عقْلاً كَعَقْلِكَ بَيْنَهُمْ ... فِي المُنْتَهَىٰ فتَوَهَّمُوهُ جُنُونا(٤)

اتَّهَمَ المُشْرِكُونَ الرَّسُولَ ﷺ بِالجُنُونِ، قَالَ اللهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ: ﴿ وَقَالُواْ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِى نُزِّلَ عَلَيۡهِ ٱلذِّكۡرُ إِنَّكَ لَمَجۡنُونٌ ﴾ [الحِجْرُ: ٦].

---

(١) (حَسَنٌ) رَوَاهُ الحَاكِمُ (٣/ ٥٧٧)، وَقَالَ الأَلْبَانِيُّ رَحِمَهُ اللهُ فِي حَاشِيَةِ «فِقْهِ السِّيْرَةِ» (١٤٣): «إِسْنَادُهُ حَسَنٌ».

(٢) ديوان أبي تمام (٢٠٧).

(٣) «مُعْجَمُ الأُدَبَاءِ» (٣/ ١٠٦٥).

(٤) قَالَهُ أُسْتَاذُنَا عَبْدُ الكَرِيْمِ بْنِ مُحَمَّدٍ العِمَادُ -حَفِظَهُ اللهُ-.

٢ ـ السِّحْرُ:

سَحَرَ البَيَانُ بَيَانَهُمْ فَتَخَبَّطُوا ... تُهُمًا فَقَالُوا سَاحِرٌ كَذَّابُ[١]

اتَّهَمَ المُشْرِكُونَ الرَّسُولَ ﷺ بِالسِّحْرِ، قَالَ اللهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى حَاكِيًا ذَلِكَ عَنْهُمْ: ﴿وَعَجِبُوٓاْ أَن جَآءَهُم مُّنذِرٞ مِّنۡهُمۡۖ وَقَالَ ٱلۡكَٰفِرُونَ هَٰذَا سَٰحِرٞ كَذَّابٌ ٤﴾ [ص: ٤].

٣ ـ الكَذِبُ:

اتَّهَمَ المُشْرِكُونَ رَسُولَ اللهِ ﷺ بِالكَذِبِ، قَالَ اللهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى حَاكِيًا ذَلِكَ عَنْهُمْ: ﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ إِنۡ هَٰذَآ إِلَّآ إِفۡكٌ ٱفۡتَرَىٰهُ وَأَعَانَهُۥ عَلَيۡهِ قَوۡمٌ ءَاخَرُونَۖ فَقَدۡ جَآءُو ظُلۡمٗا وَزُورٗا ٤﴾ [الفُرْقَانُ: ٤].

٤ ـ الإِتْيَانُ بِالأَسَاطِيرِ:

اتَّهَمَ المُشْرِكُونَ رَسُولَ اللهِ ﷺ بِالإِتْيَانِ بِالأَسَاطِيرِ، قَالَ اللهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى حَاكِيًا ذَلِكَ عَنْهُمْ: ﴿وَقَالُوٓاْ أَسَٰطِيرُ ٱلۡأَوَّلِينَ ٱكۡتَتَبَهَا فَهِيَ تُمۡلَىٰ عَلَيۡهِ بُكۡرَةٗ وَأَصِيلٗا ٥﴾ [الفُرْقَانُ: ٤][٢].

قال أُسْتَاذُنا عَبْدُ الْكَرِيمِ الْعِمَادُ - حفظه الله -:

لَقَدْ عَلِمُوا أن الأَسَاطِيرَ لَمْ تَكُنْ ... لِتَبْلُغَ عَبْدًا لَيْسَ يَقْرَأُ وَيَكْتُبُ

فَقَالُوا إِذَا مَا أَبْصَرُوا النُّورَ نَازِلا ... أَسَاطِيرَ قَوْمٍ يَفْتَرِيهَا وَيَكْذِبُ

إِذَا أَغْلَقَ اللهُ الْبَصَائِرَ لَمْ تَجِدْ ... مِنَ الشَّمْسِ نُورًا وَهِيَ تَبْدُو وَتُغْرِبُ

---

(١) قَالَهُ أُسْتَاذُنَا عَبْدُ الكَرِيمِ بْنِ مُحَمَّدٍ العِمَادُ - حَفِظَهُ اللهُ -.

(٢) ﴿أَسَٰطِيرُ ٱلۡأَوَّلِينَ﴾ أَخْبَارُهُمْ، وَمَا سُطِّرَ مِنْهَا وَكُتِبَ.

٥ ـ قَوْلُهُمْ: القُرْآنُ لَيْسَ مِنْ عِنْدِ اللهِ:

وَكَـمْ كَـذَّبُـوا القُـرْآنُ قَالُـوا كَلامُـهُ وَلَـيْـسَ كَـلَامَ اللـهِ وَاللـهِ قَاهِـرُ(١)

اتَّهَمَ المُشْـرِكُونَ رَسُـولَ اللهِ ﷺ بِالكَـذِبِ عَلَىٰ اللهِ، وَأَنَّ القُـرْآنَ لَيْسَ مِنْ عِنْدِ اللهِ قَالَ اللهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ: ﴿وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّهُمْ يَقُولُونَ إِنَّمَا يُعَلِّمُهُۥ بَشَرٌۗ لِّسَانُ ٱلَّذِى يُلْحِدُونَ إِلَيْهِ أَعْجَمِىٌّ وَهَٰذَا لِسَانٌ عَرَبِىٌّ مُّبِينٌ ﴿١٠٣﴾﴾ [النَّحْلُ: ١٠٣].

قَالَ الشَّاعِرُ:

كَـمْ عَـانَـدَتْـهُ قُرَيْـشُ أَوَّلَ وَهْلَـةٍ سَـفَـهًا، وَكَـمْ نَـبَـزُوهُ بِالأَلْـقَـابِ!
وَسَمُّوهُ -مَعَ صِفَةِ الجُنُونِ- بِكَاهِنٍ وَبِـشَـاعِـرٍ، وَبِـسَـاحِـرٍ، كَـذَّابِ
فَهُنَالِـكَ ارْتَفَـعَ الحِجَابُ، وَأَشْـرَقَتْ شَـمْـسُ النُّبُـوَّةِ فَـوْقَ كُـلِّ حِجَابِ
وَغَـدَا مَنَارُ الدِّيْـنِ مُتَّضِحَ الهُـدَىٰ وَالشِّـرْكُ مُنْتَكِصًا عَلَىٰ الأَعْقَـابِ(٢)

وَقَالَ أُسْتَاذُنَا عَبْدُ الكَرِيْمِ العِمَادُ -حَفِظَهُ اللهُ-:

كَانُـوا خَفَافِيْـشَ لَيْـلٍ لاَ يَطِيْـبُ لَهُـمْ حلاَوَةُ العَيْـشِ إِلَّا فِـي الدُّجَىٰ البَهِمِ
مَـنْ يُنْكِـرُ الحَـقَّ لَـمْ يُبْطِـلْ حَقِيْقَتَـهُ وَمُبْـغِضُ الشَّمْسِ لَمْ يُسْـدِلْ يَدَ الغَسَمِ(٣)
كَسَـوْهُ سِـيَـمَاءَ صِـدْقٍ قَبْـلَ بَعْثَتِهِ وَبَعْدَهَـا أَنْكَـرُوا مَـا فِيْـهِ مِنْ سِـيَـمِ!
مَـا قِـيْمَـةُ القَلْـبِ إِنْ أَسْـلَمْتَهُ لِهَوَىٰ وَالعَيْـنِ وَالأُذْنِ لِلظَّلْمَـاءِ وَالصَّمَمِ؟!

---

(١) قَالَهُ أُسْتَاذُنَا عَبْدُ الكَرِيْمِ بْنِ مُحَمَّدٍ العِمَادُ -حَفِظَهُ اللهُ-.

(٢) «دَوَاوِيْنُ الشِّعْرِ العَرَبِيِّ» (٨٣/ ٣٦٢).

(٣) الغَسَمُ - بِالتَّحْرِيْك - الظُّلْمَةُ.

٣ ـ الشعر:

حَسَدُوا، فَقَالُوا: شَاعِرٌ أَوْ سَاحِرٌ وَمِنَ الحَسُودِ يَكُونُ الاسْتِهْزَاءُ

وَمِنَ التُّهَمِ الَّتِي اتَّهَمُوا بِهِ النَّبِيَّ ﷺ أَنَّهُ يَقُولُ الشِّعْرَ، فَأَنْزَلَ اللهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ: ﴿إِنَّهُۥ لَقَوْلُ رَسُولٖ كَرِيمٖ ۝٤٠ وَمَا هُوَ بِقَوْلِ شَاعِرٖۚ قَلِيلٗا مَّا تُؤْمِنُونَ ۝٤١﴾ [الحَاقَّةُ: ٤٠-٤١].

٣ـ تَثْبِيتُ اللهِ لَهُ ﷺ:

لَكِنَّ مَوْلَاهُ وَاسَاهُ وَثَبَّتَهُ أَغْنَتْهُ عِصْمَتُهُ عَنْ كُلِّ مُعْتَصَمِ[١]

فِي جَوِّ تِلْكَ الحَرْبِ النَّفْسِيَّةِ مِنْ الاتِّهَامَاتِ البَاطِلَةِ، يَنْزِلُ عَلَيْهِ القُرْآنُ مِرَارًا مُثَبِّتًا وَمُؤَيِّدًا، وَآمِرًا لَهُ ﷺ بِالصَّبْرِ عَلَىٰ مَا يَقُولُ المُشْرِكُونَ.

قَالَ اللهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ: ﴿قَدْ نَعْلَمُ إِنَّهُۥ لَيَحْزُنُكَ ٱلَّذِي يَقُولُونَۖ فَإِنَّهُمْ لَا يُكَذِّبُونَكَ وَلَٰكِنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ يَجْحَدُونَ ۝٣٣ وَلَقَدْ كُذِّبَتْ رُسُلٞ مِّن قَبْلِكَ فَصَبَرُواْ عَلَىٰ مَا كُذِّبُواْ وَأُوذُواْ حَتَّىٰٓ أَتَىٰهُمْ نَصْرُنَاۚ وَلَا مُبَدِّلَ لِكَلِمَٰتِ ٱللَّهِۚ وَلَقَدْ جَآءَكَ مِن نَّبَإِيْ ٱلْمُرْسَلِينَ ۝٣٤ وَإِن كَانَ كَبُرَ عَلَيْكَ إِعْرَاضُهُمْ فَإِنِ ٱسْتَطَعْتَ أَن تَبْتَغِيَ نَفَقٗا فِي ٱلْأَرْضِ أَوْ سُلَّمٗا فِي ٱلسَّمَآءِ فَتَأْتِيَهُم بِـَٔايَةٖۚ وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ لَجَمَعَهُمْ عَلَى ٱلْهُدَىٰۚ فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ ٱلْجَٰهِلِينَ ۝٣٥﴾ [الأَنْعَامُ: ٣٣-٣٥].

وَقَدْ صَرَفَ اللهُ عَنْهُ سَبَّهُمْ وَذَمَّهُمْ بِاسْمِهِ، فَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**أَلَا تَعْجَبُونَ كَيْفَ يَصْرِفُ اللهُ عَنِّي شَتْمَ قُرَيْشٍ وَلَعْنَهُمْ؟!، يَشْتِمُونَ مُذَمَّمًا وَيَلْعَنُونَ مُذَمَّمًا، وَأَنَا مُحَمَّدٌ**»[٢].

أَيْ: كَفَىٰ اسْمِيَ الَّذِي هُوَ مُحَمَّدٌ أَنْ يُشْتَمَ بِالسَّبِّ[٣].

(١) قَالَهُ أُسْتَاذُنَا عَبْدُ الكَرِيمِ العِمَادُ -حَفِظَهُ اللهُ-.

(٢) رَوَاهُ البُخَارِيُّ (٣٥٣٣).

(٣) «شَرْحُ السُّيُوطِيِّ لِسُنَنِ النَّسَائِيِّ» (٦/ ١٥٩).

وَأَيَّدَهُ اللهُ بِمُعْجِزَةٍ خَالِدَةٍ، وآيَاتٍ بَيِّنَاتٍ يَطُولُ شَرْحُهَا:

أَتَتْنَا بِهِ الْأَنْبَاءُ قَبْلَ مَجِيئِهِ ... وَشَاعَتْ بِهِ الْأَخْبَارُ فِي كُلِّ جَانِبِ
وَرَامَ اسْتِرَاقَ السَّمْعِ جِنٌّ فَزَيَّلَتْ(١) ... مَقَاعِدَهُمْ مِنْهَا رُجُومُ الْكَوَاكِبِ
هَدَانَا إِلَىٰ مَا لَمْ نَكُنْ نَهْتَدِي لَهُ ... لِطُولِ الْعَمَىٰ مِنْ وَاضِحَاتِ الْمَذَاهِبِ
وَجَاءَ بِآيَاتٍ تُبَيِّنُ أَنَّهَا ... دَلَائِلُ جَبَّارٍ مُثِيبٍ مُعَاقِبِ
فَمِنْهَا انْشِقَاقُ الْبَدْرِ حِينَ تَعَمَّمَتْ ... شُعُوبُ الضِّيَا مِنْهُ رُءُوسَ الْأَخَاشِبِ
وَمِنْهَا نُبُوعُ الْمَاءِ بَيْنَ بَنَانِهِ ... وَقَدْ عَدِمَ الْوُرَّادُ قُرْبَ الْمَشَارِبِ
فَرَوَّىٰ بِهِ جَمًّا(٢) غَفِيرًا وَأَسْهَلَتْ ... بِأَعْنَاقِهِ طَوْعًا أَكُفُّ الْمَذَانِبِ
وَبِئْرٌ طَغَتْ بِالْمَاءِ مِنْ مَسِّ سَهْمِهِ ... وَمِنْ قَبْلُ لَمْ تَسْمَحْ بِمَذْقَةِ شَارِبِ
وَضَرْعٌ مَرَاهُ(٣) فَاسْتَدَرَّ وَلَمْ يَكُنْ بِهِ ... دَرَّةٌ تُصْغِي إِلَىٰ كَفِّ حَالِبِ
وَنُطْقٌ فَصِيحٌ مِنْ ذِرَاعٍ مُبِينَةٍ ... لِكَيْدِ عَدُوٍّ لِلْعَدَاوَةِ نَاصِبِ
وَمِنْ تِلْكُمُ الْآيَاتِ وَحْيٌ أَتَىٰ بِهِ ... قَرِيبُ الْمَآتِي مُسْتَجِمُّ الْعَجَائِبِ
تَقَاصَرَتِ الْأَفْكَارُ عَنْهُ فَلَمْ يُطِعْ ... بَلِيغًا، وَلَمْ يَخْطُرْ عَلَىٰ قَلْبِ خَاطِبِ(٤)

---

(١) فَزَيَّلَتْ: فَفَرَّقَتْ

(٢) الجَمُّ: الكَثِيْرُ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ.

(٣) مَرَاهُ: قَسَمَهُ.

(٤) «مَجْمُوعَةُ القَصَائِد الزُّهْدِيَّات» (٤٧١).

أَذَى المُشْرِكِيْنَ الجَسَدِيُّ:

صَبَـرْتَ فَنِلْتَ النَّصْـرَ بِالصَّبْرِ وَالمُنَىٰ وَمَـا انْـقَـادَتِ الآمَـالُ إِلَّا لِصَابِـرِ [1]

أ ـ مُحَاوَلَةُ قَتْلِهِ:

حَـمَـاهُ إِلَاهِـي إِذَا أَرَادُوا اغْـتِيَالَـهُ وَلَـيْـسَ لِـمَـنْ يَرْعَـاهُ مَـوْلَاهُ قَاتِـلُ [2]

لَمَّا لَمْ تُثْمِرْ أَسَالِيْبُ الأَذَىٰ النَّفْسِي وَالمَعْنَوِيِّ فِي صَدِّ رَسُولِ اللهِ ﷺ وَأَصْحَابِهِ عَنْ دِيْنِهِمْ، لَجَأَتْ قُرَيْشٌ إِلَىٰ أَسْلُوبِ الاعْتِدَاءِ الجَسَدِيِّ.

فَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ أَبُو جَهْلٍ: هَلْ يُعَفِّرُ مُحَمَّدٌ وَجْهَهُ بَيْنَ أَظْهُرِكُمْ، قَالَ: فَقِيلَ نَعَمْ، فَقَالَ: وَاللَّاتِ وَالْعُزَّىٰ لَئِنْ رَأَيْتُهُ يَفْعَلُ ذَلِكَ،لَأَطَأَنَّ عَلَىٰ رَقَبَتِهِ، أَوْ لَأُعَفِّرَنَّ وَجْهَهُ فِي التُّرَابِ،قَالَ: فَأَتَىٰ رَسُولَ اللهِ ﷺ وَهُوَ يُصَلِّي زَعَمَ لِيَطَأَ عَلَىٰ رَقَبَتِهِ، قَالَ: فَمَا فَجِئَهُمْ مِنْهُ إِلَّا وَهُوَ يَنْكُصُ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ وَيَتَّقِي بِيَدَيْهِ، قَالَ: فَقِيلَ لَهُ مَا لَكَ؟، فَقَالَ: إِنَّ بَيْنِي وَبَيْنَهُ لَخَنْدَقًا مِنْ نَارٍ وَهَوْلًا وَأَجْنِحَةً. فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**لَوْ دَنَا مِنِّي لَاخْتَطَفَتْهُ الْمَلَائِكَةُ عُضْوًا عُضْوًا**»[3].

عَنْ عُرْوَةَ بْنِ الزُّبَيْرِ، قَالَ: سَأَلْتُ عَبْدَ اللهِ بْنَ عَمْرٍو رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا، عَنْ أَشَدِّ مَا صَنَعَ الْمُشْرِكُونَ بِرَسُولِ اللهِ ﷺ، قَالَ: «رَأَيْتُ عُقْبَةَ بْنَ أَبِي مُعَيْطٍ جَاءَ إِلَىٰ النَّبِيِّ ﷺ وَهُوَ يُصَلِّي، فَوَضَعَ رِدَاءَهُ فِي عُنُقِهِ فَخَنَقَهُ بِهِ خَنْقًا شَدِيدًا، فَجَاءَ أَبُو بَكْرٍ حَتَّىٰ دَفَعَهُ

(١) «دِيْوَانُ ابْنِ مُشَرَّفٍ» (١٥١).

(٢) قَالَهُ أُسْتَاذُنَا عَبْدُ الكَرِيْمِ العِمَادُ -حَفِظَهُ اللهُ-.

(٣) رَوَاهُ مُسْلِمٌ. (٢٧٩٧).

عَنْه، فَقَالَ: ﴿أَتَقْتُلُونَ رَجُلًا أَن يَقُولَ رَبِّيَ ٱللَّهُ وَقَدْ جَآءَكُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ مِن رَّبِّكُمْ﴾ [غَافِرُ: ٢٨]»[١].

٢ـ إِلْقَاءُ سَلَا الجَزُورِ عَلَى ظَهْرِهِ:

حَتَّى عَلَى كَتِفَيْكَ الطَّاهِرِيْنِ رَمَوْا ... سَلَا الْجَزُورِ بِكَفِّ الْمُشْرِكِ الْقَزَمِ[٢]

عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ مَسْعُودٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، قَالَ: مَا رَأَيْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ دَعَا عَلَى قُرَيْشٍ غَيْرَ يَوْمٍ وَاحِدٍ، فَإِنَّهُ كَانَ يُصَلِّي وَرَهْطٌ مِنْ قُرَيْشٍ جُلُوسٌ،وَسَلَا جَزُورٍ قَرِيبٌ مِنْه، فَقَالُوا: مَنْ يَأْخُذُ هَذَا السَّلَا، فَيُلْقِيَهُ عَلَى ظَهْرِهِ.

قَالَ: فَقَالَ عُقْبَةُ بْنُ أَبِي مُعَيْطٍ: أَنَا، فَأَخَذَهُ فَأَلْقَاهُ عَلَى ظَهْرِهِ، فَلَمْ يَزَلْ سَاجِدًا، حَتَّى جَاءَتْ فَاطِمَةُ رَضِيَ اللهُ عَنْهَا، فَأَخَذَتْهُ عَنْ ظَهْرِهِ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**اللهُمَّ عَلَيْكَ الْمَلَإِ مِنْ قُرَيْشٍ، اللهُمَّ عَلَيْكَ بِعُتْبَةَ بْنِ رَبِيعَةَ، اللهُمَّ عَلَيْكَ بِشَيْبَةَ بْنِ رَبِيعَةَ، اللهُمَّ عَلَيْكَ بِأَبِي جَهْلِ بْنِ هِشَامٍ، اللهُمَّ عَلَيْكَ بعُقْبَةَ بْنِ أَبِي مُعَيْطٍ، اللهُمَّ عَلَيْكَ بِأُبَيِّ بْنِ خَلَفٍ أَوْ أُمَيَّةَ بْنِ خَلَفٍ**» (الشَّكُّ مِنْ شُعْبَةَ).

قَالَ: قَالَ عَبْدُ اللهِ: فَلَقَدْ رَأَيْتُهُمْ قُتِلُوا يَوْمَ بَدْرٍ جَمِيعًا، ثُمَّ سُحِبُوا إِلَى الْقَلِيبِ غَيْرَ أُبَيٍّ، أَوْ أُمَيَّةَ، فَإِنَّهُ كَانَ رَجُلًا ضَخْمًا، فَتَقَطَّعَ»[٣].

قَالَ الأَلْبَانِيُّ رَحِمَهُ اللهُ: «وَالصَّوَابُ: أُمَيَّةَ بْنِ خَلَفٍ؛ فَإِنَّهُ الَّذِي قُتِلَ يَوْمَ بَدْرٍ،

---

(١) رَوَاهُ البُخَارِيُّ (٣٥٣٣).

(٢) «مَوْسُوعَةُ الشِّعْرِ الإِسْلاَمِي»(٢/ ٥٧٢) والجَزُورِ: النَّاقَة.

(٣) رَوَاهُ البُخَارِيُّ (٣٨٨٣)،وَمُسْلِمٌ (٤٣١).

وَأَخُوهُ أُبَيٌّ إِنَّمَا قُتِلَ يَوْمَ أُحُدٍ. وَالسَّلَا: هُوَ الَّذِي يَخْرُجُ مَعَ وَلَدِ النَّاقَةِ: كَالمَشِيْمَةِ لِوَلَدِ المَرْأَةِ»[١].

٣ـ أَشَدُّ مَا لاَقَى مِنَ المُشْرِكِيْنَ:

تُرْمَىٰ وَتُؤْذَىٰ بِأَصْنَافِ الْعَذَابِ فَمَا ... رُئِيتَ فِيْ كُوْبِ جَبَّارٍ وَمُنْتَقِمٌ[٢]

وَعَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهَا أَنَّهَا قَالَتْ لِرَسُولِ اللهِ ﷺ: يَا رَسُولَ اللهِ، هَلْ أَتَىٰ عَلَيْكَ يَوْمٌ كَانَ أَشَدَّ مِنْ يَوْمِ أُحُدٍ؟

قَالَ: «**لَقَدْ لَقِيتُ مِنْ قَوْمِكِ مَا لَقِيتُ، وَكَانَ أَشَدُّ مَا لَقِيتُ مِنْهُمْ يَوْمَ الْعَقَبَةِ، إِذْ عَرَضْتُ نَفْسِي عَلَىٰ ابْنِ عَبْدِ يَالِيلَ بْنِ عَبْدِ كُلاَلٍ، فَلَمْ يُجِبْنِي إِلَىٰ مَا أَرَدْتُ، فَانْطَلَقْتُ وَأَنَا مَهْمُومٌ عَلَىٰ وَجْهِي، فَلَمْ أَسْتَفِقْ إِلاَّ وَأَنَا فِي قَرْنِ الثَّعَالِبِ، فَرَفَعْتُ رَأْسِي، فَإِذَا أَنَا بِسَحَابَةٍ قَدْ أَظَلَّتْنِي، فَنَظَرْتُ فَإِذَا فِيهَا جِبْرِيلُ فَنَادَانِي فَقَالَ: إِنَّ اللهَ قَدْ سَمِعَ قَوْلَ قَوْمِكَ لَكَ وَمَا رَدُّوا عَلَيْكَ، وَقَدْ بَعَثَ إِلَيْكَ مَلَكَ الْجِبَالِ لِتَأْمُرَهُ بِمَا شِئْتَ فِيهِمْ، فَنَادَانِي مَلَكُ الْجِبَالِ، فَسَلَّمَ عَلَيَّ ثُمَّ قَالَ: يَا مُحَمَّدُ، إِنَّ اللهَ قَدْ سَمِعَ قَوْلَ قَوْمِكَ لَكَ، وَأَنَا مَلَكُ الْجِبَالِ، وَقَدْ بَعَثَنِي رَبُّكَ إِلَيْكَ لِتَأْمُرَنِي بِأَمْرِكَ فَمَا شِئْتَ، إِنْ شِئْتَ أَنْ أُطْبِقَ عَلَيْهِمُ الْأَخْشَبَيْنِ**[٣].

فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «**بَلْ أَرْجُو أَنْ يُخْرِجَ اللهُ مِنْ أَصْلَابِهِمْ مَنْ يَعْبُدُ اللهَ وَحْدَهُ**

(١) «صَحِيحُ السِّيْرَةِ النَّبَوِيَّةِ (١٤٦).

(٢) «مَوْسُوعَةُ الشِّعْرِ الإِسْلاَمِي»(٢/ ٥٧٢).

(٣) الأَخْشَبَانِ: جَبَلَانِ فِي مَكَّةَ، هُمَا جَبَلُ أَبِي قُبَيْسٍ، الَّذِي عَلَيْهِ القَصْرُ المَلَكِيُّ اليَوْمَ، والجَبَلُ الآحْمَرُ المُشْرِفُ عَلَىٰ قُعَيْقِعَانِ، وَهُمَا مُطِلَّانِ عَلَىٰ المَسْجِدِ الحَرَامِ مِنَ المَشْرِقِ.

لَا يُشْرِكُ بِهِ شَيْئًا»[١].

أَنْتَ الحَرِيْصُ عَلَيْهِمْ وَالرَّءُوفُ بِهِمْ ... وَمَا يَزَالُ رَحِيْمًا قَلْبُكَ الحَدِبُ[٢]

يَزْدَادُ حِلْمُكَ فِيهِمْ عِنْدَ كُلِّ أَذًى ... فَأَنْتَ أُمٌّ لَهُمْ -رَغْمَ الأَذَى- وَأَبُ[٣]

٤ـ إِيْذَاءُ المُشْرِكِيْنَ لِلمُؤْمِنِيْنَ:

يَزِيْدُ الأَذَى مِنْهُمْ، فَيَزْدَادُ حِلْمُنَا ... وَيَعْظُمُ وَقْعُ الخَطْبِ فِيْنَا فَنَعْظُمُ[٤]

كَمَا أُوْذِيَ رَسُولُ اللهِ ﷺ أُوْذِيَ أَصْحَابُهُ.

عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ مَسْعُودٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، قَالَ: «كَانَ أَوَّلَ مَنْ أَظْهَرَ إِسْلامَهُ سَبْعَةٌ رَسُولُ اللهِ ﷺ، وَأَبُو بَكْرٍ، وَعَمَّارٌ، وَأُمُّهُ سُمَيَّةُ، وَصُهَيْبٌ، وَبِلالٌ، وَالْمِقْدَادُ.

فَأَمَّا رَسُولُ اللهِ ﷺ فَمَنَعَهُ اللهُ بِعَمِّهِ أَبِي طَالِبٍ، وَأَمَّا أَبُو بَكْرٍ فَمَنَعَهُ اللهُ بِقَوْمِهِ، وَأَمَّا سَائِرُهُمْ فَأَخَذَهُمُ الْمُشْرِكُونَ فَأَلْبَسُوهُمْ أَدْرَاعَ الْحَدِيدِ، وَصَهَرُوهُمْ فِي الشَّمْسِ، فَمَا مِنْهُمْ إِلا مَنْ وَاتَاهُمْ فِيمَا أَرَادُوا وَأَوْهَمَهُمْ بِذَلِكَ إِلا بِلالٌ، فَإِنَّهُ هَانَتْ عَلَيْهِ نَفْسُهُ فِي اللهِ عَزَّ وَجَلَّ، وَهَانَ عَلَى قَوْمِهِ فَأَخَذُوهُ وَأَعْطَوْهُ الْوِلْدَانَ، فَجَعَلُوا يَطُوفُونَ بِهِ فِي شِعَابِ مَكَّةَ وَهُوَ يَقُولُ: أَحَدٌ أَحَدٌ»[٥].

---

(١) رَوَاهُ البُخَارِيُّ (٣٠٥٩)، وَمُسْلِمٌ (١٧٩٥).

(٢) الحَدِب: العَطُوفُ الحَنُون.

(٣) «مُخْتَارَاتٌ مِنْ أَجْمَلِ الشِّعْرِ» (٨٣).

(٤) «دِيْوَانُ أَحْمَد مُحَرَّم» (١٤).

(٥) (حَسَنٌ) أَخْرَجَهُ أَحْمَدُ (١/ ٤٠٤)، وَحَسَّنَهُ وَالأَلْبَانِيُّ رَحِمَهُ اللهُ فِي «صَحِيحِ السِّيْرَةِ» (١٢١).

أَحَــدُ هَـتَـفَـتْ بِهَـا لِـكُلِّ مُعَطِّـلِ　　أَنْـتَ الـمُـؤَذِّنُ لِلرَّسُـولِ فَـرَتِّـلِ
وَاهْــزِمْ بِـصَـوْتِـكَ كُلَّ طَـاغٍ فَاجِـرٍ　　وَاسْـحَـقْ بِقَوْلِـكَ كُلَّ زَحْـفٍ بَاطِـلِ

عَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللهِ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ مَرَّ بِعَمَّارٍ وَأَهْلِهِ وَهُمْ يُعَذَّبُونَ، فَقَالَ: «**أَبْشِرُوا آلَ عَمَّارٍ وَآلَ يَاسِرٍ، فَإِنَّ مَوْعِدَكُمُ الْجَنَّةُ**»(١).

وَنَالَ خَبَّابَ بْنَ الأَرَتِّ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ مَا نَالَ غَيْرَهُ مِنَ الأَذَىٰ، حَتَّىٰ سَأَلَ رَسُولَ اللهِ ﷺ أَلَا تَدْعُو لَنَا؟؛ لِيُخَفِّفَ عَنِ الْمُسْتَضْعَفِيْنَ.

عَنْ خَبَّابِ بْنِ الأَرَتِّ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ: أَتَيْتُ رَسُولُ اللهِ ﷺ وَهُوَ مُتَوَسِّدٌ بُرْدَةً، وَهُوَ فِي ظِلِّ الكَعْبَةِ وَقَدْ لَقِينَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ شِدَّةً، فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ، أَلَا تَدْعُو لَنَا؟، فَقَعَدَ وَهُوَ مُحْمَرٌّ وَجْهُه، فَقَالَ: «**لَقَدْ كَانَ مَنْ قَبْلَكُمْ لَيُمْشَطُ بِمِشَاطِ الحَدِيدِ، مَا دُونَ عِظَامِهِ مِنْ لَحْمٍ أَوْ عَصَبٍ، مَا يَصْرِفُهُ ذَلِكَ عَنْ دِينِهِ، وَيُوضَعُ المِنْشَارُ عَلَىٰ مَفْرِقِ رَأْسِهِ، فَيُشَقُّ بِاثْنَيْنِ مَا يَصْرِفُهُ ذَلِكَ عَنْ دِينِهِ، وَلَيُتِمَّنَّ اللهُ هَذَا الأَمْرَ، حَتَّىٰ يَسِيرَ الرَّاكِبُ مِنْ صَنْعَاءَ إِلَىٰ حَضْرَمَوْتَ، مَا يَخَافُ إِلَّا اللهَ**»(٢).

وَفِي رِوَايَةٍ عَنْهُ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ: شَكَوْنَا إِلَىٰ رَسُولِ اللهِ ﷺ وَهُوَ مُتَوَسِّدٌ بُرْدَةً لَهُ فِي ظِلِّ الْكَعْبَةِ فَقُلْنَا: أَلَا تَسْتَنْصِرُ لَنَا؟، أَلَا تَدْعُو اللهَ لَنَا؟، فَقَالَ: «**قَدْ كَانَ مَنْ قَبْلَكُمْ يُؤْخَذُ الرَّجُلُ فَيُحْفَرُ لَهُ فِي الْأَرْضِ فَيُجْعَلُ فِيهَا فَيُجَاءُ بِالْمِنْشَارِ فَيُوضَعُ عَلَىٰ رَأْسِهِ، فَيُجْعَلُ نِصْفَيْنِ، وَيُمْشَطُ بِأَمْشَاطِ الْحَدِيدِ مَا دُونَ لَحْمِهِ وَعَظْمِهِ، فَمَا**

---

(١) (صَحِيحٌ) أَخْرَجَهُ الحَاكِمُ (٣-٣٨٨-٣٨٩)، وَصَحَّحَهُ الأَلْبَانِيُّ رَحِمَهُ اللهُ فِي «صَحِيحِ السِّيرَةِ» (١٥٥).

(٢) رَوَاهُ البُخَارِيُّ (٣٦٣٩).

يَصُدُّهُ ذَلِكَ عَنْ دِينِهِ، وَاللهِ لَيُتَمَّنَّ هَذَا الْأَمْرَ حَتَّىٰ يَسِيرَ الرَّاكِبُ مِنْ صَنْعَاءَ إِلَىٰ حَضْرَمَوْتَ لَا يَخَافُ إِلَّا اللهَ، أَوِ الذِّئْبَ عَلَىٰ غَنَمِهِ، وَلَكِنَّكُمْ تَسْتَعْجِلُونَ»(١).

وَقَالَتْ عَائِشَةُ رَضِيَ اللهُ عَنْهَا وَقَدْ سُئِلَتْ عَنِ الهِجْرَةِ: «لَا هِجْرَةَ الْيَوْمَ، كَانَ الْمُؤْمِنُونَ يَفِرُّ أَحَدُهُمْ بِدِينِهِ إِلَىٰ اللهِ تَعَالَىٰ، وَإِلَىٰ رَسُولِهِ ﷺ، مَخَافَةَ أَنْ يُفْتَنَ عَلَيْهِ، فَأَمَّا الْيَوْمَ فَقَدْ أَظْهَرَ اللهُ الْإِسْلَامَ، فَالْمُؤْمِنُ يَعْبُدُ رَبَّهُ حَيْثُ شَاءَ»(٢).

وَعَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا قَالَ: «... كَانَ الْإِسْلَامُ قَلِيلًا، فَكَانَ الرَّجُلُ يُفْتَنُ فِي دِينِهِ: إِمَّا يَقْتُلُونَهُ وَإِمَّا يُوثِقُونَه، حَتَّىٰ كَثُرَ الْإِسْلَامُ فَلَمْ تَكُنْ فِتْنَةٌ ...»(٣).

قَالَ أُسْتَاذُنَا عَبْدُ الكَرِيْمِ العِمَادُ -حَفِظَهُ اللهُ-:

قَدْ حَاوَلُوا قَتْلَهُ خَنْقًا، وَمَا قَدَرُوا ... أَلْقُوا عَلَيْهِ السَّلَا فِي حُرْمَةِ الحَرَمِ
وَاسْتَمْرَؤُا كُلَّ حِقْدٍ فِي عَدَاوَتِهِ ... هَيْهَاتَ مَا تَفْعَلُ الجِرْذَانُ بِالأُطُمِ(٤)
تَعْذِيْبُ أَصْحَابِهِ كَمْ كَانَ يُؤْلِمُهُ ... وَفِيهِ أَضْعَافُ مَا فِيْهِمْ مِنَ الأَلَمِ
قَالُوا لَهُ: يَارَسُولَ الله، اُدْعُ لَنَا ... فَسَاقَ صَبْرَ الأُلَىٰ(٥) فِي الأَعْصُرِ الدُّهُمِ(٦)
ذَاقُوا أَشَدَّ عَذَابًا مِنْ عَذَابِكُمْ ... فَمَا اسْتَكَانُوا، وَمَا أَلْقَوا يَدَا السَّلَمِ

(١) رَوَاهُ البُخَارِيُّ (٣٦١٢).
(٢) رَوَاهُ البُخَارِيُّ (٣٦٨٧)، كِتَابُ: مَنَاقِبُ الأَنْصَارِ.
(٣) رَوَاهُ البُخَارِيُّ (٤٥١٤)، كِتَابُ: التَّفْسِيرِ.
(٤) الأُطُم: الحِصْنُ المَبْنِيُّ بِحِجَارَةٍ.
(٥) الأُلَىٰ: الَّذِين.
(٦) الأَعْصُر الدُّهُمِ: القَدِيْمَةُ المَاضِيَة.

فَـجَـاءَهُ مَـلَـكٌ مِـنْ رَبِّـهِ مَـدَادًا ... ذُو قُـوَّةٍ تَجْعَـلُ الأَطْـوَادِ [١] كَالرِّمَمِ [٢]

لَـكِنَّـهُ رَحْـمَـةٌ لِلخَـلْـقِ مُـرْسَلَةٌ ... تَـعَـاظَـمَـتْ أَنْ تَـرَدَّىٰ ثَـوْبَ مُنْتَقِمِ

أَشَـارَ بِالـهِجْـرَةِ الأُولَـىٰ إِلَـىٰ مَلِـكٍ ... نِعْـمَ المُبَجَّـلُ مِـنْ وَالٍ وَمِـنْ حَكَـمِ

قَـدْ تَزْهَدُ الأُسْـدُ بِالآجَامِ [٣] شَـامِخَةً ... إِذَا تَـكَـاثَـرَتِ الأَقْـذَارُ فِـي الأُجُـمِ

---

(١) الأَطْوَاد: جَمْعُ طَوْدٍ، وَهُوَ الجَبَلُ العَظِيْمُ.

(٢) الرِّمَمِ: جَمْعُ رِمَّةٍ -بِالكَسْرِ-؛ وَهِيَ العِظَامُ البَالِيَةُ.

(٣) الآجَامُ: جَمْعُ أَجمةٍ - بِفَتْحَتَيْنِ-، وَهِيَ الغَابَة، وَتُجْمَعُ الأَجمةِ -أَيْضًا- بِالضَّمِّ، وَبِضَمَّتَيْنِ، وَبِالتَّحْرِيْكِ.

الهِجْرَةُ إِلَى الحَبَشَةِ

أَزْمَعَتْ [١] لَكَ الهِجْرَةُ الأُوْلَىٰ إِلَىٰ ... إِنْـجَاحِ قَصْدٍ أَوْ إِلَىٰ إِعْذَارِ [٢]

١ـ الهِجْرَةُ الأُوْلَى:

لَمَّا اشْتَدَّ البَلَاءُ بِالْمُسْلِمِينَ، أَذِنَ اللهُ لَهُمْ فِي الهِجْرَةِ إِلَىٰ الْحَبَشَةِ [٣]، وَمِنَ الثَّابِتِ أَنَّ الْمُسْلِمِينَ هَاجَرُوا إِلَىٰ الْحَبَشَةِ مَرَّتَيْنِ [٤]، وَكَانَتِ الهِجْرَةِ الْأُولَىٰ فِي شَهْرِ رَجَبٍ مِنْ سَنَةِ خَمْسٍ مِنَ الْمَبْعَثِ، وَأَنَّ أَوَّلَ مَنْ هَاجَرَ مِنْهُمْ أَحَدَ عَشَرَ رَجُلًا وَأَرْبَعُ نِسْوَةٍ [٥].

عَنْ أُمِّ سَلَمَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهَا زَوْجِ النَّبِيِّ ﷺ، أَنَّهَا قَالَتْ: «لَمَّا ضَاقَتْ عَلَيْنَا مَكَّةُ وَأُوذِيَ أَصْحَابُ رَسُولِ اللهِ ﷺ، وَفُتِنُوا وَرَأَوْا مَا يُصِيبُهُمْ مِنَ الْبَلَاءِ وَالْفِتْنَةِ فِي دِينِهِمْ، وَأَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ لا يَسْتَطِيعُ دَفْعَ ذَلِكَ عَنْهُمْ، وَكَانَ رَسُولُ اللهِ ﷺ فِي مَنَعَةٍ مِنْ قَوْمِهِ وَعَمِّهِ، لا يَصِلُ إِلَيْهِ شَيْءٌ مِمَّا يَكْرَهُ مَا يَنَالُ أَصْحَابَهُ، فَقَالَ لَهُمْ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**إِنَّ بِأَرْضِ الْحَبَشَةِ مَلِكًا لا يُظْلَمُ أَحَدٌ عِنْدَه، فَالْحَقُوا بِبِلادِهِ، حَتَّىٰ**

---

(١) أَزْمَعَتْ: أَشْرَعَتْ.

(٢) «دَوَاوِيْنُ الشِّعْرِ العَرَبِيِّ» (٤٣/ ٤٨٠).

(٣) «الفُصُول فِي سِيْرَةِ الرَّسُول» (٥٦).

(٤) رَوَاهُ البُخَارِيّ، «فَتْحُ البَارِي» (٧/ ١٨٧).

(٥) «الطَّبَقَاتُ» (١/ ٢٠٤)، وَ«تَارِيخُ الطَّبَرِي» (٢/ ٣٢٩)، وَ«السِّيرَةُ لابْنِ إِسْحَاق» (١/ ٢٢٣)، وَ«فَتْحُ البَارِي» (٧/ ٢٢٧).

يَجْعَلَ اللهُ لَكُمْ فَرَجًا، وَمَخْرَجًا مِمَّا أَنْتُمْ فِيهِ»(١).

فَخَرَجْنَا إِلَيْهَا أَرْسَالا، حَتَّىٰ اجْتَمَعْنَا، وَنَزَلْنَا بِخَيْرِ دَارٍ إِلَىٰ خَيْرِ جَارٍ أَمِنًّا عَلَىٰ دِينِنَا، وَلَمْ نَخْشَ مِنْهُ ظُلْمًا.

وَلَم يَزَل أَهْلُ دِيْنِ اللهِ في نَصَبٍ ... مِمَّا يُلاقُونَ مِنْ كَرْبٍ وَمِنْ زَأَمِ(٢)
حَتَّىٰ إِذَا لَمْ يَعُدْ فِي الأَمْرِ مَنْزَعَةٌ ... وَأَصْبَحَ الشَّرُّ جَهْرًا غَيْرَ مُنْكَتِمِ
سَارُوا إِلىٰ الهِجْرَةِ الأُوْلَىٰ وَمَا قَصَدُوا ... غَيْرَ النَّجَاشِيِّ مَلِكًا صَادِقَ الذِّمَمِ(٣)

٢ ـ الهِجْرَةُ الثَّانِيَةُ إِلَى الحَبَشَةِ:

نَزَلُوا بِسَاحَةِ مَاجِدٍ مُتَكَرِّمٍ ... لَمْ يَالُهُمْ بِرًّا ولَا إِحْسَانَا(٤)

فِي أَعْقَابِ الهِجْرَةِ الأُولَى إِلَىٰ الْحَبَشَةِ، حَدَثَ أَنْ صَلَّىٰ رَسُولُ اللهِ ﷺ فِي المَسْجِدِ الحَرَامِ، فَقَرَأَ سُورَةَ النَّجْمِ، فَسَجَدَ فِي مَوْضِعِ السُّجُودِ، وَسَجَدَ مَنْ كَان حَاضِرًا مَعَهُ مِنْ الْمُسْلِمِيْنَ وَالمُشْرِكِيْنَ، وَالْجِنِّ وَالإِنْسِ(٥).

---

(١) (حَسَنٌ)، انْظُرْ: «فَتْحُ البَارِي» (٧/ ١٨٩)، وَ«سِيرَةُ ابْنِ إِسْحَاق» (١٩٤)، وَ«سِيرَةُ ابْنِ هِشَام» (١/ ٣٣٤).

(٢) الزَّأَمُ: الذُّعْرُ والخَوْف الشَّدِيْد، وَالذِّمَمُ: جَمْعُ ذِمَّةٍ، وَهِي العَهْدُ.

(٣) «مَوْسُوعَةُ الشِّعْرِ الإِسْلَامِي» (٧/ ٦٠٦).

(٤) «دِيْوَانُ أَحْمَد مُحَرَّم» (١٠١٤).

(٥) رَوَتْ قِصَّةٌ بَاطِلَةٌ، ضَعَّفَهَا الأَلْبَانِيُّ رَحِمَهُ اللهُ فِي كِتَابِهِ: «نَصْبُ المَجَانِيْقُ لِنَسْفِ قِصَّةِ الْغَرَانِيق».
وَهَذِهِ القِصَّةُ تَقُولُ: لَمَّا أُنْزِلَتْ هَذِهِ الآيَةُ: ﴿أَفَرَءَيْتُمُ ٱللَّٰتَ وَٱلْعُزَّىٰ ۝١٩﴾ قَرَأَهَا رَسُولُ اللَّه ﷺ «تِلْكَ الْغَرَانِيق الْعُلَىٰ، وَإِنَّ شَفَاعَتهنَّ تُرْتَجَىٰ» فَسَجَدَ رَسُولُ اللَّه ﷺ.
فَقَالَ الْمُشْرِكُونَ: إِنَّهُ لَمْ يَذْكُر آلِهَتكُمْ قَبْل الْيَوْم بِخَيْرٍ! فَسَجَدَ الْمُشْرِكُونَ مَعَه، فَأَنْزَلَ اللَّه: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ وَلَا نَبِيٍّ إِلَّآ إِذَا تَمَنَّىٰٓ أَلْقَى ٱلشَّيْطَٰنُ فِىٓ أُمْنِيَّتِهِۦ فَيَنسَخُ ٱللَّهُ مَا يُلْقِى ٱلشَّيْطَٰنُ ثُمَّ يُحْكِمُ ٱللَّهُ ءَايَٰتِهِۦ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ۝٥٢ لِّيَجْعَلَ مَا يُلْقِى ٱلشَّيْطَٰنُ فِتْنَةً لِّلَّذِينَ فِى

فَعَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا «أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ سَجَدَ بِالنَّجْمِ، وَسَجَدَ مَعَهُ الْمُسْلِمُونَ وَالْمُشْرِكُونَ، وَالْجِنُّ وَالإِنْسُ»(١).

وَعَنْ عَبْدِ اللهِ ابْنِ مَسْعُودٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: أَوَّلُ سُورَةٍ أُنْزِلَتْ فِيهَا سَجْدَةٌ ﴿وَالنَّجْمِ﴾ قَالَ: «فَسَجَدَ رَسُولُ اللهِ ﷺ وَسَجَدَ مَنْ خَلْفَهُ إِلَّا رَجُلًا رَأَيْتُهُ أَخَذَ كَفًّا مِنْ تُرَابٍ فَسَجَدَ عَلَيْهِ، فَرَأَيْتُهُ بَعْدَ ذَلِكَ قُتِلَ كَافِرًا وَهُوَ أُمَيَّةُ بْنُ خَلَفٍ»(٢).

وَسَبَبُ سُجُودِ الْمُشْرِكِيْنَ «لِدَهْشَةٍ أَصَابَتْهُمْ وَخَوْفٌ اعْتَرَاهُمْ عِنْدَ سَمَاعِ السُّورَةِ، لِمَا فِيْهَا مِنْ قَوْلِهِ -تَعَالَىٰ-: ﴿وَأَنَّهُۥٓ أَهْلَكَ عَادًا ٱلْأُولَىٰ ﴿٥٠﴾ وَثَمُودَا۟ فَمَآ أَبْقَىٰ ﴿٥١﴾ وَقَوْمَ نُوحٍ مِّن قَبْلُ ۖ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ هُمْ أَظْلَمَ وَأَطْغَىٰ ﴿٥٢﴾ وَٱلْمُؤْتَفِكَةَ أَهْوَىٰ ﴿٥٣﴾ فَغَشَّىٰهَا مَا غَشَّىٰ ﴿٥٤﴾﴾ فَاسْتَشْعَرُوا نُزُولَ ذَلِكَ بِهِمْ»(٣).

أَتَىٰ بِكِتَابٍ أَعْجَزَ الخَلْقَ لَفْظُهُ ... فَكُلُّ بَلِيغٍ عُذْرُهُ صَارَ أَبْكَمَا
تَحَدَّىٰ بِهِ أَهْلَ البَلَاغَةِ كُلَّهُمْ ... فَلَمْ يَفْتَحُوا فِيْمَا يُعَارِضُهُ فَمَا(٤)

فَحَصَلَتْ إِشَاعَةٌ أَنَّ قُرَيْشًا دَخَلَتْ فِي الإِسْلَامِ، فَطَارَ الخَبَرُ إِلَىٰ الْمُسْلِمِينَ فِي الْحَبَشَةِ، وَقَفَلَ بَعْضُهُمْ رَاجِعِينَ إِلَىٰ مَكَّةَ مِثْلَ: عُثْمَانُ بْنُ مَظْعُونٍ، فَلَمَّا لَمْ

قُلُوبِهِم مَّرَضٌ وَٱلْقَاسِيَةِ قُلُوبُهُمْ ۗ وَإِنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ لَفِى شِقَاقٍۭ بَعِيدٍ ﴿٥٣﴾ وَلِيَعْلَمَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ أَنَّهُ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكَ فَيُؤْمِنُوا۟ بِهِۦ فَتُخْبِتَ لَهُۥ قُلُوبُهُمْ ۗ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَهَادِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٥٤﴾ وَلَا يَزَالُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ فِى مِرْيَةٍ مِّنْهُ حَتَّىٰ تَأْتِيَهُمُ ٱلسَّاعَةُ بَغْتَةً أَوْ يَأْتِيَهُمْ عَذَابُ يَوْمٍ عَقِيمٍ ﴿٥٥﴾﴾ [الحج: ٥٢-٥٥].

(١) رَوَاهُ البُخَارِيُّ (١٠٧١).

(٢) رَوَاهُ البُخَارِيُّ (٣٩٧٢-٤٨٦٣) وَمُسْلِمٌ (٥٧٦).

(٣) «نَصْبُ المَجَانِيْقُ لِنَسْفِ قِصَّةِ الْغَرَانِيق» ص (٦٩)، لِلأَلْبَانِيِّ رَحِمَهُ اللَّهُ.

(٤) «مَجْمُوعَةُ القَصَائِدِ الزُّهْدِيَاتِ» (١/ ٣٠).

يَجِدُوا مَا أُخْبِرُوا بِهِ مِنْ ذَلِكَ صَحِيحًا، رَجَعُوا إِلَىٰ الْحَبَشَةِ، وَسَارَ مَعَهُمْ جَمَاعَةٌ، وَهِيَ الْهِجْرَةُ الثَّانِيَةُ إِلَىٰ الْحَبَشَةِ، وَكَانُوا زِيَادَةً عَلَىٰ ثَمَانِينَ رَجُلًا.

وَقَالَ ابْنُ جَرِيرٍ الطَّبَرِيُّ - رَحِمَهُ اللَّهُ: «كَانُوا اثْنَيْنِ وَثَمَانِينَ رَجُلًا سِوَىٰ نِسَائِهِمْ وَأَبْنَائِهِمْ ....، وَقِيلَ: إِنَّ عَدَدَ نِسَائِهِمْ كَانَتْ ثَمَانِي عَشْرَةَ امْرَأَةً»[1].

---

(١) «فَتْحُ البَارِي» (٧/ ١٨٩).

وَفْدُ قُرَيْشٍ إِلَى النَّجَاشِيِّ

يَـــا غَـيْبَـةَ الكَـرَمِ المَفْقُـودِ غَائِبُـهُ   وَخَـيْبَـةَ الأَدَبِ المَجْفُـوِّ صَاحِبُـهُ[١]

لَمَّـا عَلِمَتْ قُرَيْشٌ بِهِجْرَةِ المُسْـلِمِيْنَ إِلَىٰ الْحَبَشَـةِ، جُنَّ جُنُونُهَا،فَأَرْسَـلَتْ وَفْدًا مُؤَلَّفًا مِنْ عَمْرُو بْنِ العَاصِ، وَعَبْدُ اللهِ بْنِ أَبِي رَبِيْعَةَ، وَأَرْسَـلَتْ مَعَهُمَا هَدَايَا ثَمِيْنَـةً إِلَـىٰ النَّجَاشِـيِّ وَبَطَارِقَتِـهِ، بِهَـدَفِ أَنْ يُعِيْدَ لَهُمْ هَـؤُلاَءِ المُهَاجِرِيْـنَ إِلَيْهِمْ، ﴿وَٱللَّهُ غَالِبٌ عَلَىٰٓ أَمْرِهِۦ﴾ [يُوسُفُ: ٢١]، فَقَدْ رَجَعَ الوَفْدُ بِخُفَّيْ حُنَيْنٍ»[٢].

قَالَ أَحْمَدُ مُحَرَّم رَحِمَهُ اللهُ:

حَـكَـمَ البِـلاَدَ، وَسَـارَ سِـيْرَةَ عَـادِلٍ   يَـأْبَـىٰ الأَذَىٰ، وَيُجَانِـبُ العُدْوَانَـا[٣]

وَقَالَ أُسْتَاذُنَا عَبْدُ الكَرِيْمِ العِمَادُ -حَفِظَهُ اللهُ-:

وَكَانَـتْ الهِجْرَةُ الأُخْـرَىٰ عَلَىٰ عَقَبٍ   حِيْـنَ اسْـتَحَلَّتْ قُرَيْشٌ سَـائِرَ الحُرَمِ
ظَـنَّـتْ قُرَيْشٌ -وَبَعْـضُ الظَّنِّ مَأْثَمَةٌ-   أَنَّ الـهَــدِيَّـةَ قَــدْ تُـفْـضِـي لِحِـلِّ دَمِ
فَــعَــادَ وَفْــدُ قُــرَيْــشٍ بَعْـدَ رِحْلَتِـهِ   يَـجُـرُّ ثَـوْبَ الخَنَـا والخِـزْيِ وَالنَّدَمِ

---

(١) «دَوَاوِيْنُ الشِّعْرِ العَرَبِيِّ» (٧٩/ ١١٠).
(٢) تَقَدَّمَ قِصَّةُ وَفْدِ قُرَيْشٍ عِنْدَ قِصَّةِ أَصْحَمَةَ مَلِكِ الحَبَشَةِ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ.
(٣) «دِيْوَانُ أَحْمَدُ مُحَرَّم» (٧٩/ ١١٠).

إِسْلَامُ حَمْزَةَ وَعُمَرَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا:

بِـــشَــــارَةٌ عَـمَّـتِ الدُّنْيَـا مَسَـرَّتُهَا ... وَاهْـتَزَّ مِنْهَا العُلَىٰ وَالمَجْدُ وَابْتَسَمَا[١]

لَمَّا قَدِمَ وَفْدُ قُرَيْشٍ مِنْ عِنْدِ النَّجَاشِيِّ بِغَيْظِهِمْ، لَمْ يَنَالُوا خَيْرًا - أَسْلَمَ حَمْزَةُ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ وَذَلِـكَ فِي أَوَاخِرِ السَّـنَةِ السَّادِسَـةِ مِنْ البِعْثَـةِ، وَبَعْدَهُ بِثَلاثَةِ أَيَّامٍ أَسْـلَمَ عُمَرُ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ وَكَانَ اسْـلَامُهُمَا بِالنِّسْـبَةِ لِلمُشْـرِكِيْنَ كَالصَّاعِقَةِ تَنْزِلُ عَلَيْهِـمْ؛ لِأَنَّهُمْ عَلِمُوا حِيْنَئِذٍ أَنَّ مُحَمَّدًا وَمَنْ مَعَهُ سَيَزْدَادُونَ قُوَّةً وَمَنَعَةً، وَقَدْ كَانَ ذَلِكَ وَلِلهِ الحَمْدُ.

أَمَّا حَمْزَةُ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ فَكَانَ أَسَدَ اللهِ، وَأَسَدَ رَسُولِهِ ﷺ.

فَعَنْ سَـعْدِ بْنِ أَبِي وَقَّـاصٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ: «كَانَ حَمْزَةَ يُقَاتِلُ يَـوْمَ أُحُدٍ بَيْنَ يَدَيْ النَّبِيِّ ﷺ وَيَقُولُ: أَنَا أَسَدُ اللهِ»[٢].

وَأَمَّا عُمَر، وَمَا أَدْرَاكَ مَا عُمَرُ؟، فَالمَعْرُوفُ لاَ يُعَرَّفُ!!.

وَكَانَ سَبَبُ إِسْلاَمِهِ دَعْوَةَ النَّبِيِّ ﷺ.

فَعَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهَا، قَالَتْ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**اللهُمَّ أَعِزَّ الإِسْلامَ بِعُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ خَاصَّةً**»[٣].

قَالَ ابْنُ مَسْعُودٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: «مَا زِلْنَا أَعِزَّةً مُنْذُ أَسْلَمَ عُمَرُ»[٤].

وَقَالَ: «إِنَّ إِسْلَامَ عُمَرَ كَانَ فَتْحًا، وَإِنّ هِجْرَتَهُ كَانَتْ نَصْرًا، وَإِنَّ إِمَارَتَهُ كَانَتْ رَحْمَةً وَلَقَدْ كُنَّا مَا نُصَلِّي عِنْدَ الْكَعْبَةِ حَتَّىٰ أَسْلَمَ عُمَرُ فَلَمَّا أَسْلَمَ، قَاتَلَ قُرَيْشًا حَتَّىٰ

(١) «دَوَاوِيْنُ الشِّعْرِ العَرَبِيِّ» (٢٣/ ٤١).

(٢) (صَحِيْحٌ) أَخْرَجَهُ الحَاكِم (٣/ ١٩٣).

(٣) (صَحِيْحٌ) أَخْرَجَهُ ابْنُ مَاجَهْ (٨٥)، وَصَحَّحَهُ الأَلْبَانِيُّ رَحِمَهُ اللهُ فِي «المِشْكَاةِ» (٦٠٣٦).

(٤) رَوَاهُ البُخَارِيُّ (٣٦٨٤).

صَلَّىٰ عِنْدَ الْكَعْبَةِ، وَصَلَّيْنَا مَعَهُ»(١).

لِلَّـهِ دَرُّ أُنَاسٍ قَدْ مَضَوْا لَهُمْ ... نَشْرٌ يَفُوحُ كَنَشْرِ المَنْدَلِ العَطِرِ
جَمَالَ ذِي الأَرْضِ كَانُوا، وَهُمْ ... بَعْدَ المَمَاتِ جَمَالُ الكُتْبِ وَالسِّيَرِ (٢)

ذَكَاءُ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ:

فَتَىً كُلُّ عِلْمٍ فَهُوْ فِي سَكَنَاتِهِ ... وَكُلُّ ذَكَاءٍ فَهُوَ فِي حَرَكَاتِهِ(٣)

عَنِ عَبْدُ اللهِ بْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ: لَمَّا أَسْلَمَ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، لَمْ تَعْلَمْ قُرَيْشٌ بِإِسْلَامِهِ، فَقَالَ: أَيُّ أَهْلِ مَكَّةَ، أَفْشَىٰ لِلْحَدِيثِ؟.

فَقَالُوا: جَمِيلُ بْنُ مَعْمَرٍ الْجُمَحِيّ، فَخَرَجَ إِلَيْهِ وَأَنَا مَعَهُ أَتْبَعُ أَثَرَه، أَعْقِلُ مَا أَرَىٰ وَأَسْمَعُ، فَأَتَاهُ فَقَالَ: يَا جَمِيلُ، إِنِّي قَدْ أَسْلَمْتُ، قَالَ: فَوَاللهِ مَا رَدَّ عَلَيْهِ كَلِمَةً حَتَّىٰ قَامَ عَامِدًا إِلَىٰ الْمَسْجِدِ، فَنَادَىٰ أَنْدِيَةَ قُرَيْشٍ، فَقَالَ: يَا مَعْشَرَ قُرَيْشٍ، إِنَّ ابْنَ الْخَطَّابِ قَدْ صَبَأَ، فَقَالَ عُمَرُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: كَذَبَ، وَلَكِنِّي أَسْلَمْتُ وَآمَنْتُ بِاللهِ وَصَدَّقْتُ رَسُولَهُ، فَثَاوَرُوهُ، فَقَاتَلَهُمْ حَتَّىٰ رَكَدَتِ الشَّمْسُ عَلَىٰ رُءُوسِهِمْ، حَتَّىٰ فَتَرَ عُمَرُ وَجَلَسَ فَقَامُوا عَلَىٰ رَأْسِهِ.

فَقَالَ عُمَرُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: افْعَلُوا مَا بَدَا لَكُمْ، فَوَاللهِ لَوْ كُنَّا ثَلَاثَمِائَةِ رَجُلٍ لَقَدْ تَرَكْتُمُوهَا لَنَا أَوْ تَرَكْنَاهَا لَكُمْ، فَبَيْنَمَا هُمْ كَذَلِكَ قِيَامٌ عَلَيْهِ، إِذْ جَاءَ رَجُلٌ عَلَيْهِ حُلَّةُ حَرِيرٍ وَقَمِيصٌ مُوَاشِيٌّ، فَقَالَ: مَا بَالُكُمْ؟، فَقَالُوا: إِنَّ ابْنَ الْخَطَّابِ قَدْ صَبَأَ، قَالَ:

(١) (حَسَنٌ) انْظُرْ: «سِيرَةَ ابْنِ إِسْحَاقَ» (١/ ٣٦٦)، بِسَنَدٍ فِيهِ انْقِطَاعٌ، وَوَصَلَهُ الحَاكِمُ(٣/ ٨٣) بِسَنَدٍ صَحِيحٍ.

(٢) «صَيْدُ الأَفْكَارِ» (٤٥٦)، وَالنَّشْرُ: الرِّيحُ الطَّيِّبَة، وَالمَنْدَل: العُود، أَوْ أَجْوَدُهُ.

(٣) «دَوَاوِينُ الشِّعْرِ العَرَبِيِّ» (٧٧/ ٣٧).

فَمَهْ، امْرُؤٌ اخْتَارَ دِينًا لِنَفْسِهِ، أَفَتَظُنُّونَ أَنَّ بَنِي عَدِيٍّ تُسْلِمُ إِلَيْكُمْ صَاحِبَهُمْ؟.

قَالَ: فَكَأَنَّمَا كَانُوا ثَوْبًا انْكَشَفَ عَنْهُ، فَقُلْتُ لَهُ بَعْدُ بِالْمَدِينَةِ يَا أَبَتِ، مَنِ الرَّجُلُ الَّذِي رَدَّ عَنْكَ الْقَوْمَ يَوْمَئِذٍ؟،فَقَالَ: يَا بُنَيَّ،ذَاكَ الْعَاصُ بْنُ وَائِلٍ[١].

قَالَ أُسْتَاذُنَا عَبْدُ الكَرِيْمِ العِمَادُ -حَفِظَهُ اللهُ-:

أَدْهَىٰ مِنَ المَوْتِ زِلْزَالٌ وَصَاعِقَةٌ ... دَهَتْ قُرَيْشًا بِغَمٍّ غَيْرِ مُنْحَسِمِ
إِسْلَامُ حَمْزَةَ وَالفَارُوقِ قَاطِبَةً ... لَمْ يَرْهَبَا وَحِمَامُ المَوْتِ[٢] عَنْ أَمَمِ[٣]
كُلُّ امْرِئٍ مِنْهُمَا جَيْشٌ بِمُفْرَدِهِ ... هُمَا المَنَايَا أَمِ الفَيْلَقُ العَرِمِ[٤]
فَحَمْزَةُ أَسَدُ اللهِ الَّذِي عُرِفَتْ ... عَنْهُ الشَّجَاعَةُ وَالإِقْدَامُ مِنْ قِدَمِ
وَذَلِكَ البَطَلُ الفَارُوقُ تَرْهَبُهُ ... فَوَارِسُ الأَرْضِ مِنْ عُرْبٍ وَمِنْ عَجَمِ
تَرَاهُ كَيْلَا يَبِيتَ الأَمْرُ مُنْكَتِمًا ... يَخْتَارُ مَنْ يَبِتْ لَمْ يَوْمًا عَلَىٰ كَتَمِ
الحَزْمُ وَالعَزْمُ فِي الفَارُوقِ قَدْ جُمِعَا ... فَلَا تَسَلْ بَعْدُ عَنْ عُزْمٍ وَعَنْ حُزُمِ
تَخْشَىٰ الشَّيَاطِيْنُ فَجًّا[٥] أَمَّهُ[٦] عُمَرُ ... مِنْ رَهْبَةِ البَأْسِ وَالإِخْلَاصِ والشِّيَمِ
إِنْ قَالَ يَوْمًا: (نَعَمْ)، فَاليَأْسُ مِنْهُ بِـ(لَا) ... أَوْ قَالَ: (لَا)،صَارَ كُلُّ اليَأْسِ فِي (نَعَمِ)

---

(١) (حَسَنٌ) أَخْرَجَهُ ابْنُ حِبَّانَ فِي «مَوَارِدِهِ» (٢/ ٢١٨)، وَحَسَّنَهُ الأَلْبَانِيُّ رَحِمَهُ اللهُ فِي «صَحِيحِ السِّيْرَةِ» (١٩٤).
(٢) حِمَامُ المَوْتِ -بِكَسْرِ الحَاءِ- قَضَاؤُهُ.
(٣) الأَمَم -بِفَتْحَتَيْنِ- القُرْبُ.
(٤) الفَيْلَقُ العَرِمِ: الجَيْشُ الشَّدِيْد.
(٥) الفَجُّ -بِالفَتْحِ- الطَّرِيْق.
(٦) أَمَّهُ: قَصَدَهُ وَسَلَكَهُ.

حِصَارُ الشِّعْبِ

أَلَا إِنَّمَا الدُّنْيَا عَلَيْكَ حِصَارُ ... يَنَالُكَ فِيْهَا ذِلَّةٌ وَصَغَارُ(١)

حَدَّدَ رَسُولُ اللهِ ﷺ المَكَانَ الَّذِي تَقَاسَمَتْ فِيْهِ قُرَيْشٌ عَلَىٰ الكُفْرِ - يَعْنِي: تَحَالُفَهَا عَلَىٰ مُقَاطَعَةِ بَنِي هَاشِمٍ، فَذُكِرَ أَنَّهُ خَيفُ بَنِي كَنَانَةَ.

فَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ لَنَا رَسُولُ اللهِ ﷺ وَنَحْنُ بِمِنًىٰ: «**نَحْنُ نَازِلُونَ غَدًا بِخَيْفِ بَنِي كِنَانَةَ، حَيْثُ تَقَاسَمُوا عَلَىٰ الْكُفْرِ**»(٢).

قَالَ الحَافِظُ ابْنُ حَجرٍ رَحِمَهُ اللهُ: وَلَمَّا لَمْ يَثْبُتْ عِنْدَ الْبُخَارِيِّ شَيْءٌ مِنْ هَذِهِ الْقِصَّةِ اكْتَفَىٰ بِإِيرَادِ حَدِيثِ أَبِي هُرَيْرَةَ؛ لِأَنَّ فِيهِ دَلَالَةً عَلَىٰ أَصْلِ الْقِصَّةِ؛ لِأَنَّ الَّذِي أَوْرَدَهُ أَهْلُ الْمَغَازِي مِنْ ذَلِكَ كَالشَّرْحِ لِقَوْلِهِ فِي الْحَدِيثِ: «**تَقَاسَمُوا عَلَىٰ الْكُفْرِ**»(٣).

وَذَكَرَ عُرْوَةُ بْنُ الزُّبَيْرِ: أَنَّ حِصَارَ الشِّعْبِ وَقَعَ بَعْدَ فَشَلِ قُرَيْشٍ فِي اسْتِعَادَةِ المُسْلِمِينَ المُهَاجِرِيْنَ إِلَىٰ الحَبَشَةِ، حَيْثُ أَهَاجَهَا الأَمْرُ، وَاشْتَدَّ الْبَلَاءُ عَلَىٰ المُسْلِمِيْنَ، وَعَزَمَتْ قُرَيْشٌ أَنْ تَقْتُلَ رَسُولَ اللهِ ﷺ فَأَجْمَعَ بَنُو عَبْدِ الْمُطَّلِبِ أَمْرَهُمْ عَلَىٰ أَنْ يُدْخِلُوا رَسُولَ اللهِ ﷺ شِعْبَهُمْ وَيَحْمُوهُ فِيْهِ، فَدَخَلُوا الشِّعْبَ جَمِيْعًا، مُسْلِمُهُمْ وَكَافِرُهُمْ، وَأَجْمَعَ الْمُشْرِكُونَ أَمْرَهُمْ عَلَىٰ أَنْ لا يُجَالِسُوهُمْ وَلا

---

(١) «دِيْوَانُ أَبِي العَتَاهِيَةِ» (٥٣).

(٢) رَوَاهُ البُخَارِيُّ (٣٠٥٨) وَمُسْلِمٌ (٣٢٧٤).

(٣) «فَتْحُ البَارِيِّ» (٧/ ١٩٣).

يُخَالِطُوهُمْ وَلا يُبَايِعُوهُمْ وَلا يَدْخُلُوا بُيُوتَهُمْ حَتَّىٰ يُسْلِمُوا رَسُولَ اللهِ ﷺ لِلْقَتْلِ، وَكَتَبُوا فِي ذَلِكَ صَحِيفَةً، فَلَبِثَ بَنُو هَاشِمٍ فِي شِعْبِهِمْ ثَلاثَ سِنِينَ، وَاشْتَدَّ عَلَيْهِمُ الْبَلاءُ وَالْجَهْدُ والجُوعُ، فَلَمَّا كَانَ رَأْسُ ثَلاثِ سِنِينَ، تَلاوَمَ رِجَالٌ مِنْ قُرَيْشٍ عَلَىٰ مَا حَدَثَ، وَأَجْمَعُوا عَلَىٰ نَقْضِ الصَّحِيْفَةِ، وَأَعْلَمَهُمْ رَسُولَ اللهِ ﷺ بِأَنَّهُ لَمْ يَبْقَ فِيْهَا سِوَىٰ كَلِمَاتِ الشِّرْكِ وَالظُّلْمِ[1].

قَالَ أُسْتَاذُنَا عَبْدُ الكَرِيْمِ العِمَادُ -حَفِظَهُ اللهُ-:

أَبَانَ عَجْزُ قُرَيْشٍ عَنْ مُحَاصَرَةٍ ... لِلأَنْجُمِ الزُّهْرِ فِي مَنْأًى عَنِ العَتَمِ
آلَتْ[2] بَنُو هَاشِمٍ أَلَّا تُسَلِّمَهُ ... حَتَّىٰ تُسِيْلَ المَنَايَا أَنْفُس الحُذُمِ[3]

---

(١) «المَرْجِعُ السَّابِقُ» (٧/ ١٩٢).
(٢) آلَتْ: أَقْسَمَتْ.
(٣) الحُذُمِ: السُّيُوفُ القَاطِعَة.

مَوْتُ أَبِي طَالِبٍ

فَجَاءَ عَمُّكَ حِصْنًا تَسْتَكِنُّ بِهِ فَاخْتَارَهُ الْمَوْتُ وَالْأَعْدَاءُ فِيْ الْأَجَمِ[(١)]

مَا أَنْ غَادَرَ بَنُو هَاشِمٍ شِعْبَ أَبِي طَالِبٍ، حَتَّىٰ أُصِيبَ رَسُولُ اللهِ ﷺ بِوَفَاةِ عَمِّهِ أَبِي طَالِبٍ، وَاسْمُهُ عَبْدُ مَنَافٍ، وَذَلِكَ فِي آخِرِ السَّنَةِ العَاشِرَةِ مِنَ المَبْعَثِ، وَقَدْ كَانَ أَبُو طَالِبٍ: «يَحُوطُ النَّبِيَّ ﷺ، وَيَغْضَبُ لَهُ»[(٢)].

وَكَانَتْ قُرَيْشٌ تَحْتَرِمه، وَقَدْ جَاءَ زُعَمَاؤُهَا حِينَ حَضَرَتْهُ الوَفَاةُ، فَحَرَّضُوا أَبَا طَالِبٍ عَلَىٰ الاسْتِمْسَاكِ بِدِيْنِهِ، وَعَدَمِ الدُّخُولِ فِي الإِسْلَامِ.

فَعَنْ سَعِيدُ بْنُ الْمُسَيِّبِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: لَمَّا حَضَرَتْ أَبَا طَالِبٍ الْوَفَاةُ جَاءَهُ رَسُولُ اللهِ ﷺ فَوَجَدَ عِنْدَهُ أَبُو جَهْلٍ، وَعَبْدُ اللهِ بْنُ أَبِي أُمَيَّةَ بْنِ المُغِيرَةِ.

فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**يَا عَمِّ قُلْ: لا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، كَلِمَةٌ أَشْهَدُ لَكَ بِهَا عِنْدَ اللهِ**».

فَقَالَ أَبُو جَهْلٍ، وَعَبْدُ اللهِ بْنُ أُمَيَّةَ: يَا أَبَا طَالِبٍ، أَتَرْغَبُ عَنْ مِلَّةِ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ؟، فَلَمْ يَزَلْ رَسُولُ اللهِ ﷺ يَعْرِضُهَا عَلَيْهِ وَيُعِيدُ لَهُ تِلْكَ الْمَقَالَةَ، حَتَّىٰ قَالَ أَبُو طَالِبٍ: آخِرُ مَا كَلَّمَهُمْ هُوَ عَلَىٰ مِلَّةِ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ، وَأَبَىٰ أَنْ يَقُولَ: لا إِلَهَ إِلَّا اللهُ. فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**أَمَا وَاللهِ لأَسْتَغْفِرَنَّ لَكَ، مَا لَمْ أُنْهَ عَنْكَ**».

---

(١) «مَوْسُوعَةُ الشِّعْرِ الإِسْلَامِي» (٧٦/ ٥٦٠).

(٢) رَوَاهُ البُخَارِيُّ (٣٨٨٣).

فَأَنْزَلَ اللهُ عَزَّوَجَلَّ: ﴿ مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَن يَسْتَغْفِرُواْ لِلْمُشْرِكِينَ وَلَوْ كَانُوٓاْ أُوْلِي قُرْبَىٰ مِنۢ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُمْ أَصْحَٰبُ ٱلْجَحِيمِ ﴿١١٣﴾ ﴾ [التَّوْبَة: ١١٣].

وَأَنْزَلَ اللهُ عَزَّوَجَلَّ فِي أَبِي طَالِبٍ فَقَالَ لِرَسُولِ اللهِ ﷺ: ﴿ إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَهْدِي مَن يَشَآءُ ۚ وَهُوَ أَعْلَمُ بِٱلْمُهْتَدِينَ ﴿٥٦﴾ ﴾ [القَصَص: ٥٦](١).

قَالَ أُسْتَاذُنَا عَبْدُ الكَرِيْمِ العِمَادُ -حَفِظَهُ اللهُ-:

قَضَىٰ أَبُو طَالِبٍ فِي كُفْرِهِ، وَقَضَىٰ ... سَيْفًا مَعَ الحَقِّ لَمْ يُثْلَمْ(٢) وَلَمْ يُصَمِ(٣)
قَامَتْ قِيَامَتُهُ فِي الذَّوْدِ عَنْ قِيَمٍ ... وَقِمَّةُ النُّورِ فِي عَيْنَيْهِ لَمْ تَقُمِ
وَرُبَّ شَهْدٍ بِجَوْفِ الصَّخْرِ تُمْنَعُهُ ... وَرُبَّمَا حُفَّتِ الأَزْهَارُ بِالسَّلَمِ(٤)

---

(١) رَوَاهُ البُخَارِيُّ (١٣٦٠) وَمُسْلِمٌ (٢٤).
(٢) يُثْلَمْ: لَمْ يُكْسَرْ حَرْفُهُ.
(٣) يُصَمِ: لَمْ يُعَبْ بِعَيْبٍ.
(٤) بِالسَّلَمِ: شَجَرُ القَرَظِ الشَّائِكِ.

مَوْتُ خَدِيْجَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهَا

قَــدْ أَعَـانَـتْ خَدِيْجَةُ سَيِّدَ الرُّسـ ـلِ بِــرَأْيٍ وَثَــرْوَةٍ وَحَـنَـانِ[١]

بَعْدَ وَفَاةِ أَبِي طَالِبٍ بِنَحْوِ شَهْرَيْنِ مَاتَتْ خَدِيْجَةُ رَضِيَ اللهُ عَنْهَا؛ لأَنَّ أَبَا طَالِبٍ مَاتَ فِي رَجَبٍ عَلَىٰ الصَّحِيْحِ، وَكَانَتْ وَفَاةُ خَدِيْجَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهَا فِي رَمَضَانَ لِسَبْعَ عَشْرَةَ لَيْلَةً خَلَتْ مِنْهُ[٢].

وَبَشَّرَهَا جِبْرِيْلُ عَلَيْهِ السَّلَامُ بِبَيْتٍ فِي الجَنَّةِ، فَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ: أَتَىٰ جِبْرِيلُ عَلَيْهِ السَّلَامُ النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللهِ هَذِهِ خَدِيجَةُ قَدْ أَتَتْ، مَعَهَا إِنَاءٌ فِيهِ إِدَامٌ أَوْ طَعَامٌ، فَإِذَا هِيَ أَتَتْكَ فَاقْرَأْ عَلَيْهَا السَّلَامَ مِنْ رَبِّهَا وَمِنِّي، وَبَشِّرْهَا بِبَيْتٍ[٣] فِي الْجَنَّةِ مِنْ قَصَبٍ[٤] لاَ صَخَبَ فِيهِ وَلاَ نَصَبَ[٥]»[٦].

---

(١) «دِيْوَانُ مُحَمَّد العِيْد آل خَلِيْفَة» (٢٤٤).

(٢) «أَزْوَاجُ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لِلدِّمَشْقِيِّ (٦٥).

(٣) المُرَادُ بِالبَيْتِ هِنَا: القَصْرُ المُنِيْفُ.

(٤) القَصَبُ: اللُّؤْلُؤُ المُجَوَّف الوَاسِع المَسْتَطِيْلُ.

(٥) الصَّخَب: الصِّيَاح، والنَّصَب: التَّعَبُ وَالمَشَقَّة، قَالَ السُّهَيْلِيّ: مُنَاسَبَة نَفْي هَاتَيْنِ الصِّفَتَيْنِ - أَعْنِي الْمُنَازَعَة وَالتَّعَب - أَنَّهُ المُصْطَفَىٰ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَمَّا دَعَا إِلَىٰ الإِسْلام أَجَابَتْ خَدِيجَة - رَضِيَ اللهُ عَنْهَا - طَوْعًا فَلَمْ تُحْوِجْهُ إِلَىٰ رَفْعِ صَوْتٍ وَلا نِزَاعٍ وَلا تَعَبٍ، بَلْ أَزَالَتْ عَنْهُ كُلَّ نَصَب، وَآنَسَتْهُ مِنْ كُلِّ وَحْشَة، وَهَوَّنَتْ عَلَيْهِ كُلَّ عَسِيرٍ، فَنَاسَبَ أَنْ يَكُون مَنْزِلهَا الَّذِي بَشَّرَهَا بِهِ رَبّهَا بِالصِّفَةِ الْمُقَابِلَة لِفِعْلِهَا. أ.هـ.

(٦) رَوَاهُ البُخَارِيُّ (٣٨٢٠) وَمُسْلِمٌ (٢٤٣٢).

وَبِمَـوْتِ أَبِي طَالِبٍ وَخَدِيْجَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهَا اشْـتَدَّ الْبَلاءُ بِرَسُـولِ اللهِ ﷺ، وَتَوَالَتْ عَلَيْهِ المِحَنُ.

أَمَّـــا خَـدِيْجَـةُ مَـنْ أَعْطَتْـكَ بَهْجَتِهَا ... وَأَلْـبَـسْـتِكَ ثِـيَـابَ الْعَطْـفِ وَالْكَرَمِ
غُـــدَّتِ إِلَـىٰ جَنَّـةِ الْبَـارِيْ وَرَحْمَتِـهِ ... فَـأَسَـلَّمَـتْـكَ لِـجُـرْحٍ غَيْـرِ مُلْتَئِمِ(١)

وَقَالَ أُسْتَاذُنَا عَبْدُ الكَرِيْمِ العِمَادُ -حَفِظَهُ اللهُ-:

حَتَّـىٰ خَدِيْجَةُ-وَاجُـرْحَ النَّبِيِّ-مَضَتْ ... وَدَعْـوَةُ الـحَـقِّ لَـمْ تُخْـدَجْ وَلَـمْ تَتِـمِ
مَاتَـتْ وَمَاتَ الحَنَانُ العَـذْبُ، وَانْقَطَعَتْ ... أَنْـــهَـــارُهُ وَإِمَـــامُ الأَنْـبِـيَــاءِ ظَـمِـي
مَــضَـــتْ وَذِمَّـتُـهَـا بِـالـطُّهْـرِ قَائِمَـةٌ ... فِـي قَـلْـبِ أَوْفَـىٰ عِبَـادِ اللـهِ بِالذِّمَـمِ
مَــضَــتْ إِلَـىٰ جَنَّـةِ اللهِ الَّتِـي وُعِدَتْ ... وَخَـلَّفَـتْـهُ يُـقَاسِـي سَـوْرَةَ(٢) اللَّـوَمِ(٣)

---

(١) «مَوْسُوعَةُ الشِّعْرِ الإِسْلاَمِي» (٢/ ٥٧٢).
(٢) سَوْرَة الشَّيْءِ -بِالفَتْحِ- حِدَّتُهُ.
(٣) اللَّوَم: الهَوْلُ والمُصِيْبَةُ.

خُرُوجُ النَّبِيِّ ﷺ إِلَى الطَّائِفِ

فَأَتَىٰ الطَّائِفَ الَّذِي ظَنَّ يَوْمًا ... أَنَّ نَصْرًا لِدِيْنِهِ فِي حِمَاهَا
فَرَمَتْهُ بِمَا تَنُوءُ بِهِ شُمُّ ... الرَّوَاسِي مِنْ ظُلْمِهَا وَأَذَاهَا[1]

بَعْدَ مَوْتَ أَبِي طَالِبٍ وَخَدِيْجَةُ رَضِيَ اللهُ عَنْهَا؛ خَرَجَ رَسُولُ اللهِ ﷺ إِلَىٰ الطَّائِفِ؛ رَجَاءَ أَنْ يَقْبَلُوا مِنْهُ مَا جَاءَ بِهِ مِنَ اللهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، فَلَمَّا وَصَلَ إِلَيْهِمْ، وَدَعَاهُمْ إِلَىٰ الإِسْلَامِ، رَدُّوْهُ أَقْبَحَ رَدٍّ، وَأَغْلَظُوا لَهُ القَوْلَ، بَلْ وَحَرَّشُوا بِهِ الصِّبْيَانَ وَالسُّفَهَاءَ، فَآذُوهُ ﷺ.

فَعَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهَا، أَنَّهَا قَالَتْ: يَا رَسُولَ اللهِ! هَلْ أَتَىٰ عَلَيْكَ يَوْمٌ كَانَ أَشَدَّ مِنْ يَوْمِ أُحُدٍ؟

قَالَ: «**لَقَدْ لَقِيتُ مِنْ قَوْمِكِ مَا لَقِيتُ، وَكَانَ أَشَدُّ مَا لَقِيتُ مِنْهُمْ يَوْمَ الْعَقَبَةِ، إِذْ عَرَضْتُ نَفْسِي عَلَىٰ ابْنِ عَبْدِ يَالِيلَ بْنِ كُلَالٍ، فَلَمْ يُجِبْنِي إِلَىٰ مَا أَرَدْتُ، فَانْطَلَقْتُ وَأَنَا مَهْمُومٌ -عَلَىٰ وَجْهِي، فَلَمْ أَسْتَفِقْ إِلَّا وَأَنَا فِي قَرْنِ الثَّعَالِبِ، فَرَفَعْتُ رَأْسِي، فَإِذَا أَنَا بِسَحَابَةٍ قَدْ أَظَلَّتْنِي، فَنَظَرْتُ فَإِذَا فِيهَا جِبْرِيلُ، فَنَادَانِي فَقَالَ: إِنَّ اللهَ قَدْ سَمِعَ قَوْلَ قَوْمِكَ وَمَا رَدُّوا عَلَيْكَ، وَقَدْ بَعَثَ إِلَيْكَ مَلَكَ الْجِبَالِ لِتَأْمُرَهُ بِمَا شِئْتَ فِيهِمْ**».

قَالَ: «**فَنَادَانِي مَلَكُ الْجِبَالِ، فَسَلَّمَ عَلَيَّ ثُمَّ قَالَ: يَا مُحَمَّدُ! إِنَّ اللهَ قَدْ سَمِعَ قَوْلَ قَوْمِكَ لَكَ وَمَا رَدُّوا عَلَيْكَ، وَأَنَا مَلَكُ الْجِبَالِ، وَقَدْ بَعَثَنِي رَبُّكَ إِلَيْكَ لِتَأْمُرَنِي**

(١) «دِيْوَانُ أَحْمَد سَحْنُون» (٣١٦).

بِأَمْرِكَ، إِنْ شِئْتَ أَنْ أُطْبِقَ عَلَيْهِمُ الْأَخْشَبَيْنِ».

قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «بَلْ أَرْجُو أَنْ يُخْرِجَ اللهُ مِنْ أَصْلَابِهِمْ مَنْ يَعْبُدُ اللهَ وَحْدَه، وَلَا يُشْرِكُ بِهِ شَيْئًا»[1].

قَالَ أُسْتَاذُنَا عَبْدُ الكَرِيْمِ العِمَادُ -حَفِظَهُ اللهُ-:

يَا وَيْحَهُمْ! آذَوْكَ يَا نُورَ الهُدَىٰ ... وَرَمَوْكَ بِالسُّفَهَاءِ وَالصِّبْيَانِ
وَلَقَدْ أَتَيْتَ لِكَيْ تُنِيْرَ قُلُوبَهُمْ ... مِنْ ظُلْمَةِ الإِشْرَاكِ بِالإِيْمَانِ
وَأَبَيْتَ إِذْ نَزَلَتْ عَلَيْهِمْ نِقْمَةٌ ... أَمَلًا بِتَوْحِيْدٍ مِنَ الوِلْدَانِ
يَا خَيْرَ خَلْقِ اللهِ، إِنَّكَ رَحْمَةٌ ... نَزَلَتْ عَلَىٰ الدُّنْيَا مِنَ الرَّحْمَنِ

وَقَالَ -أَيْضًا-:

مَا هَالَهُ فِعْلُهُمْ، لَكِنْ يُؤَرِّقُهُ ... مَخَافَةَ الغَرْقِ بَيْنَ الرَّجْمِ وَالرُّجُمِ[2]
أَفَاقَ حِيْنَ أَتَىٰ (قَرْنَ الثَّعَالِبِ) مِنْ ... غَمٍّ بِقَلْبٍ كَسِيْرٍ مُرْهَقٍ كَلِمِ[3]
هُنَاكَ أَبْصَرَ جُنْدَ اللهِ نَاظِرَةً ... وَمَنْ يَلُذْ بِحِمَىٰ اللهِ العَظِيْمِ حُمِي
سَحَابَةٌ تَفْصِلُ الشَّمْسَيْنِ، خَيْرُهُمَا ... تَمْشِي إِلَىٰ الخُلْدِ، وَالأُخْرَىٰ إِلَىٰ العَدَمِ
فِيْهَا مَلَائِكَةُ اللهِ الَّتِي نَزَلَتْ ... تَسْتَأْذِنُ الحِلْمَ بِالتَّأْدِيبِ لِلُّؤُمِ[4]

(١) رَوَاهُ البُخَارِيُّ (٣٢٣١) وَمُسْلِمٌ (١٧٩٥).
(٢) الرُّجُم -بِضَمَّتَيْنِ-: النُّجُوم الَّتِي يُرْمَىٰ بِهَا.
(٣) كَلِمٍ أَيْ: جَرِيْحٍ.
(٤) اللُّؤُم: اللِّئَام.

أَبَىٰ رَجَاءَ الذَّرَارِي بَعْدَهُمْ، فَعَسَىٰ ... أَنْ يُخْرِجَ اللهُ أَحْيَاءً مِنَ الرِّمَمِ

نَفْسٌ مِنَ النُّبْلِ وَالأَخْلَاقِ حُقَّ لَهَا ... أَنْ تَعْتَلِي فَوْقَ خَلْقِ اللهِ كُلِّهِمِ!

وَقَالَ آخَرُ:

وَضِيءُ المَجَالِ والمَعَالِي كِلَيْهِمَا ... وَعَذْبُ السَّجَايَا وَالنَّدَىٰ والخَلَائِقِ

أَخَفُّ عَلَىٰ الأَرْوَاحِ طَبْعًا مِنَ الهَوَىٰ ... وَلَكِنَّهُ فِي الحِلْمِ هَضْبَةَ شَاهِقِ [1]

---

(١) «دَوَاوِيْنُ الشِّعْرِ العَرَبِيِّ» (٢٥/ ٥٤).

الإِسْرَاءُ وَالمِعْرَاجُ

يَا أَيُّهَا الـمُسْرَىٰ بِهِ شَرَفًا إِلَىٰ مَا لاَ تَنَالُ الشَّمْسُ والجَوْزَاءُ
فَضْلٌ عَلَيْكَ لِذِي الجَلاَلِ وَمِنَّةٌ والـلـهُ يَفْعَلُ مَا يَرَىٰ وَيَشَاءُ(١)

مَكَثَ رَسُولُ اللهِ ﷺ يَدْعُو قَوْمَهُ إِلَىٰ اللهِ ﷻ سَنَوَاتٍ مَأْسَاوِيَّةً، مَلِيْئَةً بِالعَوَاصِفِ العَاتِيَةِ مِنَ التَّعْذِيْبِ وَالإِيْذَاءِ، وَالتَّكْذِيْبِ وَالافْتِرَاءِ، مُزِّقَ شَمْلُ أَتْبَاعِهِ، وَسَامَهُمْ أَهْلُ مَكَّةَ سُوْءَ العَذَابِ، ثُمَّ كَانَ العَامُ العَاشِرُ مِنَ البِعْثَةِ الَّذِي فَقَدَ فِيْهِ رَسُولُ اللهِ ﷺ عَمَّهُ أَبَا طَالِبٍ، الَّذِي كَانَ يَنَافِحُ عَنْهُ، وَيُدَافِعُ عَنْهُ أَذَىٰ قُرَيْشٍ،وبَعْدَ وَفَاةِ أَبِي طَالِبٍ بِثَلاَثَةِ أَشْهُرٍ يُفْجَعُ النَّبِيُّ ﷺ بِمَوْتِ رَفِيْقَةِ دَرْبِهِ وَرَيْحَانَةِ حَيَاتِهِ خَدِيْجَةَ بِنْتَ خُوَيْلِدٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهَا، وَهِيَ مَنْ وَقَفَتْ إِلَىٰ جَانِبِهِ فِي أَشَدِّ المَوَاقِفِ عَلَىٰ مَدَىٰ خَمْسَةٍ وَعِشْرِيْنَ عَامًا، وَبَعْدَ كُلِّ ذَلِكَ يَلْتَفِتُ النَّبِيُّ ﷺ إِلَىٰ مَكَّةَ، فَلَا يَجِدُ مَنْ يَنْصُرُهُ لِيُبَلِّغَ رِسَالَةَ رَبِّهِ، فَيَخْرُجُ إِلَىٰ الطَّائِفِ؛ لِيَعْرِضَ دَعْوَتَهُ عَلَىٰ ثَقِيْفٍ، فَيَرُدُّونَهُ بِأَقْبَحِ رَدٍّ، فَيَنْصَرِفُ مِنْ عِنْدِهِمْ هَائِمًا عَلَىٰ وَجْهِهِ، فَلَمْ يُفِقْ إِلَّا فِي قَرْنِ الثَّعَالِبِ، وَهُوَ قَرْنُ المَنَازِلِ مِيْقَاتُ أَهْلِ نَجْدٍ.

وَفِي ظِلِّ هَذِهِ الأَجْوَاءِ الكَالِحَةِ، وَالظُّرُوفِ الحَرِجَةِ، وَبَعْدَ مُضِيِّ اثْنَتَيْ عَشْرَةَ سَنَةً مِنَ البِعْثَةِ - يَشَاءُ اللهُ اللَّطِيْفُ بِعِبَادِهِ- أَنْ يُسَلِّي رَسُولَه، وَيُثَبِّتَهُ عَلَىٰ الحَقِّ، فَيَمُنُّ عَلَيْهِ بِرِحْلَةٍ تَارِيْخِيَّةٍ لَمْ يَنَلْ شَرَفَهَا قَبْلَهُ نَبِيٌّ مُرْسَلٌ.

(١) «الشَّوْقِيَّاتُ» (١/ ٢).

إِنَّهَا رِحْلَةٌ مُبَارَكَةٌ طَيِّبَةٌ، بَدَأَتْ بِأَقْدَسِ بِقَاعِ الأَرْضِ، وَانْتَهَتْ بِأَعْلَىٰ طَبَقَاتِ السَّمَاءِ.

قَالَ اللهُ ﷻ: ﴿سُبْحَٰنَ ٱلَّذِيٓ أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِۦ لَيْلًا مِّنَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ إِلَى ٱلْمَسْجِدِ ٱلْأَقْصَا ٱلَّذِي بَٰرَكْنَا حَوْلَهُۥ لِنُرِيَهُۥ مِنْ ءَايَٰتِنَآ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ۝١﴾ [الإِسْرَاءُ: ١].

فَالإِسْرَاءُ: الرِّحْلَةُ مِنْ مَكَّةَ إِلَىٰ بَيْتِ المَقْدِسِ.

وَالمِعْرَاجُ: الرِّحْلَةُ مِنْ بَيْتِ المُقْدِسِ إِلَىٰ السَّمَوَاتِ العُلَىٰ، ثُمَّ إِلَىٰ سِدْرَةِ المُنْتَهَىٰ.

قَالَ أُسْتَاذُنَا عَبْدُ الكَرِيْمِ العِمَادُ -حَفِظَهُ اللهُ-:

أَيْنَ القَوَانِيْنَ فِي الإِسْرَاءِ؟! قَدْ نُسِفَتْ	أَيْنَ المَسَافَةُ بَيْنَ القُدْسِ وَالحَرَمِ؟!
فِي سُرْعَةٍ تَعْجِزُ الأَرْقَامِ فِي زَمَنٍ	لَمْ يَحْوِهِ كُلُّ مَا قَدَّرْتَ مِنْ رَقَمِ
أَمَّ النَّبِيِّيْنَ فِي الأَقْصَىٰ الشَّرِيْفَ عَلَىٰ	رِضًا وَعِلْمٍ وَإِجْمَاعٍ مِنَ العَمَمِ[1]
قَدْ قَدَّمُوهُ عَلَيْهِمْ وَهُوَ آخِرُهُمْ	إِنَّ المَرَاتِبَ لاَ تَأْتِي عَلَىٰ القِدَمِ
كُلٌّ أَتَىٰ قَوْمَه، لَكِنْ رِسَالَتُهُ	لِلإِنْسِ والجِنِّ مِنْ عُرْبٍ وَمِنْ عَجَمِ
وَدِيْنُنَا الحَقُّ يَحْوِي كُلَّ مَا حَمَلَتْ	تِلْكَ الرِّسَالاَتُ مِنْ حَقٍّ وَمِنْ قِيَمِ
وَمَنْ حَوَىٰ كُلَّ دِيْنٍ قَبْلَهُ وَدَعَا	كُلَّ المَلاَ كَانَ أَوْلَىٰ الرُّسْلِ بِالسَّنَمِ[2]

(١) العَمَمِ: الجَمْعُ الكَثِيْر.

(٢) السَّنَم -بِفَتْحَتَيْنِ-: العُلُوُّ وَالارْتِفَاع.

وقال - أيضًا -:

أَسْـــرَىٰ بِـــكَ اللـهُ لَيْـلًا إِذْ مَلَائِكُـهُ ... والرُّسُلُ فِي الْمَسْجِدِ الأَقْصَىٰ عَلىٰ قَدَمِ
لَـمَّـا خَـطَـرْتَ بِـهِ الْتَفُّـوا بِسَيِّدِهِمْ ... كالشُّـهْبِ بِالْبَـدْرِ أو كالْجُنْـدِ بِالعَلَمِ
صَلَّىٰ وراءَكَ مِنْهُـمْ كُلُّ ذي خَطَـرٍ ... وَمَــنْ يَفُــزْ بِـحَبِيـبِ اللـهِ يأْتَمِـمِ
جُبْـتَ السَّـمَاوَاتِ أَوْ ما فَوْقَهُـنَّ بِهِمْ ... عَــلَــىٰ مُــنَــوَّرَةٍ دُرِّيَّــةِ اللُّـجُـمِ
رَكُـوبَـةً لَـكَ مِــنْ عِـزٍّ ومِـنْ شَـرَفٍ ... لا فـي الْجِيَـادِ وَلَا في الأَيْنُقِ الرُّسُـمِ
مَـشِـيـئَةُ الـخالِـقَ البَـاري وصنْعَتُهُ ... وَقُــدْرَةُ اللــهِ فَــوْقَ الشَّـكِّ والتُّهَمِ
حـتَّــىٰ بَـلَـغْـتَ سـمَاءً لا يُطَـارُ لَهَـا ... عـلىٰ جَـنَـاحٍ ولا يُسْعَىٰ لَهَا عَلَىٰ قَدَمِ[1]

(١) «موسوعة الشعر الإسلامي» (٦/ ٥٦٠).

قِصَّةُ الإِسْرَاءُ وَالمِعْرَاجُ

كَــفَــتْــهُ كَرَامَــةُ الـمِـعْـرَاجِ فَضْـلا بِـهَـا فِــي الـقُـرْبِ سَـادَ الأَنْبِيَـاءَ[1]

عَـنْ أَنَـسِ بْـنِ مَالِـكٍ، وَهُوَ عَـنْ مَالِـكِ بْـنِ صَعْصَعَـةَ رضي الله عنهما، أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ حَدَّثَهُمْ «عَنْ لَيْلَةِ أُسْرِيَ بِهِ، قَالَ: بَيْنَمَا أَنَا فِي الْحَطِيمِ، -وَرُبَّمَا قَالَ فِي الْحِجْرِ-، مُضْطَجِعًا إِذْ أَتَانِي آتٍ، فَقَدَّ[2]، قَالَ: وَسَـمِعْتُهُ يَقُولُ: فَشُـقَّ مَـا بَيْنَ هَذِهِ إِلَىٰ هَذِهِ»، فَقُلْتُ لِلْجَارُودِ وَهُوَ إِلَىٰ جَنْبِي: مَا يَعْنِي؟.

قَالَ: مِنْ ثُغْرَةِ[3] نَحْرِهِ إِلَىٰ شِعْرَتِهِ[4].

قَـالَ: وَسَـمِعْتُهُ يَقُولُ: مِـنْ قَصِّهِ[5] إِلَىٰ شِـعْرَتِهِ، فَاسْـتَخْرَجَ قَلْبِـي، ثُمَّ أُتِيتُ بِطَسْـتٍ مِنْ ذَهَبٍ مَمْلُوءٍ إِيمَانًا وَحِكْمَةً فَغُسِـلَ قَلْبِي ثُمَّ حُشِـيَ ثُمَّ أُعِيدَ، ثُمَّ أُتِيتُ بِدَابَّةٍ دُونَ الْبَغْلِ وَفَوْقَ الْحِمَارِ أَبْيَضَ.

فَقَـالَ لَـهُ الْجَارُودُ: هُوَ الْبُرَاقُ يَـا أَبَا حَمْزَةَ؟، قَالَ أَنَسٌ: نَعَـمْ، يَقْطَعُ خَطْوَتَهُ عِنْـدَ أَقْصَـىٰ طَرْفِهِ[6]، فَحُمِلْـتُ عَلَيْهِ، فَانْطَلَـقَ بِي جِبْرِيلُ عليه السلام حَتَّىٰ أَتَىٰ السَّمَاءَ

---

(١) «دَوَاوِيْنُ الشِّعْرِ العَرَبِيِّ» (٨٣/ ٣٨٣).

(٢) القَدُّ: الشَّقُّ طُوْلاً.

(٣) الثُّغْرَة - بِالضَّمِّ-: المَوْضِعُ المُنْخَفض الَّذِي بَيْنَ التَّرْقُوتَيْنِ.

(٤) شِعْرَته أَيْ: شَعْرُ العَانَةِ.

(٥) قَصِّه أَيْ: رَأْسُ صَدْرِهِ.

(٦) طَرْفه أَيْ: نَظَرِهِ، أَيْ: يَضَعُ رِجْلَهُ.

الدُّنْيَا فَاسْتَفْتَحَ، فَقِيلَ: مَنْ هَذَا؟،.

قَالَ: جِبْرِيلُ، قِيلَ: وَمَنْ مَعَكَ؟، قَالَ: مُحَمَّدٌ، قِيلَ: وَقَدْ أُرْسِلَ إِلَيْهِ؟، قَالَ: نَعَمْ، قِيلَ: مَرْحَبًا بِهِ، وَنِعْمَ الْمَجِيءُ جَاءَ، فَفُتِحَ لَنَا، فَلَمَّا خَلَصْتُ فَإِذَا فِيهَا آدَم، فَقَالَ: هَذَا أَبُوكَ آدَمُ فَسَلِّمْ عَلَيْهِ، قَالَ: فَسَلَّمْتُ عَلَيْهِ فَرَدَّ السَّلامَ، ثُمَّ قَالَ: مَرْحَبًا بِالابْنِ الصَّالِحِ وَالنَّبِيِّ الصَّالِحِ.

ثُمَّ صَعِدَ بِي حَتَّىٰ أَتَىٰ السَّمَاءَ الثَّانِيَةَ فَاسْتَفْتَحَ، فَقِيلَ: مَنْ هَذَا؟، قَالَ: جِبْرِيلُ، قِيْلَ: وَمَنْ مَعَكَ؟.

قَالَ: مُحَمَّدٌ، قِيلَ: وَقَدْ أُرْسِلَ إِلَيْهِ؟، قَالَ: نَعَمْ، قِيلَ: مَرْحَبًا بِهِ، فَنِعْمَ الْمَجِيءُ جَاءَ، فَفُتِحَ، فَلَمَّا خَلَصْتُ فَإِذَا يَحْيَىٰ، وَعِيسَىٰ عَلَيْهِمَا السَّلَامُ وَهُمَا ابْنَا الْخَالَةِ، قَالَ: هَذَا يَحْيَىٰ، وَعِيسَىٰ فَسَلِّمْ عَلَيْهِمَا، قَالَ: فَسَلَّمْتُ فَرَدَّا، ثُمَّ قَالا: مَرْحَبًا بِالأَخِ الصَّالِحِ وَالنَّبِيِّ الصَّالِحِ.

ثُمَّ صَعِدَ بِي إِلَىٰ السَّمَاءِ الثَّالِثَةِ فَاسْتَفْتَحَ، فَقِيلَ: مَنْ هَذَا؟، قَالَ: جِبْرِيلُ، قِيلَ: وَمَنْ مَعَكَ؟، قَالَ: مُحَمَّدٌ، قِيلَ: أَوَ قَدْ أُرْسِلَ إِلَيْهِ؟، قَالَ: نَعَمْ، قِيلَ: مَرْحَبًا بِهِ، فَنِعْمَ الْمَجِيءُ جَاءَ، فَفُتِحَ فَلَمَّا خَلَصْتُ إِذَا يُوسُفُ عَلَيْهِ السَّلَامُ، قَالَ: هَذَا يُوسُفُ فَسَلِّمْ عَلَيْهِ، قَالَ: فَسَلَّمْتُ عَلَيْهِ فَرَدَّ، ثُمَّ قَالَ: مَرْحَبًا بِالأَخِ الصَّالِحِ وَالنَّبِيِّ الصَّالِحِ.

ثُمَّ صَعِدَ بِي حَتَّىٰ أَتَيْنَا السَّمَاءَ الرَّابِعَةَ، فَإِذَا إِدْرِيس عَلَيْهِ السَّلَامُ، فَقَالَ: هَذَا إِدْرِيسُ فَسَلِّمْ عَلَيْهِ، فَسَلَّمْتُ عَلَيْهِ فَرَدَّ، ثُمَّ قَالَ: مَرْحَبًا بِالأَخِ الصَّالِحِ وَالنَّبِيِّ الصَّالِحِ.

ثُمَّ صَعِدَ بِي حَتَّىٰ أَتَيْنَا السَّمَاءَ الْخَامِسَةَ فَاسْتَفْتَحَ، فَقِيلَ: مَنْ هَذَا؟، قَالَ: جِبْرِيل، قِيلَ: وَمَنْ مَعَكَ؟، قَالَ: مُحَمَّدٌ، قِيلَ: وَقَدْ أُرْسِلَ إِلَيْهِ؟، قَالَ: نَعَمْ، قِيلَ: مَرْحَبًا بِهِ، فَنِعْمَ الْمَجِيءُ جَاءَ، فَفُتِحَ فَلَمَّا خَلَصْتُ فَإِذَا هُوَ هَارُونُ عَلَيْهِ السَّلَامُ، قَالَ: هَذَا هَارُونُ فَسَلِّمْ

عَلَيْهِ، قَالَ: فَسَلَّمْتُ عَلَيْهِ فَرَدَّ السَّلامَ، ثُمَّ قَالَ: مَرْحَبًا بِالأَخِ الصَّالِحِ وَالنَّبِيِّ الصَّالِحِ.

ثُمَّ صَعِدَ بِي حَتَّىٰ أَتَىٰ السَّمَاءَ السَّادِسَةَ فَاسْتَفْتَحَ، فَقِيلَ: مَنْ هَذَا؟، قَالَ: جِبْرِيل، قِيلَ: وَمَنْ مَعَكَ؟، قَالَ: مُحَمَّدٌ، قِيلَ: وَقَدْ أُرْسِلَ إِلَيْهِ؟، قَالَ: نَعَمْ، قِيلَ: مَرْحَبًا بِهِ، فَنِعْمَ الْمَجِيءُ جَاءَ، فَفُتِحَ فَلَمَّا خَلَصْتُ فَإِذَا مُوسَىٰ عَلَيْهِ السَّلَامُ، قَالَ: هَذَا مُوسَىٰ فَسَلِّمْ عَلَيْهِ، فَسَلَّمْتُ عَلَيْهِ فَرَدَّ، ثُمَّ قَالَ: مَرْحَبًا بِالأَخِ الصَّالِحِ وَالنَّبِيِّ الصَّالِحِ، فَلَمَّا تَجَاوَزْتُ بَكَىٰ، فَقِيلَ: مَا يُبْكِيكَ؟، قَالَ: أَبْكِي لأَنَّ غُلامًا بُعِثَ بَعْدِي يَدْخُلُ الْجَنَّةَ مِنْ أُمَّتِهِ أَكْثَرُ مِمَّنْ يَدْخُلُهَا مِنْ أُمَّتِي.

ثُمَّ صَعِدَ بِي حَتَّىٰ أَتَىٰ السَّمَاءَ السَّابِعَةَ فَاسْتَفْتَحَ، فَقِيلَ: مَنْ هَذَا؟، قَالَ: جِبْرِيل، قِيلَ: وَمَنْ مَعَكَ؟، قَالَ: مُحَمَّدٌ، قِيلَ: وَقَدْ أُرْسِلَ إِلَيْهِ؟، قَالَ: نَعَمْ، قِيلَ: مَرْحَبًا بِهِ، فَنِعْمَ الْمَجِيءُ جَاءَ، فَفُتِحَ، فَلَمَّا خَلَصْتُ فَإِذَا إِبْرَاهِيمُ ﷺ، قَالَ: هَذَا أَبُوكَ إِبْرَاهِيمُ فَسَلِّمْ عَلَيْهِ، قَالَ: فَسَلَّمْتُ عَلَيْهِ فَرَدَّ السَّلامَ، ثُمَّ قَالَ: مَرْحَبًا بِالابْنِ الصَّالِحِ وَالنَّبِيِّ الصَّالِحِ.

ثُمَّ رُفِعَتْ لِي سِدْرَةُ الْمُنْتَهَىٰ فَإِذَا نَبْقُهَا(١) مِثْلُ قِلالِ(٢) هَجَرَ(٣)، وَإِذَا أَوْرَاقُهَا مِثْلُ آذَانِ الْفِيلَةِ، قَالَ: هَذِهِ سِدْرَةُ الْمُنْتَهَىٰ فَإِذَا أَرْبَعَةُ أَنْهَارٍ: نَهْرَانِ بَاطِنَانِ وَنَهْرَانِ ظَاهِرَانِ، فَقُلْتُ: مَا هَذَا يَا جِبْرِيلُ؟، قَالَ: أَمَّا الْبَاطِنَانِ فَنَهَرَانِ فِي الْجَنَّةِ، وَأَمَّا الظَّاهِرَانِ فَالنِّيلُ وَالْفُرَات، ثُمَّ رُفِعَ لِيَ الْبَيْتُ الْمَعْمُورُ، يَدْخُلُهُ كُلَّ يَوْمٍ سَبْعُونَ أَلْفَ مَلَكٍ ثُمَّ لا يَعُودُونَ فِيهِ، ثُمَّ أُتِيتُ بِإِنَاءٍ مِنْ خَمْرٍ وَإِنَاءٍ مِنْ لَبَنٍ وَإِنَاءٍ مِنْ عَسَلٍ فَأَخَذْتُ اللَّبَنَ، فَقَالَ: هِيَ الْفِطْرَةُ أَنْتَ عَلَيْهَا وَأُمَّتُكَ.

---

(١) النَّبْق: ثَمَرُ السِّدْرِ.

(٢) القِلاَل -بِالكَسْرِ- الجِرَار، وَاحِدَتُهَا قُلَّةٌ -بِالضَّمِّ-.

(٣) هَجَرَ -بِفَتْحَتَيْنِ-: بَلْدَةَ بِاليَمَنِ، لَا تَنْصَرِفُ لِلتَّأْنِيْثِ والعَلَمِيَّةِ، وَقَدْ تَذَكَّرُ وَتُصْرَفُ.

ثُـمَّ فُرِضَتْ عَلَيَّ الصَّلَوَاتُ خَمْسِـينَ صَلَاةً كُلَّ يَـوْمٍ، فَرَجَعْتُ فَمَرَرْتُ عَلَىٰ مُوسَـىٰ، فقَـالَ: بِمَا أُمِرْتَ؟، قَالَ: أُمِرْتُ بِخَمْسِـينَ صَلَاةً كُلَّ يَوْمٍ، قَـالَ: إِنَّ أُمَّتَكَ لَا تَسْـتَطِيعُ خَمْسِـينَ صَلَاةً كُلَّ يَوْمٍ، وَإِنِّي وَاللهِ قَدْ جَرَّبْتُ النَّاسَ قَبْلَكَ وَعَالَجْتُ بَنِي إِسْـرَائِيلَ أَشَدَّ الْمُعَالَجَةِ، فَارْجِعْ إِلَىٰ رَبِّكَ فَاسْـأَلْهُ التَّخْفِيفَ لِأُمَّتِكَ، فَرَجَعْتُ فَوَضَعَ عَنِّي عَشْرًا.

فَرَجَعْتُ إِلَىٰ مُوسَـىٰ فَقَالَ مِثْلَـهُ، فَرَجَعْتُ فَوَضَعَ عَنِّي عَشْـرًا، فَرَجَعْتُ إِلَىٰ مُوسَـىٰ فَقَـالَ مِثْلَهُ، فَرَجَـعْتُ فَوَضَعَ عَنِّي عَشْـرًا، فَرَجَعْتُ إِلَىٰ مُوسَـىٰ فَقَالَ مِثْلَهُ، فَرَجَعْـتُ فَأُمِرْتُ بِعَشْـرِ صَلَـوَاتٍ كُلَّ يَوْمٍ، فَرَجَعْـتُ فَقَالَ مِثْلَـهُ، فَرَجَعْتُ فَأُمِرْتُ بِخَمْـسِ صَلَـوَاتٍ كُلَّ يَـوْمٍ، فَرَجَعْتُ إِلَىٰ مُوسَـىٰ فقَـالَ: بِمَ أُمِرْتَ، قُلْـتُ: أُمِرْتُ بِخَمْسِ صَلَوَاتٍ كُلَّ يَوْمٍ، قَالَ: إِنَّ أُمَّتَكَ لَا تَسْتَطِيعُ خَمْسَ صَلَوَاتٍ كُلَّ يَوْمٍ، وَإِنِّي قَدْ جَرَّبْتُ النَّاسَ قَبْلَكَ، وَعَالَجْتُ بَنِي إِسْـرَائِيلَ أَشَـدَّ الْمُعَالَجَةِ، فَارْجِعْ إِلَىٰ رَبِّكَ فَاسْـأَلْهُ التَّخْفِيفَ لِأُمَّتِكَ، قَالَ: سَـأَلْتُ رَبِّي حَتَّىٰ اسْتَحْيَيْتُ وَلَكِنِّي أَرْضَىٰ وَأُسَلِّمُ، قَالَ: فَلَمَّا جَاوَزْتُ نَادَىٰ مُنَادٍ أَمْضَيْتُ فَرِيضَتِي وَخَفَّفْتُ عَنْ عِبَادِي»[1].

وَحَـبَّـذا لَـيْلَـةُ الإِسْـرَاءِ حِيْـنَ سَـرَىٰ ... لَـيْلًا إِلَىٰ المَسـجِدِ الأَقْصَىٰ بِلَا أَتَمِ[2]

رَأَىٰ بِـهِ مِـن كِـرَامِ الرُّسُـلِ طَائِفَـةً ... فَـأَمَّـهُـم ثُـمَّ صَلَّـىٰ خَاشِـعًا بِهِـمِ

بَـل حَبَّـذا نَهْضَـةُ المِعْرَاجِ حِيْنَ سَـمَا ... بِـهِ إِلَـىٰ مَشـهَدٍ فِي العِزِّ لَـمْ يُـرَمِ[3]

---

(١) رَوَاهُ البُخَارِيُّ (٣١٦٤) وَمُسْلِمٌ (١٦٣).

(٢) الأَتَمُ -بِفَتْحَتَيْنِ-: الإِبْطَاء.

(٣) «مَوْسُوعَةُ الشِّعْرِ الإِسْلَامِي» (٨/ ٦٠٦).

وقال آخر:

وأَسْرَىٰ بـه نَحْـوَ السماوات رَبُّـهُ ... وأَرْكَـبَـهُ ظَـهْـرَ البُـرَاقِ وأَكْرَمَـا
وَقَـدْ فُـتِـحَـتْ أَبْـوابُها لِصُعُـودِه ... فمـا زَالَ يَرْقَـىٰ مِـنْ سَـمَاءٍ إِلىٰ سَـمَا
وَلَاقـىٰ بِهَـا قَوْمًـا مِـنَ الرسْـل كُلُّهم ... يقـولُ لـه يـا مَرْحَبًـا حِيـنَ سَلَّمَا
وَكَـانَ بِـهِ فَـرْضُ الصَّلاةِ وحَبَّـذا ... تَـرَدُّدُهُ بَـيْـنَ الْـكَـلِـيـمِ مُـكَـلِّمَـا
وصَـيَّرَهَـا مِنْ بَعْدِ خَمْسِـينَ خَمْسَـةً ... فُـرُوضًـا وأَمْـرُ اللـهِ قَـدْ كَانَ مُبْرَمَـا[1]

وَكَانَتْ رِحْلَتُهُ ﷺ بِالرُّوحِ وَالجَسَدِ.

بِدَلِيْـلِ قَوْلِـهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿سُبْحَٰنَ ٱلَّذِىٓ أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِۦ لَيْلًا مِّنَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ إِلَى ٱلْمَسْجِدِ ٱلْأَقْصَا﴾ [الإِسْرَاءُ: ١]. فَكَلِمَـةُ عَبْدٍ لاَ تُطْلَقُ عَلَىٰ الـرُّوحِ فَقَطْ، وَقَوْلِهِ- تَعَالَـىٰ-: ﴿مَازَاغَ ٱلْبَصَرُ وَمَاطَغَىٰ ۝١٧﴾ [النَّجْمُ: ١٧]، وَقَوْلِهِ-تَعَالَىٰ-: ﴿وَلَقَدْ رَءَاهُ نَزْلَةً أُخْرَىٰ ۝١٣﴾ [النَّجْمُ: ١٣].

فَالبَصَرُ مِنْ أَدَوَاتِ الذَّاتِ لاَ الرُّوحِ.

وَقَـدْ أَقَـرَّ رَسُـولُ اللـهِ ﷺ بُوجُودِ البُـرَاق الَّـذِي انْتَقَلَ بِـهِ، وَنَعَتَـهُ بِصِفَاتِهِ، وَالبُرَاقُ: مَخْلُوقٌ مَادِيٌّ، يَحْتَاجُ إِلَىٰ جَسَدٍ مَادِيٍّ يَرْكَبُهُ.

فَعَـنْ أَنَسِ بْنِ مَالِـكٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: «**فَرَبَطْتُهُ بِالْحَلْقَـةِ**[2] **الَّتِي يَرْبِطُ بِهِ**[3] **الأَنْبِيَاءُ**»[4].

(١) القصائد الزهديات (١/ ٢٠).

(٢) بِالحِلْقَةِ أَيْ: حِلْقَة بَابِ مَسْجِدِ بَيْتِ المَقْدِسِ.

(٣) بِهِ: بِضَمِيرِ المُذَكَّرِ، أَعَادَهُ عَلَى مَعْنَىٰ الحِلْقَةِ، وَهُوَ الشَّيْءُ.

(٤) رَوَاهُ البُخَارِيُّ (٣٢٠٧) وَمُسْلِمٌ (١٦٢) وَاللَّفْظُ لَهُ.

قَالَ شَوْقِي رَحِمَهُ اللهُ:

يَــا أَيُّهَـا المُسْـرَىٰ بِـهِ شَـرَفًا إِلَـىٰ ... مَــا لاَ تَـنَـالُ الـشَّـمْسُ وَالجَـوْزَاءُ

تَـغْشَـىٰ (١) الغُيُوبَ مِـنَ العَوَالِمِ كُلَّمَا ... طُــوِيَــتْ سَــمَاءٌ قَلَّدَتْـكَ سَـمَاءُ (٢)

قَالَ أُسْتَاذُنَا عَبْدُ الكَرِيْمِ العِمَادُ -حَفِظَهُ اللهُ-:

حَتَّىٰ أَتَىٰ الأَمْرُ بِالمِعْـرَاجِ، وَارْتَفَعَتْ ... إِلَـىٰ السَّـمَاءِ سَمَاءُ المَجْـدِ وَالكَـرَمِ

وَأَمْسَـتِ الأَرْضُ فِـي لَيْلَيْـنِ وَاجِمَـةً (٣) ... وَمَـنْ يُصِبْهُ فِـرَاقُ المُصْطَفَـىٰ يَجِمِ (٤)

جَــازَ الـنَّـبِيِّيْـنَ كُلًّا عِـنْـدَ رُتْبَتِهِ ... إِلَــىٰ مَـقَـامٍ مِــنَ الـعَلْـيَـاءِ لَـمْ يُـرَمِ

حَـتَّــىٰ ارْتَـقَــىٰ مَـنْـزِلًا مَــا نَالَـهُ أَحَـدٌ ... وَسِـدْرَةُ المُنْتَهَـىٰ كَانَتْ عَلَـىٰ زَمَمِ (٥)

مِــنْ حِكْمَـةِ اللهِ أَنْ كَانَ العُـرُوجُ بِـهِ ... لَـيْـلًا، وَلِلـهِ مَـا فِي الأَمْـرِ مِـنْ حِكَمِ

أَرَادَهَــــا الـلـــهُ تَــأْيِـيْــدًا وَتَسْلِيَةً ... لِلمُصْطَفَـىٰ بَعْدَمَا لَاقَىٰ مِـنَ القُحَمِ (٦)

فِــي الأَرْضِ دَاعِيَــةٌ لَاقَــىٰ العَنَـاءَ بِهَا ... وَفِــي السَّـمَوَاتِ مَدْعُـوٌّ إِلَـىٰ النِّعَـمِ

---

(١) غَشِيَ المَكَانَ يَغْشَاهُ: أَتَاهُ.

(٢) «دِيْوَانُ شَوْقِي» (١١).

(٣) الوُجُومُ: السُّكُوتُ عَلَىٰ هَمٍّ وَحُزْنٍ.

(٤) يَجِمِ أَيْ: يُصِيْبُهُ الوُجُومُ مِنْ شِدَّةِ الحُزْنِ.

(٥) عَلَىٰ زَمَمَ: عَلَىٰ قُرْبٍ.

(٦) القُحَم: الأُمُورُ الشَّاقَّة الشَّدِيْدَة، وَاحِدَتُهَا قُحْمَةٌ -بِالضَّمِّ-.

فِــي الأَرْضِ لَمْ يَلْقَ عَبْدًا يَسْتَجِيْرُ بِهِ ... وَفِــي السَّــمَوَاتِ لَاقَىٰ خَيْرَ مُسْتَنَمِ

فِــي الأَرْضِ طَرِيــدًا لاَ أَنِيْــسَ لَـهُ ... وَفِي السَّمَاءِ عَظِيْمًا حُفَّ بِالحَشَمِ

فِي الأَرْضِ أَبْغَـضُ خَلْقِ اللـهَ تَطْرُدُهُ ... وَفِــي السَّمَوَاتِ تَرْحِيْبٌ مِـنَ القِمَمِ

هَــذَا هُـوَ النَّصْرُ؛ فَأْمَنْ لاَ تَخَـفْ أَبَـدًا ... فَــإِنَّ أَمْــرَكَ مَـحْـتُــومٌ إِلَـىٰ التَّـمَـمِ

بَيْعَةُ العَقَبَةِ الأُوْلَى

أَجَارُوا رَسُولَ اللهِ بَدْأً وَلَمْ تَزَلْ ... مَآثِرُهُمْ فِي الدِّيْنِ تَسْمُو وَتَزْدَادُ (١)

بَعْدَ سِنِيْنَ طَوِيْلَةٍ قَضَاهَا النَّبِيُّ ﷺ فِي جِهَادٍ دَائِمٍ وَعَمَلٍ مُتَوَاصِلٍ، لَا يَعْرِفُ الكَلَلَ وَلاَ المَلَلَ، وَهُوَ يَطُوفُ عَلَىٰ القَبَائِلِ، مُبَلِّغًا دَعْوَةَ رَبِّهِ، مُلْتَمِسًا الحَلِيْفَ وَالنَّصِيْرَ، مُلاَقِيًا فِي سَبِيْلِ ذَلِكَ صُنُوفَ الأَذَىٰ وَالصَّدِّ وَالإِعْرَاضِ، أَرَادَ اللهُ إِتْمَامَ أَمْرِهِ، وَنَصْرَ دِيْنِهِ، وَإِعْزَازَ نَبِيِّهِ ﷺ، فَكَانَتْ البِدَايَةُ وَنُقْطَةُ التَّحَوُّلِ الحَاسِمَةُ وَبَصِيْصُ النُّورِ الَّذِي أَطَلَّ مِنْ بَيْنِ رُكَامِ الظُّلُمَاتِ،عِنْدَما قَيَّضَ اللهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ أُولَئِكَ النَّفَرَ السِّتَّةَ مِنْ أَهْلِ المَدِيْنَةِ، وَهُمْ: أَبُو أُمَامَةَ أَسْعَدُ بْنُ زُرَارَةَ، وَعَوْفُ بْنُ الْحَارِثِ، وَرَافِعُ بْنُ مَالِكٍ، وَقُطْبَةُ بْنُ عَامِرِ بْنِ حَدِيْدَةَ، وَعُقْبَةُ بْنُ عَامِرِبْنِ نَابِي، وَجَابِرُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمْ، كُلُّهُمْ مِنَ الأَنْصَارِسِيَّمَا الخَزْرَجِ، وَهَؤُلاَءِ النَّفَرِ السِّتَّةُ الْتَقَىٰ بِهِمْ رَسُولُ اللهِ ﷺ فِي مَوْسِمِ الحَجِّ مِنَ السَّنَةِ الحَادِيَةِ عَشْرَةَ لِلبِعْثَةِ، وَعَرَضَ عَلَيْهِمْ الإِسْلاَمَ، فَاسْتَجَابُوا لِدَعْوَتِهِ وَأَسْلَمُوا.

وَكَانَ هَذَا المَوْكِبُ أَوَّلَ مَوَاكِبِ الخَيْرِ، هَيَّأَتْ لِلإِسْلاَمِ أَرْضًا جَدِيْدَةً، وَمَلاَذًا آمِنًا؛ حَيْثُ لَمْ يَكْتَفِ هَؤُلاَءِ النَّفَرُ بِالإِيْمَانِ، وَإِنَّمَا أَخَذُوا العَهْدَ عَلَىٰ أَنْفُسِهِمْ بِدَعْوَةِ أَهْلِهِمْ وَأَقْوَامِهِمْ، وَرَجَعُوا إِلَىٰ المَدِيْنَةِ وَهُمْ يَحْمِلُونَ رِسَالَةَ الإِسْلاَمِ، حَتَّىٰ لَمْ يَبْقَ دَارٌ مِنْ دُوْرِ الأَنْصَارِ إِلَّا وَفِيْهَا ذِكْرٌ لِرَسُولِ اللهِ ﷺ.

---

(١) «دَوَاوِيْنُ الشِّعْرِ العَرَبِيِّ» (٤٧/ ٩٢).

فَلَمَّا كَانَ مَوْسِمُ الحَجِّ مِنَ الْعَامِ الْمُقْبِلِ، جاءَ مِنْهُمْ اثْنَا عَشَرَ رَجُلًا مِنَ الْمُؤْمِنِيْنَ: عَشَرَةٌ مِنَ الخَزْرَجِ، وَ اثْنَانِ مِنَ الأَوْسِ.

وَهُمْ السِّتَّةُ الْأَوَئِلُ -خَلَا جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ- وَمَعَهُمْ: مُعَاذُ بْنُ الْحَارِثِ بْنِ رِفَاعَةَ، أَخُو عَوْفٍ الْمُتَقَدِّمِ، وَذَكْوَانُ بْنُ عَبْدِ الْقَيْسِ، وَعُبَادَةُ بْنُ الصَّامِتِ، وَيَزِيدُ بْنُ ثَعْلَبَةَ، فَهَؤُلَاءِ عَشَرَةٌ مِنَ الخَزْرَجِ، وَمِنَ الأَوْسِ اثْنَانِ، وَهُمَا: مَالِكُ بْنُ التَّيْهَانِ، وَعُوَيْمُ بْنُ سَاعِدَةَ.

فَبَايَعُوا رَسُولَ اللهِ ﷺ كَبَيْعَةِ النِّسَاءِ دُونَ قِتَالٍ، لِأَنَّهُ لَمْ يَكُنْ أُمِرَ بِالقِتَالِ بَعْدُ[1].

وَهَا هُوذَا عُبَادَةُ بْنُ الصَّامِتِ رضي الله عنه يُحَدِّثُنَا كَيْفَ كَانَتْ بَيْعَةُ العَقَبَةِ الأُولَىٰ.

قَالَ: كُنْتُ فِيمَنْ حَضَرَ الْعَقَبَةَ الْأُولَىٰ، وَكُنَّا اثْنَيْ عَشَرَ رَجُلًا، فَبَايَعْنَا رَسُولَ اللهِ ﷺ عَلَىٰ بَيْعَةِ النِّسَاءِ، وَذَلِكَ قَبْلَ أَنْ تُفْتَرَضَ الْحَرْبُ عَلَىٰ: «**أَلَّا نُشْرِكَ بِاللهِ شَيْئًا، وَلَا نَسْرِقَ، وَلَا نَزْنِيَ، وَلَا نَقْتُلَ أَوْلَادَنَا، وَلَا نَأْتِيَ بِبُهْتَانٍ نَفْتَرِهِ بَيْنَ أَيْدِينَا وَأَرْجُلِنَا، وَلَا نَعْصِيَهُ فِي مَعْرُوفٍ، فَإِنْ وَفَّيْتُمْ، فَلَكُمُ الْجَنَّةُ، وَإِنْ غَشِيتُمْ مِنْ ذَلِكَ شَيْئًا، فَأَمْرُكُمْ إِلَىٰ اللهِ، إِنْ شَاءَ عَذَّبَكُمْ، وَإِنْ شَاءَ غَفَرَ لَكُمْ**»[2].

وَفِي رِوَايَةٍ: قَالَ عُبَادَةُ بْنِ الصَّامِتِ رضي الله عنه: إِنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: «**تَعَالَوْا بَايِعُونِي عَلَىٰ أَلَّا تُشْرِكُوا بِاللهِ شَيْئًا، وَلَا تَسْرِقُوا، وَلَا تَزْنُوا، وَلَا تَقْتُلُوا أَوْلَادَكُمْ، وَلَا تَأْتُوا بِبُهْتَانٍ تَفْتَرُونَهُ بَيْنَ أَيْدِيكُمْ وَأَرْجُلِكُمْ، وَلَا تَعْصُونِي فِي مَعْرُوفٍ، فَمَنْ وَفَّىٰ مِنْكُمْ**

---

(١) بَيْعَةُ النِّسَاءِ كَانَتْ بَعْد الحُدَيْبِيَةِ، وَهِيَ المَذْكُورَةُ فِي قَوْلِهِ -تَعَالَىٰ-: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ إِذَا جَآءَكَ ٱلْمُؤْمِنَٰتُ يُبَايِعْنَكَ عَلَىٰٓ أَن لَّا يُشْرِكْنَ بِٱللَّهِ شَيْـًٔا وَلَا يَسْرِقْنَ وَلَا يَزْنِينَ وَلَا يَقْتُلْنَ أَوْلَٰدَهُنَّ وَلَا يَأْتِينَ بِبُهْتَٰنٍ يَفْتَرِينَهُۥ بَيْنَ أَيْدِيهِنَّ وَأَرْجُلِهِنَّ وَلَا يَعْصِينَكَ فِى مَعْرُوفٍ ۙ فَبَايِعْهُنَّ وَٱسْتَغْفِرْ لَهُنَّ ٱللَّهَ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٢﴾﴾ [المُمْتَحِنَةُ:١٢].

(٢) رَوَاهُ البُخَارِيُّ (٣٨٩٣) وَمُسْلِمٌ (١٧٠٩).

فَأَجْرُهُ عَلَىٰ اللهِ، وَمَنْ أَصَابَ مِنْ ذَلِكَ شَيْئًا فَعُوقِبَ بِهِ فِي الدُّنْيَا فَهُوَ لَهُ كَفَّارَةٌ، وَمَنْ أَصَابَ مِنْ ذَلِكَ شَيْئًا فَسَتَرَهُ اللهُ فَأَمْرُهُ إِلَىٰ اللهِ؛ إِنْ شَاءَ عَاقَبَه، وَإِنْ شَاءَ عَفَا عَنْهُ قَالَ: فَبَايَعْتُهُ عَلَىٰ ذَلِكَ»[1].

فَلَمَّا انْصَرَفَ عَنْهُ الْقَوْم، بَعَثَ رَسُولُ اللهِ ﷺ مَعَهُمْ مُصْعَبَ بْنَ عُمَيْرٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، وَأَمَرَهُ أَنْ يُقْرِئَهُمْ الْقُرْآنَ، وَيُعَلِّمَهُمْ الإِسْلَامَ، وَيُفَقِّهَهُمْ فِي الدِّينِ، وَيَدْعُوَ إِلَىٰ اللهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، فَأَقَامَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ فِي بَيْتِ أَسْعَدَ بْنِ زُرَارَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ يُعَلِّمُ النَّاسَ، وَيَدْعُو إِلَىٰ الله، وَتَمَكَّنَ خَلَالَ أَشْهُرٍ مَعْدُودَةٍ مِنْ أَنْ يَنْشُرَ الإِسْلَامَ فِي سَائِرِ بُيُوتِ المَدِيْنَةِ، وَأَسْلَمَ عَلَىٰ يَدَيْهِ بَشَرٌ كَثِيْرٌ، مِنْهُمْ: أُسَيْدُ بْنُ حُضَيْرٍ، وَسَعْدُ بْنُ مُعَاذٍ، وَأَسْلَمَ بِإِسْلَامِهِمَا يَوْمَئِذٍ جَمِيعُ بَنِي عَبْدِ الأَشْهَلِ الرِّجَالُ وَالنِّسَاءُ إِلَّا الأُصَيْرِمَ، وَهُوَ عَمْرُو بْنُ ثَابِتٍ، فَإِنَّهُ تَأَخَّرَ إِسْلَامُهُ إِلَىٰ يَوْمِ أُحُدٍ.

وَلَمْ تَبْقَ دَارٌ مِنْ دُورِ الأَنْصَارِ إِلَّا وَفِيْهَا رِجَالٌ وَنِسَاءٌ مُسْلِمُونَ، وَعَادَ مُصْعَبُ بْنَ عُمَيْرٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ إِلَىٰ مَكَّةَ قُبَيْلَ المَوسِمِ المُقْبِلِ، يَحْمِلُ بَشَائِرَ الخَيْرِ، وَيُخْبِرُ النَّبِيِّ ﷺ بِمَا لَقِيَهُ الإِسْلَامُ فِي المَدِيْنَةِ مِنْ قُبُولٍ حَسَنٍ، وَأَنَّهُ سَوْفَ يَرَىٰ فِي هَذَا المَوْسِمِ مَا تَقَرُّ بِهِ عَيْنُهُ، وَيُسَرُّ بِهِ فُؤَادُهُ.

قَالَ الشَّاعِرُ:

إِذَا مَجْلِسُ الأَنْصَارِ حَفَّ بِأَهْلِهِ ... وَحَلَّتْ بَوَادِيْهِمْ غِفَارٌ وَأَسْلَمُ
فَمَا النَّاسُ بِالنَّاسِ الَّذِينَ عَهِدْتَهُمْ ... وَلا الدَّارُ بِالدَّارِ الَّتِي كُنْتَ تَعْلَمُ[2]

---

(١) رَوَاهُ البُخَارِيُّ (٣٨٩٢) وَمُسْلِمٌ (١٧٠٩).

(٢) «التَّذْكِرَةُ الحَمْدُونِيَّةُ» (٧/ ٢٩٦)، وَغَفَارٌ وأَسْلَمَ: قَبِيْلَتَانِ.

وَقَالَ آخَرُ:

يَستَقْبِلُ النَّاسَ فِي بَدوٍ وَفِي حَضَرٍ ... وَيَنشُرُ الدِّيْنَ فِي سَهْلٍ وَفِي عَلَمِ
حَتَّىٰ اِستَجَابَتْ لَهُ الأَنصَارُ وَاعتَصَمُوا ... بِحَبْلِهِ عَنْ تَراضٍ خَيْرَ مُعْتَصَمِ
فَاستَكْمَلَتْ بِهِمُ الدُّنْيَا نَضارَتَها ... وَأَصْبَحَ الدِّيْنُ فِي جَمْعٍ بِهِمْ تَمَمِ
قَومٌ أَقَرُّوا عِمَادَ الحَقِّ وَاصطَلَمُوا ... بِبَاسِهِمْ كُلَّ جَبَّارٍ وَمُصطَلِمِ
فَكَم بِهِمْ أَشْرَقَتْ أَسْتَارُ داجِيَةٍ ... وَكَمْ بِهِمْ خَمَدَتْ أَنْفَاسُ مُخْتَصِمِ(١)

وَقَالَ أُسْتَاذُنَا عَبْدُ الكَرِيْمِ العِمَادُ -حَفِظَهُ اللهُ-:

سَيَحْسِمُ اللهُ أَمْرًا أَنْتَ حامِلُهُ ... حَتَّىٰ وَإِنْ تَبِدَّىٰ عَسِيْرًا غَيْرَ مُنْحَسِمِ
بُشْرَاكَ؛ تِلْكَ بُذُورُ النُّورِ مُقْبِلَةً ... مِنْ يَثْرِبِ النَّصْرِ وَالأَنْصَارِ وَالرُّحُمِ(٢)

---

(١) «مَوْسُوعَةُ الشِّعْرِ» (٩/ ٦٠٦)، وَاصطَلَمُوا: اسْتَأْصَلُوا.

(٢) الرُّحُم: الرِّقَةُ وَالعَطْف وَالمَغْفِرَة.

بَيْعةُ العَقَبَةِ الثَّانِيَةُ

يَـا مَـنْ بِطَلْعَتِهِ يَلُـوحُ لَنَا الهُدَىٰ وَبِـيُـمْـنِ رُؤْيَـتِهِ نَـزِيْـدُ تَـيَـمُّـنَا(١)

هَا هُو كَعْبُ بْنُ مَالِكٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ يُحَدِّثُنَا عَنْ بِيْعَةُ العَقَبَةِ الثَّانِيَةِ، فَيَقُولُ: فَنِمْنَا تِلْكَ اللَّيْلَةَ -وَهِيَ اللَّيْلَةُ الثَّانِيَةُ مِنْ أَيَّامِ التَّشْرِيْقِ- مَعَ قَوْمِنَا فِي رِحَالِنَا حَتَّىٰ إِذَا مَضَىٰ ثُلُثُ اللَّيْلِ، خَرَجْنَا مِنْ رِحَالِنَا لِمِيعَادِ رَسُولِ اللهِ ﷺ نَتَسَلَّلُ مُسْتَخْفِينَ تَسَلُّلَ الْقَطَا، حَتَّىٰ اجْتَمَعْنَا فِي الشِّعْبِ عِنْدَ الْعَقَبَةِ، وَنَحْنُ سَبْعُونَ رَجُلًا وَمَعَنَا امْرَأَتَانِ مِنْ نِسَائِهِمْ، نَسِيبَةُ بِنْتُ كَعْبٍ، وَأَسْمَاءُ بِنْتُ عَمْرِو بْنِ عَدِيِّ بْنِ ثَابِتٍ.

قَالَ: فَاجْتَمَعْنَا بِالشِّعْبِ نَنْتَظِرُ رَسُولَ اللهِ ﷺ حَتَّىٰ جَاءَنَا وَمَعَهُ يَوْمَئِذٍ عَمُّهُ الْعَبَّاسُ بْنُ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ، وَهُوَ يَوْمَئِذٍ عَلَىٰ دِينِ قَوْمِهِ، إِلَّا أَنَّهُ أَحَبَّ أَنْ يَحْضُرَ أَمْرَ ابْنِ أَخِيهِ وَيَتَوَثَّقَ لَه، فَلَمَّا جَلَسْنَا كَانَ الْعَبَّاسُ ابْنُ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ أَوَّلَ مَنْ تَكَلَّمَ فَقَالَ: يَا مَعْشَرَ الْخَزْرَجِ - وَكَانَ الْعَرَبُ مِمَّا يُسَمُّونَ هَذَا الْحَيَّ مِنْ الْأَنْصَارِ الْخَزْرَجَ أَوْسَهَا وَخَزْرَجَهَا- إِنَّ مُحَمَّدًا مِنَّا حَيْثُ قَدْ عَلِمْتُمْ وَقَدْ مَنَعْنَاهُ مِنْ قَوْمِنَا، مِمَّنْ هُوَ عَلَىٰ مِثْلِ رَأْيِنَا فِيهِ، وَهُوَ فِي عِزٍّ مِنْ قَوْمِهِ وَمَنَعَةٍ فِي بَلَدِهِ.

قَالَ: فَقُلْنَا: قَدْ سَمِعْنَا مَا قُلْتَ، فَتَكَلَّمْ يَا رَسُولَ اللهِ، فَخُذْ لِنَفْسِكَ وَلِرَبِّكَ مَا أَحْبَبْتَ، قَالَ: فَتَكَلَّمَ رَسُولُ اللهِ ﷺ فَتَلَا وَدَعَا إِلَىٰ اللهِ - عَزَّ وَجَلَّ - وَرَغَّبَ فِي الْإِسْلَامِ، قَالَ: «**أُبَايِعُكُمْ عَلَىٰ أَنْ تَمْنَعُونِي مِمَّا تَمْنَعُونَ مِنْهُ نِسَاءَكُمْ وَأَبْنَاءَكُمْ**»، قَالَ: فَأَخَذَ الْبَرَاءُ بْنُ مَعْرُورٍ بِيَدِهِ، ثُمَّ قَالَ: نَعَمْ، وَالَّذِي بَعَثَكَ بِالْحَقِّ، لَنَمْنَعَنَّكَ مِمَّا

(١) «دِيْوَانُ ابْنِ مَعْتُوقٍ» (١٢٨).

نَمْنَعُ مِنْهُ أُزُرَنَا (أَيْ نِسَاءَنَا) فَبَايِعْنَا يَا رَسُولَ اللهِ ﷺ فَنَحْنُ أَهْلُ الْحُرُوبِ وَأَهْلُ الْحَلْقَةِ، وَرِثْنَاهَا كَابِرًا عَنْ كَابِرٍ.

قَالَ: فَاعْتَرَضَ الْقَوْلَ، وَالْبَرَاءُ يُكَلِّمُ رَسُولَ اللهِ ﷺ أَبُو الْهَيْثَمِ بْنُ التَّيِّهَانِ، فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللهِ إِنَّ بَيْنَنَا وَبَيْنَ الرِّجَالِ حِبَالًا، وَإِنَّا قَاطِعُوهَا -يَعْنِي الْعُهُودَ- فَهَلْ عَسَيْتَ إِنْ نَحْنُ فَعَلْنَا ذَلِكَ، وَأَظْهَرَكَ اللهُ ﷻ أَنْ تَرْجِعَ إِلَىٰ قَوْمِكَ وَتَدَعَنَا، قَالَ: فَتَبَسَّمَ رَسُولُ اللهِ ﷺ ثُمَّ قَالَ: «**بَلْ الدَّمَ الدَّمَ، وَالْهَدْمَ الْهَدْمَ**[١]**، أَنَا مِنْكُمْ وَأَنْتُمْ مِنِّي، أُحَارِبُ مَنْ حَارَبْتُمْ، وَأُسَالِمُ مَنْ سَالَمْتُمْ**»[٢].

وَهَا هُو جَابِرُ بْنِ عَبْدِ اللهِ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا عِنْدَهُ زِيَادَةُ فَائِدَةٍ، فَيُحَدِّثُنَا قَالَ: فَقُلْنَا: حَتَّىٰ مَتَىٰ نَتْرُكُ رَسُولَ اللهِ ﷺ يُطْرَدُ فِي جِبَالِ مَكَّةَ وَيَخَافُ؟، فَرَحَلَ إِلَيْهِ سَبْعُونَ رَجُلًا مِنَّا حَتَّىٰ قَدِمُوا عَلَيْهِ فِي الْمَوْسِمِ فَوَاعَدْنَا شِعْبَ الْعَقَبَةِ، فَاجْتَمَعُوا عِنْدَهَا مِنْ رَجُلٍ وَرَجُلَيْنِ حَتَّىٰ تَوَافَيْنَا، فَقُلْنَا: يَا رَسُولَ اللهِ عَلَىٰ مَا نُبَايِعُكَ؟

قَالَ: «**تُبَايِعُونِي عَلَىٰ السَّمْعِ وَالطَّاعَةِ فِي النَّشَاطِ وَالْكَسَلِ وَالنَّفَقَةِ فِي الْعُسْرِ والْيُسْرِ، وَعَلَىٰ الْأَمْرِ بِالْمَعْرُوفِ وَالنَّهْيِ عَنِ الْمُنْكَرِ، وَأَنْ تَقُولُوا فِي اللهِ لَا تَخَافُوا فِي اللهِ لَوْمَةَ لَائِمٍ، وَعَلَىٰ أَنْ تَنْصُرُونِي فَتَمْنَعُونِي إِذَا قَدِمْتُ عَلَيْكُمْ مِمَّا تَمْنَعُونَ مِنْهُ أَنْفُسَكُمْ، وَأَزْوَاجَكُمْ وَأَبْنَاءَكُمْ وَلَكُمُ الْجَنَّةُ**».

قَالَ: فَقُمْنَا إِلَيْهِ فَبَايَعْنَاهُ، وَأَخَذَ بِيَدِهِ أَسْعَدُ بْنُ زُرَارَةَ وَهُوَ أَصْغَرُهُمْ، فَقَالَ: رُوَيْدًا يَا أَهْلَ يَثْرِبَ، فَإِنَّا لَمْ نَضْرِبْ إِلَيْهِ أَكْبَادَ الْإِبِلِ إِلَّا وَنَحْنُ نَعْلَمُ أَنَّهُ رَسُولُ اللهِ

---

(١) الدَّمَ الدَّمَ وَالْهَدْمَ الْهَدْمَ أَيْ: إِنْ طُلِبَ دَمُّكُمْ فَقَدْ طُلِبَ دَمِي، وَإِنْ أُهْدِرَ دَمُّكُمْ فَقَدْ أُهْدِرَ دَمِي، لاسْتِحْكَامِ الأُلْفَةِ بَيْنَنَا.

(٢) (صَحِيحٌ) أَخْرَجَهُ أَحْمَدُ (٣/ ٤٦٠)، وَصَحَّحَهُ الأَلْبَانِيُّ رَحِمَهُ اللهُ فِي تَعْلِيقَاتِهِ عَلَىٰ «فِقْهِ السِّيْرَةِ» (١٩٤).

ﷺ، وَإِنَّ إِخْرَاجَهُ الْيَوْمَ مُفَارَقَةُ الْعَرَبِ كَافَّةً، وَقَتْلُ خِيَارِكُمْ وَأَنْ تَعَضَّكُمُ السُّيُوفُ، أَمَّا أَنْتُمْ قَوْمٌ تَصْبِرُونَ عَلَىٰ ذَلِكَ، وَأَجْرُكُمْ عَلَىٰ اللهِ، وَأَمَّا أَنْتُمْ قَوْمٌ تَخَافُونَ مِنْ أَنْفُسِكُمْ خَبِيئَةً، فَبَيِّنُوا ذَلِكَ فَهُوَ عُذْرٌ لَكُمْ عِنْدَ اللهِ.

قَالُوا: أَمِطْ عَنَّا يَا أَسْعَدُ فَوَاللهِ لَا نَدَعُ هَذِهِ الْبَيْعَةَ أَبَدًا، وَلَا نَسْلُبُهَا أَبَدًا قَالَ: فَقُمْنَا إِلَيْهِ، فَبَايَعْنَاهُ فَأَخَذَ عَلَيْنَا وَشَرَطَ، وَيُعْطِينَا عَلَىٰ ذَلِكَ الْجَنَّةَ[١].

وَقَدْ وَفَّىٰ الأَنْصَارُ بِتَلْكَ البَيْعَةِ، وَقَامُوا بِمَا يَجِبُ عَلَيْهِمْ خَيْرِقِيَامٍ، وَأَثْنَىٰ اللهُ عَلَيْهِمْ فِي كِتَابِهِ، وَأَوْصَىٰ بِهِمْ رَسُولُ اللهِ ﷺ خَيْرَ وَصِيَّةٍ، وَقَالَ قَبْلَ مَوْتِهِ: «**فَقَدْ قَضَوُا الَّذِي عَلَيْهِمْ وَبَقِيَ الَّذِي لَهُمْ، فَاقْبَلُوا مِنْ مُحْسِنِهِمْ، وَتَجَاوَزُوا عَنْ مُسِيئِهِمْ**»[٢].

قَالَ كَعْبُ بْنُ زُهَيْرٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ يَمْدَحُ الأَنْصَارَ:

مَنْ سَرَّهُ كَرَمُ الْحَيَاةِ فَلَا يَزَلْ ... فِي مِقْنَبٍ[٣] مِنْ صَالِحِي الْأَنْصَارِ

وَرِثُوا الْمَكَارِمَ كَابِرًا عَنْ كَابِرٍ[٤] ... إِنَّ الْخِيَارَ هُمْ بَنُو الْأَخْيَارِ

الْمُكْرِهِينَ السَّمْهَرِيَّ[٥] بِأَذْرُعٍ ... كَسَوَالِفِ الْهِنْدِيِّ[٦] غَيْرَ قِصَارِ

وَالنَّاظِرِينَ بِأَعْيُنٍ مُحْمَرَّةٍ ... كَالْجَمْرِ غَيْرِ كَلِيلَةِ الْأَبْصَارِ

---

(١) (صَحِيحٌ) أَخْرَجَهُ أَحْمَدُ (٣/ ٣٢٢-٣٤٠)، وَالحَاكِمُ (٢/ ٦٢٤-٦٢٥)، وَصَحَّحَهُ وَأَقَرَّهُ الذَّهَبِي، وَصَحَّحَهُ الأَلْبَانِيُّ رَحِمَهُ اللهُ فِي «الصَّحِيحَةِ» (٦٣).

(٢) رَوَاهُ البُخَارِيُّ (٣٧٩٩) وَمُسْلِمٌ (٣٨٠١).

(٣) المِقْنَب -بِزِنَةَ المِنْبَرِ - الجَمَاعَةُ مِنَ الفَوَارِسِ، والجَمْعُ مَقَانِبُ.

(٤) كَابِرًا عَنْ كَابِرٍ أَيْ: كَبِيرًا عَنْ كَبِيرٍ فِي العِزِّ وَالشَّرَفِ.

(٥) السَّمْهَرِيُّ: الرُّمح الصُّلْب: يُقَالُ: هُوَ مَنْسُوبٌ إِلَىٰ سَمْهَرٍ، وَكَانَ رَجُلاً يَقَوِّمُ الرِّمَاحَ.

(٦) كَسَوَالِفِ الْهِنْدِيِّ: يُرِيدُ حَوَاشِ السُّيُوفِ، وَقَدْ يُرِيدُ بِهِ الرِّمَاحَ - أَيْضًا -؛ لأَنَّهَا قَدْ تُنْسَبُ إِلَىٰ الهِنْدِ.

وَالْبَائِعِينَ نُفُوسَهُمْ لِنَبِيِّهِمْ ... لِلْمَوْتِ يَوْمَ تَعَانُقٍ وَكِرَارِ
وَالْقَائِدِينَ [1] النَّاسَ عَنْ أَدْيَانِهِمْ ... بِالْمَشْرَفِيِّ [2] وَبِالْقَنَا [3] الْخَطَّارِ [4]
يَتَطَهَّرُونَ يَرَوْنَهُ نُسْكًا لَهُمْ ... بِدِمَاءِ مَنْ عَلِقُوا مِنْ الْكُفَّارِ
دَرِبُوا [5] كَمَا دَرِبَتْ بِبَطْنٍ خَفِيَّةٍ [6] ... غُلْبُ الرِّقَابِ [7] مِنْ الْأَسْوَدِ ضَوَارِي [8]
وَإِذَا حَلَلْتَ لِيَمْنَعُوكَ إِلَيْهِمُ ... أَصْبَحْتَ عِنْدَ مَعَاقِلِ [9] الْأَعْفَارِ [10]
قَوْمٌ إِذَا خَوَتِ النُّجُومُ [11] فَإِنَّهُمْ ... لِلطَّارِقِينَ [12] النَّازِلِينَ مَقَارِي [13]. [14]

---

(١) فِي «عُيُون الْأَثَر» (٢/ ٢٦٣) بَدَلَ (وَالْقَائِدِينَ) وَ(الذَّائِدِيْنَ) أَي: المَانِعِيْنَ وَالدَّافِعِيْنَ.
(٢) الْمَشْرَفِيّ: السَّيْف المَنْسُوبِ إِلَىٰ المَشَارِفِ، قُرىً لِلعَرَبِ تَدْنُو مِنَ الرِّيْفِ.
(٣) القِنَا: جَمْعُ قَنَاةٍ، وَهِيَ الرُّمْحِ.
(٤) الخَطَّار: المُهْتَزّ.
(٥) دَرِبُوا: اعْتَادُوا مِنَ الدُّرْبَةِ: وَهِيَ الضَّرَاوَةُ وَالجَرَاءَةُ.
(٦) خَفِيَّة: مَوْضِعٌ كَثِيْرُ الْأُسْدِ.
(٧) غُلْبُ الرِّقَابِ: غِلَاظُ الأَعْنَاقِ.
(٨) ضَوَارِي: مُتَعَوِّدَاتِ الصَّيْدِ وَالافْتِرَاسِ.
(٩) مَعَاقِل: جَمْعُ مَعْقِلٍ، وَهُوَ الحِصْنُ الَّذِي يُمْتَنَعُ فِيْهِ.
(١٠) الْأَعْفَار: جَمْعُ عُفْرٍ -بِالضَّمِّ- وَهُوَ وَلَد الوَعْلِ.
(١١) خَوَتْ النُّجُومُ: غَرَبَتْ، وَلَمْ يَكُنْ لَهَا تَأْثِيْرٌ عَلَىٰ زَعْمِهِمْ.
(١٢) الطَّارِقِين: الَّذِيْنَ يَأْتُونَ بِاللَّيْلِ.
(١٣) المَقَارِي جَمْعُ مِقْرَاةٍ، وَهِيَ الجِفْنَةُ الَّتِي يُصْنَعُ فِيْهَا الطَّعَام لِلأَضْيَافِ.
(١٤) «البِدَايَةُ والنِّهَايَة» لابْن كَثِيرٍ (٧/ ١٣٨-١٣٩).

الهِجْرَةُ

أَوْحَىٰ لَكَ اللهُ: هَاجِـرْ لِلأُلَىٰ صَدَقُوا فَالمُؤْمِنُـونَ هُـمُ الأَوْطَانُ وَالنَّسَـبُ (١)

لَمْ يَكُنِ اخْتِيَارُ المَدِيْنَةِ مُهَاجَرًا لَهُ ﷺ إِلَّا بِوَحْيٍ إِلَهِيٍّ.

عَنْ أَبِي مُوسَىٰ الأَشْعَرِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولَ اللهِ ﷺ: «**أُرِيتُ فِي الْمَنَامِ أَنِّـي أُهَاجِرُ مِـنْ مَكَّةَ إِلَىٰ أَرْضٍ بِهَا نَخْـلٌ، فَذَهَبَ وَهَلِي -أَيْ اعْتِقَـادِي- إِلَىٰ أَنَّهَا الْيَمَامَةُ، أَوْ هَجَرُ، فَإِذَا هِيَ الْمَدِينَةُ يَثْرِبُ**»(٢).

وَعَنْ عَائِشَـةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا إِنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ لِلْمُسْـلِمِينَ: «**إِنِّي أُرِيـتُ دَارَ هِجْرَتِكُمْ ذَاتَ نَخْـلٍ بَيْـنَ لابَتَيْنِ، وَهُمَا الْحَرَّتَـانِ(٣)، فَهَاجَرَ مَنْ هَاجَرَ قِبَـلَ الْمَدِينَةِ، وَرَجَعَ عَامَّةُ مَنْ كَانَ هَاجَرَ بِأَرْضِ الْحَبَشَةِ إِلَىٰ الْمَدِينَةِ، وَتَجَهَّزَ أَبُو بَكْرٍ قِبَلَ الْمَدِينَةِ، فَقَالَ لَهُ رَسُولُ اللهِ ﷺ، عَلَىٰ رِسْلِكَ(٤)، فَإِنِّي أَرْجُو أَنْ يُؤْذَنَ لِي**».

فَقَالَ أَبُو بَكْرٍ: وَهَلْ تَرْجُو ذَلِكَ بِأَبِي أَنْتَ؟، قَالَ: «**نَعَمْ**».

فَحَبَسَ أَبُو بَكْرٍ نَفْسَـهُ عَلَىٰ رَسُـولِ اللهِ ﷺ لِيَصْحَبَهُ، وَعَلَفَ رَاحِلَتَيْنِ كَانَتَا عِنْدَهُ وَرَقَ السَّمُرِ وَهْوَ الْخَبَطُ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ.

---

(١) «مُخْتَارَاتٌ مِنْ أَجْمَلِ الشِّعْرِ» (٣٨).

(٢) رَوَاهُ البُخَارِيُّ (٣٦٢٢) وَمُسْلِمٌ (٢٢٧٢).

(٣) الحرَّة: أَرْضُ حِجارَتُها سُودٌ.

(٤) عَلَىٰ رِسْلِكَ - بِكَسْرِ الرَّاءِ - أَيْ: عَلَىٰ مَهْلِكَ

قَالَ: ابْنُ شِهَابٍ قَالَ عُرْوَةُ: قَالَتْ عَائِشَةُ رَضِيَ اللهُ عَنْهَا: فَبَيْنَمَا نَحْنُ يَوْمًا جُلُوسٌ فِي بَيْتِ أَبِي بَكْرٍ فِي نَحْرِ الظَّهِيرَةِ[١]، قَالَ قَائِلٌ لِأَبِي بَكْرٍ: هَذَا رَسُولُ اللهِ ﷺ مُتَقَنِّعًا[٢]- فِي سَاعَةٍ لَمْ يَكُنْ يَأْتِينَا فِيهَا - فَقَالَ أَبُو بَكْرٍ: فِدَاءٌ لَهُ أَبِي وَأُمِّي، وَاللهِ مَا جَاءَ بِهِ فِي هَذِهِ السَّاعَةِ إِلاَّ أَمْرٌ.

قَالَتْ: فَجَاءَ رَسُولُ اللهِ ﷺ فَاسْتَأْذَنَ، فَأُذِنَ لَهُ فَدَخَلَ، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ لِأَبِي بَكْرٍ: «**أَخْرِجْ مَنْ عِنْدَكَ**». فَقَالَ أَبُو بَكْرٍ: إِنَّمَا هُمْ أَهْلُكَ بِأَبِي أَنْتَ يَا رَسُولَ اللهِ. قَالَ: «**فَإِنِّي قَدْ أُذِنَ لِي فِي الْخُرُوجِ**».

فَقَالَ أَبُو بَكْرٍ الصَّحَابَةُ بِأَبِي أَنْتَ يَا رَسُولَ اللهِ.

قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**نَعَمْ**».

قَالَ أَبُو بَكْرٍ: فَخُذْ بِأَبِي أَنْتَ يَا رَسُولَ اللهِ إِحْدَى رَاحِلَتَيَّ هَاتَيْنِ.

قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**بِالثَّمَنِ**».

قَالَتْ عَائِشَةُ رَضِيَ اللهُ عَنْهَا: فَجَهَّزْنَاهُمَا أَحَثَّ الْجَهَازِ، وَصَنَعْنَا لَهُمَا سُفْرَةً[٣] فِي جِرَابٍ[٤].

فَقَطَعَتْ أَسْمَاءُ بِنْتُ أَبِي بَكْرٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهَا قِطْعَةً مَنْ نِطَاقِهَا[٥]، فَرَبَطَتْ بِهِ عَلَى فَمِ الْجِرَابِ، فَبِذَلِكَ سُمِّيَتْ ذَاتَ النِّطَاقِ.

قَالَتْ: ثُمَّ لَحِقَ رَسُولُ اللهِ ﷺ وَأَبُو بَكْرٍ بِغَارٍ فِي جَبَلِ ثَوْرٍ فَكَمَنَا فِيهِ[٦] ثَلَاثَ

---

(١) نَحْرِ الظَّهِيرَةِ أَيْ: أَوَّلُ الزَّوَال، وَهُوَ أَشَدُّ مَا يَكُون فِي حَرَارَةِ النَّهَارِ.

(٢) مُتَقَنِّعًا أَيْ: مُغَطِّيًا رَأْسَهُ.

(٣) السُفْرَة: زَادُ المُسَافِرِ.

(٤) الجِرَاب -بِالكَسْرِ- وَعَاءُ الزَّادِ.

(٥) النِّطَاق -بِالكَسْرِ- الحِزَامُ الَّذِي يُشَدُّ بِهِ الوَسَطُ.

(٦) فَكَمَنَا فِيهِ أَيْ: اخْتَفَيْنَا.

لَيَالٍ، يَبِيتُ عِنْدَهُمَا عَبْدُ اللهِ بْنُ أَبِي بَكْرٍ وَهْوَ غُلَامٌ شَابٌّ ثَقِفٌ[١] لَقِنٌ[٢]، فَيُدْلِجُ[٣] مِنْ عِنْدِهِمَا بِسَحَرٍ، فَيُصْبِحُ مَعَ قُرَيْشٍ بِمَكَّةَ كَبَائِتٍ، فَلاَ يَسْمَعُ أَمْرًا يُكْتَادَانِ بِهِ إِلاَّ وَعَاهُ، حَتَّىٰ يَأْتِيَهُمَا بِخَبَرِ ذَلِكَ حِينَ يَخْتَلِطُ الظَّلَامُ، وَيَرْعَىٰ عَلَيْهِمَا عَامِرُ بْنُ فُهَيْرَةَ مَوْلَىٰ أَبِي بَكْرٍ مِنْحَةً[٤] مِنْ غَنَمٍ، فَيُرِيحُهَا عَلَيْهِمَا حِينَ يَذْهَبُ سَاعَةٌ مِنَ الْعِشَاءِ، فَيَبِيتَانِ فِي رِسْلٍ[٥]، وَهْوَ لَبَنُ مِنْحَتِهِمَا وَرَضِيفِهِمَا[٦]، حَتَّىٰ يَنْعِقَ[٧] بِهَا عَامِرُ بْنُ فُهَيْرَةَ بِغَلَسٍ[٨]، يَفْعَلُ ذَلِكَ فِي كُلِّ لَيْلَةٍ مِنْ تِلْكَ اللَّيَالِي الثَّلَاثِ.

وَاسْتَأْجَرَ رَسُولُ اللهِ ﷺ وَأَبُو بَكْرٍ رَجُلًا مِنْ بَنِي الدِّيلِ، وَهْوَ مِنْ بَنِي عَبْدِ بْنِ عَدِيٍّ هَادِيًا خِرِّيتًا - وَالْخِرِّيتُ الْمَاهِرُ بِالْهِدَايَةِ- قَدْ غَمَسَ حِلْفًا[٩] فِي آلِ الْعَاصِ بْنِ وَائِلٍ السَّهْمِيِّ،وَهْوَ عَلَىٰ دِينِ كُفَّارِ قُرَيْشٍ فَأَمِنَاهُ، فَدَفَعَا إِلَيْهِ رَاحِلَتَيْهِمَا،وَوَاعَدَاهُ غَارَ ثَوْرٍ بَعْدَ ثَلَاثِ لَيَالٍ بِرَاحِلَتَيْهِمَا صُبْحَ ثَلَاثٍ، وَانْطَلَقَ مَعَهُمَا عَامِرُ بْنُ فُهَيْرَةَ

---

(١) الثَّقِف: الحَاذِقُ.

(٢) اللَّقِنُ: السَّرِيْعُ الفَهْمِ.

(٣) فَيُدْلِجُ أَيْ: فَيَخْرُجُ.

(٤) المِنْحَة -بِالكَسْرِ - عَارِيَةُ ذَات الأَلْبَانِ؛ لِيُؤْخَذَ لَبَنُهَا، ثُمَّ تُرَدَّ هِيَ لِصَاحِبِهَا.

(٥) الرِّسْل -بِالكَسْرِ - اللَّبَنُ الطَّرِيُّ.

(٦) الرَّضِيفِ: اللَّبَنُ المَرْضُوف (أَيِ: الَّتِي وُضِعَتْ فِيْهِ الحِجَارَةُ المُحْمَاةُ بِالشَّمْسِ أَوِ النَّارِ: لِيَنْعَقِدَ وَتَزُلَ رَخَاوَتُهُ).

(٧) يَنْعِق بِهَا أَيْ: يَصِيْحُ بِغَنَمِهِ.

(٨) الغَلَسُ: اخْتِلَاطُ ضِيَاءِ الصُّبْحِ بِظُلْمَةِ اللَّيْلِ.

(٩) الحِلْفُ -بِالكَسْرِ - العَهْدُ بَيْنَ القَوْمِ، وَكَانُوا إِذَا تَحَالَفُوا غمسوا أَيْمَانَهُمْ فِي دَمٍ، أَو طِيْبٍ، أَوْ فِي شَيْءٍ يَكُونُ فِيْهِ تَلْوِيْثٌ، فَيَكُونُ ذَلِكَ تَأْكِيدًا لِلحِلْفِ.

وَالدَّلِيلُ فَأَخَذَ بِهِمْ طَرِيقَ السَّوَاحِلِ[١].

وَهَا هُوَ وَأَبُو بَكْرٍ الصِّدِّيْقُ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ عِنْدَهُ زِيَادَةُ فَائِدَةٍ، قَالَ: «نَظَرْتُ إِلَىٰ أَقْدَامِ الْمُشْرِكِينَ عَلَىٰ رُءُوسِنَا وَنَحْنُ فِي الْغَارِ، فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ، لَوْ أَنَّ أَحَدَهُمْ نَظَرَ إِلَىٰ قَدَمَيْهِ أَبْصَرَنَا تَحْتَ قَدَمَيْهِ، فَقَالَ: «**يَا أَبَا بَكْرٍ مَا ظَنُّكَ بِاثْنَيْنِ اللهُ ثَالِثُهُمَا**»[٢].

وَهُنَا زِيَادَةُ فَائِدَةٍ مِنْ أَبِي بَكْرٍ الصِّدِّيْقُ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ: «أُخِذَ عَلَيْنَا بِالرَّصَدِ[٣]، فَأَحْثَثْنَا لَيْلَتَنَا[٤]، وَيَوْمَنَا حَتَّىٰ قَامَ قَائِمُ الظَّهِيرَةِ[٥]، ثُمَّ رُفِعَتْ لَنَا صَخْرَةٌ فَأَتَيْنَاهَا وَلَهَا شَيْءٌ مِنْ ظِلٍّ، قَالَ: فَفَرَشْتُ لِرَسُولِ اللهِ ﷺ فَرْوَةً مَعِي، ثُمَّ اضْطَجَعَ عَلَيْهَا النَّبِيُّ ﷺ، فَانْطَلَقْتُ أَنْفُضُ مَا حَوْلَه، فَإِذَا أَنَا بِرَاعٍ قَدْ أَقْبَلَ فِي غُنَيْمَةٍ يُرِيدُ مِنَ الصَّخْرَةِ مِثْلَ الَّذِي أَرَدْنَا، فَسَأَلْتُهُ لِمَنْ أَنْتَ يَا غُلَام، فَقَالَ: أَنَا لِفُلَانٍ، فَقُلْتُ لَهُ: هَلْ فِي غَنَمِكَ مِنْ لَبَنٍ؟

قَالَ: نَعَمْ، قُلْتُ لَهُ: هَلْ أَنْتَ حَالِبٌ؟ قَالَ: نَعَمْ، فَأَخَذَ شَاةً مِنْ غَنَمِهِ، فَقُلْتُ لَهُ: انْفُضْ الضَّرْعَ، قَالَ: فَحَلَبَ كُثْبَةً[٦] مِنْ لَبَنٍ، وَمَعِي إِدَاوَةٌ[٧] مِنْ مَاءٍ، عَلَيْهَا خِرْقَةٌ قَدْ رَوَّأْتُهَا لِرَسُولِ اللهِ ﷺ، فَصَبَبْتُ عَلَىٰ اللَّبَنِ حَتَّىٰ بَرَدَ أَسْفَلُه، ثُمَّ أَتَيْتُ بِهِ النَّبِيَّ ﷺ، فَقُلْتُ: اشْرَبْ يَا رَسُولَ اللهِ، فَشَرِبَ رَسُولُ اللهِ ﷺ حَتَّىٰ رَضِيت، ثُمَّ ارْتَحَلْنَا

---

(١) رَوَاهُ البُخَارِيُّ (٣٩٠٥).

(٢) رَوَاهُ البُخَارِيُّ (٢٣٨١).

(٣) الرَّصَد: الارْتِقَاب.

(٤) فَأَحْثَثْنَا أَيْ: أَسْرَعْنا السَّيْرَ.

(٥) قَائِمُ الظَّهِيرَة: نِصْفُ النَّهَارِ حَتَّىٰ لَا يُظْهرُ ظِلٌّ.

(٦) كُثْبَة -بِالضَّمِّ- أَيْ: شَيْئًا قَلِيْلاً..

(٧) إِدَاوَة: وَعَاءٌ مِنْ جِلْدٍ.

وَالطَّلَبُ فِي إِثْرِنَا»[1].

قَالَ الشَّاعِرُ:

أَبُو بَكْرٍ وَالشَّدْوُ الجَمِيْلُ بِكَ ابْتَكَرْ   وَذِكْرَاكَ قَدْ طَافَتْ عَلَىٰ البَدْوِ وَالحَضَرْ
هُمَامٌ[2] كَأَنَّ الشَّمْسَ أَصْغَتْ لِفَضْلِهِ   وَحَنَّتْ لَهُ الجَوْزَا، وَشَيَّعَهُ[3] القَمَرْ
وَلَمَّا رَأَىٰ المَجْدَ اسْتُعِيْرَتْ ثِيَابُهُ   تَرَدَّىٰ رِدَاءً وَاسِعَ الْجَيْبِ وَاتَّزَرْ
تَفَرَّدَ بِالعَلْيَاءِ عَنْ كُلِّ فَاضِلٍ   مَنَاقِبُهُ زَانَتْ رَبِيْعَةَ أَوْ مُضَرْ

وَقَالَ أُسْتَاذُنَا عَبْدُ الكَرِيْمِ العِمَادُ -حَفِظَهُ اللهُ-:

فَكَأَنَّمَا شَرِبَ النَّبِيُّ بِجَوْفِهِ   حَتَّىٰ ارْتَوَىٰ مِنْ شَرْبَةِ المُخْتَارِ
حُبٌّ تَعَمَّقَ فِي الفُؤَادِ فَصَارَ مَا   يَسْرِي بِفِيْهِ فَهُوَ فِيْهِ سَارِ
حُبٌّ أَتَىٰ مِنْ نَبْضِ قَلْبٍ مُخْلِصٍ   لِلهِ فِي الإِيْسَارِ وَالإِعْسَارِ

قِصَّةُ سُرَاقَةَ بْنِ مَالِكٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ:

عَنْ سُرَاقَةَ بْنِ مَالِكٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ: جَاءَنَا رُسُلُ كُفَّارِ قُرَيْشٍ يَجْعَلُونَ فِي رَسُولِ اللهِ ﷺ وَأَبِي بَكْرٍ دِيَةَ كُلِّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا مَنْ قَتَلَهُ أَوْ أَسَرَه، فَبَيْنَمَا أَنَا جَالِسٌ فِي مَجْلِسٍ مِنْ مَجَالِسِ قَوْمِي بَنِي مُدْلِجٍ، أَقْبَلَ رَجُلٌ مِنْهُمْ حَتَّىٰ قَامَ عَلَيْنَا وَنَحْنُ جُلُوسٌ،

---

(١) رَوَاهُ البُخَارِيُّ (٣٧٠٤) وَمُسْلِمٌ (٣٧٥٦).

(٢) الهُمَامُ -بِالضَّمِّ-: السَّيِّدُ الشُّجَاعُ السَّخِيُّ.

(٣) شَيَّعَهُ: وَدَّعَهُ.

فَقَالَ: يَا سُرَاقَة، إِنِّي قَدْ رَأَيْتُ آنِفًا أَسْوِدَةً[١] بِالسَّاحِلِ، أُرَاهَا مُحَمَّدًا وَأَصْحَابَهُ.

قَالَ: سُرَاقَةُ فَعَرَفْتُ أَنَّهُمْ هُمْ، فَقُلْتُ لَهُ: إِنَّهُمْ لَيْسُوا بِهِمْ وَلَكِنَّكَ رَأَيْتَ فُلَانًا وَفُلَانًا، انْطَلَقُوا بِأَعْيُنِنَا ثُمَّ لَبِثْتُ فِي الْمَجْلِسِ سَاعَةً، ثُمَّ قُمْتُ فَدَخَلْتُ فَأَمَرْتُ جَارِيَتِي أَنْ تَخْرُجَ بِفَرَسِي وَهِيَ مِنْ وَرَاءِ أَكَمَةٍ فَتَحْبِسَهَا عَلَيَّ، وَأَخَذْتُ رُمْحِي فَخَرَجْتُ بِهِ مِنْ ظَهْرِ الْبَيْتِ، فَحَطَطْتُ[٢] بِزُجِّهِ[٣] الْأَرْضَ وَخَفَضْتُ عَالِيَهُ[٤]، حَتَّىٰ أَتَيْتُ فَرَسِي فَرَكِبْتُهَا، فَرَفَعْتُهَا[٥] تُقَرِّبُ بِي[٦]، حَتَّىٰ دَنَوْتُ مِنْهُمْ، فَعَثَرَتْ بِي فَرَسِي فَخَرَرْتُ عَنْهَا، فَقُمْتُ فَأَهْوَيْتُ يَدِي إِلَىٰ كِنَانَتِي[٧] فَاسْتَخْرَجْتُ مِنْهَا الْأَزْلَامَ[٨]، فَاسْتَقْسَمْتُ بِهَا أَضُرُّهُمْ أَمْ لَا، فَخَرَجَ الَّذِي أَكْرَهُ.

فَرَكِبْتُ فَرَسِي وَعَصَيْتُ الْأَزْلَامَ تُقَرِّبُ بِي، حَتَّىٰ إِذَا سَمِعْتُ قِرَاءَةَ رَسُولِ اللهِ ﷺ وَهُوَ لَا يَلْتَفِتُ وَأَبُو بَكْرٍ يُكْثِرُ الِالْتِفَاتَ سَاخَتْ[٩] يَدَا فَرَسِي فِي الْأَرْضِ،

---

(١) أَسْوِدَة أَيْ: أَشْخَاصًا.

(٢) فَحَطَطْتُ أَيْ: أَمْكَنْتُ أَسْفَلَهُ.

(٣) الزُجُّ -بِالضَّمِّ- الحَدِيْدَةُ الَّتِي فِي أَسْفَلِ الرُّمْحِ.

(٤) لِئَلاَّ يَظْهَرُ بَرِيْقَهُ لِمَنْ بَعْدُ مِنْهُ؛ لأَنَّهُ كَرِهُ أَنْ يَتْبَعَهُ أَحَدٌ، فَيُشْرِكَهُ فِي الجعَالَةِ.

(٥) فَرَفَعْتُهَا أَيْ: أَسْرَعْتُ بِهَا السَّيْرَ.

(٦) التَّقْرِيْبُ: أَنْ تَضَعَ الفَرَسُ يَدَيْهَا مَعًا، وَتَضَعَهُمَا مَعًا.

(٧) الكِنَانَةُ: وُعَاءُ السِّهَامِ.

(٨) الأَزْلاَمَ: السِّهَام الَّتِي لَا رِيْشَ لَهَا وَلَا نَصْلَ، كَانُوا يَكْتُبُونَ عَلَىٰ بَعْضَهَا نَعَمْ، وَ عَلَىٰ بَعْضَهَا لَاَ، وَاحِدهَا زَلَمٌ -بِفَتْحَتَيْنِ-.

(٩) سَاخَتْ: غَاصَتْ.

حَتَّىٰ بَلَغَتَا الرُّكْبَتَيْنِ، فَخَرَرْتُ عَنْهَا ثُمَّ زَجَرْتُهَا فَنَهَضَتْ، فَلَمْ تَكَدْ تُخْرِجُ يَدَيْهَا فَلَمَّا اسْتَوَتْ قَائِمَةً إِذَا لِأَثَرِ يَدَيْهَا عُثَانٌ[١] سَاطِعٌ[٢] فِي السَّمَاءِ مِثْلُ الدُّخَانِ، فَاسْتَقْسَمْتُ بِالْأَزْلَامِ فَخَرَجَ الَّذِي أَكْرَه، فَنَادَيْتُهُمْ بِالْأَمَانِ فَوَقَفُوا، فَرَكِبْتُ فَرَسِي حَتَّىٰ جِئْتُهُمْ، وَوَقَعَ فِي نَفْسِي حِينَ لَقِيتُ مَا لَقِيتُ مِنَ الْحَبْسِ عَنْهُمْ، أَنْ سَيَظْهَرُ أَمْرُ رَسُولِ اللهِ ﷺ فَقُلْتُ لَهُ: إِنَّ قَوْمَكَ قَدْ جَعَلُوا فِيكَ الدِّيَةَ وَأَخْبَرْتُهُمْ أَخْبَارَ مَا يُرِيدُ النَّاسُ بِهِمْ، وَعَرَضْتُ عَلَيْهِمُ الزَّادَ وَالْمَتَاعَ، فَلَمْ يَرْزَآنِي[٣] وَلَمْ يَسْأَلَانِي إِلاَّ أَنْ قَالَ: أَخْفِ عَنَّا».

فَسَأَلْتُهُ أَنْ يَكْتُبَ لِي كِتَابَ أَمْنٍ، فَأَمَرَ عَامِرَ بْنَ فُهَيْرَةَ فَكَتَبَ فِي رُقْعَةٍ مِنْ أَدِيمٍ[٤]، ثُمَّ مَضَىٰ رَسُولُ اللهِ ﷺ»[٥].

قَالَ الشَّاعِرُ:

ضَاقَتْ قُوَىٰ الشَّرِّ بِالحَقِّ الَّذِي ظَهَرَتْ ... آيَاتُهُ، وَتَنَزَّىٰ الحِقْدُ وَالغَضَبُ
وَأَجْمَعُوا الأَمْرَ فِي سِرٍّ وَقَدْ جَعَلُوا ... لِقَاتِلِيْكَ نِيَاقًا دُونَهَا الذَّهَبُ
فِي كُلِّ نَفْسٍ أَثَارُوا الحِقْدَ، فَارْتَفَعَتْ ... كُلُّ السُّيُوفِ، وَأَنْتَ القَصْدُ وَالطَّلَبُ[٦]

---

(١) عُثَان -بِالضَّمِّ-: غُبَار.

(٢) سَاطِع: مُنْتَشِر.

(٣) فَلَمْ يَرْزَآنِي أَيْ: لَمْ يَنْقُصَانِي مِمَّا مَعِي شَيْئًا.

(٤) أَدِيمٌ: جِلْد مَدْبُوغ.

(٥) رَوَاهُ البُخَارِيُّ (٣٩٠٦).

(٦) «مُخْتَارَاتٌ مِنْ أَجْمَلِ الشِّعْرِ» (٨٣)، وَمَعْنَىٰ تَنَزَّىٰ: تَوَثَّبَ وَتَسَرَّعَ.

وَقَالَ آخَرُ:

فَبَيْنَمَا هُوَ يَطْوِي البِيْدَ أَدْرَكَهُ ... رَكْضًا سُرَاقَةُ مِثْلَ القَشْعَمِ الضَّرِمِ

حَتَّىٰ إِذَا مَا دَنَا سَاخَ الجَوادُ بِهِ ... فِي بُرقَةٍ فَهَوىٰ لِلسَّاقِ وَالقَدَمِ

فَصَاحَ مُبْتَهِلًا يَرْجُو الأَمَانَ، وَلَو ... مَضَىٰ عَلَىٰ عَزْمِهِ لانْهَارَ فِي رَجَمِ[1]

---

(١) «مَوْسُوعَةُ الشِّعْرِ الإِسْلَامِي» (١١/ ٦٠٦)، وَالبِيْدُ: جَمْعُ بَيْدَاءَ، وَهِيَ الصَّحَرَاءُ. القَشْعَم -كَجَعْفَرِ-: الأَسْد. والضَّرِم: الجَائِعُ. وَدَنَا: قَرُبَ. وَالجَوَّاد: الفَرَس. وَالبُرْقَة -بِالضَّمِّ-: الأَرْضُ ذَاتُ حِجَارَةٍ مُخْتَلِفَةٍ الأَلْوَانُ. وَالرَّجَم -بِالتَّحْرِيْك- القَبْر.

كَيْفَ اسْتَقْبَلَ أَهْلُ المَدِيْنَةِ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ؟

بِأَبِي وَأُمِّي أَنْتَ حِينَ تَشَرَّفَتْ بِكَ هِجْرَةٌ وَتَشَرَّفَ الأَنْصَارُ [1]

يُحَدِّثُنَا عُرْوَةُ بْنُ الزُّبَيْرِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ لَقِيَ الزُّبَيْرَ فِي رَكْبٍ مِنَ المُسْلِمِينَ، كَانُوا تِجَارًا قَافِلِينَ مِنَ الشَّأْمِ، فَكَسَا الزُّبَيْرُ رَسُولَ اللهِ ﷺ وَأَبَا بَكْرٍ ثِيَابَ بَيَاضٍ، وَسَمِعَ المُسْلِمُونَ بِالْمَدِينَةِ مَخْرَجَ رَسُولِ اللهِ ﷺ مِنْ مَكَّةَ، فَكَانُوا يَغْدُونَ كُلَّ غَدَاةٍ إِلَىٰ الحَرَّةِ، فَيَنْتَظِرُونَهُ حَتَّىٰ يَرُدَّهُمْ حَرُّ الظَّهِيرَةِ.

فَانْقَلَبُوا يَوْمًا بَعْدَ مَا أَطَالُوا انْتِظَارَهُمْ، فَلَمَّا أَوَوْا إِلَىٰ بُيُوتِهِمْ، أَوْفَىٰ رَجُلٌ مِنْ يَهُودَ عَلَىٰ أُطُمٍ مِنْ آطَامِهِمْ - أَيْ: بِنَاءٍ مُرْتَفِعٍ أَوْ حِصْنٍ مُرْتَفِعٍ -، لِأَمْرٍ يَنْظُرُ إِلَيْهِ، فَبَصُرَ بِرَسُولِ اللهِ ﷺ وَأَصْحَابِهِ مُبَيَّضِينَ -أَيْ: يَلْبَسُونَ البَيَاضَ- يَزُولُ بِهِمُ السَّرَابُ، فَلَمْ يَمْلِكِ اليَهُودِيُّ أَنْ قَالَ بِأَعْلَىٰ صَوْتِهِ: يَا مَعَاشِرَ العَرَبِ، هَذَا جَدُّكُمْ -أَيْ حَظُّكُمْ- الَّذِي تَنْتَظِرُونَ، فَثَارَ المُسْلِمُونَ إِلَىٰ السِّلَاحِ، فَتَلَقَّوْا رَسُولَ اللهِ ﷺ بِظَهْرِ الحَرَّةِ، فَعَدَلَ بِهِمْ ذَاتَ اليَمِينِ، حَتَّىٰ نَزَلَ بِهِمْ فِي بَنِي عَمْرِو بْنِ عَوْفٍ، وَذَلِكَ يَوْمَ الِاثْنَيْنِ مِنْ شَهْرِ رَبِيعٍ الأَوَّلِ.

فَقَامَ أَبُو بَكْرٍ لِلنَّاسِ، وَجَلَسَ رَسُولُ اللهِ ﷺ صَامِتًا، فَطَفِقَ مَنْ جَاءَ مِنَ الأَنْصَارِ - مِمَّنْ لَمْ يَرَ رَسُولَ اللهِ ﷺ يُحَيِّي أَبَا بَكْرٍ، حَتَّىٰ أَصَابَتِ الشَّمْسُ

---

(١) «مَوْسُوعَةُ الشِّعْرِ» (١/ ٦٧٧).

رَسُولَ اللهِ ﷺ، فَأَقْبَلَ أَبُو بَكْرٍ حَتَّىٰ ظَلَّلَ عَلَيْهِ بِرِدَائِهِ، فَعَرَفَ النَّاسُ رَسُولَ اللهِ ﷺ عِنْدَ ذَلِكَ»(١).

وَعَنْ الْبَرَاءِ بْنِ عَازِبٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا قَالَ: «أَوَّلُ مَنْ قَدِمَ عَلَيْنَا مُصْعَبُ بْنُ عُمَيْرٍ، وَابْنُ أُمِّ مَكْتُومٍ وَكَانَا يُقْرِئَانِ النَّاسَ، فَقَدِمَ بِلَالٌ، وَسَعْدٌ، وَعَمَّارُ بْنُ يَاسِرٍ، ثُمَّ قَدِمَ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ فِي عِشْرِينَ مِنْ أَصْحَابِ النَّبِيِّ ﷺ، ثُمَّ قَدِمَ النَّبِيُّ ﷺ، فَمَا رَأَيْتُ أَهْلَ الْمَدِينَةِ فَرِحُوا بِشَيْءٍ فَرَحَهُمْ بِرَسُولِ اللهِ ﷺ، حَتَّىٰ جَعَلَ الْإِمَاءُ يَقُلْنَ قَدِمَ رَسُولُ اللهِ ﷺ »(٢).

الجِذْعُ حَنَّ إِلَيْكَ وَهْوَ جَمَادٌ ... أَفَلَا تَحِنُّ إِلَيْكُمُ الأَكْبَادُ؟!
وَحِجَارَةُ مَكَّةَ بِالنُّبُوَّةِ سَلَّمَتْ ... أَفَلَا يَطِيبُ لَنَا بِكَ الإِنْشَادُ؟! (٣)

نُزُولُ النَّبِيُّ ﷺ عِنْدَ أَخْوَالِهِ بَنِي النَّجَارِ:

يَتَشَرَّفُ الإِنْسَانُ فِي أَخْوَالِهِ ... وَمُحَمَّدٌ شَرَّفَتْ بِهِ الأَخْوَالُ (٤)

عَنْ أَبِي بَكْرٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ: «فَقَدِمْنَا الْمَدِينَةَ لَيْلًا، فَتَنَازَعُوا أَيُّهُمْ يَنْزِلُ عَلَيْهِ رَسُولُ اللهِ ﷺ، فقالَ ﷺ: «**أَنْزِلُ عَلَىٰ بَنِي النَّجَّارِ أَخْوَالِ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ أُكْرِمُهُمْ بِذَلِكَ**». فَصَعِدَ الرِّجَالُ وَالنِّسَاءُ فَوْقَ الْبُيُوتِ، وَتَفَرَّقَ الْغِلْمَانُ وَالْخَدَمُ فِي الطُّرُقِ يُنَادُونَ: يَا مُحَمَّدُ! يَا رَسُولَ اللهِ!، يَا مُحَمَّدُ! يَا رَسُولَ اللهِ!»(٥).

(١) رَوَاهُ البُخَارِيُّ (٣٩٦٠).
(٢) رَوَاهُ البُخَارِيُّ (٣٩٢٥).
(٣) «دِيْوَانُ ابْنُ مَعْتُوق» (٢٠٨).
(٤) قَالَهُ أُسْتَاذُنَا عَبْدُ الكَرِيمِ العِمَادُ -حَفِظَهُ اللهُ-.
(٥) رَوَاهُ مُسْلِمٌ (٢٠٠٩).

قَالَ الشَّاعِرُ:

سَمَّاهُمْ اللهُ أَنْصَارًا لِنَصْرِهِمُ ... دِينَ الْهُدَىٰ وَعَوَانُ[١] الْحَرْبِ تَسْتَعِرُ
وَجَاهَدُوا فِي سَبِيلِ اللهِ وَاعْتَرَفُوا ... لِلنَّائِبَاتِ وَمَا خَامُوا[٢] وَمَا ضَجِرُوا[٣]

وَقَالَ آخَرُ:

يَا خَيْرُ مَنْ وَطِئَ الثَّرَىٰ، وَتَشَرَّفَتْ ... بِمَسِيْرِهِ الْكُثْبَانُ[٤] وَالأَحْجَارُ
يَا مَنْ تَتَوقُ إِلَىٰ مَحَاسِنِ وَجْهِهِ ... شَمْسٌ، وَيَفْرَحُ أَنْ يَرَاهُ نَهَارُ
بِأَبِي وَأُمِّي أَنْتَ حِيْنَ تَشَرَّفَتْ ... بِكَ هِجْرَةٌ، وَتَشَرَّفَ الأَنْصَارُ[٥]

وقال صرمة بن أبي أنس رَضِيَ اللهُ عَنْهُ:

ثوَىٰ في قُرَيش خَمْسَ عَشْر حَجَّةً ... يُذَكِّرُ لَوْ يَلْقَىٰ صَدِيقًا مُوَاتِيا
ويَعْرِضُ في أهْلِ المواسِمِ نَفْسَهُ ... فَلَمْ يَرَ مَنْ يُؤْوِي ولم يَرَ داعِيَا
فلمَّا أتَانَا واطْمَأَنَّ بِهِ النَّوىٰ ... وأصْبَحَ مَسْرُورًا بَطَيْبَةَ رَاضِيَا[٦]

---

(١) العَوَانُ مِنَ الحُرُوبِ: الَّتِي قُوتِلَ فِيْهَا مَرَّةً بَعْدَ مَرَّةٍ، كَأَنَّهُمْ جَعَلُوا الْأُوْلَىٰ بِكْرًا.
(٢) خَامُوا: نَكَصُوا وَجَبُنُوا.
(٣) «دَوَاوِيْنُ الشِّعْرِ العَرَبِيِّ» (٧/ ٤٦).
(٤) الكُثْبَانُ: جَمْعُ كُثِيبٍ، وَهُو التَّلُّ مِنَ الرَّمْلِ.
(٥) «مَوْسُوعَةُ الشِّعْرِ الإِسْلَامِي» (١٢٩/ ١).
(٦) «الحماسة المغربية» (١/ ٩٦).

التَّكَيُّفُ فِي المَدِيْنَةِ

أُوَدِّعُ فِيْكَ صَفْوَ العَيْشِ حَتَّىٰ   تَعُودَ، فَيَرجِعُ الأُنْسُ المُقِيْمُ [١]

وَاجَهَ المُهَاجِرُونَ إِلَىٰ المَدِيْنَةِ صُعُوبَةَ اخْتِلَافِ المُنَاخِ؛ فَالمَدِيْنَةُ بَلْدَةٌ زِرَاعِيَّةٌ، تُغَطِّي أَرَاضِيْهَا بَسَاتِيْنَ النَّخِيْلِ، وَنِسْبَةُ الرُّطُوبَةِ فِيْهَا أَعْلَىٰ مِنْ مَكَّةَ، وَقَدْ أُصِيْبَ العَدِيْدُ مِنَ المُهَاجِرِيْنَ بِالحُمَّىٰ، مِنْهُمْ أَبُو بَكْرٍ، وَبِلَالٌ.

فَعَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهَا قَالَت: قَدِمْنَا الْمَدِينَةَ وَهِيَ وَبِيئَةٌ[٢]، فَاشْتَكَىٰ أَبُو بَكْرٍ، وَاشْتَكَىٰ بِلَالٌ، فَلَمَّا رَأَىٰ رَسُولُ اللهِ ﷺ شَكْوَىٰ أَصْحَابِهِ، قَالَ: «**اللهُمَّ حَبِّبْ إِلَيْنَا الْمَدِينَةَ كَمَا حَبَّبْتَ مَكَّةَ، أَوْ أَشَدَّ وَصَحِّحْهَا، وَبَارِكْ لَنَا فِي صَاعِهَا، وَمُدِّهَا، وَحَوِّلْ حُمَّاهَا إِلَىٰ الْجُحْفَةِ**»[٣].

وَعَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهَا قَالَتْ: لَمَّا قَدِمَ رَسُولُ اللهِ ﷺ الْمَدِينَةَ وُعِكَ[٤] أَبُو بَكْرٍ وَبِلالٌ، فَدَخَلْتُ عَلَيْهِمَا فَقُلْتُ: يَا أَبَتِ، كَيْفَ تَجِدُكَ؟، وَيَا بِلالُ كَيْفَ تَجِدُكَ؟، وَكَانَ أَبُو بَكْرٍ إِذَا أَخَذَتْهُ الْحُمَّىٰ يَقُولُ:

كُلُّ امْرِئٍ مُصَبَّحٌ فِي أَهْلِهِ   وَالْمَوْتُ أَدْنَىٰ مِنْ شِرَاكِ[٥] نَعْلِهِ

---

(١) «دِيْوَانُ أَبِي الفَضْلِ المِيْكَالِيِّ» (١٧٠).

(٢) وَبِيئَة أَيْ: وَخِيمَةٌ تَكْثُرُ بِهَا الأَمْرَاضُ، لاَسِيَّمَا الغُرَبَاءُ الَّذِيْنَ لَيْسُوا مُسْتَوْطِنِيْهَا.

(٣) رَوَاهُ البُخَارِيُّ (٣٩٢٦) وَمُسْلِمٌ (١٣٧٦).

(٤) وُعِكَ: أَصَابَتْهُ الحُمَّىٰ.

(٥) الشِّرَاك -بِالكَسْرِ- سَيْرُ النَّعْلِ.

وَكَانَ بِلالٌ إِذَا أَقْلَعَتِ الْحُمَّىٰ يَرْفَعُ عَقِيرَتَهُ[١]، وَيَقُولُ:

أَلا لَيْتَ شِعْرِي هَلْ أَبِيتَنَّ لَيْلَةً ... بِوَادٍ وَحَوْلِي إِذْخِرٌ[٢] وَجَلِيلُ[٣]
وَهَلْ أَرِدَنْ يَوْمًا مِيَاهَ مَجَنَّةٍ[٤] ... وَهَلْ يَبْدُوَنْ لِي شَامَةٌ وَطَفِيلُ[٥][٦]

قَالَتْ عَائِشَةُ رَضِيَ اللهُ عَنْهَا: فَجِئْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ فَأَخْبَرْتُه، فَقَالَ: «**اللهُمَّ حَبِّبْ إِلَيْنَا الْمَدِينَةَ كَحُبِّنَا مَكَّةَ، وَصَحِّحْهَا، وَبَارِكْ لَنَا فِي صَاعِهَا وَمُدِّهَا، وَانْقُلْ حُمَّاهَا فَاجْعَلْهُ فِي الْجُحْفَةِ**»[٧].

عَنِ الْبَرَاءِ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ: دَخَلْتُ مَعَ أَبِي بَكْرٍ أَوَّلَ مَا قَدِمَ الْمَدِينَةَ فَإِذَا عَائِشَةُ ابْنَتُهُ مُضْطَجِعَةٌ قَدْ أَصَابَتْهَا حُمَّىٰ، فَأَتَاهَا أَبُو بَكْرٍ فَقَالَ لَهَا: كَيْفَ أَنْتِ يَا بُنَيَّةُ؟[٨].

وَقَدْ اسْتَجَابَ اللهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى دُعَاءَ نَبِيِّهِ، فَنَقَلَ وَبَاءَ الْمَدِينَةِ إِلَىٰ الْجُحْفَةِ.

فَعَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: «**رَأَيْتُ كَأَنَّ امْرَأَةً سَوْدَاءَ ثَائِرَةَ الرَّأْسِ، خَرَجَتْ مِنَ الْمَدِينَةِ، حَتَّىٰ قَامَتْ بِمَهْيَعَةَ وَهِيَ الْجُحْفَةُ، فَأَوَّلْتُ أَنَّ وَبَاءَ الْمَدِينَةِ نُقِلَ إِلَيْهَا**»[٩].

(١) عَقِيرَتَهُ أَيْ: صَوْتَهُ.
(٢) الإِذْخِر: بِكَسْرِ الهَمْزَة والخَاء- حَشِيْشٌ طَيِّبُ الرِّيْحِ.
(٣) وَجَلِيلٌ: نَبْتٌ يَكُونُ بِمَكَّةَ طَيِّبُ الرِّيْحِ.
(٤) مَجَنَّةَ: مَوْضِع.
(٥) شَامَةٌ وَطَفِيلُ جَبَلَانِ.
(٦) رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ (١٨٨٩).
(٧) رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ (٣٩١٨).
(٨) رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ (٣٩١٨).
(٩) رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ (٣٩١٨).

يَا شَوْقَ طَيْبَةَ والبُشْرَىٰ تُظَلِّلُهَا مَا مِثْلُ مَا ارْتَقَبَتْ فِي الدَّهْرِ مُرْتَقَبُ
بَدْرٌ بَدَا مِنَ ثَنِيَّاتِ الوَدَاعِ لَهَا إِلاَّ لَهُ لاَ يَلِيْقُ الشَّوْقُ وَالطَّرَبُ
كَأَنَّ تُرْبَتَهَا تِبْرًا قَدْ انْقَلَبَتْ كَأَنَّمَا فِي ثُرَاهَا أَمْسَتِ الشُّهُبُ(١)

---

(١) «مُخْتَارَاتٌ مِنْ أَجْمَل الشِّعْرِ في مَدْحِ الرَّسُولِ» (٨٤)، وَالثَّنِيَّة: الطَّرِيق المُنْعَطِفُ عِنْدَ الجَبَلِ، وَثَنِيَّةُ الوَدَاعِ: هِيَ جهَةُ المُسَافِرُ إِلَىٰ تَبُوك، أو القَادِمِ مِنَ تَبُوكَ. وَالتِّبْر - بِالكَسْرِ - الذَّهَب.

طَابَتِ المَدِيْنَةُ بِمَقْدَمِ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ؟

لَـوْلاَ انْتِقَالُ مُحَمَّدٍ عَنْ قَوْمِهِ   مَا شَارَكَتْ فِي الفَخْرِ مَكَّةَ يَثْرِبُ[١]

هَا هِيَ المَدِيْنَةُ قَدْ طَابَتْ بِمَقْدِمِ رَسُولِ اللهِ ﷺ، فَسَمَّاهَا اللهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى طَابَةُ.

عَنْ جَابِرِ بْنِ سَمُرَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَقُولُ: «**إِنَّ اللهَ** سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى **سَمَّىٰ الْمَدِينَةَ طَابَةَ**»[٢].

وَعَنْ فَاطِمَةَ بِنْتَ قَيْسٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهَا عَنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ فِي قِصَّةِ حَدِيْثِ الجَسَّاسَةِ، وَفِي آخِرِهِ: قَالَ - أَيِ الدَّجَالُ -: «وَإِنِّي مُخْبِرُكُمْ عَنِّي، إِنِّي أَنَا الْمَسِيحُ، وَإِنِّي أُوشِكُ أَنْ يُؤْذَنَ لِي فِي الْخُرُوجِ فَأَخْرُجَ فَأَسِيرَ فِي الْأَرْضِ فَلَا أَدَعَ قَرْيَةً إِلَّا هَبَطْتُهَا فِي أَرْبَعِينَ لَيْلَةً غَيْرَ مَكَّةَ وَطَيْبَةَ فَهُمَا مُحَرَّمَتَانِ عَلَيَّ كِلْتَاهُمَا، كُلَّمَا أَرَدْتُ أَنْ أَدْخُلَ وَاحِدَةً أَوْ وَاحِدًا مِنْهُمَا اسْتَقْبَلَنِي مَلَكٌ بِيَدِهِ السَّيْفُ صَلْتًا[٣] يَصُدُّنِي عَنْهَا، وَإِنَّ عَلَىٰ كُلِّ نَقْبٍ مِنْهَا مَلَائِكَةً يَحْرُسُونَهَا. قَالَتْ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ -وَطَعَنَ بِمِخْصَرَتِهِ فِي الْمِنْبَرِ -: «**هَذِهِ طَيْبَةُ، هَذِهِ طَيْبَةُ، هَذِهِ طَيْبَةُ**»[٤].

(١) «دِيْوَانُ ابْنِ حَيُّوسٍ» (١٤٩).

(٢) رَوَاهُ مُسْلِمٌ (١٣٨٥).

(٣) صَلْتًا أَيْ: مَسْلُولاً.

(٤) رَوَاهُ مُسْلِمٌ (٢٩٤٢).

وَمِنْ جَمِيْلِ مَا قِيْلَ عَلَى لِسَانِ المَدِيْنَةِ النَّبَوِيَّةِ:

أَنَـا الجَمِيْلَـةُ، مَنْ فِي الحُسْـنِ يَقْرَبُنِي ... وَأَشْـرَفُ الخَلْقِ وَسْطَ القَلْبِ قَدْ نَزَلاَ؟!
لَـــهُ بِـأَرْضِـي أَفْنَـانٌ مُـبَـارَكَـةٌ ... وَمِـنْ زُلاَلٍ يَـنَـابِعِـي قَـدِ انْـتَـهَـلاَ
يَـضُـوعُ وَجْـهِـي حُسْـنًا لاَ حُـدُودَ لَـهُ ... وَحَـسْـبُ وَجْـهِـي أَضْحَىٰ لِلسَّنَا حُلَلا

بِنَاءُ مَسْجِدِ قُبَاءَ:

بـطـيـبـةَ الطِـيـبِ أَرْسـىٰ الحـقُّ دَوْلتَهُ ... فَـالكَـوْنُ في مَوْعِـدٍ ثَـرٍّ مـع الـقَـدَرِ

كَانَ أَوَّلَ عَمَلٍ عَمِلَهُ رَسُولُ اللهِ ﷺ حِيْنَ قَدِمَ المَدِيْنَةَ هُوَ بِنَاءُ الْمَسْجِدِ.

قَالَ عُرْوَةُ فِي حَدِيْثِهِ الطَّوِيْلِ: «فَلَبِثَ رَسُولُ اللهِ ﷺ فِي بَنِي عَمْرِو بْنِ عَوْفٍ بِضْعَ عَشْرَةَ لَيْلَةً، وَأَسَّسَ الْمَسْجِدَ الَّذِي أُسِّسَ عَلَىٰ التَّقْوَىٰ وَصَلَّىٰ فِيهِ رَسُولُ اللهِ ﷺ»[١].

وَقَالَ أَخُونَا حمودُ البَعَدَانِيُّ - حَفِظَهُ اللهُ -:

هُـنَـا مِـنْ قُـبَـا آثَـارُ الهُـدَىٰ تَـرْوَىٰ ... لِأَوَّلِ يَـوْمٍ أَسَّـسُـوهُ عَـلَـىٰ الـتَّـقْـوَىٰ
سَـقَىٰ اللـهُ عَهْـدًا هَاجَـرَ المُصْطَفَـىٰ ... وَأَنْصَـارَهُ الأَنْصَـارِ وَالطَّيِّبَـةُ الْمَـأْوَىٰ

بِنَاءُ مَسْجِدِ النَّبَوِيِّ:

فَبُـورِكَ مِـنْ سَـفْحٍ وَبُـورِكَ مَسْـجِدٌ ... يَـلُــوذُ بِــهِ أَعْـرَابُـهَـا وَحُـضُـورُهَـا[٢]

قَالَ عُرْوَةُ فِي حَدِيْثِهِ الطَّوِيْلِ: «... ثُمَّ رَكِبَ رَسُولُ اللهِ ﷺ رَاحِلَتَهُ فَسَارَ

(١) رَوَاهُ البُخَارِيُّ (٣٩٦٠).
(٢) «دَوَاوِيْنُ الشِّعْرِ العَرَبِيِّ» (٨٧/ ٢٦٩).

يَمْشِي مَعَهُ النَّاس، حَتَّىٰ بَرَكَتْ عِنْدَ مَسْجِدِ الرَّسُولِ ﷺ بِالْمَدِينَةِ، وَهُوَ يُصَلِّي فِيهِ يَوْمَئِذٍ رِجَالٌ مِنَ الْمُسْلِمِينَ، وَكَانَ مِرْبَدًا[١] لِلتَّمْرِ لِسُهَيْلٍ وَسَهْلٍ، غُلاَمَيْنِ يَتِيمَيْنِ فِي حَجْرِ أَسْعَدَ بْنِ زُرَارَةَ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ حِينَ بَرَكَتْ بِهِ رَاحِلَتُهُ: «**هَذَا -إِنْ شَاءَ اللهُ- الْمَنْزِلُ**».

ثُمَّ دَعَا رَسُولُ اللهِ ﷺ الْغُلاَمَيْنِ فَسَاوَمَهُمَا بِالْمِرْبَدِ لِيَتَّخِذَهُ مَسْجِدًا، فَقَالاَ: لاَ، بَلْ نَهَبُهُ لَكَ يَا رَسُولَ اللهِ، فَأَبَىٰ رَسُولُ اللهِ أَنْ يَقْبَلَهُ مِنْهُمَا هِبَةً حَتَّىٰ ابْتَاعَهُ مِنْهُمَا، ثُمَّ بَنَاهُ مَسْجِدًا، وَطَفِقَ رَسُولُ اللهِ ﷺ يَنْقُلُ مَعَهُمُ اللَّبِنَ فِي بُنْيَانِهِ، وَيَقُولُ وَهُوَ يَنْقُلُ اللَّبِنَ:

هَذَا الْحِمَالُ لاَ حِمَالَ خَيْبَرْ ... هَذَا أَبَرُّ رَبَّنَا وَأَطْهَرْ[٢]

وَيَقُولُ[٣]:

اللهُمَّ إِنَّ الأَجْرَ أَجْرُ الآخِرَهْ ... فَارْحَمْ الأَنْصَارَ وَالْمُهَاجِرَهْ[٣]

وَعِنْدَ أَنَسٍ -بِلَفْظٍ آخَرَ- إِنَّ النَّبِيَّ ﷺ أَمَرَ بِبِنَاءِ الْمَسْجِدِ، فَأَرْسَلَ إِلَىٰ مَلَإٍ بَنِي النَّجَّارِ فَجَاءُوا، فَقَالَ: «**يَا بَنِي النَّجَّارِ، ثَامِنُونِي**[٤] **بِحَائِطِكُمْ هَذَا**».

قَالُوا: لاَ، وَاللهِ لاَ نَطْلُبُ ثَمَنَهُ إِلَّا إِلَىٰ اللهِ، قَالَ: فَكَانَ فِيهِ مَا أَقُولُ: كَانَتْ

---

(١) المِرْبَدُ -بِالكَسْرِ- المَوْضِعُ الَّذِي يُجَفَّفُ فِيهِ التَّمْرُ.

(٢) أَيْ: هَذَا المَحْمُولُ مِنَ اللَّبِنِ أَبَرُّ عِنْدَ اللهِ وَأَدْوَمُ نَفْعًا، وَأَشَدُّ طَهَارَةً مِمَّا يَحْمَلُ مِنْ خَيْبَرَ مِنَ التَّمْرِ وَالزَّبِيْبِ.

(٣) رَوَاهُ البُخَارِيُّ (٣٩٦٠).

(٤) ثَامِنُونِي أَيْ: قَرِّروا مَعِيَ ثَمَنَه، وَبِيْعُونِيْهِ بِالثَّمَنِ.

فِيهِ نَخْلٌ وَقُبُورُ الْمُشْرِكِينَ وَخِرَبٌ[١]، فَأَمَرَ رَسُولُ اللهِ ﷺ بِالنَّخْلِ فَقُطِعَ، وَبِقُبُورِ الْمُشْرِكِينَ فَنُبِشَتْ، وَبِالْخِرَبِ فَسُوِّيَتْ، قَالَ: فَصَفُّوا النَّخْلَ قِبْلَةَ الْمَسجِدِ، وَجَعَلُوا عِضَادَتَيْهِ[٢] حِجَارَةً.

قَالَ: قَالَ: جَعَلُوا يَنْقُلُونَ ذَاكَ الصَّخْرَ وَهُمْ يَرْتَجِزُونَ[٣]، وَرَسُولُ اللهِ ﷺ مَعَهُمْ يَقُولُونَ:

اللهُمَّ إِنَّهُ لَا خَيْرَ إِلَّا خَيْرُ الْآخِرَهْ ... فَانْصُرْ الْأَنْصَارَ وَالْمُهَاجِرَهْ[٤]

---

(١) خِرَب: مَا تَخْرَبَ مِنَ البِنَاءِ.

(٢) العِضَادَة -بِالكَسْرِ- جَانِبَ البَاب.

(٣) يَرْتَجِزُونَ: يَنْشِدُونَ الأَرَاجِزَ تَنْشِيطًا لِنُفُوسِهِمْ؛ لِيَسْهُلَ عَلَيْهِمُ العَمَلُ.

(٤) رَوَاهُ البُخَارِيُّ (٣٧١٧)، ومُسْلِم (٥٢٤)..

المُؤَاخَاةُ بَيْنَ المُهَاجِرِيْنَ وَالأَنْصَارِ

فَيَا عَيْنُ، قَرِّي بِالمُنَىٰ بَيْنَ أُخْوَةٍ أَصَبْتُ بِهِمْ فِي كُلِّ نَائِبَةٍ ذُخْرَا [١]

لَقَدْ وَضَعَتِ الفَتْرَةُ الأُوْلَىٰ مِنْ قُدُومِ النَّبِيِّ ﷺ إِلَىٰ المَدِيْنَةِ كُلاًّ مِنَ المُهَاجِرِيْنَ وَالأَنْصَارِ أَمَامَ مَسْئُولِيَّةٍ خَاصَّةٍ مِنَ الأُخُوَّةِ وَالتَّعَاوُنِ، وَكَانَتْ هَذِهِ الأُخُوَّةُ أَقْوَىٰ فِي حَقِيْقَتِهَا مِنْ أُخُوَّةِ الرَّحِمِ، وَكَانَ الأَنْصَارُ عَلَىٰ مُسْتَوىً عَالٍ مِنَ المَسْئُولِيَّةِ، فَوَاسَوْا إِخْوَانَهُمُ المُهَاجِرِيْنَ، وَآثَرُوهُمْ عَلَىٰ أَنْفُسِهِمْ بِخَيْرِ الدُّنْيَا.

لَقَدْ أحرز الأنصارُ مجدًا مؤثلا وفازوا بِخَصْلِ السَّبق والمنزل الأسْنَىٰ
دنوا وأفادوا واستفادوا وأَقْبلوا علىٰ حِفْظِ ما يَبْقَىٰ وجادوا بمَا يَفْنَىٰ
وماذا يَقُولُ النَّاسُ في وصفِ مَعْشَرٍ عَلَيْهِم رسُول الله بالْخَيْرِ قَدْ أثنىٰ [٢]

قُطُوفٌ مِنَ المُؤَاخَاةِ:

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَتِ الأَنْصَارُ لِلنَّبِيِّ ﷺ: اقْسِمْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ إِخْوَانِنَا النَّخِيلَ. قَالَ: لاَ. فَقَالُوا: تَكْفُونَا الْمَئُونَةَ [٣] وَنُشْرِكْكُمْ فِي الثَّمَرَةِ. قَالُوا: «**سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا**» [٤].

عَنْ أَنَسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّهُ قَالَ: «قَدِمَ عَلَيْنَا عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ عَوْفٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وَآخَىٰ

(١) «دِيْوَانُ إِبْرَاهِيْمُ اليَازِجِيِّ» (٥٤).
(٢) «المقتفىٰ من سيرة المصطفىٰ» (٧١).
(٣) أَيْ: اكْفُونَا تَعَبَ القِيَامِ بِتَأْبِيرِ النَّخْلِ، وَسُقْيِهَا، وَمَا يَتَوَقَّفُ عَلَيْهِ صَلاحُهَا.
(٤) رَوَاهُ البُخَارِيُّ (٣٧٨٢).

رَسُولُ اللهِ ﷺ بَيْنَهُ وَبَيْنَ سَعْدِ بْنِ الرَّبِيعِ -وَكَانَ كَثِيرَ الْمَالِ-، فَقَالَ سَعْدٌ: قَدْ عَلِمَتِ الأَنْصَارُ أَنِّي مِنْ أَكْثَرِهَا مَالًا، سَأَقْسِمُ مَالِي بَيْنِي وَبَيْنَكَ شَطْرَيْنِ، وَلِي امْرَأَتَانِ فَانْظُرْ أَعْجَبَهُمَا إِلَيْكَ فَأُطَلِّقُهَا حَتَّىٰ إِذَا حَلَّتْ تَزَوَّجْتَهَا.

فَقَالَ عَبْدُ الرَّحْمَنِ: بَارَكَ اللهُ لَكَ فِي أَهْلِكَ. فَلَمْ يَرْجِعْ يَوْمَئِذٍ حَتَّىٰ أَفْضَلَ[١] شَيْئًا مِنْ سَمْنٍ وَأَقِطٍ[٢]، فَلَمْ؛ يَلْبَثْ إِلاَّ يَسِيرًا حَتَّىٰ جَاءَ رَسُولَ اللهِ ﷺ وَعَلَيْهِ وَضَرٌ[٣] مِنْ صُفْرَةٍ[٤]. فَقَالَ لَهُ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**مَهْيَمْ؟**»[٥]، قَالَ: تَزَوَّجْتُ امْرَأَةً مِنَ الأَنْصَارِ، قَالَ: «**مَا سُقْتَ فِيهَا؟**» قَالَ: وَزْنَ نَوَاةٍ مِنْ ذَهَبٍ -أَوْ نَوَاةً مِنْ ذَهَبٍ- فَقَالَ: «**أَوْلِمْ وَلَوْ بِشَاةٍ**»[٦].

وَقَالَ آخَرُ:

آخىٰ ابنُ عَبْدِ اللهِ بَيْنَ مَعَاشِرٍ ... يَتَنَاحَرُونَ تَنَاحُرَ الأَخْيَافِ
لَانَتْ قَنَاتُهُمُو لِدَعْوَتِهِ وَمَا ... لَانَتْ قَنَاتُهُمُو لِغَمْزِ ثقافِ
وَلَقَدْ يَرُوضُ الأُسدَ رائضُهَا وَلا ... يَتَغَيَّر الطَّبْعُ الغَلِيظُ الجَافِي
هَذا هُو الإِعْجَازُ لا بَحْرَ ولا ... بَدْرَ قَدِ انشَقَّا إِلىٰ أَنْصَافِ
آي مِنَ الذِّكْرِ الحكِيمِ أتىٰ بِهَا ... فَإِذَا القلوبُ تلينُ بَعْدَ جَفَافِ[٧]

(١) أَفْضَلَ أَيْ: رَبِحَ.
(٢) الأَقِط: اللَّبَنُ المُحمَضُ يُجَمَّدُ حَتَّىٰ يَسْتَحْجِرَ، وَيُطْبَخَ أَوْ يُطْبَخَ بِهِ.
(٣) وَضَرٌ أَيْ: لَطْخٌ.
(٤) أَيْ صُفْرَةُ خَلُوقٍ، وَالخَلُوقُ: طِيبٌ يُصنَعُ مِنْ زَعْفَرَانٍ وَغَيْرِهِ.
(٥) مَهْيَمْ: كَلِمَة اسْتِفْهَامٍ مَبْنِيَّةٍ عَلَىٰ السُّكُونِ، مَعْنَاهَا: مَا هَذَا؟، وَهِيَ كَلِمَةٌ لأَهْلِ اليَمَنِ خَاصَّةً.
(٦) رَوَاهُ البُخَارِيُّ (٣٧٨١) وَمُسْلِمٌ (١٤٢٧).
(٧) مختارات من أجمل الشعر (٤٤).

وَلَمْ يَكُنْ سَعْدُ بْنُ الرَّبِيْعِ مُنْفَرِدًا فِي ذَلِكَ عَنْ غَيْرِهِ مِنَ الأَنْصَارِ، بَلْ كَانَ هَذَا شَأْنَ عَامَّةِ الصَّحَابَةِ، حَتَّىٰ وَصَلَتِ المُؤَاخَاةُ إِلَىٰ دَرَجَةِ أَنْ يَتَوَارَثَ المُتَآخَيَانِ، ثُمَّ نُسِخَ هَذَا التَّوَارُثُ بِقَوْلِهِ -تَعَالَىٰ-: ﴿وَأُوْلُوا۟ ٱلْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَىٰ بِبَعْضٍ فِى كِتَٰبِ ٱللَّهِ﴾ [الأَحْزَابِ: ٦].

قَالَ ابْنُ القَيِّمِ رَحِمَهُ اللهُ: «ثُمَّ آخَىٰ رَسُولُ اللهِ ﷺ بَيْنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ فِي دَارِ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ، وَكَانُوا تِسْعِينَ رَجُلًا نِصْفُهُمْ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ، وَنِصْفُهُمْ مِنَ الْأَنْصَارِ، آخَىٰ بَيْنَهُمْ عَلَىٰ الْمُوَاسَاةِ، يَتَوَارَثُونَ بَعْدَ الْمَوْتِ دُونَ ذَوِي الْأَرْحَامِ إِلَىٰ حِينِ وَقْعَةِ بَدْرٍ، فَلَمَّا أَنْزَلَ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿وَأُوْلُوا۟ ٱلْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَىٰ بِبَعْضٍ فِى كِتَٰبِ ٱللَّهِ﴾ [الأَحْزَابِ: ٦]. رَدَّ التَّوَارُثَ إِلَىٰ الرَّحِمِ دُونَ عَقْدِ الْأُخُوَّةِ»(١).

فَأَصْبَحُوا فِي إِخَاءٍ غَيْرِ مُنْصَدِعٍ ... عَلَىٰ الزَّمَانِ وَعِزٍّ غَيْرِ مُنْهَدِمِ
فَاسْتَحْكَمَ الدِّيْنُ، وَاشْتَدَّتْ دَعَائِمُهُ ... حَتَّىٰ غَدَا وَاضِحَ العِرْنِينِ(٢) ذَا شَمَمِ(٣)
وَأَصْبَحَ النَّاسُ إِخْوَانًا، وَعَمَّهُمُ ... فَضْلٌ مِنَ اللهِ أَحْيَاهُمْ مِنَ العَدَمِ(٤)

الإِذْنُ بِالجِهَادِ:

أَفَيَطْمَعُ النُّوَّامُ مِلْءَ عُيُونِهِمْ ... أَنْ يُمْلِكُوا الدُّنْيَا بِغَيْرِ جِهَادِ؟!(٥)

---

(١) «نِعْمَةُ الْأُخُوَّةِ»، لِلكَاتِب (٥).
(٢) العِرْنِين -بِالكَسْرِ- الأَنْفُ كُلُّه، أَوْ مَا صَلُبَ مِنْ عَظْمِهِ.
(٣) الشَّمَم -بِفَتْحَتَيْنِ- ارْتِفَاع قَصَبَةَ الأَنْفِ.
(٤) «مَوْسُوعَةُ الشِّعْرِ الإِسْلاَمِي» (١٢/ ٦٠٦).
(٥) «دِيْوَانُ أَحْمَد مُحَرَّم» (٨٣٧).

لَمَّا اسْتَقَرَّ رَسُولُ اللهِ ﷺ بِالمَدِيْنَةِ بَيْنَ أَظْهُرِ الأَنْصَارِ، وَتَكَفَّلُوا بِنَصْرِهِ، وَمَنْعِهِ مِنَ الأَسْوَدِ وَالأَحْمَرِ، رَمَتْهُمُ العَرَبُ عَنْ قَوْسٍ وَاحِدَةٍ، وَتَعَرَّضُوا لَهُمْ مِنْ كُلِّ جَانِبٍ.

حِيْنَهَا أَذِنَ اللهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى لِلمُسْلِمِيْنَ فِي الجِهَادِ فِي سُورَةِ الحَجِّ -وَهِيَ مَكِّيَّةٌ- فِي قَوْلِهِ -تَعَالَى- ﴿أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَٰتَلُونَ بِأَنَّهُمْ ظُلِمُواْ وَإِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ ٣٩﴾ [الحَجُّ: ٣٩].

ثُمَّ لَمَا صَارُوا إِلَى المَدِيْنَةِ، وَصَارَتْ لَهُمْ شَوْكَةٌ وَعَضُدٌ، كَتَبَ اللهُ عَلَيْهِمُ الجِهَادَ، قَالَ اللهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿كُتِبَ عَلَيْكُمُ ٱلْقِتَالُ وَهُوَ كُرْهٌ لَّكُمْ وَعَسَىٰٓ أَن تَكْرَهُواْ شَيْـًٔا وَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ وَعَسَىٰٓ أَن تُحِبُّواْ شَيْـًٔا وَهُوَ شَرٌّ لَّكُمْ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ٢١٦﴾ [البَقَرَةُ: ٢١٦].

وَلَمَّا نَزَلَ الإِذْنُ بِالجِهَادِ، رَأَى رَسُولُ اللهِ ﷺ أَنْ يَبْسُطَ سَيْطَرَتَهُ عَلَى الطَّرِيْقِ الرَّئِيْسِ الَّذِي تَسْلُكُهُ قُرَيْشٌ مِنْ مَكَّةَ إِلَى الشَّامِ فِي تِجَارَتِهِمْ، فَأَرْسَلَ البُعُوثَ وَاحِدَةٌ تِلْوَ الأُخْرَى إِلَى هَذَا الطَّرِيْقِ.

أَوَّلُ غَزْوَةٍ غَزَاهَا رَسُولُ اللهِ ﷺ:

وَإِذَا رَأَتْكَ الشُّهْبُ مُزْمِعَ غَزْوَةٍ ... وَدَّتْ جَمِيْعًا أَنَّهَا لَكَ جَحْفَلُ[1]

كَانَتْ أَوَّلَ غَزْوَةٍ غَزَاهَا رَسُولُ اللهِ ﷺ هِيَ غَزْوَةُ الأَبْوَاءِ.

وقَالَ مُحَمَّدُ بْنُ إِسْحَاقَ: «أَوَّلُ مَا غَزَا النَّبِيُّ ﷺ الأَبْوَاءَ، ثُمَّ بُوَاطَ، ثُمَّ الْعُشَيْرَةَ»[2].

(١) «دَوَاوِيْنُ الشِّعْرِ العَرَبِيِّ» (٢٢/ ٣)، وَالجَحْفَلُ: الجَيْشُ الكَبِيْرُ.
(٢) رَوَاهُ البُخَارِيُّ (٣٩٤٩).

وَيَذْكُرُ أَهْلَ السِّيَرِ: أَنَّ تِلْكَ الغَزَوَاتِ الثَّلَاثَ كَانَتْ أَشْبَهَ بِالدَّوْرِيَّاتِ الاسْتِطْلاعِيَّةِ بَيْنَ يَدَيِ الحَرْبِ.

هَـذَا وَقَدْ فَرَضَ اللَّـهُ الجِهَادَ عَلَىٰ ... رَسُولِهِ لِيَبُثَّ الدِّينَ فِي الأُمَمِ

فَكَانَ أَوَّلُ غَزْوٍ سَارَ فِيْهِ إِلَىٰ ... وَدَّانَ ثُمَّ أَتَىٰ مِنْ غَيْرِ مُصْطَدَمِ

وَغَزْوَةٌ سَارَ فِيْهَا المُصْطَفَىٰ قُدُمًا ... إِلَىٰ بُوَاطٍ بِجَمْعٍ سَاطِعِ القَتَمِ

وَمِثْلَهَا يَمَّمَت ذَاتَ العُشَيْرَةِ فِي ... جَيْشٍ لُهَامٍ كَمَوجِ البَحْرِ مُلْتَطِمِ(١)

تَحْوِيلُ القِبْلَةِ:

وَحُوِّلَتْ قِبْلَةُ الإِسْلَامِ وَقْتَئِذٍ ... عَنْ وِجْهَةِ القُدْسِ نَحْوَ البَيتِ ذِي العِظَمِ(٢)

كَانَتْ القِبْلَةُ أَوَّلَ الأَمْرِ إِلَىٰ المَسْجِدِ الأَقْصَىٰ، فَأَمَرَ اللهُ رَسُولَهُ ﷺ أَنْ يَتَوَجَّهَ إِلَىٰ المَسْجِدِ الحَرَامِ.

قَالَ اللهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ: ﴿قَدْ نَرَىٰ تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِي ٱلسَّمَآءِ ۖ فَلَنُوَلِّيَنَّكَ قِبْلَةً تَرْضَىٰهَا ۚ فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ ۚ وَحَيْثُ مَا كُنتُمْ فَوَلُّوا۟ وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُۥ ۗ وَإِنَّ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَـٰبَ لَيَعْلَمُونَ أَنَّهُ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّهِمْ ۗ وَمَا ٱللَّهُ بِغَـٰفِلٍ عَمَّا يَعْمَلُونَ ﴿١٤٤﴾﴾ [البَقَرَةُ: ١٤٤].

فَعَنِ الْبَرَاءِ بْنِ عَازِبٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ كَانَ أَوَّلَ مَا قَدِمَ الْمَدِينَةَ نَزَلَ عَلَىٰ أَجْدَادِهِ – أَوْ قَالَ: أَخْوَالِهِ – مِنَ الْأَنْصَارِ، وَأَنَّهُ صَلَّىٰ قِبَلَ بَيْتِ الْمَقْدِسِ سِتَّةَ عَشَرَ

---

(١) «مَوْسُوعَةُ الشِّعْرِ الإِسْلَامِي» (١٣/ ٦٠٦)، وَالقَتَم –بِفَتْحَتَيْنِ–: الغُبَار، وَجَيْشٍ لُهَام: كَثِيرٍ يَلْتَهِمُ كُلَّ شَيْءٍ، وَيَغْتَمِرُ مَنْ دَخَلَ فِيهِ (أَيْ: يُغَيِّبُهُ وَيَسْتَغْرِقُهُ).

(٢) «مَوْسُوعَةُ الشِّعْرِ الإِسْلَامِي» (١٤/ ٦٠٦).

شَـهْرًا - أَوْ سَـبْعَةَ عَشَرَ شَهْرًا -، وَكَانَ يُعْجِبُهُ أَنْ تَكُونَ قِبْلَتُهُ قِبَلَ الْبَيْتِ، وَأَنَّهُ صَلَّىٰ أَوَّلَ صَـلَاةٍ صَلَّاهَا صَلَاةَ الْعَصْرِ، وَصَلَّىٰ مَعَهُ قَـوْمٌ. فَخَرَجَ رَجُلٌ مِمَّنْ صَلَّىٰ مَعَه، فَمَرَّ عَلَىٰ أَهْلِ مَسْجِدٍ وَهُمْ رَاكِعُونَ، فَقَالَ: أَشْهَدُ بِاللهِ، لَقَدْ صَلَّيْتُ مَعَ رَسُولِ اللهِ ﷺ قِبَلَ مَكَّةَ! فَدَارُوا كَمَا هُمْ قِبَلَ الْبَيْتِ. وَكَانَتِ الْيَهُودُ قَدْ أَعْجَبَهُمْ إِذْ كَانَ يُصَلِّي قِبَلَ بَيْتِ الْمَقْدِسِ، وَأَهْلُ الْكِتَابِ. فَلَمَّا وَلَّىٰ وَجْهَهُ قِبَلَ الْبَيْتِ أَنْكَرُوا ذَلِكَ[1].

وَأَمَّا أَهْلُ قُبَاءٍ فَلَمْ يَعْلَمُوا بِتَحْوِيْلِ القِبْلَةِ إِلَّا فِي صَلَاةِ الفَجْرِ.

فَعَـنْ ابْـنِ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ: «بَيْنَمَا النَّـاسُ بِقُبَاءٍ فِي صَلاَةِ الصُّبْـحِ، إِذْ جَاءَهُمْ آتٍ، فَقَـالَ: «إِنَّ رَسُـولَ اللـهِ ﷺ قَدْ أُنْـزِلَ عَلَيْهِ اللَّيْلَةَ قُـرْآنٌ، وَقَدْ أُمِرَ أَنْ يَسْـتَقْبِلَ الكَعْبَةَ، فَاسْتَقْبِلُوهَا، وَكَانَتْ وُجُوهُهُمْ إِلَىٰ الشَّأْمِ، فَاسْتَدَارُوا إِلَىٰ الكَعْبَةِ»[2].

مُـسْـتَقْبِلَ الكَعْبَـةِ العُظْمَـىٰ لَـهُ طَرَبٌ ... حَيْـثُ السُّـتُورُ وَتَمْجِيْـدٌ وَتَطْمِيْـرُ [3]

---

(١) رَوَاهُ البُخَارِيُّ (٤٠).

(٢) رَوَاهُ البُخَارِيُّ (١٨٩٢) وَمُسْلِمٌ (١١٢٦).

(٣) «دِيْوَانُ ابْن نُبَاتَةَ المَصْرِيِّ» (٧٣٣) وَالتَّطْمِيْرُ: إِرْخَاءُ السِّتْرِ.

غَزْوَةُ بَدْرٍ الكُبْرَى

هَلْ تَسَاءَلُو الشَّرْقَ عَنْ بَدْرٍ وَمَا صَنَعَتْ ... عَزَائِمُ الْجُنْدِ فِي الْهَيْجَا بِوَادِينَا؟!

قَالَ ابْنُ كَثِيْرٍ رَحِمَهُ اللهُ: «هِيَ الوَاقِعَةُ العَظِيْمَةُ الَّتِي فَرَّقَ اللهُ فِيْهَا بَيْنَ الحقِّ وَالبَاطِلِ، وَأَعَزَّ الإِسْلَامَ، وَدَفَعَ الكُفْرَ وَأَهْلَه، وَذَلِكَ أَنَّهُ لَمَّا كَانَ فِي رَمَضَانَ مِنْ هَذِهِ السَّنَةِ الثَّانِيَةِ، بَلَغَ رَسُولَ اللهِ ﷺ أَنَّ عِيرًا(١) مُقْبِلَةً مِنَ الشَّامِ صُحْبَةَ أَبِي سُفْيَانَ صَخْرِ بْنِ حَرْبٍ، فِي ثَلاثِيْنَ أَوْ أَرْبَعِيْنَ رَجُلًا مِنْ قُرَيْشٍ، وَهِيَ عِيْرٌ عَظِيْمَةٌ، تَحْمِلُ أَمْوَالًا جَزِيْلَةً لِقُرَيْشٍ، فَنَدَبَ رَسُولُ اللهِ ﷺ النَّاسَ لِلخُرُوجِ إِلَيْهَا، وَأَمَرَ مَنْ كَانَ ظَهْرُهُ حَاضِرًا بِالنُّهُوضِ، وَلَمْ يَحْتَفِلْ لَهَا احْتِفَالًا كَثِيْرًا، إِلَّا أَنَّهُ خَرَجَ فِي ثَلاثِمَائِةٍ، وَبِضْعَةَ عَشَرَ رَجُلًا، لِثَمَانٍ خَلَوْنَ مِنْ رَمَضَانَ، وَاسْتَخْلَفَ عَلَىٰ المَدِيْنَةِ ابْنَ أُمِّ مَكْتُومٍ، فَلَمَّا كَانَ بِالرَّوْحَاءِ(٢) رَدَّ أَبَا لُبَابَةَ بْنَ عَبْدِ المُنْذِرِ، وَاسْتَعْمَلَهُ عَلَىٰ المَدِيْنَةِ.

وَلَمْ يَكُنْ مَعَهُ الخَيْلِ سِوَىٰ فَرَسِ الزُّبَيْرِ،وَفَرَسِ المِقْدَادِ بْنِ الأَسْوَدِ الكِنْدَيِّ، وَمِنَ الإِبِلِ سَبْعُونَ بَعِيْرًا، يَعْتَقِبُ الرَّجُلَانِ وَالثَّلَاثَةُ فَأَكْثَرُ عَلَىٰ البَعِيْرِ الوَاحِدِ»(٣).

فَعَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ مَسْعُودٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، قَالَ: كُنَّا يَوْمَ بَدْرٍ كُلُّ ثَلَاثَةٍ عَلَىٰ بَعِيرٍ: كَانَ

(١) العِيْر -بِالكَسْرِ- الإِبْلُ تَحْمِلُ المِيْرَةَ (أَي: الطَّعَامَ وَالذَّخِيْرَةَ)، ثُمَّ غَلَبَ عَلَىٰ كُلِّ قَافِلَةٍ.

(٢) الرَّوْحَاء: قَرِيْبَة مِنَ المَدِيْنَةِ، وَسُمِّيَتْ كَذَلِكَ؛لأَنَّها ذَات رَاحَةٍ.

(٣) «الفُصُولُ فِي سِيْرَةِ الرَّسُولِ» (٨٩-٩٠).

أَبُو لُبَابَةَ وَعَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ زَمِيلَيْ(١) رَسُولِ اللهِ ﷺ، وَكَانَتْ عُقْبَةَ(٢) رَسُولُ اللهِ ﷺ فَقَالَا: نَحْنُ نَمْشِي عَنْكَ، فَقَالَ ﷺ: «**مَا أَنْتُمَا بِأَقْوَىٰ مِنِّي، وَلَا أَنَا بِأَغْنَىٰ عَنِ الْأَجْرِ مِنْكُمَا**»(٣).

قَالَ ابْنُ القَيِّمِ رَحِمَهُ اللهُ:

وَأَمَّا أبو سفيان، فَإِنَّهُ بَلَغَهُ مَخْرَجَ رَسُولِ اللهِ ﷺ وَقَصْدَهُ إِيَّاهُ فَاسْتَأْجَرَ ضَمْضَمَ بْنَ عَمْرُو إِلَىٰ مَكَّةَ مُسْتَصْرِخًا لِقُرَيْشٍ بِالنَّفِيرِ إِلَىٰ عِيرِهِمْ؛ لِيَمْنَعُوهُ مِنْ مُحَمَّدٍ ﷺ وَأَصْحَابِهِ، وَبَلَغَ الصَّرِيخُ أَهْلَ مَكَّةَ، فَنَهَضُوا مُسْرِعِينَ وَأَوْعَبُوا فِي الْخُرُوجِ، فَلَمْ يَتَخَلَّفْ مِنْ أَشْرَافِهِمْ أَحَدٌ سِوَىٰ أبي لهب، فَإِنَّهُ عَوَّضَ عَنْهُ رَجُلًا كَانَ لَهُ عَلَيْهِ دَيْنٌ، وَحَشَدُوا فِيمَنْ حَوْلَهُمْ مِنْ قَبَائِلِ الْعَرَبِ، وَلَمْ يَتَخَلَّفْ عَنْهُمْ أَحَدٌ مِنْ بُطُونِ قُرَيْشٍ إِلَّا بَنِي عَدِيٍّ، فَلَمْ يَخْرُجْ مَعَهُمْ مِنْهُمْ أَحَدٌ، وَخَرَجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ كَمَا قَالَ اللهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ: ﴿بَطَرًا وَرِئَآءَ ٱلنَّاسِ وَيَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِۚ﴾ [الْأَنْفَالُ: ٤٧].

وَأَقْبَلُوا كَمَا قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**بِحَدِّهِمْ وَحَدِيدِهِمْ، تُحَادُّهُ وَتُحَادُّ رَسُولَهُ**»، وَجَاءُوا عَلَىٰ حَرْدٍ قَادِرِينَ، وَعَلَىٰ حَمِيَّةٍ، وَغَضَبٍ، وَحَنَقٍ عَلَىٰ رَسُولِ اللهِ ﷺ وَأَصْحَابِهِ، لِمَا يُرِيدُونَ مِنْ أَخْذِ عِيرِهِمْ، وَقَتْلِ مَنْ فِيهَا، وَقَدْ أَصَابُوا بِالْأَمْسِ عَمْرُو بْنَ الحَضْرَمِي، وَالْعِيرَ الَّتِي كَانَتْ مَعَه، فَجَمَعَهُمُ اللهُ عَلَىٰ غَيْرِ

---

(١) الزَّمِيل: الصَّاحِبُ الَّذِي يَرْكَبُ مَعَك عَلَىٰ بَعِيْرٍ وَاحِدٍ.

(٢) العُقْبَة -بِالضَّمِّ- النَّوْبَة.

(٣) (حَسَنٌ) أَخْرَجَهُ أَحْمَدُ (١/ ٤١١و٤١٨ و٤٢٢و٤٢٤)،، وَالحَاكِمُ (٣٠-٢٠)، وَحَسَّنَهُ الْأَلْبَانِيُّ رَحِمَهُ اللهُ فِي «الصَّحِيْحَةِ» (٢٢٥٧)، وَشَيْخُنَا الوَادِعِيُّ رَحِمَهُ اللهُ فِي «الصَّحِيحِ المُسْنَد» (٨١٣).

مِيعَادٍ كَمَا قَالَ اللهُ تَعَالَىٰ: ﴿وَلَوْ تَوَاعَدتُّمْ لَاخْتَلَفْتُمْ فِي الْمِيعَادِ وَلَٰكِن لِّيَقْضِيَ اللَّهُ أَمْرًا كَانَ مَفْعُولًا﴾ [الأَنْفَالُ: ٤٢].

فَسَارَ رَسُولُ اللهِ ﷺ وَخَفَضَ أَبُو سُفْيَانَ، فَلَحِقَ بِسَاحِلِ البَحْرِ، وَلَمَّا رَأَىٰ أَنَّهُ قَدْ نَجَا، وَأَحْرَزَ العِيْرَ، كَتَبَ إِلَىٰ قُرَيْشٍ: أَنِ ارْجِعُوا؛ فَإِنَّكُمْ إِنَّمَا خَرَجْتُم لِتُحْرِزُوا عِيْرَكُمْ، فَأَتَاهُمُ الخَبَرُ وَهُمْ بِالجُحْفَةِ، فَهَمُّوا بِالرُّجُوعِ، فَقَالَ أَبُو جَهْلٍ: وَاللَّهِ لَا نَرْجِعُ حَتَّىٰ نَقْدَمَ بَدْرًا، فَنُقِيمَ بِهَا، وَنُطْعِمَ مِنْ حَضَرَنَا مِنَ العَرَبِ، وَتَخَافَنَا العَرَبُ بَعْدَ ذَلِكَ فَأَشَارَ الأَخْنَسُ بْنُ شَرِيقٍ عَلَيْهِم بِالرُّجُوعِ، فَعَصَوْهُ، فَرَجَعَ هُوَ وَبَنُو زُهْرَةَ، فَلَمْ يَشْهَدْ بَدْرًا زُهْرِيٌّ، فَاغْتَبَطَتْ بَنُو زُهْرَةَ بَعْدُ بِرَأْيِ الأَخْنَسِ؛ فَلَمْ يَزَلْ فِيهِمْ مُطَاعًا مُعَظَّمًا»[1].

وَعَنْ عَلِيٍّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: كَانَ رَسُولُ اللهِ ﷺ يَتَخَبَّرُ عَنْ بَدْرٍ، قَالَ: فَلَمَّا بَلَغَنَا أَنَّ الْمُشْرِكِينَ قَدْ أَقْبَلُوا، سَارَ رَسُولُ اللهِ ﷺ إِلَىٰ بَدْرٍ، وَبَدْرٌ بِئْرٌ، فَسَبَقْنَا الْمُشْرِكِينَ إِلَيْهَا فَوَجَدْنَا فِيهَا رَجُلَيْنِ مِنْهُمْ: رَجُلٌ مِنْ قُرَيْشٍ وَمَوْلًى لِعُقْبَةَ بْنِ أَبِي مُعَيْطٍ، فَأَمَّا الْقُرَشِيُّ فَانْفَلَتَ إِلَيْهَا، وَأَمَّا الْمَوْلَىٰ فَأَخَذْنَاهُ، فَجَعَلْنَا نَقُولُ لَهُ: كَمِ الْقَوْمُ؟ فَيَقُولُ: هُمْ وَاللهِ كَثِيرٌ عَدَدُهُمْ، شَدِيدٌ بَأْسُهُمْ، فَجَعَلَ الْمُسْلِمُونَ إِذَا قَالَ ذَاكَ ضَرَبُوهُ حَتَّىٰ انْتَهَوْا بِهِ إِلَىٰ رَسُولِ اللهِ ﷺ، فَقَالَ لَهُ: «**كَمِ الْقَوْمُ؟**»، فَقَالَ: هُمْ وَاللهِ كَثِيرٌ عَدَدُهُمْ، شَدِيدٌ بَأْسُهُمْ، فَجَهَدَ النَّبِيُّ ﷺ عَلَىٰ أَنْ يُخْبِرَهُمْ كَمْ هُمْ، فَأَبَىٰ، ثُمَّ إِنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ سَأَلَهُ: «**كَمْ يَنْحَرُونَ؟**»، فَقَالَ: عَشْرًا كُلَّ يَوْمٍ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**الْقَوْمُ أَلْفٌ، كُلُّ جَزُورٍ لِمِائَةٍ، وَتَبِعَهَا**».

(١) «زَادُ المِعَادِ» (٣/ ١٥٤) بِاخْتِصَارٍ.

ثُـمَّ إِنَّهُ أَصَابَنَا مِنَ اللَّيْلِ طَشٌّ مِنْ مَطَرٍ،فَانْطَلَقْنَا تَحْتَ الشَّـجَرَةِ وَالْحَجَفِ[١] نَسْـتَظِلُّ تَحْتَهَـا مِنَ الْمَطَرِ، وَبَاتَ رَسُـولُ اللهِ ﷺ يَدْعُو رَبَّـهُ عَزَّوَجَلَّ وَيَقُولُ: «**اللهُمَّ إِنَّكَ إِنْ تُهْلِكْ هَذِهِ الفِئَةُ فَلا تُعْبَدْ**»، قَالَ: فَلَمَّا طَلَعَ الْفَجْرُ نَادَىٰ: الصَّلَاةَ عِبَادَ اللهِ، فَجَاءَ النَّاسُ مِنْ تَحْتِ الشَّجَرِ وَالْحَجَفِ، فَصَلَّىٰ بِنَا رَسُولُ اللهِ ﷺ وَحَرَّضَ عَلَىٰ الْقِتَـالِ، ثُمَّ قَالَ: إِنَّ جَمْعَ قُرَيْشٍ عِنْدَ هَذِهِ الضِّلَـعِ الْحَمْرَاءِ مِنَ الْجَبَلِ، فَلَمَّا أَنْ دَنَا الْقَوْمُ مِنَّا وَصَافَفْنَاهُمْ إِذَا رَجُلٌ مِنْهُمْ عَلَىٰ جَمَلٍ أَحْمَرَ يَسِيرُ فِي الْقَوْمِ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**يَا عَلِيُّ، نَادِلِي حَمْزَةَ وَكَانَ أَقْرَبَهُمْ إِلَىٰ الْمُشْـرِكِينَ مَنْ صَاحِبُ الْجَمَلِ الْأَحْمَرِ وَمَا يَقُولُ لَهُمْ؟**».

ثُمَّ قَالَ لَهُمْ رَسُولُ اللهِ ﷺ: إِنْ يَكُ فِي الْقَوْمِ أَحَدٌ يَأْمُرُ بِخَيْرٍ فَعَسَىٰ أَنْ يَكُونَ صَاحِـبَ الْجَمَـلِ الْأَحْمَرِ، فَجَاءَ حَمْـزَة، فَقَالَ: هُوَ عُتْبَةُ بْنُ رَبِيعَـةَ، وَهُوَ يَنْهَىٰ عَنِ الْقِتَالِ وَيَقُولُ لَهُمْ: يَا قَوْمُ، إِنِّي أَرَىٰ قَوْمًا مُسْتَمِيتِينَ، لَا تَصِلُونَ إِلَيْهِمْ وَفِيكُمْ خَيْرٌ، يَا قَوْمُ، اعْصِبُوا اللَّوْمَ بِرَأْسِـي وَقُولُوا: جَبُنَ عُتْبَةُ، وَقَدْ عَلِمْتُمْ أَنِّي لَسْتُ بِأَجْبَنِكُمْ، فَسَمِعَ ذَلِكَ أَبُو جَهْلٍ فَقَالَ: أَنْتَ تَقُولُ هَذَا، واللهِ لَوْ غَيْرُكَ قَالَ هَذَا لَأَعْضَضْتُهُ[٢]، لَقَـدْ مُلِئَتْ رِئَتُـكَ وَجَوْفُكَ رُعْبًا، فَقَالَ عُتْبَةُ: إِيَّايَ تُعَيِّرُ يَا مُصَفِّرَ اسْـتِهِ[٣]، سَـتَعْلَمُ الْيَـوْمَ أَيُّنَا أَجْبَنُ، قَالَ: فَبَرَزَ عُتْبَةُ وَأَخُوهُ شَـيْبَةُ وَابْنُهُ الْوَلِيدُ حَمِيَّةً فَقَالُوا: مَنْ يُبَارِزُ، فَخَرَجَ فِتْيَةٌ مِنَ الْأَنْصَارِ سِتَّةٌ، فَقَالَ عُتْبَةُ: لَا نُرِيدُ هَؤُلَاءِ، وَلَكِنْ يُبَارِزُنَا مِنْ بَنِي عَمِّنَا

---

(١) الْحَجَف: التُّرُوسُ مِنْ جُلُودٍ، وَاحِدَتُهَا: حَجَفَةٌ.

(٢) لَأَعْضَضْتُهُ أَيْ: لَقُلْتُ لَهُ: اعْضُضْ ذَكَرَك.

(٣) الاسْت: العَجْزُ وَالمُؤَخِّرَة، وَمُصَفِّرَ اسْتِهِ: قِيْلَ مِنَ الصَّفِيْرِ أَيْ: ضَرَّاطَ نَسَبَهُ إِلَىٰ الجُبْنِ وَالنَحورِ، وَقِيْلَ مِنَ الصُّفْرَةِ، يَعْنُونَ أَنَّهُ مَأْبُونٌ يُزَعْفِرُ اسْتَهُ.

مِنْ بَنِي عَبْدِ الْمُطَّلِبِ، قَالَ: فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**قُمْ يَا عَلِيُّ، قُمْ يَا حَمْزَةُ، قُمْ يَا عُبَيْدَةُ بْنَ الْحَارِثِ بْنِ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ**».

فَقَتَلَ اللهُ -تَعَالَىٰ- عُتْبَةَ وَشَيْبَةَ ابْنَي رَبِيعَةَ، وَالْوَلِيدَ بْنَ عُتْبَةَ، وَجُرِحَ عُبَيْدَةُ بْنُ الْحَارِثِ فَقَتَلْنَا مِنْهُمْ سَبْعِينَ وَأَسَرْنَا سَبْعِينَ.

قَالَ: فَجَاءَ رَجُلٌ مِنَ الْأَنْصَارِ قَصِيرٌ بِالْعَبَّاسِ بْنِ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ أَسِيرًا، فَقَالَ الْعَبَّاسُ: يَا رَسُولَ اللهِ، إِنَّ هَذَا -وَاللهِ- مَا أَسَرَنِي، لَقَدْ أَسَرَنِي رَجُلٌ أَجْلَحُ[1]، مِنْ أَحْسَنِ النَّاسِ وَجْهًا، عَلَىٰ فَرَسٍ أَبْلَقَ[2]، مَا أَرَاهُ فِي الْقَوْمِ. فَقَالَ الْأَنْصَارِيُّ: أَنَا أَسَرْتُهُ يَا رَسُولَ اللهِ، فَقَالَ لَهُ: «**اسْكُتْ لَقَدْ أَيَّدَكَ اللهُ بِمَلَكٍ كَرِيمٍ**».

قَالَ عَلِيٌّ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: فَأُسِرَ مِنْ بَنِي عَبْدِ الْمُطَّلِبِ الْعَبَّاسُ وَعَقِيلٌ وَنَوْفَلُ بْنُ الْحَارِثِ»[3].

قَالَ ابْنُ القَيِّمِ رَحِمَهُ اللهُ:

«ثُمَّ حَمِيَ الْوَطِيسُ، وَاسْتَدَارَتْ رَحَىٰ الْحَرْبِ، وَاشْتَدَّ الْقِتَالُ، وَأَخَذَ رَسُولُ اللهِ ﷺ فِي الدُّعَاءِ وَالِابْتِهَالِ، وَمُنَاشَدَةِ رَبِّهِ عَزَّ وَجَلَّ، حَتَّىٰ سَقَطَ رِدَاؤُهُ عَنْ مَنْكِبَيْهِ، فَرَدَّهُ عَلَيْهِ الصِّدِّيقُ، وَقَالَ: بَعْضَ مُنَاشَدَتِكَ رَبَّكَ؛ فَإِنَّهُ مُنْجِزٌ لَكَ مَا وَعَدَكَ[4].

---

(١) الْأَجْلَح: الَّذِي انْحَسَرَ الشَّعْرُ عَنْ جَانِبَي رَأْسِهِ.

(٢) الْأَبْلَق: الَّذِي بِهِ سَوَادٌ وَبَيَاضٌ.

(٣) (صَحِيحٌ) أَخْرَجَهُ أَحْمَدُ (٢١/ ٣٠-٢٦)، وَأَبُو دَاوُدَ (٢٦٦٥)، وَصَحَّحَهُ الْأَلْبَانِيُّ رَحِمَهُ اللهُ فِي «صَحِيحِ أَبِي دَاوُدَ» (٢٣٣١).

(٤) «زَادُ المِعَادِ» (٣/ ١٨٠-١٨١) بِاخْتِصَارٍ.

يُشِيْرُ ابْنُ القَيِّمِ رَحِمَهُ اللهُ: «إِلَىٰ حَدِيْثِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَهُوَ فِي قُبَّةٍ يَوْمَ بَدْرٍ: «**اللهُمَّ إِنِّي أَنْشُدُكَ عَهْدَكَ وَوَعْدَكَ، اللهُمَّ إِنْ شِئْتَ لَمْ تُعْبَدْ**» فَأَخَذَ أَبُو بَكْرٍ بِيَدِهِ، فَقَالَ: حَسْبُكَ، فَخَرَجَ وَهُوَ يَقُولُ: ﴿سَيُهْزَمُ ٱلْجَمْعُ وَيُوَلُّونَ ٱلدُّبُرَ ﴿٤٥﴾﴾ [القَمَر: ٤٥](١).

وَجَاءَ نَصْرُ اللهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، وَأَنْزَلَ اللهُ جُنْدَهُ، وَأَيَّدَ رَسُولَهُ وَالمُؤْمِنِيْنَ، وَمَنَحَهُمْ أَكْتَافَ المُشْرِكِيْنَ أَسْرًا وَقَتْلًا، وَقُتِلَ زُعَمَاءُ المُشْرِكِيْنَ، مِنْهُمْ أَبُو جَهْلٍ، قَتَلَهُ مُعَاذُ بْنُ عَمْرِو بْنِ الجَمُوحِ، وَمُعَاذُ بْنُ عَفْرَاءَ، وَهُمَا غُلَامَانِ لاَ يَعْرِفَانِهِ، حَتَّىٰ دَلَّهُمَا عَلَيْهِ عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنِ عَوْفٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ.

فَعَنْ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ عَوْفٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، أَنَّهُ قَالَ: بَيْنَا أَنَا وَاقِفٌ فِي الصَّفِّ يَوْمَ بَدْرٍ، نَظَرْتُ عَنْ يَمِينِي وَشِمَالِي، فَإِذَا أَنَا بَيْنَ غُلَامَيْنِ مِنَ الْأَنْصَارِ حَدِيثَةٍ أَسْنَانُهُمَا، تَمَنَّيْتُ لَوْ كُنْتُ بَيْنَ أَضْلَعَ مِنْهُمَا، فَغَمَزَنِي أَحَدُهُمَا، فَقَالَ: يَا عَمِّ، هَلْ تَعْرِفُ أَبَا جَهْلٍ؟، قَالَ: قُلْتُ: نَعَمْ، وَمَا حَاجَتُكَ إِلَيْهِ يَا ابْنَ أَخِي؟.

قَالَ: أُخْبِرْتُ أَنَّهُ يَسُبُّ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ، لَئِنْ رَأَيْتُهُ لَا يُفَارِقُ سَوَادِي سَوَادَهُ حَتَّىٰ يَمُوتَ الْأَعْجَلُ مِنَّا.

قَالَ: فَتَعَجَّبْتُ لِذَلِكَ، فَغَمَزَنِي الْآخَرُ، فَقَالَ: مِثْلَهَا، قَالَ: فَلَمْ أَنْشَبْ أَنْ نَظَرْتُ إِلَىٰ أَبِي جَهْلٍ يَزُولُ فِي النَّاسِ، فَقُلْتُ: أَلَا تَرَيَانِ؟، هَذَا صَاحِبُكُمَا الَّذِي تَسْأَلَانِ عَنْهُ، قَالَ: فَابْتَدَرَاهُ فَضَرَبَاهُ بِسَيْفَيْهِمَا حَتَّىٰ قَتَلَاهُ، ثُمَّ انْصَرَفَا إِلَىٰ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَأَخْبَرَاهُ.

---

(١) رَوَاهُ البُخَارِيُّ (٣٩٥٣).

فَقَالَ: «أَيُّكُمَا قَتَلَهُ؟» فَقَالَ كُلُّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا: أَنَا قَتَلْتُهُ، فَقَالَ: «هَلْ مَسَحْتُمَا سَيْفَيْكُمَا؟» قَالَا: لَا، فَنَظَرَ إِلَىٰ السَّيْفَيْنِ، فَقَالَ: «كِلَاكُمَا قَتَلَهُ»، وَقَضَىٰ بِسَلَبِهِ لِمُعَاذِ بْنِ عَمْرِو بْنِ الْجَمُوحِ، وَالرَّجُلَانِ: مُعَاذُ بْنُ عَمْرِو بْنِ الْجَمُوحِ، وَمُعَاذُ بْنُ عَفْرَاءَ»[1].

وَيَمَّمَ المُصطَفىٰ بَدْرًا فَلَاحَ لَهُ ... بَدرٌ مِنَ النَّصْرِ جَلَّىٰ ظُلْمَةَ الوَخَمِ
يَومٌ تَبَسَّمَ فِيْهِ الدِّيْنُ وَانهَمَلَتْ ... عَلَىٰ الضَّلَالِ عُيُونُ الشِّرْكِ بِالسَّجَمِ[2][3]

وَقَالَ آخَرُ:

أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللهَ أَبْلَىٰ رَسُولَهُ ... بَلَاءَ عَزِيزٍ ذِي اقْتِدَارٍ وَذِي فَضْلِ
بِمَا أَنْزَلَ الْكُفَّارَ دَارَ مَذَلَّةٍ ... فَلَاقَوْا هَوَانًا مِنْ إِسَارٍ وَمِنْ قَتْلِ
ثَوَىٰ مِنْهُمُ فِي بِئْرِ بَدْرٍ عِصَابَةٌ ... ذَوُو نَجَدَاتٍ فِي الْحُرُوبِ وَفِي الْمَحْلِ[4]
فَأَضْحَوْا لَدَىٰ دَارِ الْجَحِيْمِ بِمَنْزِلٍ ... عَنِ البَغْيِ وَالْعُدْوَانِ فِي أَشْغَلِ الشُّغْلِ[5]

وقال كعب بن مالك رَضِيَ اللهُ عَنْهُ:

قضىٰ يومَ بَدْرٍ أَنْ نُلَاقِي مَعْشَرًا ... بَغَوا وسبيلُ البغي بالنَّاسِ جَائِرُ

(١) رَوَاهُ البُخَارِيُّ (٣٩٨٨)، وَمُسْلِمٌ (١٧٥٢).
(٢) السَّجَم: مَاءُ السَّمَاءِ، عَلَىٰ الاسْتِعَارَةِ.
(٣) «مَوْسُوعَةُ الشِّعْرِ الإِسْلَامِي» (١٣/ ٦٠٦).
(٤) المَحْل: الجُوعُ الشَّدِيْدِ وَشِدَّة القَحْطِ.
(٥) «دَوَاوِيْنُ الشِّعْرِ العَرَبِيِّ» (١١/ ١٩٨).

وَقَــدْ عُرِيَتْ بيضٌ خِفَافٌ كأنَّها ... مَقَابيسُ يُزْهِيهَا لِعَيْنَيكَ شَاهِرُ
فَأَمْسَوا وقُودَ النَّار في مُسْتَقَرِّهَا ... وَكُلُّ كَفُورٍ في جَهَنَّمَ صَائِرُ
وَكَانَ رسولُ الله قَدْ قَالَ أقْبِلُوا ... فَوَلَّوا وَقَالُوا: إنَّما أنتَ سَاحِرُ
لأمْرٍ أرَادَ اللهُ أنْ يَهْلكُوا بِهِ ... وَلَيْسَ لأمْرٍ حَمَّهُ اللهُ زاجِرُ[1]

---

(١) «مجموعة القصائد الزهديات» (٢/ ٣٩٣).

قِتَالُ المَلائِكَةِ يَوْمَ بَدْرٍ

كَتَائِبُ اللهِ تَرْعَاهَا مَلائِكَةٌ ... تَسِيْرُ مَا بَيْنَ مَنْصُورٍ وَمُنْتَصِرِ

وَمِنَ الثَّابِتِ فِي الكِتَابِ وَالسُّنَّةِ أَنَّ اللهَ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ أَمَدَّ المُسْلِمِيْنَ بِالمَلائِكَةِ يَوْمَ بَدْرٍ.

قَالَ اللهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ: ﴿وَلَقَدْ نَصَرَكُمُ ٱللَّهُ بِبَدْرٍ وَأَنتُمْ أَذِلَّةٌ ۖ فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿١٢٣﴾ إِذْ تَقُولُ لِلْمُؤْمِنِينَ أَلَن يَكْفِيَكُمْ أَن يُمِدَّكُمْ رَبُّكُم بِثَلَٰثَةِ ءَالَٰفٍ مِّنَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ مُنزَلِينَ ﴿١٢٤﴾ بَلَىٰٓ ۚ إِن تَصْبِرُوا۟ وَتَتَّقُوا۟ وَيَأْتُوكُم مِّن فَوْرِهِمْ هَٰذَا يُمْدِدْكُمْ رَبُّكُم بِخَمْسَةِ ءَالَٰفٍ مِّنَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ مُسَوِّمِينَ ﴿١٢٥﴾ وَمَا جَعَلَهُ ٱللَّهُ إِلَّا بُشْرَىٰ لَكُمْ وَلِتَطْمَئِنَّ قُلُوبُكُم بِهِۦ ۗ وَمَا ٱلنَّصْرُ إِلَّا مِنْ عِندِ ٱللَّهِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَكِيمِ ﴿١٢٦﴾﴾ [آل عِمْرَان: ١٢٣-١٢٦].

وقَالَ اللهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ: ﴿إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَٱسْتَجَابَ لَكُمْ أَنِّى مُمِدُّكُم بِأَلْفٍ مِّنَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ مُرْدِفِينَ ﴿٩﴾ وَمَا جَعَلَهُ ٱللَّهُ إِلَّا بُشْرَىٰ وَلِتَطْمَئِنَّ بِهِۦ قُلُوبُكُمْ ۚ وَمَا ٱلنَّصْرُ إِلَّا مِنْ عِندِ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿١٠﴾﴾ [الأَنْفَالُ: ٩-١٠].

وقَالَ اللهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ: ﴿إِذْ يُوحِى رَبُّكَ إِلَى ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ أَنِّى مَعَكُمْ فَثَبِّتُوا۟ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ۚ سَأُلْقِى فِى قُلُوبِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ٱلرُّعْبَ فَٱضْرِبُوا۟ فَوْقَ ٱلْأَعْنَاقِ وَٱضْرِبُوا۟ مِنْهُمْ كُلَّ بَنَانٍ ﴿١٢﴾﴾ [الأَنْفَالُ: ١٢].

وَعَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا قَالَ: حَدَّثَنِي عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ: لَمَّا كَانَ يَوْمُ بَدْرٍ نَظَرَ رَسُولُ اللهِ ﷺ إِلَى الْمُشْرِكِينَ وَهُمْ أَلْفٌ، وَأَصْحَابُهُ ثَلاثُمِائَةٍ وَتِسْعَةَ عَشَرَ رَجُلًا فَاسْتَقْبَلَ نَبِيُّ اللهِ ﷺ الْقِبْلَةَ ثُمَّ مَدَّ يَدَيْهِ فَجَعَلَ يَهْتِفُ بِرَبِّهِ:

«**اللهُمَّ أَنْجِزْ لِي مَا وَعَدْتَنِي، اللهُمَّ آتِ مَا وَعَدْتَنِي، اللهُمَّ إِنْ تَهْلِكْ هَذِهِ الْعِصَابَةُ مِنْ أَهْلِ الإِسْلاَمِ لاَ تُعْبَدْ فِي الأَرْضِ**»، فَمَازَالَ يَهْتِفُ بِرَبِّهِ مَادًّا يَدَيْهِ مُسْتَقْبِلَ الْقِبْلَةِ حَتَّىٰ سَقَطَ رِدَاؤُهُ عَنْ مَنْكِبَيْهِ فَأَتَاهُ أَبُو بَكْرٍ فَأَخَذَ رِدَاءَهُ فَأَلْقَاهُ عَلَىٰ مَنْكِبَيْهِ ثُمَّ الْتَزَمَهُ مِنْ وَرَائِهِ، وَقَالَ يَا نَبِيَّ اللهِ كَفَاكَ مُنَاشَدَتُكَ رَبَّكَ فَإِنَّهُ مُنْجِزٌ لَكَ مَا وَعَدَكَ فَأَنْزَلَ اللهُ عَزَّوَجَلَّ: ﴿إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَاسْتَجَابَ لَكُمْ أَنِّي مُمِدُّكُم بِأَلْفٍ مِّنَ الْمَلَائِكَةِ مُرْدِفِينَ ۝٩﴾ [الأَنْفَالُ: ٩]. فَأَمَدَّهُ اللهُ بِالْمَلاَئِكَةِ.

قَالَ أَبُو زُمَيْلٍ: فَحَدَّثَنِي ابْنُ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ بَيْنَمَا رَجُلٌ مِنَ الْمُسْلِمِينَ يَوْمَئِذٍ يَشْتَدُّ فِي أَثَرِ رَجُلٍ مِنَ الْمُشْرِكِينَ أَمَامَهُ إِذْ سَمِعَ ضَرْبَةً بِالسَّوْطِ فَوْقَهُ وَصَوْتَ الْفَارِسِ يَقُولُ أَقْدِمْ حَيْزُومُ[١]، فَنَظَرَ إِلَىٰ الْمُشْرِكِ أَمَامَهُ فَخَرَّ مُسْتَلْقِيًا فَنَظَرَ إِلَيْهِ فَإِذَا هُوَ قَدْ خُطِمَ أَنْفُهُ وَشُقَّ وَجْهُهُ كَضَرْبَةِ السَّوْطِ فَاخْضَرَّ ذَلِكَ أَجْمَعُ. فَجَاءَ الأَنْصَارِيُّ فَحَدَّثَ بِذَلِكَ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ: «**صَدَقْتَ ذَلِكَ مِنْ مَدَدِ السَّمَاءِ الثَّالِثَةِ**». فَقَتَلُوا يَوْمَئِذٍ سَبْعِينَ، وَأَسَرُوا سَبْعِينَ[٢].

وَعَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ ثَعْلَبَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: خَفَقَ[٣] رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ خَفْقَةً وَهُوَ فِي الْعَرِيشِ[٤]، ثُمَّ انْتَبَهَ، فَقَالَ: «**أَبْشِرْ يَا أَبَا بَكْرٍ، أَتَاكَ نَصْرُ اللهِ، هَذَا جِبْرِيلُ مُعْتَجِرٌ بِعِمَامَةٍ**[٥]**، آخِذٌ بِعِنَانِ فَرَسِهِ، يَقُودُهُ عَلَىٰ ثَنَايَاهُ النَّقْعُ**[٦]**، أَتَاكَ نَصْرُ اللهِ وَعِدَتُهُ**»[٧].

(١) حَيْزُوم: اسْمُ فَرَسِ المَلَكِ.

(٢) رَوَاهُ مُسْلِمٌ (١٧٦٣).

(٣) خَفَقَ خَفْقَةً أَيْ: نَامَ نَوْمًا يَسِيْرًا.

(٤) الْعَرِيش: خَيْمَةٌ تُتَّخذ مِنْ جَرِيدِ النَّخْلِ.

(٥) الاعْتِجَار بِالعِمَامَة: هُوَ أَنْ تَلُفَّهَا عَلَىٰ رَأْسِهِ، وَيَرُدَّ طَرَفَهَا عَلَىٰ وَجْهِهِ، وَلَا يَعْمَل مِنْهَا شَيْئًا تَحْتَ ذَقْنِهِ.

(٦) النَّقْعُ: المَاءَ المُتَجَمِّعُ فِي الغَدِيْر.

(٧) (حَسَنٌ) أَخْرَجَهُ ابْن إِسْحَاقُ، انْظُرْ: «البِدَايَةُ وَالنِّهَايَة» (٣/ ٢٨٤)، وَحَسَّنَهُ الأَلْبَانِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ فِي =

قَالَ كَعْبُ بْنُ مَالِك رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ:

وَبِبِئْرِ بَدْرٍ إِذْ يَرُدُّ وُجُوهَهُمْ جِبْرِيلُ تَحْتَ لِوَائِنَا وَمُحَمَّدُ [١]

وَقَالَ أَحْمَدُ مُحَرَّم رَحِمَهُ اللَّهُ:

مَضَىٰ البَأْسُ بَدْرِيَّ المَشَاهِدِ تَرْتَمِي أَعَاصِيْرُهُ نَارًا، وَتَغْلِي مَرَاجِلُهْ [٢]
وَضَجَّ رَسُولُ اللهِ يَدْعُو إِلَهَهُ فَيَالَكَ مِنْ جُنْدٍ طَوَىٰ الجَوَّ جَافِلُهْ [٣]
تَنَزَّلَ يُزْجِي النَّصْرَ تَنْسَابُ مِنْ عَلٍ شَآبِيبُهُ [٤] نُورًا، وَيَنْهَلُّ وَابِلُهْ [٥]
أَحَيْزُومُ أَقْدِمْ، إِنَّهُ الجِدُّ لَنْ يَرَىٰ سِوَاهُ عَدُوٌّ كَاذِبُ البَأْسِ هَازِلُهْ
هُوَ اللهُ يَحْمِي دِينَهُ وَيُعِزُّهُ فَمَنْ ذَا يُنَاوِيهِ؟، وَمَنْ ذَا يُصَاوِلُهْ؟
تَمَزَّقَ جَيْشُ الكُفْرِ، وَانْحَلَّ عِقْدُهُ فَخَابَتْ أَمَانِيهِ، وَأَعْيَتْ وَسَائِلُهْ [٦]

وَقَالَ آخَرُ:

يَا سَقَىٰ اللهُ بِالحِمَىٰ أَهَلَ بَدْرٍ كَمْ بِهِ بَيْنَ حَيِّهِمْ مِنْ شَهِيْدِ
هَلْ نَسِيمُ الْصَّبَا عَلَىٰ نَارِهِمْ مَرَّ فَفِيْهِ أَشُمُّ أَنْفَاسَ عُوْدِ [٧]

=حَاشِيَةِ «فِقْهُ السِّيْرَةِ» (٢٤٣).

(١) «العُمْدَةُ فِي مَحَاسِنِ الشِّعْرِ» (٢/ ١٤٤).

(٢) المَرَاجِل: جَمْعُ مِرْجَلٍ -بِالكَسْرِ- هُوَ القِدْر الكَبِيْرَة مِنَ النُّحَاسِ.

(٣) الجَافِل: الكَثِيْرُ السَّرِيْع.

(٤) الشَّآبِيْب: جَمْعُ شُؤْبُوبٍ، وَهُوَ الدُّفْعَةُ الشَّدِيْدَة مِنَ المَطَرِ.

(٥) الوَابِلُ: أَقْوَىٰ المَطَرِ وَأَضْخَمُهُ قَطْرًا.

(٦) «دِيْوَانُ أَحْمَد مُحَرَّم» (١٠٢٥).

(٧) «دَوَاوِيْنُ الشِّعْرِ العَرَبِيِّ» (٩١/ ٣٧٢).

قَتْلُ كَعْبِ بْنِ الأَشْرَفِ

عَلَيْكَ حَزْمٌ وَأَمْرٌ نَافِذٌ وَعَلَىٰ رَيْبِ الحَوَادِثِ تَسْلِيْمٌ وَإِذْعَانُ(١)

كَعْبُ بْنُ الأَشْرَفِ الْيَهُودِيُّ أَبُوهُ عَرَبِيٌّ مِنْ طَيِّءٍ، وَأُمُّهُ عَقِيْلَةُ بِنْتُ أَبِي الحُقَيْقِ مِنْ بَنِي النَّضِيْرِ، الَّذِيْنَ حَالَفَهُمُ الأَبُ، وَتَزَوَّجَ مِنْهُمْ، وَكَانَ كَعْبٌ شَاعِرًا، يُنَاصِبُ الإِسْلَامَ العِدَاءَ(٢)، وَقَدْ غَاظَهُ انْتِصَارُ المُسْلِمِيْنَ بِبَدْرٍ، وَسَاءَهُ الأَمْرُ، فَزَارَ مَكَّةَ، وَكَانَ يَهْجُو النَّبِيَّ ﷺ(٣).

فَعَنْ عَمْرٍو، سَمِعْتُ جَابِرَ بْنَ عَبْدِ اللهِ يَقُولُ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: مَنْ لِكَعْبِ بْنِ الْأَشْرَفِ، فَإِنَّهُ قَدْ آذَىٰ اللهَ وَرَسُولَهُ؟ فَقَامَ مُحَمَّدُ بْنُ مَسْلَمَةَ فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللهِ، أَتُحِبُّ أَنْ أَقْتُلَهُ؟ قَالَ: نَعَمْ.

قَالَ: فَأْذَنْ لِي أَنْ أَقُولَ شَيْئًا. قَالَ: قُلْ. فَأَتَاهُ مُحَمَّدُ بْنُ مَسْلَمَةَ فَقَالَ: إِنَّ هَذَا الرَّجُلَ قَدْ سَأَلَنَا صَدَقَةً، وَإِنَّهُ قَدْ عَنَّانَا، وَإِنِّي قَدْ أَتَيْتُكَ أَسْتَسْلِفُكَ. قَالَ: وَأَيْضًا وَاللهِ لَتَمَلُّنَّهُ. قَالَ: إِنَّا قَدِ اتَّبَعْنَاهُ، فَلَا نُحِبُّ أَنْ نَدَعَهُ حَتَّىٰ نَنْظُرَ إِلَىٰ أَيِّ شَيْءٍ يَصِيرُ شَأْنُهُ، وَقَدْ أَرَدْنَا أَنْ تُسْلِفَنَا. قَالَ: نَعَمْ. ارْهَنُونِي. قُلْتُ: أَيُّ شَيْءٍ تُرِيدُ؟

---

(١) «دِيْوَانُ ابْنُ سَهْلٍ الأَنْدَلُسِيِّ» (١٤٩).

(٢) انْظُرْ: «سِيْرَةُ ابْنِ هِشَامٍ» (٢/ ٥٦٤)، وَ«فَتْحُ البَارِيِّ» (٧/ ٣٣٧).

(٣) (صَحِيْحٌ) أَخْرَجَهُ أَبُو دَاوُدَ (٣٠٠٠)، وَالبَيْهَقِيُّ فِي «الدَّلَائِل» (٣/ ١٩٧)، وَصَحَّحَهُ الأَلْبَانِيُّ رَحِمَهُ اللهُ فِي «صَحِيْحِ أَبِي دَاوُدَ» (٢٥٩٣).

قَالَ: ارْهَنُونِي نِسَاءَكُمْ. فَقَالُوا: كَيْفَ نَرْهَنُكَ نِسَاءَنَا؟، وَأَنْتَ أَجْمَلُ الْعَرَبِ. قَالَ: فَارْهَنُونِي أَبْنَاءَكُمْ؟، قَالُوا: كَيْفَ نَرْهَنُكَ أَبْنَاءَنَا؟، فَيُسَبُّ أَحَدُهُمْ، فَيُقَالُ: رَهْنٌ بِوَسْقٍ أَوْ وَسْقَيْنِ. هَذَا عَارٌ عَلَيْنَا، وَلَكِنْ نَرْهَنُكَ اللَّأْمَةَ. قَالَ: سُفْيَانُ: يَعْنِي السِّلَاحَ. فَوَاعَدَهُ أَنْ يَأْتِيَهُ لَيْلًا، فَجَاءَهُ لَيْلًا وَمَعَهُ أَبُو نَائِلَةَ، وَهُوَ أَخُو كَعْبٍ مِنَ الرَّضَاعَةِ فَدَعَاهُمْ إِلَىٰ الْحِصْنِ، فَنَزَلَ إِلَيْهِمْ، فَقَالَتْ لَهُ امْرَأَتُهُ: أَيْنَ تَخْرُجُ هَذِهِ السَّاعَةَ؟ وَقَالَ غَيْرُ عَمْرٍو. قَالَتْ: أَسْمَعُ صَوْتًا كَأَنَّهُ يَقْطُرُ مِنْهُ الدَّمُ. قَالَ: إِنَّمَا هُوَ أَخِي مُحَمَّدُ بْنُ مَسْلِمَةَ وَرَضِيعِي أَبُو نَائِلَةَ، إِنَّ الْكَرِيمَ لَوْ دُعِيَ إِلَىٰ طَعْنَةٍ بِلَيْلٍ لَأَجَابَ. قَالَ: وَيَدْخُلُ مُحَمَّدُ بْنُ مُسَلَّمَةَ مَعَهُ رَجُلَيْنِ -.

قِيلَ لِسُفْيَانَ: سَمَّاهُمْ عَمْرٌو؟ قَالَ: سَمَّىٰ بَعْضَهُمْ. قَالَ عَمْرٌو: جَاءَ مَعَهُ بِرَجُلَيْنِ. وَقَالَ غَيْرُ عَمْرٍو: أَبُو عَبْسِ بْنُ جَبْرٍ، وَالْحَارِثُ بْنُ أَوْسٍ، وَعَبَّادُ بْنُ بِشْرٍ - قَالَ عَمْرٌو: جَاءَ مَعَهُ بِرَجُلَيْنِ، فَقَالَ: إِذَا مَا جَاءَ فَإِنِّي قَائِلٌ بِشَعْرِهِ فَأَشُمُّهُ، فَإِذَا رَأَيْتُمُونِي اسْتَمْكَنْتُ مِنْ رَأْسِهِ فَدُونَكُمْ فَاضْرِبُوهُ.

وَقَالَ مَرَّةً: ثُمَّ أُشِمُّكُمْ. فَنَزَلَ إِلَيْهِمْ مُتَوَشِّحًا وَهُوَ يَنْفُخُ مِنْهُ رِيحُ الطِّيبِ، فَقَالَ: مَا رَأَيْتُ كَالْيَوْمِ رِيحًا. أَيْ أَطْيَبَ. وَقَالَ: غَيْرُ عَمْرٍو: قَالَ: عِنْدِي أَعْطَرُ نِسَاءِ الْعَرَبِ وَأَجْمَلُ الْعَرَبِ. قَالَ عَمْرٌو: فَقَالَ أَتَأْذَنُ لِي أَنْ أَشُمَّ رَأْسَكَ؟ قَالَ: نَعَمْ. فَشَمَّهُ ثُمَّ أَشَمَّ أَصْحَابَهُ، ثُمَّ قَالَ: أَتَأْذَنُ لِي؟ قَالَ: نَعَمْ. فَلَمَّا اسْتَمْكَنَ مِنْهُ، قَالَ دُونَكُمْ. فَقَتَلُوهُ، ثُمَّ أَتَوُا النَّبِيَّ ﷺ فَأَخْبَرُوهُ[1].

سَهْمُ الفُؤَادِ ذَكَاؤُهُ مَا مِثْلُهُ ... عِنْدَ العَزِيْمَةِ فِي الأَنَامِ ذَكَاءُ[2]

---

(١) رَوَاهُ البُخَارِيُّ (٤٠٣٧)، وَمُسْلِمٌ (١٨٠١).

(٢) «الأَذْكِيَاءُ» (١٢).

وَقَالَ آخَرُ:

لَـمَّـا تَـمَـرَدْت أَتَـاكَ خَـمْـسَـةٌ   أَسْـيَافُـهُمْ غَـيْـرُ الطَّلا لَـم تَعْرِفِ
خَـلَـوكَ إِذْ عَرِجَتَ عَنْ طَـرِقِ الْهُدَىٰ   حَـلَـفَ الـرَّدَىٰ يَا كَعْبَ يَا ابْنَ الْأَشْرَفِ

إِجْلَاءُ بَنِي قَيْنُقَاعَ:

وَلَـفَّ بِالـجَـيْـشِ حَـيَّـيْ قَيْنُقَـاعَ بِمَا   جَنَـوا فَتَعْسًـا لَهُـم مِنْ مَعْشَـرٍ قَـزَمِ [1]

نَقَـضَ بَنُـو قَيْنُقَـاعَ - أَحَدُ طَوَائِـفِ اليَهُـودِ بِالْمَدِينَـةِ - الْعَهْدَ، وَكَانُـوا تُجَّارًا وَصَاغَةً، وَكَانُوا نَحْو السَّبْعَمِائَةِ مُقَاتِلٍ، فَخَرَجَ رَسُولُ اللهِ ﷺ لِحِصَارِهِ، وَاسْتَخْلَفَ عَلَىٰ المَدِيْنَةِ بِشِيْرَ بْنَ عَبْدِ المُنْذِرِ، فَحَاصَرَهُمْ رَسُـولُ اللهِ ﷺ خَمْسَ عَشْرَةَ لَيْلَةً، وَنَزَلُوا عَلَىٰ حُكْمِهِ ﷺ.

فَشَـفَعَ فِيْهِـمْ عَبْـدُ اللـهِ بْنُ أُبَـيٍّ بْنِ سَـلُولَ؛ لِأَنَّهُـمْ كَانُـوا حُلَفَـاءَ الخَزْرَجِ، وَهُـوَ سَـيِّدُ الخَـزْرَجِ، فَشَـفَعَهُ فِيْهِـمْ بَعْدَمَا أَلَـحَّ عَلَىٰ رَسُـولِ اللـهِ ﷺ وَكَانُوا فِي طَرَفِ المَدِيْنَة»[2].

فَعَـنِ عَبْدِ اللهِ بْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا، قَـالَ: «حَارَبَتِ النَّضِيرُ، وَقُرَيْظَـةُ، فَأَجْلَىٰ بَنِي النَّضِيـرِ، وَأَقَـرَّ قُرَيْظَـةَ وَمَنَّ عَلَيْهِـمْ، حَتَّىٰ حَارَبَتْ قُرَيْظَـةُ، فَقَتَلَ رِجَالَهُمْ، وَقَسَـمَ نِسَاءَهُمْ وَأَوْلَادَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ بَيْنَ المُسْلِمِينَ، إِلَّا بَعْضَهُمْ لَحِقُوا بِالنَّبِيِّ ﷺ فَآمَنَهُمْ وَأَسْلَمُوا، وَأَجْلَىٰ يَهُودَ المَدِينَةِ كُلَّهُمْ: بَنِي قَيْنُقَاعٍ، وَهُمْ رَهْطُ عَبْدِ اللهِ بْنِ سَلَامٍ،

(١) «مَوْسُوعَةُ الشِّعْرِ الإِسْلَامِي» (١٤/ ٦٠٦).
(٢) «الفُصُولُ» (١١١).

وَيَهُودَ بَنِي حَارِثَةَ، وَكُلَّ يَهُودِ المَدِينَةِ»(١).

عُـهُـودٌ كَتَضْلِيْـلِ الأَمَانِـي وَرَاءَهَـا ... وُعُـودٌ كَـمَـا طَـارَ الـهَبَـاءُ المُبَـدَّدُ

أَطَـالَـتْ عَنَاءَ السَّيْفِ، وَالسَّيْفُ مُغْمَدٌ ... وطَاحَـتْ بِهِ فِي الـرَّوْعِ وَهُـوَ مُجَرَّدُ(٢)

(١) رَوَاهُ البُخَارِيُّ (٤٠٢٨)، وَمُسْلِمٌ (١٧٦٦).

(٢) «دِيْوَانُ أَحْمَد مُحَرَّم» (٣٧٧).

غَزْوَةُ بَنِي النَّضِيْرِ

ثُـمَّ اشْـرَأَبَّتْ لِخَفْرِ العَهْدِ مِنْ سَـفَهٍ ... بَنُـو النَّضِيْـرِ؛ فَأَجْلاهُـمْ عَـنْ الأُطُمِ(١)

سَبَبُ غَـزْوَةِ بَنِـي النَّضِيْـرِ هُـوَ مُحَاوَلَتُهُـمْ قَتْلَ رَسُـولِ اللهِ ﷺ بَعْـدَ غَزْوَةِ بَدْرٍ الكُبْرَىٰ.

عَنْ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ كَعْبِ بْنِ مَالِكٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، عَنْ رَجُلٍ مِنْ أَصْحَابِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: كَتَبَتْ كُفَّارُ قُرَيْشٍ بَعْدَ وَقْعَةِ بَدْرٍ إِلَىٰ الْيَهُودِ: إِنَّكُمْ أَهْلُ الْحَلْقَةِ(٢) وَالْحُصُونِ، وَإِنَّكُـمْ لَتُقَاتِلُنَّ صَاحِبَنَا، أَوْ لَنَفْعَلَنَّ كَذَا وَكَذَا، وَلا يَحُولُ بَيْنَنَا وَبَيْنَ خَدَمِ نِسَـائِكُمْ شَيْءٌ: وَهِـيَ الْخَلاخِيلُ، فَلَمَّا بَلَغَ كِتَابُهُمُ النَّبِيَّ ﷺ اجْتَمَعَـتْ بَنُو النَّضِيرِ بِالْغَدْرِ، وَأَرْسَـلُوا إِلَىٰ النَّبِيِّ ﷺ: اخْرُجْ إِلَيْنَا فِي ثَلاثِينَ رَجُـلا مِنْ أَصْحَابِكَ، وَلْيَخْرُجْ مِنَّا ثَلاثُونَ حَبْرًا حَتَّىٰ نَلْتَقِيَ بِمَكَانِ الْمَنْصَفِ، فَيَسْـمَعُوا مِنْكَ، فَإِنْ صَدَّقُوا وَآمَنُوا بِكَ آمَنَّا بِكَ، فَقَصَّ خَبَرَهُمْ.

فَلَمَّا كَانَ الْغَدُ غَدَا عَلَيْهِمْ رَسُـولُ اللـهِ ﷺ بِالْكَتَائِبِ فَحَصَرَهُمْ، فَقَالَ لَهُمْ: «**إِنَّكُـمْ وَاللـهِ لا تَأْمَنُونَ عِنْدِي إِلا بِعَهْـدٍ تُعَاهِدُونَنِي عَلَيْهِ**»، فَأَبَـوْا أَنْ يُعْطُوهُ عَهْدًا، فَقَاتَلُوا يَوْمَهُمْ ذَلِكَ، ثُمَّ غَدَا عَلَىٰ بَنِي قُرَيْظَةَ بِالْكَتَائِبِ وَتَرَكَ بَنِي النَّضِيرِ، وَدَعَاهُمْ إِلَـىٰ أَنْ يُعَاهِـدُوهُ، فَعَاهَـدُوهُ، فَانْصَرَفَ عَنْهُـمْ وَغَدَا إِلَـىٰ بَنِي النَّضِيـرِ بِالْكَتَائِبِ،

---

(١) «مَوْسُوعَةُ الشِّعْرِ الإِسْلاَمِي» (١٥/ ٦٠٦)، وَ اشْرَأَبَّتْ: رَفَعَتْ رَأْسَهَا. والخَفر: نَقْضُ العَهْدِ.

(٢) الْحَلْقَة: -بِإِسْكَانِ اللاَّمِ - الدَّرعِ؛ لأَنَّهَا حِلَقٌ مُسَلْسَلَة.

فَقَاتَلَهُمْ حَتَّىٰ نَزَلُوا عَلَىٰ الْجَلاءِ، فَجَلَتْ بَنُو النَّضِيرِ وَاحْتَمَلُوا مَا أَقَلَّتِ الإِبِلُ مِنْ أَمْتِعَتِهِمْ وَأَبْوَابِ بُيُوتِهِمْ وَخَشَبِهَا.

فَكَانَ نَخْلُ بَنِي النَّضِيرِ لِرَسُولِ اللهِ ﷺ خَاصَّةً، أَعْطَاهُ اللهُ إِيَّاهَا وَخَصَّهُ بِهَا فَقَالَ عَزَّوَجَلَّ: ﴿وَمَآ أَفَآءَ ٱللَّهُ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ مِنْهُمْ فَمَآ أَوْجَفْتُمْ عَلَيْهِ مِنْ خَيْلٍ وَلَا رِكَابٍ﴾ [الحَشْرُ: ٦].

يَقُولُ: بِغَيْرِ قِتَالٍ(١).

---

(١) (صَحِيْحٌ) أَخْرَجَهُ أَبُو دَاوُدَ (٣٠٠٤)، وَصَحَّحَهُ الأَلْبَانِيُّ رَحِمَهُ اللهُ فِي «صَحِيحِ أَبِي دَاوُدَ» (٢٥٩٥).

غَزْوَةُ أُحُدٍ

جَهَّادٌ لَهُ فِي سَاحَةِ المَجْدِ والعُلا مَوَاقِفُ تَبْقَىٰ وَاضِحَاتِ المَعَالِمِ[١]

١ـ سَبَبُ التَّسْمِيَةِ:

سُمِّيَتْ غَزْوَةُ أُحُدٍ بِاسْمِ الجَبَلِ الَّذِي وَقَعَتْ عِنْدَهُ، وَيَقَعُ شَمَالَ المَدِيْنَةِ، وَيَبْعُدُ عَنِ المَسْجِدِ النَّبَوِيِّ خَمْسَةَ أَكْيَالٍ وَنِصْفَ الكَيْلِ[٢]، وَيُقَابِلُهُ مِنْ جِهَةِ الجَنُوبِ جَبَلٌ صَغِيْرٌ يُسَمَّىٰ: «عَيْنَيْنِ»، وَهُوَ الَّذِي عُرِفَ بَعْدَ المَعْرَكَةِ بِجَبَلِ الرُّمَاةِ، وَبَيْنَ الجَبَلَيْنِ وَادٍ، عُرِفَ بِوَادِي قَنَاةٍ.

٢ـ سَبَبُهَا:

أَمَّا سَبَبُ غَزْوَةِ أُحُدٍ هُوَ مَا أُصِيبَتْ بِهِ قُرَيْشٌ فِي عُظَمَائِهَا وَأَئِمَّةِ الكُفْرِ فِيْهَا، يَوْمَ بَدْرٍ، فَمُنْذُ ذَلِكَ اليَوْمِ وَقُلُوبُهُمْ تَغْلِي حِقْدًا وَحَنَقًا وَغَيْظًا عَلَىٰ المُسْلِمِيْنَ، فَعَبَّأَتْ قُوَّتَهَا، وَاسْتَعَانَتْ بِحُلَفَائِهَا، وَخَرَجَتْ فِي ثَلاثَةِ آلافِ مُقَاتِلٍ، وَوَافَتْ مَشَارِفَ المَدِيْنَةِ بَعْدَ سَنَةٍ وَشَهْرٍ تَقْرِيْبًا مِنْ غَزْوَةِ بَدْرٍ، فِي مُنْتَصَفِ شَوَّالٍ مِنَ السَّنَةِ الثَّالِثَةِ لِلهِجْرَةِ عَلَىٰ الصَّحِيْحِ.

٣ـ الاسْتِعْدَادُ لَهَا:

لَمَّا عَلِمَ النَّبِيُّ ﷺ بِخُرُوجِ قُرَيْشٍ، خَرَجَ لِمُلاقَاتِهِمْ فِي أَلْفِ مُقَاتِلٍ، فَلَمَّا

---

(١) «دِيْوَانُ أَحْمَد مُحَرَّم» (١٩٧).

(٢) الكَيْلُ: مُصْطَلَح أَطْلَقَهُ المَجْمَعُ العِلْمِيُّ بِدِمَشْق عَلَىٰ الكِيْلُو مِتْرٍ.

كَانَ فِـي بَعْضِ الطَّرِيْقِ، انْسَحَبَ عَبْدُ اللهِ بْنُ أُبَيٍّ بِثُلُثِ الجَيْشِ، ثَلاثَمِائَةِ مُقَاتِلٍ، وَكَانَ انْسِحَابُهُمْ أَوَّلَ فَائِدَةٍ مِنْ فَوَائِدِ هَذِهِ الغَزْوَة، وَهُوَ تَمْيْزُ المُنَافِقِيْنَ، وَالفَصْلُ بَيْنَهُمْ وبَيْنَ المُؤْمِنِيْنَ.

قَالَ اللهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ: ﴿وَمَآ أَصَٰبَكُمۡ يَوۡمَ ٱلۡتَقَى ٱلۡجَمۡعَانِ فَبِإِذۡنِ ٱللَّهِ وَلِيَعۡلَمَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ﴿١٦٦﴾ وَلِيَعۡلَمَ ٱلَّذِينَ نَافَقُواْۚ وَقِيلَ لَهُمۡ تَعَالَوۡاْ قَٰتِلُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ أَوِ ٱدۡفَعُواْۖ قَالُواْ لَوۡ نَعۡلَمُ قِتَالٗا لَّٱتَّبَعۡنَٰكُمۡۗ هُمۡ لِلۡكُفۡرِ يَوۡمَئِذٍ أَقۡرَبُ مِنۡهُمۡ لِلۡإِيمَٰنِۚ يَقُولُونَ بِأَفۡوَٰهِهِم مَّا لَيۡسَ فِي قُلُوبِهِمۡۗ وَٱللَّهُ أَعۡلَمُ بِمَا يَكۡتُمُونَ ﴿١٦٧﴾﴾ [آلُ عِمْرَان: ١٦٦-١٦٧].

٤ـ تَنْظِيْمُ الجُيُوْشِ:

وَشَهِدْتُ نُورَ اللهِ لَيْسَ بِآفِلٍ وَالدِّيْنُ وَالدُّنْيَا عَلَىٰ تَرْتِيْبِ[(١)]

تَقَدَّمَ الجَيْشُ الإِسْلَامِيُّ إِلَىٰ مَيْدَانِ أُحُدٍ، وَاتَّخَذَ مَوَاقِعَهُ بِمُوجَبِ خُطَّةٍ مُحْكَمَةٍ، نَظَّمَ الرَّسُولُ اللهِ ﷺ صُفُوفَ جَيْشِهِ، جَاعِلًا ظُهُورَهُمْ إِلَىٰ جَبَلِ أُحُدٍ، وَوُجُوهَهُمْ تَسْتَقْبِلُ المَدِيْنَةَ، وَجَعَلَ خَمْسِيْنَ مِنْ الرُّمَاةِ بِقِيَادَةِ عَبْدِ اللهِ بْنِ جُبَيْرٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ فَوْقَ جَبَلِ عَيْنَيْنِ المُقَابِلِ لِأُحُدٍ؛ لِحِمَايَةِ المُسْلِمِيْنَ مِنِ التِفَافِ خَيَّالَةِ المُشْرِكِيْنَ عَلَيْهِمْ، وَشَدَّدَ عَلَيْهِ بِلزُومِ أَمَاكِنِهِمْ بِقَوْلِهِ - كَمَا فِي حَدِيْثِ البَرَاءِ بْنِ عَازِبٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: «**إِنْ رَأَيْتُمُونَا تَخْطَفُنَا الطَّيْرُ فَلا تَبْرَحُوا مِنْ مَكَانِكُمْ حَتَّىٰ أُرْسِلَ إِلَيْكُمْ، وَإِنْ رَأَيْتُمُونَا هَزَمْنَا الْقَوْمَ وَأَوْطَأْنَاهُمْ، فَلا تَبْرَحُوا حَتَّىٰ أُرْسِلَ إِلَيْكُمْ**»[(٢)].

وَبِذَلِكَ سَيْطَرَ المُسْلِمُونَ عَلَىٰ المُرْتَفعَاتِ، تَارِكِيْنَ الوَادِي لِجَيْشِ قُرَيْشٍ

(١) «دِيْوَانُ لِسَانُ الدِّيْن الخَطِيْبِ» (٦٩).

(٢) رَوَاهُ البُخَارِيُّ (٣٨١٧).

الَّـذِي تَقَـدَّمَ وَهُوَ يُوَاجِهُ أُحُدًا، وَظَهْرُهُ إِلَىٰ المَدِيْنَةِ، وَظَاهَرَ رَسُـولُ اللهِ ﷺ يَوْمَئِذٍ بَيْـنَ دِرْعَيْنِ، وَأَعْطَىٰ اللِّـوَاءَ مُصْعَبَ بْنَ عُمَيْرٍ، وَجعَلَ علَىٰ إِحْـدَىٰ المُجَنِّبَتَيْنِ[١]: الزُّبَيْرَ بْنَ العَوَّامِ، وَعَلَىٰ المُجَنِّبَةِ الأَخْرَىٰ المُنْذِرَ بْنُ عَمْرٍو.

٥ـ الْتِقَاءُ الصَّفَّيْنِ:

وَلَـمَّـا الـتَقَـىٰ الصَّفَّـانِ فَـرَّقَ بَيْنَنَا بَرِيْقُ ضِرَابِ البِيْضِ وَالأَسَـلُ السُّـمْرُ[٢]

تَعَبَّأَتْ قُرَيْـشٌ، فَجَعَلُوا عَلَـىٰ مَيْمَنَتِهِـمْ خَالِدَ بْـنَ الوَلِيْدِ، وَعَلَىٰ المَيْسَـرَةِ عِكْرِمَـةَ بْنِ أَبِـي جَهْلٍ، وَالْتَقَىٰ الصَّفَّانِ، وَبَدَأَ القِتَالُ بِانْتِصَارٍ سَـاحِقٍ لِلمُسْـلِمِيْنَ، لَوْلاَ مُخَالَفَةُ الرُّمَاةِ، لَمْ تَقُمْ لِلمُشْرِكِيْنَ قَائِمَةٌ.

قَـالَ ابْـنُ كَثِيْـرٍ رَحِمَهُ اللهُ: «كَانَـتْ الدَّوْلَـةُ أَوَّلَ النَّهَارِ لِلمُسْـلِمِيْنَ عَلَـىٰ الكُفَّارِ، فَانْهَزَمُوا رَاجِعِيْنَ، حَتَّىٰ وَصَلُوا إِلَىٰ نِسَائِهِمْ.

فَلَمَّـا رَأَىٰ ذَلِـكَ الرُّمَاةُ أَصْحَـابُ عَبْدِ اللهِ بْنِ جُبَيْـرٍ؛ قَالُوا: يَاقَـوْمُ، الغَنِيْمَةَ الغَنِيْمَـةَ، فَذَكَّرَهُمْ عَبْدُ اللهِ بْنِ جُبَيْرٍ تَقْدِيْمُ[٣] رَسُـولِ اللـهِ ﷺ إِلَيْهِ فِي ذَلِكَ، فَظَنُّوا أَنْ لَيْـسَ لِلمُشْـرِكِيْنَ رَجْعَةٌ وَأَنَّهُـمْ لاَ تَقُومُ لَهُمْ قَائِمَةٌ بَعْدَ ذَلِـكَ، فَذَهَبُوا فِي طَلَبِ الغَنِيْمَةِ»[٤].

---

(١) المُجَنِّبَتَيْنِ: جَنَاحَا الجَيْش: المَيْمَنَةُ وَالمَيْسَرَةُ، أَيْ: كَتِيْبَتَانِ مِنَ الخَيْلِ أَخَذَتَا جَانِبَيِ الطَّرِيْقِ.

(٢) «دِيْوَانُ ابْنُ المُعْتَزِّ» (٦٩)، وَالبَيْض: جَمْعُ بَيْضَةٍ، وَهِيَ الخُوذَةِ مِنَ الحَدِيْدِ تُجْعَلُ عَلَىٰ الرَّأْس. وَالأَسْل- بِفَتْحَتَيْنِ- الرِّمَاح.

(٣) تَقْدِيْمُ: يُرِيْدُ بِهِ عَهْدُ رَسُولُ اللهِ ﷺ إِلَيْهِ بِعَدَمِ النُّزُولِ مَهْمَا كَانَتْ نَتِيْجَةُ الحَرْبِ.

(٤) انْظُرْ: «الفُصُولُ فِي سِيْرَةِ الرَّسُولِ» لابْنِ كَثِيْرٍ (١٤٧).

٦ ـ انْقِلَابُ المُشْرِكِيْنَ عَلَى المُسْلِمِيْنَ:

قَـوْمٌ لهمْ فِي الوَغَىٰ مِـنْ خَوْفِ رَبهمُ ... حُـسْـنُ ابْتِلَاءٍ، وَفِي الطَّاعَاتِ تَبْتِيْلُ (١)

لَمَّا تَرَكَ الرُّمَاةُ مَوْقِعَهُمْ، وَخَالَفُوا أَمْرَ رَسُـولِ اللهِ ﷺ لَهُمْ بِحِفْظِهِ حِيْنَ قَالَ لَهُـمْ: «**إِنْ رَأَيْتُمُونَـا تَخْطَفُنَـا الطَّيْرُ، فَلَا تَبْرَحُوا حَتَّىٰ أُرْسِـلَ إِلَيْكُـمْ، وَإِنْ رَأَيْتُمُونَا ظَهَرْنَا عَلَىٰ الْعَدُوِّ وَأَوْطَأْنَاهُمْ، فَلَا تَبْرَحُوا حَتَّىٰ أُرْسِلَ إِلَيْكُمْ**»(٢).

لَكِنَّهُـمْ خَالَفُـوا، فَوَجَـدَ المُشْـرِكُونَ أَنَّ تِلْـكَ الثَّغْرَةَ قَـدْ خَلَتْ مِـنَ الرُّمَاةِ، فَجَاوَزُوهَـا وَتَمَكَّنُـوا، وَأَقْبَلَ آخِرُهُمْ، فَكَانَ مَا أَرَادَ اللهُ كَوْنَهُ، فَاسْتُشْـهِدَ مَنْ أَكْرَمَ اللهُ بِالشَّهَادَةِ مِنَ المُؤْمِنِيْنَ، فَقُتِلَ جَمَاعَةٌ مِنْ أَفَاضِلِ الصَّحَابَةِ، وَتَوَلَّىٰ أَكْثَرُهُمْ.

وَخَلَصَ المُشْـرِكُونَ إِلَىٰ رَسُـولِ اللهِ ﷺ فَجُـرِحَ وَجْهُهُ الكَرِيْمُ، وَكُسِـرَتْ رُبَاعِيَّتُهُ اليُمْنَىٰ السُّفْلَىٰ بِحَجَرٍ، حَتَّىٰ وَقَعَ لِشِقِّهِ، وَسَقَطَ فِي حُفْرَةٍ مِنَ الحُفَرِ، فَأَخَذَ عَلَـيٌّ بِيَـدِهِ، وَاحْتَضَنَـهُ طَلْحَةُ بْنُ عُبَيْدِ اللهِ، وَنَشَـبَتْ حَلَقَتَانِ مِنْ حِلَـقِ المِغْفَرِ فِي وَجْهِهِ ﷺ، فَانْتَزَعَهَا أَبُو عُبَيْدَةَ بْنُ الجَرَّاحِ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ(٣).

فِـي كُلِّ بَلْـوَىٰ تُصِيْـبُ الْمَـرْءَ عَافِيَةٌ ... إِلَّا الْبَـلَاءُ الَّـذِي يُدْنِـي مِـنَ النَّـارِ
ذَاكَ الْبَـلَاءُ الَّـذِي مَـا فِيْـهِ عَافِـيَـةٌ ... مِـنَ العَـذَابِ، وَلَا سِـتْرٌ مِـنَ العَـارِ (٤)

---

(١) «دَوَاوِيْنُ الشِّعْرِ العَرَبِيِّ» (٩/ ٦٤).
(٢) رَوَاهُ البُخَارِيُّ (٣٨١٧).
(٣) رَوَاهُ البُخَارِيُّ (٢٩١١)، وَمُسْلِمٌ (١٧٩٠).
(٤) «الأَمَالِي فِي لُغَةِ العَرَبِ» (٢/ ٩٦).

٧ـ دِفَاعُ الصَّحَابَةِ عَنْ نَبِيِّهِمْ ﷺ:

يَسْتَعْرِضُونَ المَنَايَا فِي كَتَائِبِهِمْ جُحَاجِحٌ مِنْ أُسُودِ اللهِ أَبْطَالُ[1]

أَدْرَكَ المُشْرِكُونَ رَسُولَ اللهِ ﷺ، فَحَالَ دُوْنَهُ نَفَرٌ مِنَ المُسْلِمِيْنَ نَحْو مِنْ عَشَرَةٍ، فَقُتِلُوا[2]، ثُمَّ جَالَدَهُمْ طَلْحَةُ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ حَتَّىٰ أَجْهَضَهُمْ عَنْهُ ﷺ[3].

وَرَمَىٰ سَعْدُ بْنِ أَبِي وَقَّاصٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ يَوْمَئِذٍ رَمْيًا مُسَدَّدًا مُنْكِئًا بَيْنَ يَدَيْ رَسُولِ اللهِ ﷺ فَقَالَ لَهُ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**ارْمِ سَعْدُ، فِدَاكَ أَبِي وَأُمِّي**»[4].

وَوَقَىٰ طَلْحَةُ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ بِيَدِهِ عَنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ حَتَّىٰ شُلَّتْ[5]،وَانْهَزَمَ النَّاسُ عَنْهُ،وَأَبُو طَلْحَةَ بَيْنَ يَدَيْهِ ﷺ مُجَوِّبٌ عَلَيْهِ[6]،بِحَجْفَةٍ لَهُ[7]،وَكَانَ أَبُو طَلْحَةَ رَجُلًا رَامِيًا شَدِيْدَ النَّزْعِ، كَسَرَ يَوْمَئِذٍ قَوْسَيْنِ أَوْ ثَلاثًا، وَكَانَ الرَّجُلُ يَمُرُّ مَعَهُ بِجُعْبَةٍ مِنَ النَّبْلِ، فَيَقُولُ: انْثُرْهَا لِأَبِي طَلْحَةَ.قَالَ: «فَيُشْرِفُ نَبِيُّ اللَّهِ ﷺ فَيَنْظُرُ إِلَىٰ الْقَوْمِ،فَيَقُولُ أَبُو طَلْحَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: يَا نَبِيَّ اللَّهِ، بِأَبِي أَنْتَ وَأُمِّي،لا تُشْرِفْ[8]،يُصِيبُكَ سَهْمٌ مِنْ سِهَامِ الْقَوْمِ نَحْرِي دُونَ نَحْرِكَ»[9].

---

(١) «دَوَاوِيْنُ الشِّعْرِ العَرَبِيِّ» (٨٧/ ٤٧٠)، وَ جُحَاجِحٌ: جَمْعُ جُحْجَاجٍ: وَهُوالسَّيِّدُ.

(٢) رَوَاهُ مُسْلِمٌ (١٧٨٩).

(٣) رَوَاهُ البُخَارِيُّ (٤٠٦٣).

(٤) رَوَاهُ البُخَارِيُّ (٤٠٥٥)، وَمُسْلِمٌ (٢٤١٢).

(٥) رَوَاهُ البُخَارِيُّ (٤٠٦٣).

(٦) مُجَوِّب: مُتَرِّس.

(٧) الجَحْفَة - بِفَتْحَتَيْنِ -: تُرس صَغِير يُطَارَقُ بَيْنَ جِلْدَيْنِ (أَيْ: يُجْعَلُ احَدهُمَا فَوْقَ الآخر).

(٨) لَا تَشَرَّفْ أَيْ: لَا تَرْفَعْ رَأْسَكَ لِتَنْظُرَ.

(٩) رَوَاهُ البُخَارِيُّ (٤٠٦٤)، وَمُسْلِمٌ (١٨١١).

٨ـ انْسِحَابُ المُسْلِمِيْنَ:

وَأَنَّـــكَ فَـيْــضٌ ذُو سِــجَـالٍ غَزِيرَةٍ ... يَـنَــالُ الأَعَـادِي نَـفْعَهَـا وَالأَقَارِبُ[١]

أَصْبَحَ المُسْـلِمُونَ فِي أَمْرٍ مَرِيْجٍ، فَصَـرَخَ إِبْلِيْسُ -لَعَنْهُ اللهُ-: أَيْ عِبَادِ اللهِ، أُخْرَاكُمْ[٢]، فَرَجَعَتْ أُوْلَاهُمْ، فَاجْتَلَدَتْ هِيَ وَأُخْرَاهُمْ[٣].

وَبَعْدَهَـا بَـدَأَ الرَّسُـولُ اللـهِ ﷺ بِالانْسِـحَابِ نَحْوَ شِـعَابِ أُحُـدٍ، وَلَحِقَ بِهِ المُسْلِمُونَ، حَتَّىٰ صَعِدَ فِي أَحَدِ شِعَابِهِ، وَتَمَكَّنَ المُسْلِمُونَ مِنْ صَدِّ المُشْرِكِيْنَ عَنْهُ ﷺ.

وَمَـا ابْـتَـلَاهُـمْ لِإِعْـنَـاتٍ وَلَا عَـبَـثٍ ... وَلَا لِـجَـهْـلٍ بِـمَـا يَـطْـوِيْـه إِبْطَانُ

لَـكِـنْ لِيُثْبِـتَ فِي الأَعْنَـاقِ حُجَّتَـهُ ... وَيُحْسِـنُ العَفْوَ، والرَّحمَـنُ رَحْمَانُ[٤]

٩ـ نُزُولُ النُّعَاسِ:

فَـلَـمَّـا انْـجَـلَـىٰ عَنْـهُ النُّعَـاسُ كَأَنَّـهُ ... هِـلَالٌ سَـرَتْ عَنْـهُ الغُيُـومُ سَـوَارِيَا[٥]

كَانَ المُسْـلِمُونَ مُغْتَمِّيْنَ لِمَا أَصَابَ رَسُـولَ اللهِ ﷺ، وَلِمَا أَصَابَهُمْ؛ فَأَنْزَلَ اللهُ ﷻ عَلَيْهِمُ النُّعَاسَ، فَنَامُوا يَسِيْرًا، ثُمَّ أَفَاقُوا، وَقَدْ زَالَ عَنْهُمُ الخَوْفُ، وَامْتَلَأَتْ نُفُوسُهُمْ طُمَأْنِيْنَةً.

---

(١) «دَوَاوِيْنُ الشِّعْرِ العَرَبِيِّ» (١٥/ ٣٣).

(٢) أُخْرَاكُمْ أَيْ: اقْتُلُوا أَوِ انْصُرُوا أُخْرَاكُمْ.

(٣) رَوَاهُ البُخَارِيُّ (٤٠٦٥).

(٤) «دَوَاوِيْنُ الشِّعْرِ العَرَبِيِّ» (٧٥/ ٢٢٩)، وَالإِعْنَات: الإِيْقَاعُ فِي الهَلَاكِ والمَشَقَّةِ.

(٥) «دَوَاوِيْنُ الشِّعْرِ العَرَبِيِّ» (٨٩/ ١٣٩).

قَالَ اللهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿ثُمَّ أَنزَلَ عَلَيْكُم مِّنۢ بَعْدِ ٱلْغَمِّ أَمَنَةً نُّعَاسًا يَغْشَىٰ طَآئِفَةً مِّنكُمْ ۖ وَطَآئِفَةٌ قَدْ أَهَمَّتْهُمْ أَنفُسُهُمْ يَظُنُّونَ بِٱللَّهِ غَيْرَ ٱلْحَقِّ ظَنَّ ٱلْجَٰهِلِيَّةِ ۖ يَقُولُونَ هَل لَّنَا مِنَ ٱلْأَمْرِ مِن شَىْءٍ ۗ قُلْ إِنَّ ٱلْأَمْرَ كُلَّهُۥ لِلَّهِ ۗ﴾ [آل عِمْرَان: ١٥٤].

وَالطَّائِفَةُ الَّتِي أَهَمَّتَهَا نَفْسُهَا هُمُ المُنَافِقُونَ.

وَلاَ شَكَّ أَنَّ النُّعَاسَ أَعَادَ لِلمُسْلِمِيْنَ بَعْضَ طَاقَتِهِمْ، وَنَشَّطَهُمْ لِلدِّفَاعِ عَنْ أَنْفُسِهِمْ خِلاَلَ الانْسِحَابِ.

قَالَ أَبُو طَلْحَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: «كُنْتُ فِيمَنْ تَغَشَّاهُ النُّعَاسُ يَوْمَ أُحُدٍ، حَتَّىٰ سَقَطَ سَيْفِي مِنْ يَدِي مِرَارًا يَسْقُطُ وَآخُذُهُ، وَيَسْقُطُ فَآخُذُهُ»[١].

أُولَـئِكَ قَـوْمٌ شَـيَّدَ اللَّـهُ فَخْرَهُـم ... فَـمَا فَوْقَهُـم فَخْـرٌ وَإِن عَظُـمَ الفَخْـرُ
أُنَـاسٌ إِذَا مَـا الـدَّهْـرُ أَظْلَـمَ وَجْهُـهُ ... فَـأَيْدِيهُـمْ بِـيْـضٌ وَأَوجُهُهُـمْ زُهْـرُ[٢]

١٠ ـ فَشَلُ المُشْرِكِيْنَ فِي حَسْمِ المَعْرَكَةِ:

وَيُسْرٌ حَسَمْتَ العُسْرَ عَنْهُمْ بِصُنْعِهِ ... كَمَا حَسَمَ الإِسْلاَمُ مَا صَنَعَ الكُفْرُ[٣]

فَشِلَ المُشْرِكُونَ فِي إِنْهَاءِ المَعْرَكَةِ بِنَصْرٍ حَاسِمٍ، وَتَعِبُوا مِنْ طُولِهَا، وَمِنْ جَلاَدَةِ المُسْلِمِيْنَ، فَكَفُّوا عَنْ مُطَارَدَتِهِمْ فِي شِعَابِ أُحُدٍ، وَلَكِنَّ أَبَا سُفْيَانَ تَقَدَّمَ مِنْ المُسْلِمِيْنَ وَخَاطَبَهُمْ فَقَالَ:

---

(١) رَوَاهُ البُخَارِيُّ (٤٠٦٨).

(٢) «أَمَالِي القَالِي» (١/ ٥٤).

(٣) «دَوَاوِيْنُ الشِّعْرِ العَرَبِيِّ» (٧/ ٣٠٣).

أَفِي القَوْمِ مُحَمَّدٌ ثَلاَثَ مَرَّاتٍ، فَنَهَاهُمُ النَّبِيُّ ﷺ أَنْ يُجِيبُوهُ، ثُمَّ قَالَ: أَفِي القَوْمِ ابْنُ أَبِي قُحَافَةَ؟ ثَلاَثَ مَرَّاتٍ، ثُمَّ قَالَ: أَفِي القَوْمِ ابْنُ الخَطَّابِ؟ ثَلاَثَ مَرَّاتٍ، ثُمَّ رَجَعَ إِلَىٰ أَصْحَابِهِ فَقَالَ: أَمَّا هَؤُلاَءِ، فَقَدْ قُتِلُوا، فَمَا مَلَكَ عُمَرُ نَفْسَهُ، فَقَالَ: كَذَبْتَ وَاللهِ يَا عَدُوَّ اللهِ، إِنَّ الَّذِينَ عَدَدْتَ لَأَحْيَاءٌ كُلُّهُمْ، وَقَدْ بَقِيَ لَكَ مَا يَسُوْءُكَ.

قَالَ: يَوْمٌ بِيَوْمِ بَدْرٍ، وَالحَرْبُ سِجَالٌ، إِنَّكُمْ سَتَجِدُونَ فِي القَوْمِ مُثْلَةً، لَمْ آمُرْ بِهَا وَلَمْ تَسُؤْنِي، ثُمَّ أَخَذَ يَرْتَجِزُ: أُعْلُ هُبَلْ، أُعْلُ هُبَلْ.

قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «**أَلاَ تُجِيبُوا لَهُ**»، قَالُوا: يَا رَسُولَ اللهِ، مَا نَقُولُ؟ قَالَ: «**قُولُوا: اللهُ أَعْلَىٰ وَأَجَلُّ**»، قَالَ: إِنَّ لَنَا العُزَّىٰ وَلاَ عُزَّىٰ لَكُمْ، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «**أَلاَ تُجِيبُوا لَهُ؟**»، قَالَ: قَالُوا: يَا رَسُولَ اللهِ، مَا نَقُولُ؟، قَالَ: «**قُولُوا اللهُ مَوْلاَنَا، وَلاَ مَوْلَىٰ لَكُمْ**»(١).

فَكَانَ يَوْمًا عَتِيدَ البَأْسِ نَالَ بِهِ ... كِلَا الفَرِيْقَيْنِ جَهْدًا وَارِيَ الحَدَمِ
أَوْدَىٰ بِهِ حَمْزَةُ الصِّنْدِيْدُ فِي نَفَرٍ ... نَالُوا الشَّهَادَةَ تَحْتَ العَارِضِ الرَّزِمِ
أَحْسِن بِهَا مَيْتَةً أَحْيَوا بِهَا شَرَفًا ... وَالمَوتُ فِي الحَرْبِ فَخْرُ السَّادَةِ القُدُمِ(٢)

١١ـ سَبَبُ انْكِسَارِ المُسْلِمِيْنَ فِي أُحُدٍ:

وَمَا بِرَسُولِ اللهِ إِذْ نَالَهُ الأَذَىٰ ... سِوَىٰ مَا ارْتَضَتْ أَخْلاَقُهُ وَشَمَائِلُهْ(٣)

تَسَاءَلَ الصَّحَابَةُ - رِضْوَانُ اللهِ عَلَيْهِمْ - عَنْ سَبَبِ هَذَا الانْكِسَارِ، فَكَانَ الرَّدُّ

(١) رَوَاهُ البُخَارِيُّ (٣٠٣٩).
(٢) «مَوْسُوعَةُ الشِّعْرِ الإِسْلاَمِي» (١٤/ ٦٠٦).
(٣) «دِيْوَانُ أَحْمَد مُحَرَّم» (١٠٢٥).

الحَاسِمُ: ﴿أَوَلَمَّآ أَصَٰبَتۡكُم مُّصِيبَةٞ قَدۡ أَصَبۡتُم مِّثۡلَيۡهَا قُلۡتُمۡ أَنَّىٰ هَٰذَاۖ قُلۡ هُوَ مِنۡ عِندِ أَنفُسِكُمۡۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٞ ١٦٥﴾ [آلُ عِمْرَان: ١٦٥].

فِيْهِ إِجْمَالٌ بَيَّنَهُ اللهُ ﷻ بِقَوْلِهِ: ﴿وَلَقَدۡ صَدَقَكُمُ ٱللَّهُ وَعۡدَهُۥٓ إِذۡ تَحُسُّونَهُم بِإِذۡنِهِۦۖ حَتَّىٰٓ إِذَا فَشِلۡتُمۡ وَتَنَٰزَعۡتُمۡ فِي ٱلۡأَمۡرِ وَعَصَيۡتُم مِّنۢ بَعۡدِ مَآ أَرَىٰكُم مَّا تُحِبُّونَۚ مِنكُم مَّن يُرِيدُ ٱلدُّنۡيَا وَمِنكُم مَّن يُرِيدُ ٱلۡأٓخِرَةَۚ ثُمَّ صَرَفَكُمۡ عَنۡهُمۡ لِيَبۡتَلِيَكُمۡۖ وَلَقَدۡ عَفَا عَنكُمۡۗ وَٱللَّهُ ذُو فَضۡلٍ عَلَى ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ١٥٢﴾ [آلُ عِمْرَان: ١٥٢].

«فَفِي هَذِهِ الْفَتْوَىٰ السَّمَاوِيَّةِ بَيَانٌ وَاضِحٌ؛ لِأَنَّ سَبَبَ تَسْلِيطِ الْكُفَّارِ عَلَىٰ الْمُسْلِمِينَ هُوَ فَشَلُ الْمُسْلِمِينَ، وَتَنَازُعُهُمْ فِي الْأَمْرِ، وَعِصْيَانُهُمْ أَمْرَهُ ﷺ، وَإِرَادَةُ بَعْضِهِمُ الدُّنْيَا مُقَدَّمًا لَهَا عَلَىٰ أَمْرِ الرَّسُولِ ﷺ»[1].

وَنَحْنُ نَعْلَمُ أَنَّ الْمُسْلِمِينَ حَقَّقُوا بِدَايَةَ الأَمْرِ انْتِصَارًا بَاهِرًا فِي أَوَّلِ النَّهَارِ بِعَوْنٍ مِنَ اللهِ وَتَوْفِيْقِهِ وَنَصْرِهِ، ثُمَّ حَدَثَ مِنَ الرُّمَاةِ مُخَالَفَةُ أَمْرِ رَسُولِ ﷺ بِعَدَمِ مُغَادَرَةِ أَمَاكِنِهِمْ أَعَلَىٰ الجَبَلِ مَهْمَا حَدَثَ إِلَّا بِإِذْنِهِ ﷺ وَقَدْ قَالَ لَهُمْ: «**إِنْ رَأَيْتُمُونَا تَخْطَفُنَا الطَّيْرُ فَلا تَبْرَحُوا مِنْ مَكَانِكُمْ حَتَّىٰ أُرْسِلَ إِلَيْكُمْ، وَإِنْ رَأَيْتُمُونَا هَزَمْنَا الْقَوْمَ وَأَوْطَأْنَاهُمْ**[2]**، فَلا تَبْرَحُوا حَتَّىٰ أُرْسِلَ إِلَيْكُمْ**»[3].

فَمَا أَعْظَمَهُ مِنْ تَأْكِيْدٍ عَلَىٰ عَدَمِ المُخَالَفَةِ؛ لَكِنْ لَمَّا حَصَلَتِ المُخَالَفَةُ، حَلَّتْ بِالْمُسْلِمِينَ الهَزِيْمَةُ، فَتَحَوَّلَتْ الرِّيَاحُ لِتَكُونَ مَعَ الكَافِرِيْنَ، وَأَذِنَ اللهُ لَهُمْ أَنْ يَهْزِمُوا

---

(١) «أَضْوَاءُ البَيَانِ» لِلشَّنْقِيْطِيِّ رَحِمَهُ اللهُ (٤/ ٩١).

(٢) أَوْطَأْنَاهُمْ أَيْ: أَوْطَأْنَاهُمْ خَيْلَنَا، أَيْ: جَعَلْنَاهُمْ تَحْتَ حَوَافِرِهَا.

(٣) رَوَاهُ البُخَارِيُّ (٣٨١٧).

الْمُسْلِمِينَ، وَيَقْتُلُوا مِنْهُمْ سَبْعِيْنَ رَجُلًا، وَكَانَ مِنْ بَيْنِهِمْ أَسَدُ اللهِ حَمْزَةُ، وَمُصْعَبُ بْنُ عُمَيْرٍ، وَعَبْدُ اللهِ بْنُ جَحْشٍ، وَسَعْدُ بْنَ الرَّبِيْعِ، وَأَنَسُ بْنُ النَّضِيرِ، وَغَيْرُهُمْ مِنْ كِبَارِ الصَّحَابَةِ ﷺ وَفَوْقَ ذَلِكَ أُصِيْبَ الرَّسُولُ ﷺ إِصَابَاتٍ بَالِغَةً، وَكُلُّ ذَلِكَ لَمْ يَكُنْ بِسَبَبِ قُوَّةِ الكُفَّارِ، وَلَكِنْ بِسَبَبِ مُخَالَفَةِ الرُّمَاةِ أَوَامِرُ الرَّسُولِ ﷺ.

وَمَا بِرَسُولِ اللهِ إِذْ نَالَهُ الأَذَىٰ ... سِوَىٰ مَا ارْتَضَتْ أَخْلَاقُهُ وَشَمَائِلُهْ
نَبِيٌّ يُحِبُّ اللهُ حُبَّ مُجَاهِدٍ ... يَرَىٰ دَمَّهُ مِنْ حَقِّهِ فَهُوَ بَاذِلُهْ
يُعَظِّمُهُ فِي نَفْسِهِ وَيُطِيْعُهُ ... وَمَا يَقْضِ مِنْ أَمْرٍ لَهُ فَهْوَ قَابِلُهْ
كَذَلِكَ كَانَ المُسْلِمُونَ الْأُلَىٰ مَضَوْا ... فَيَالَكَ عَصْرًا يَبْعَثُ الحُزْنَ زَائِلُهْ! (١)

وَقَالَ آخَرُ:

وَشُجَّ وَجْهِكَ ثَمَّ الْجَيْشُ فِيْ أَحَدٍ ... يَعُوْدُ مَا بَيْنَ مَقْتُوْلٍ وَمُنْهَزِمِ
وَرَغْمَ تِلْكَ الرَّزَايَا وَالْخُطُوبِ وَمَا ... رَأَيْتَ مِنْ لَوْعَةٍ كُبْرَىٰ وَمِنْ أَلَمِ
مَا كُنْتُ تُحَمِّلُ إِلَا قَلْبَ مُحْتَسِبٍ ... فِيْ عَزْمِ مُتَّقِدٍ فِيْ وَجْهِ مُبْتَسِمِ (٢)

---

(١) «دِيْوَانُ أَحْمَد مُحَرَّم» (١٠٢٥).
(٢) «مَوْسُوعَةُ الشِّعْرِ الإِسْلاَمِي» (٧٦/ ٥٦٠).

غَزْوَةُ حَمْرَاءِ الأَسَدِ

إِنَّ الأُسُودَ أُسُودَ الغِيلِ هِمَّتُهَا ... يَوْمَ الكَرِيْهَةِ فِي المَسْلُوبِ لَا السَّلَبِ[1]

عَقِبَ غَزْوَةِ أُحُدٍ أَشْفَقَ النَّبِيُّ ﷺ مِنْ عَوْدَةِ قُرَيْشٍ إِلَىٰ المَدِيْنَةِ، فَنَدَبَ المُسْلِمِيْنَ إِلَىٰ النُّهُوضِ فِي أَثَرِهِمْ، فَانْتَدَبَ مِنْهُمْ سَبْعُونَ رَجُلًا، وَكَانُوا مُثْقَلِيْنَ بِالجُرُوحِ، حَتَّىٰ بَلَغُوا حَمْرَاءَ الأَسَدِ.

عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهَا قَالَتْ لِعُرْوَةَ: يَا ابْنَ أُخْتِي، كَانَ أَبُوكِ مِنْهُمُ، الزُّبَيْرُ وَأَبُو بَكْرٍ، لَمَّا أَصَابَ رَسُولَ اللهِ ﷺ مَا أَصَابَ يَوْمَ أُحُدٍ وَانْصَرَفَ عَنْهُ الْمُشْرِكُونَ، خَافَ أَنْ يَرْجِعُوا، قَالَ: «مَنْ يَذْهَبُ فِي إِثْرِهِمْ؟»، فَانْتَدَبَ مِنْهُمْ سَبْعُونَ رَجُلًا، قَالَ: كَانَ فِيهِمْ أَبُو بَكْرٍ وَالزُّبَيْرُ[2].

قَالَ أُسْتَاذُنَا عَبْدُ الكَرِيْمِ العِمَادُ -حَفِظَهُ اللهُ-:

لَمْ يُثْنِهِ هَوْلُ مَا لَاقَىٰ، وَلَوْ وَقَعَتْ ... تِلْكَ الكُرُوبُ عَلَىٰ الأَطْوَادِ لَمْ تَقُمِ

عَزِيْمَةٌ رَافَقَتْهَا هِمَّةٌ سَبَقَتْ ... كُلَّ العَزَائِمِ بَيْنَ الخَلْقِ والهِمَمِ

---

(١) «دِيْوَانُ أَبِي تَمَّامٍ» (٢٢)، الغِيلِ -بِالكَسْرِ وَيُفْتَحُ- الغَابَةُ وَالأَجَمَةُ.

(٢) رَوَاهُ البُخَارِيُّ (٤٠٧٧).

بَعْثُ الرَّجِيعِ

بَـاعُـوا نَـفَـائِسَـهُـمْ مِنْـهُ وَأَنْفُسَـهُـمْ ... بِـجَنَّـةِ الخُلْـدِ بَيْعًـا رَابِحًـا فَشَـرَىٰ [1]

بَعْدَ أُحُدٍ بَعَثَ رَسُولُ اللهِ ﷺ بَعْثَ الرَّجِيعِ، وَكَانُوا عَشَرَةَ رَهْطٍ، وَأَمَّرَ عَلَيْهِمْ عَاصِمَ بْنَ ثَابِتٍ الأَنْصَارِي وَهُوَ جَدُّ عَاصِمِ بْنِ عُمَرَ بْنِ الخَطَّابِ، فَانْطَلَقُوا حَتَّىٰ إِذَا كَانَ بَيْنَ عُسْفَانَ وَمَكَّةَ ذُكِرُوا لِحَيٍّ مِنْ هُذَيْلٍ يُقَالُ لَهُمْ: بَنُو لَحْيَانَ، فَتَبِعُوهُمْ بِقَرِيبٍ مِنْ مِائَةِ كُلُّهُمْ رَامٍ، فَاقْتَصُّوا آثَارَهُمْ حَتَّىٰ أَتَوْا مَنْزِلًا نَزَلُوهُ، فَوَجَدُوا فِيهِ نَوَىٰ تَمْرٍ تَزَوَّدُوهُ مِنَ المَدِينَةِ، فَقَالُوا: هَذَا تَمْرُ يَثْرِبَ، فَتَبِعُوا آثَارَهُمْ حَتَّىٰ لَحِقُوهُمْ.

فَلَمَّا انْتَهَىٰ عَاصِمٌ وَأَصْحَابُهُ لَجَئُوا إِلَىٰ فَدْفَدٍ [2]، وَجَاءَ القَوْمُ فَأَحَاطُوا بِهِمْ، فَقَالُوا: لَكُمُ العَهْدُ وَالمِيثَاقُ إِنْ نَزَلْتُمْ إِلَيْنَا، أَنْ لاَ نَقْتُلَ مِنْكُمْ رَجُلًا.

فَقَالَ عَاصِمٌ: أَمَّا أَنَا فَلاَ أَنْزِلُ فِي ذِمَّةِ كَافِرٍ، اللهُمَّ أَخْبِرْ عَنَّا نَبِيَّكَ، فَقَاتَلُوهُمْ حَتَّىٰ قَتَلُوا عَاصِمًا فِي سَبْعَةِ نَفَرٍ بِالنَّبْلِ، وَبَقِيَ خُبَيْبٌ وَزَيْدٌ وَرَجُلٌ آخَرُ، فَأَعْطَوْهُمُ العَهْدَ وَالمِيثَاقَ، فَلَمَّا أَعْطَوْهُمُ العَهْدَ وَالمِيثَاقَ نَزَلُوا إِلَيْهِمْ، فَلَمَّا اسْتَمْكَنُوا مِنْهُمْ حَلُّوا أَوْتَارَ قِسِيِّهِمْ، فَرَبَطُوهُمْ بِهَا، فَقَالَ الرَّجُلُ الثَّالِثُ الَّذِي مَعَهُمَا: هَذَا أَوَّلُ الغَدْرِ، فَأَبَىٰ أَنْ يَصْحَبَهُمْ فَجَرَّرُوهُ وَعَالَجُوهُ عَلَىٰ أَنْ يَصْحَبَهُمْ فَلَمْ يَفْعَلْ فَقَتَلُوهُ،

---

(١) «دَوَاوِيْنُ الشِّعْرِ العَرَبِيِّ» (٨٣/ ٣٦١).

(٢) الفَدْفَدُ: الرَّابِيَة، المُشْرِفَة.

وَانْطَلَقُوا بِخُبَيْبٍ، وَزَيْدٍ حَتَّىٰ بَاعُوهُمَا بِمَكَّةَ، فَاشْتَرَىٰ خُبَيْبًا بَنُو الحَارِثِ بْنِ عَامِرِ بْنِ نَوْفَلٍ، وَكَانَ خُبَيْبٌ هُوَ قَتَلَ الحَارِثَ يَوْمَ بَدْرٍ، فَمَكَثَ عِنْدَهُمْ أَسِيرًا، حَتَّىٰ إِذَا أَجْمَعُوا قَتْلَهُ، اسْتَعَارَ مُوسًىٰ مِنْ بَعْضِ بَنَاتِ الحَارِثِ لِيَسْتَحِدَّ بِهَا فَأَعَارَتْهُ، قَالَتْ: فَغَفَلْتُ عَنْ صَبِيٍّ لِي، فَدَرَجَ إِلَيْهِ حَتَّىٰ أَتَاهُ فَوَضَعَهُ عَلَىٰ فَخِذِهِ، فَلَمَّا رَأَيْتُهُ فَزِعْتُ فَزْعَةً عَرَفَ ذَاكَ مِنِّي وَفِي يَدِهِ المُوسَىٰ، فَقَالَ: أَتَخْشَيْنَ أَنْ أَقْتُلَهُ؟ مَا كُنْتُ لِأَفْعَلَ ذَاكِ إِنْ شَاءَ اللهُ.

وَكَانَتْ تَقُولُ: مَا رَأَيْتُ أَسِيرًا -قَطُّ- خَيْرًا مِنْ خُبَيْبٍ، لَقَدْ رَأَيْتُهُ يَأْكُلُ مِنْ قِطْفِ عِنَبٍ وَمَا بِمَكَّةَ يَوْمَئِذٍ ثَمَرَةٌ، وَإِنَّهُ لَمُوثَقٌ فِي الحَدِيدِ، وَمَا كَانَ إِلَّا رِزْقٌ رَزَقَهُ اللهُ، فَخَرَجُوا بِهِ مِنَ الحَرَمِ لِيَقْتُلُوهُ.

فَقَالَ: دَعُونِي أُصَلِّي رَكْعَتَيْنِ، ثُمَّ انْصَرَفَ إِلَيْهِمْ، فَقَالَ: لَوْلَا أَنْ تَرَوْا أَنَّ مَا بِي جَزَعٌ مِنَ المَوْتِ لَزِدْتُ، فَكَانَ أَوَّلَ مَنْ سَنَّ الرَّكْعَتَيْنِ عِنْدَ القَتْلِ هُوَ، ثُمَّ قَالَ: اللهُمَّ أَحْصِهِمْ عَدَدًا.

ثُمَّ قَالَ:

وَلَسْتُ أُبَالِي حِينَ أُقْتَلُ مُسْلِمًا ... عَلَىٰ أَيِّ شِقٍّ كَانَ لِلَّهِ مَصْرَعِي
وَذَلِكَ فِي ذَاتِ الإِلَهِ وَإِنْ يَشَأْ ... يُبَارِكْ عَلَىٰ أَوْصَالِ[1] شِلْوٍ مُمَزَّعِ[2]

ثُمَّ قَامَ إِلَيْهِ عُقْبَةُ بْنُ الحَارِثِ فَقَتَلَهُ، وَبَعَثَتْ قُرَيْشٌ إِلَىٰ عَاصِمٍ لِيُؤْتَوْا بِشَيْءٍ مِنْ جَسَدِهِ يَعْرِفُونَهُ، وَكَانَ عَاصِمٌ قَتَلَ عَظِيمًا مِنْ عُظَمَائِهِمْ يَوْمَ بَدْرٍ، فَبَعَثَ اللهُ

---
(١) الأَوْصَال: المَفَاصِل.
(٢) الشِّلْو -بِالكَسْرِ- العُضْوُ، والجَمْعُ أَشْلَاءٌ.

عَلَيْهِ مِثْلَ الظُّلَّةِ(١) مِنَ الدَّبْرِ(٢)، فَحَمَتْهُ مِنْ رُسُلِهِمْ، فَلَمْ يَقْدِرُوا مِنْهُ عَلَىٰ شَيْءٍ»(٣).

قَالَ حَسَّانُ بْنُ ثَابِتٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يَهْجُو بَنِي لَحْيَانَ الَّذِيْنَ غَدَرُوا بِالمُسْلِمِيْنَ:

إِنْ سَرَّكَ الْغَدْرُ صِرْفًا لا مِزَاجَ لَهُ ... فَأْتِ الرَّجِيعَ وَسَلْ عَنْ دَارِ لِحْيَانَ
قَوْمٌ تَوَاصَوْا بِأَكْلِ الْجَارِ كُلُّهُمُ ... فَخَيْرُهُمْ رَجُلاً، وَالتَّيْسُ مِثْلَانِ
لَوْ يَنْطِقُ التَّيْسُ ذُو الخُصْيَيْنِ وَسْطَهُمُ ... لَكَانَ ذَا شَرَفٍ فِيهِمْ وَذَا شَانِ(٤)

قَالَ-أَيْضًا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يَرْثِي بَعْضَ مَنْ غَدَرَ بِهِمْ بَنِي لَحْيَانَ يَوْمَ الرَّجِيْعِ:

صَلَّىٰ الْإِلَـهُ عَلَىٰ الَّذِينَ تَتَابَعُوا ... يَوْمَ الرَّجِيْعِ فَأُكْرِمُوا وَأُثِيبُوا
رَأْسُ السَّرِيَّةِ مَرْثَدٌ وَأَمِيرُهُمْ ... وَابْنُ الْبُكَيْرِ إِمَامُهُمْ وَخُبَيْبُ
وَابْنٌ لِطَارِقَ وَابْنُ دَثْنَةَ مِنْهُمْ ... وَافَاهُ ثَمَّ حِمَامُهُ الْمَكْتُوبُ
مَنَعَ الْمَقَادَةَ أَنْ يَنَالُوا ظَهْرَهُ ... حَتَّىٰ يُجَالِدَ إِنَّهُ لَنَجِيْبُ
وَالْعَاصِمُ الْمَقْتُولُ عِنْدَ رَجِيْعِهِمْ ... كَسَبَ الْمَعَالِيَ، إِنَّهُ لَكَسُوبُ(٥)

---

(١) الظُّلَّة: السَّحَابَةُ.
(٢) الدَّبْر - بِالفَتْح - الزَّنَابِيْرُ، وَقِيْلَ: ذُكُورُ النَّحْلِ، وَلَا وَاحِدَ لَهُ مِنْ لَفْظِهِ.
(٣) رَوَاهُ البُخَارِيُّ (٤٠٨٦).
(٤) «دِيْوَانُ حَسَّانَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ» (٢٣٩)، وَالصِّرْف - بِالكَسْرِ - الخَالِص.
(٥) «دِيْوَانُ حَسَّانُ بْنُ ثَابِتٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ» (٩).

غَزْوَةُ بَنِي المُصْطَلِقِ[١]

أَسَرَتْ لَكَ الآفَاقُ عَزْمَةُ هِمَّةٍ ... جُبِلَتْ عَلَى أَنَّ المَسِيْرَ مُقَامُ[٢]

وَقَعَتْ غَزْوَةُ بَنِي المُصْطَلِقِ فِي شَعْبَانَ السَّنَةِ السَّادِسَةِ، وَبَنُوا المُصْطَلِقِ بَطْنٌ مِنْ قَبِيْلَةِ خُزَاعَةَ الأَزْدِيَّةِ اليَمَانِيَّةِ، وَكَانُوا يَسْكُنُونَ قُدَيْدًا وَعُسْفَانَ عَلَى الطَّرِيْقِ مِنَ المَدِيْنَةِ إِلَى مَكَّةَ، فَقُدَيْدٌ تَبْعُدُ عَنْ مَكَّةَ مَائَةً وَعِشْرِيْنَ كَيْلًا، وَعُسْفَانُ تَبْعُدُ ثَمَانِيْنَ كَيْلًا، فَيَكُونُ بَيْنَهُمَا أَرْبَعُونَ كَيْلًا.

وَكَانُوا يُعْتَبَرُونَ فِي حَرْبٍ مَعَ المُسْلِمِيْنَ، مُنْذُ اشْتِرَاكِهِمْ مَعَ قُرَيْشٍ فِي غَزْوَةِ أُحُدٍ.

كَمَا كَانُوا يَجْمَعُونَ الجُمُوعَ لِحَرْبِ المُسْلِمِيْنَ، فَغَارَ عَلَيْهِم رَسُولُ اللهِ ﷺ وَهُمْ غَارُّونَ (أَيْ: وَهُمْ عَلَى غَفْلَةٍ)، فَانْهَزَمُوا، وَقُتِلَ بَعْضُهُمْ، وَأَخَذَ المُسْلِمِيْنَ أَبْنَاءَهُمْ وَنِسَاءَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ، فَتَمَّتْ قِسْمَةُ ذَلِكَ بَيْنَهُمْ.

فَعَنِ ابْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا «إِنَّ النَّبِيَّ ﷺ أَغَارَ عَلَى بَنِي المُصْطَلِقِ وَهُمْ غَارُّونَ، وَأَنْعَامُهُمْ تُسْقَى عَلَى المَاءِ، فَقَتَلَ مُقَاتِلَتَهُمْ، وَسَبَى ذَرَارِيَّهُمْ، وَأَصَابَ يَوْمَئِذٍ جُوَيْرِيَةَ»[٣].

لَهُ مَوَاقِفُ يَحْمِي بِهِ الدِّيْنَ، ذِكْرُهُ ... تَشِيْدُ بِهِ الرُّكْبَانُ فِي البَدْوِ وَالحَضْرِ

أَقَامَ عَمُودَ الدِّيْنِ بِالنُّورِ والهُدَى ... وَسَلَّ حُسَامًا فَاتِكَ الوَقْعِ بِالكُفْرِ

(١) وَتُسَمَّى بِغَزْوَةِ المُرَيْسِيعِ؛ لأَنَّهَا وَقَعَتْ عِنْدَ مَاءِ المُرَيْسِيْعِ.

(٢) «دِيْوَانُ أَبِي تَمَّامٍ» (١٦٩).

(٣) رَوَاهُ البُخَارِيُّ (٢٥٤١)، ومُسْلِمٌ (١٧٣٠).

تَزَوُّجُ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِجُوَيْرِيَةَ بِنْتِ الحَارِثِ رَضِيَ اللهُ عَنْهَا

جُـوَيْـرِيَـةٌ لا يَقْـرَبُ الـذَمُّ بَـيْتَهَـا ... مُـطَـهَّـرَةٌ يَـأْوِي إِلَـيْـهَـا مُطَهَّـرُ[1]

عَنْ عَائِشَـةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهَا، قَالَتْ: لَمَّا قَسَـمَ رَسُـولُ اللهِ ﷺ سَـبَايَا بَنِي الْمُصْطَلِقِ، وَقَعَتْ جُوَيْرِيَةُ بِنْتُ الْحَارِثِ فِي السَّـهْمِ لِثَابِتِ بْنِ قَيْسِ بْنِ الشَّمَّاسِ، أَوْ لِابْنِ عَمٍّ لَهُ، فَكَاتَبَتْهُ عَلَىٰ نَفْسِهَا، وَكَانَتْ امْرَأَةً حُلْوَةً مُلَّاحَةً، لَا يَرَاهَا أَحَدٌ إِلَّا أَخَذَتْ بِنَفْسِهِ فَأَتَتْ رَسُولَ اللهِ ﷺ؛ لِتَسْتَعِينَهُ فِي كِتَابَتِهَا.

قَالَـتْ عَائِشَـةُ: فَوَاللَّـهِ مَـا هُـوَ إِلَّا أَنْ رَأَيْتُهَا عَلَىٰ بَـابِ حُجْرَتِـي فَكَرِهْتُهَا، وَعَرَفْتُ أَنَّهُ سَـيَرَىٰ مِنْهَا ﷺ مَا رَأَيْـتُ، فَدَخَلَتْ عَلَيْهِ، فَقَالَتْ: يَا رَسُـولَ اللهِ، أَنَا جُوَيْرِيَـةُ بِنْـتُ الْحَـارِثِ بْنِ أَبِي ضِرَارٍ، سَـيِّدِ قَوْمِهِ، وَقَدْ أَصَابَنِي مِـنْ الْبَلَاءِ، مَا لَمْ يَخْـفَ عَلَيْـكَ، فَوَقَعْتُ فِي السَّـهْمِ لِثَابِتِ بْنِ قَيْـسِ بْنِ الشَّـمَّاسِ، أَوْ لِابْنِ عَمٍّ لَهُ، فَكَاتَبْتُهُ عَلَىٰ نَفْسِي، فَجِئْتُكَ أَسْتَعِينُكَ عَلَىٰ كِتَابَتِي.

قَالَ: فَهَلْ لَكَ فِي خَيْرٍ مِنْ ذَلِكَ؟، قَالَتْ: وَمَا هُوَ يَا رَسُولَ اللهِ؟ قَالَ: أَقْضِي عَنْكَ كِتَابَتَكَ وَأَتَزَوَّجُكَ؛ قَالَتْ: نَعَمْ يَا رَسُولَ اللهِ؛ قَالَ: قَدْ فَعَلْتُ.

قَالَـتْ: وَخَـرَجَ الْخَبَرُ إِلَىٰ النَّاسِ أَنَّ رَسُـولَ اللهِ ﷺ قَدْ تَـزَوَّجَ جُوَيْرِيَةَ ابْنَةَ

---

(١) «دَوَاوِيْنُ الشِّعْرِ العَرَبِيِّ» (١٥/ ١٢٩).

الْحَارِثِ بْنِ أَبِي ضِرَارٍ، فَقَالَ النَّاسُ: أَصْهَارُ رَسُولِ اللهِ ﷺ، وَأَرْسَلُوا مَا بِأَيْدِيهِمْ؛ قَالَتْ: فَلَقَدْ أُعْتِقَ بِتَزْوِيجِهِ إِيَّاهَا مِئَةُ أَهْلِ بَيْتٍ مِنْ بَنِي الْمُصْطَلِقِ، فَمَا أَعْلَمُ امْرَأَةً كَانَتْ أَعْظَمَ عَلَىٰ قَوْمِهَا بَرَكَةً مِنْهَا»[١].

إِذَا كَانَ هَـذَا الجِيْلُ أَتْبَاعَ نَهْجِهِ ... وَقَدْ حَكَمُوا السَّادَاتِ فِي البَدْوِ وَالحَضَرْ
فَقُلْ كَيْفَ كَانَ المُصْطَفَىٰ وَهُوَ رَمْزُهُمْ ... مَعَ نُورِهِ لَا تُذْكَرُ الشَّمْسُ وَالقَمَرْ؟!

بَعْثُ بِئْرِ مَعُونَةَ:

غَدَرَ العَدُوُّ فَعَلَّمَتهُ سُيوفُهُم ... صِدْقَ العُهُودِ وَصِحَّةَ الإِيْمَانِ[٢]

عَنْ أَنَسٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، قَالَ: بَعَثَ النَّبِيُّ ﷺ سَبْعِينَ رَجُلًا لِحَاجَةٍ، يُقَالُ لَهُمْ القُرَّاءُ، فَعَرَضَ لَهُمْ حَيَّانِ مِنْ بَنِي سُلَيْمٍ، رِعْلٌ، وَذَكْوَانُ، عِنْدَ بِئْرٍ يُقَالُ لَهَا بِئْرُ مَعُونَةَ، فَقَالَ القَوْمُ: وَاللهِ مَا إِيَّاكُمْ أَرَدْنَا، إِنَّمَا نَحْنُ مُجْتَازُونَ فِي حَاجَةٍ لِلنَّبِيِّ ﷺ، فَقَتَلُوهُمْ فَدَعَا النَّبِيُّ ﷺ عَلَيْهِمْ شَهْرًا فِي صَلَاةِ الغَدَاةِ، وَذَلِكَ بَدْءُ القُنُوتِ، وَمَا كُنَّا نَقْنُتُ»[٣].

وَثَارَ نَقْعُ المَنَايَا في مَعُونَةَ مِنْ ... بَنِي سُلَيْمٍ بِأَهْلِ الفَضْلِ وَالحِكَمِ[٤]

---

(١) (صَحِيْحٌ) أَخْرَجَهُ أَحْمَدُ (٦/ ٢٧٧)، وَأَبُو دَاوُدَ (٣٩٣١)، وَصَحَّحَهُ الأَلْبَانِيُّ رَحِمَهُ اللهُ فِي «صَحِيْحِ أَبِي دَاوُدَ» (٣٣٢٧).

(٢) «دِيْوَانُ أَحْمَد مُحَرَّم» (٣٤٠).

(٣) رَوَاهُ البُخَارِيُّ (٤٠٨٨)، وَمُسْلِمٌ (٦٧٧).

(٤) «قَصَائِدُ مِنْ عُيُونِ الشِّعْرِ» (١٥).

قَالَ حَسَّانُ بْنُ ثَابِتٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يَرْثَىٰ قَتْلَىٰ بِئْرِ مَعُونَةَ[١]:

عَلَىٰ قَتْلَىٰ مَعُونَةَ فَاسْتَهِلِّي ... بِدَمْعِ الْعَيْنِ سَحًّا غَيْرَ نَزْرِ
عَلَىٰ خَيْلِ الرَّسُولِ غَدَاةَ لَاقَوْا ... مَنَايَاهُمْ وَلَاقَتْهُمْ بِقَدْرِ
أَصَابَهُمُ الْفَنَاءُ بِعَقْدِ قَوْمٍ ... تُخُوِّنَ عَقْدُ حَبْلِهِمُ بِغَدْرِ
فَيَا لَهْفِي لِمُنْذِرِ إِذْ تَوَلَّىٰ ... وَأَعْنَقَ فِي مَنِيَّتِهِ بِصَبْرِ
وَكَائِنْ قَدْ أُصِيبَ غَدَاةَ ذَاكُمْ ... مِنَ ابْيَضَ مَاجِدٍ مِنْ سِرِّ عَمْرِو [١]

~~~

(١) «دِيْوَانُ حَسَّانَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ» (٩٤)، فَاسْتَهِلِّي أَيْ: أَسِيْلِي دَمْعَكِ، والسَّحُّ: الصَّبُّ، وَالنَّزْرُ: القَلِيْل، تُخُوِّنَ: تَنَقَّصُ، أَعْنَقَ أَيْ: أَسْرَعُ، وَكَائِنْ: كِنَايَة عَنْ عَدَدٍ كَثِيْرٍ، وَسِرُّ القَوْمِ: خِيَارُهُمْ وَخَالِصُهُمْ.
~~~

كَشْفُ المُنَافِقِيْنَ عَنْ حِقْدِهِمْ

نِفَاقٌ عَلَىٰ كُلِّ الوُجُوهِ مُخَيِّمٌ   وَبُغْضٌ عَلَىٰ كُلِّ الجِبَاهِ مُسَطَّرُ(١)

كُلَّمَا كَسَبَ الإِسْلَامُ نَصْرًا جَدِيْدًا؛ ازْدَادَ المُنَافِقُونَ غَيْظًا عَلَىٰ غَيْظِهِمْ، وَقُلُوبُهُمْ تَتَطَلَّعُ إِلَىٰ اليَوْمِ الَّذِي يُهْزَمُ فِيْهِ المُسْلِمُونَ؛ لِتَشْتَفِيَ مِنَ الغِلِّ، فَلَمَّا انْتَصَرَ المُسْلِمُونَ فِي غَزْوَةِ بَنِي المُصْطَلِقِ عِنْدَ مَاءِ المُرَيْسِيْعِ، كَشَفَ المُنَافِقُونَ عَنْ حِقْدِهِمْ، فَبَدَءُوا فِي التَّعْبِيْرِ عَنْ حِقْدِهُمُ المُكْتُومِ، فَقَامُوا بِمَا يَأْتِي:

١ ـ تَخْذِيْلُ النَّاسِ:

وَحَافِرِ حُفْرَةٍ لِي هَارَ فِيْهَا   وَسَهْمُ البَغْيِ يَدْرِي مَنْ يُصِيْبُ(٢)

وَلْنَدَعِ الصَّحَابِيِّ الجَلِيْلِ زَيْدُ بْنِ أَرْقَمَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ يُحَدِّثُنَا، قَالَ: كُنْتُ فِي غَزَاةٍ - أَيْ: غَزْوَةِ بَنِي الْمُصْطَلِقِ(٣) - فَسَمِعْتُ عَبْدَ اللهِ بْنَ أُبَيٍّ، يَقُولُ: لَا تُنْفِقُوا عَلَىٰ مَنْ عِنْدَ رَسُولِ اللهِ حَتَّىٰ يَنْفَضُّوا مِنْ حَوْلِهِ، وَلَئِنْ رَجَعْنَا مِنْ عِنْدِهِ لَيُخْرِجَنَّ الأَعَزُّ مِنْهَا الأَذَلَّ، فَذَكَرْتُ ذَلِكَ لِعَمِّي أَوْ لِعُمَرَ (أَيْ: سَعْدِ بْنِ عُبَادَة، وَهُوَ رَأْسُ الخَزْرَجِ،

---

(١) «دِيْوَانُ ابْنُ سُحْنُونٍ» (٢٨).

(٢) «مَجَانِي الأَدَب فِي حَدَائِقِ العَرَبِ» (٤/ ٨).

(٣) صَرَّحَتْ الرِّوَايَاتُ الأُخْرَىٰ بِأَنَّهَا غَزْوَةُ بَنِي الْمُصْطَلِقِ، كَمَا فِي «المُسْنَدِ» (٣/ ٣٩٢-٣٩٣)، بِسَنَدٍ صَحِيْحٍ، و«فَتْحُ البَارِي» (٨/ ٦٤٩).

وَلَيْسَ عَمَّهُ حَقِيْقَةً، وَأَمَّا عُمَرُ فَهُوَ ابْنُ الخَطَّابِ)[١]، فَذَكَرَهُ لِلنَّبِيِّ ﷺ، فَدَعَانِي فَحَدَّثْتُهُ، فَأَرْسَلَ رَسُولُ اللهِ ﷺ إِلَىٰ عَبْدِ اللهِ بْنِ أُبَيٍّ وَأَصْحَابِهِ، فَحَلَفُوا مَا قَالُوا، فَكَذَّبَنِي رَسُولُ اللهِ ﷺ وَصَدَّقَهُ، فَأَصَابَنِي هَمٌّ لَمْ يُصِبْنِي مِثْلُهُ قَطُّ، فَجَلَسْتُ فِي البَيْتِ، فَقَالَ لِي عَمِّي: مَا أَرَدْتَ إِلَىٰ أَنْ كَذَّبَكَ رَسُولُ اللهِ ﷺ وَمَقَتَكَ؟ فَأَنْزَلَ اللهُ تَعَالَىٰ: ﴿إِذَا جَآءَكَ ٱلْمُنَٰفِقُونَ﴾ [المُنَافِقُونَ: ١]، فَبَعَثَ إِلَيَّ النَّبِيُّ ﷺ فَقَرَأَ فَقَالَ: «**إِنَّ اللهَ قَدْ صَدَّقَكَ يَا زَيْدُ**»[٢].

٢ـ إِثَارَةُ العَصَبِيَّةِ:

وَذِي عَصَبِيَّةٍ بِالمَكْرِ يَسْعَىٰ ... إِلَيَّ سَعَىٰ بِهِ يَوْمٌ عَصِيْبُ[٣]

يَحْكِي جَابِرُ بْنَ عَبْدِ اللهِ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا مَا حَدَثَ عِنْدَ مَاءِ المُرَيْسِيْعِ، فَقَالَ: كُنَّا فِي غَزَاةٍ، فَكَسَعَ رَجُلٌ مِنَ المُهَاجِرِينَ، رَجُلًا مِنَ الأَنْصَارِ، (أَيْ: ضَرَبَهُ بِرِجْلِهِ)، فَقَالَ الأَنْصَارِيُّ: يَا لَلْأَنْصَارِ، وَقَالَ المُهَاجِرِيُّ: يَا لَلْمُهَاجِرِينَ، فَسَمِعَ ذَلِكَ رَسُولُ اللهِ ﷺ فَقَالَ: «**مَا بَالُ دَعْوَىٰ الجَاهِلِيَّةِ**».

قَالُوا: يَا رَسُولَ اللهِ، كَسَعَ رَجُلٌ مِنَ المُهَاجِرِينَ رَجُلًا مِنَ الأَنْصَارِ، فَقَالَ: «**دَعُوهَا فَإِنَّهَا مُنْتِنَةٌ**»، فَسَمِعَ بِذَلِكَ عَبْدُ اللهِ بْنُ أُبَيٍّ، فَقَالَ: فَعَلُوهَا، أَمَا وَاللهِ لَئِنْ رَجَعْنَا إِلَىٰ المَدِينَةِ لَيُخْرِجَنَّ الأَعَزُّ مِنْهَا الأَذَلَّ، فَبَلَغَ النَّبِيَّ ﷺ فَقَامَ عُمَرُ، فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللهِ: دَعْنِي أَضْرِبْ عُنُقَ هَذَا المُنَافِقِ، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «**دَعْهُ، لَا يَتَحَدَّثُ**

---

(١) «فَتْحُ البَارِي» (٨/ ٦٤٥).

(٢) رَوَاهُ البُخَارِيُّ (٤٩٠٠)، وَمُسْلِمٌ (٢٧٧٢).

(٣) «دَوَاوِيْنُ الشِّعْرِ العَرَبِيِّ» (٨٣/ ٣٤١).

النَّـاسُ أَنَّ مُحَمَّدًا يَقْتُلُ أَصْحَابَهُ» وَكَانَتِ الأَنْصَارُ أَكْثَرَ مِنَ المُهَاجِرِينَ حِينَ قَدِمُوا المَدِينَةَ، ثُمَّ إِنَّ المُهَاجِرِينَ كَثُرُوا بَعْدُ»(١).

رُحَمَـاءُ بَيْنَهُـمُ صَفَتْ أَخْلاَقُهُـمْ — وخَلَـتْ قُلُـوبُـهُـمُ مِـنَ الشَّـنْآنِ
هُـمْ كالأَصَابِـعِ فِـي اليَدَيْـنِ تَوَاصُلا — هَـلْ يَسْـتَـوِي كَـفٌّ بِغَيْـرِ بَنَـانِ؟!
اللـه أَلَّــفَ بَيْــنَ وُدِّ قُلُوبِهِـمْ — لِيَـغِـيْـظَ كُـلَّ مُنَـافِـقٍ طعَّــانِ
فَـدُخُــولُـهُـم بَيْنَ الأَحِبَّـةِ كُلْفَـةٌ — وسِـبَـابُـهُمْ سَبَبٌ إِلَىٰ الحِرْمَـانِ(٢)

٣- إِيْذَاءُ النَّبِيِّ ﷺ:

يُــسِــرُّ لَـكَ الـبَـغْـضَـاءَ كُلُّ مُنَافِقٍ — كَـمَـا كُلُّ ذِي دِيْـنٍ عَلَيْـكَ شَـفِيْقُ(٣)

بَعْـدَ فَشَـلِ المُنَافِقِيْـنَ فِـي تَخْذِيْلِ المُسْـلِمِيْنَ عَنْ رَسُـولِ اللـهِ ﷺ، وَإِثَارَةِ العَصَبِيَّةِ الجَاهِلِيَّةِ، أَعْمَاهُمُ الغَضَبُ، وَوَاتَتْهُمُ الفُرْصَةُ لِإِيْذَاءِ رَسُـولِ اللهِ ﷺ فِي نَفْسِهِ وَأَهْلِ بَيْتِهِ.

كَانَتْ عَائِشَـةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قَدْ خَرَجَتْ مَعَهُ إِلَىٰ غَزْوَةِ بَنِي المُصْطَلِقِ، وَذَلِكَ بَعْدَمَا شَـرَعَ اللـهُ الحِجَابَ لِلنِّسَـاءِ، وَفِـي طَرِيْقِ العَـوْدَةِ عِنْدَمَـا اقْتَرَبَ المُسْـلِمُونَ مِنَ المَدِيْنَـةِ، نَزَلَـتْ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا مِنْ هَوْدَجِ البَعِيْرِ لِبَعْضِ شَـأْنِهَا، فَلَمَّا عَـادَتْ افْتَقَدَتْ عِقْدًا لَهَـا، فَخَرَجَتْ تَبْحَثُ عَنْـهُ، فَحَمِلَ الرِّجَالُ هَوْدَجَهَا، فَوَضَعُـوهُ عَلَىٰ البَعِيْرِ وَهُمْ

(١) رَوَاهُ البُخَارِيُّ (٣٥١٨)، وَمُسْلِمٌ (٢٥٨٤).
(٢) «مُعْجَمُ السَّفَرِ» (٢٠٤)، وَالشَّنْآنُ: البُغْضُ.
(٣) «دِيْوَانُ جَرِيْرٍ» (٤١٢).

يَحْسَبُونَهَا فِيْهِ - إِذْ كَانَتْ رَضِيَ اللهُ عَنْهَا صَغِيْرَةً خَفِيْفَةً -، وَمَضَىٰ المُسْلِمُونَ إِلَىٰ المَدِيْنَةِ، تَارِكِيْهَا فِي البَيْدَاءِ، وَقَدْ وَجَدَتْ عِقْدَهَا، وَفَقَدَتِ الرَّكْبَ، فَمَكَثَتْ فِي مَكَانِهَا، تَنْتَظِرُ أَنْ يَعْرِفُوا خَبَرَهَا، وَيَعُودُوا إِلَيْهَا، فَمَرَّ صَفْوَانُ بْنُ المُعَطَّلِ السُّلَمِيُّ -وَهُوَ مِنْ خِيْرَةِ الصَّحَابَةِ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمْ- فَحَمَلَهَا عَلَىٰ بَعِيْرِهِ، وَانْطَلَقَ بِهَا إِلَىٰ المَدِيْنَةِ،فَوَصَلَ إِلَيْهَا بَعْدَ دُخُولِ الرَّسُولِ اللهِ ﷺ، وَقَدْ اسْتَغَلَّ المُنَافِقُونَ هَذَا الحَادِثَ، وَنَسَجُوا حَوْلَهُ، وَتَوَلَّىٰ ذَلِكَ عَبْدُ اللهِ ابْنُ أُبَيٍّ بْن سَلُولَ، وَأَغْرَىٰ بِالكَلَامِ مِسْطَحَ بْنِ أُثَاثَةَ، وَحَسَّانَ بْنِ ثَابِتٍ، وَحِمْنَةَ بِنْتَ جَحْشٍ، فَاتُّهِمَتْ عَائِشَةُ أُمُّ المُؤْمِنِيْنَ بِالإِفْكِ.

وَضَاقَ الرَّسُولُ اللهِ ﷺ ذَرْعًا بِدَعَايَاتِ المُنَافِقِيْنَ، وَصَرَّحَ بِذَلِكَ لِلمُسْلِمِيْنَ وَهُمْ مَجْتَمِعُونَ فِي المَسْجِدِ، مُعْلِنًا ثِقَتَهُ بِزَوْجَتِهِ وَبِالصَّحَابِيِّ صَفْوَانَ بْنِ المُعَطَّلِ، وَقَدْ أَبْدَىٰ سَعْدُ بْنُ مُعَاذٍ، اسْتِعْدَادَهُ لِقَتْلِ مَنْ يُرَوِّجُ ذَلِكَ، فَأَظْهَرَ سَعْدُ بْنُ عُبَادَةَ مُعَارَضَتَهُ لِسَعْدِ بْنِ مُعَاذٍ؛ لِأَنَّ عَبْدَ اللهِ بْنَ أُبَيٍّ بْن سَلُولَ مِنَ الخَزْرَجِ، حَتَّىٰ كَادَتْ أَنْ تَقَعَ الفِتْنَةُ بَيْنَ الأَوْسِ والخَزْرَجِ، لَوْلَا أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ هَدَّأَهُمْ.

وَمَرَضَتْ عَائِشَةُ رَضِيَ اللهُ عَنْهَا فَاسْتَأْذَنَتْ النَّبِيَّ ﷺ فِي الذِّهَابِ إِلَىٰ بَيْتِ أَبِيْهَا، فَأَذِنَ لَهَا، ثُمَّ عَلِمَتْ بِخَبَرِ الإِفْكِ، فَكَانَتْ لَا يَرْقَأُ لَهَا دَمْعٌ، وَلَا تَكْتَحِلُ بِنَوْمٍ، وَهِيَ تَنْتَظِرُ أَنْ يُعْلِمَ اللهُ نَبِيَّهُ بِبَرَاءَتِهَا بِرُؤْيَا صَادِقَةٍ، وَقَدْ انْقَطَعَ الوَحْيُ شَهْرًا، عَانَىٰ خِلَالَهُ الرَّسُولُ ﷺ أَشَدَّ المُعَانَاةِ؛ فَقَدْ طَعَنَهُ المُنَافِقُونَ فِي عِرْضِهِ، وَآذَوْهُ فِي زَوْجِهِ، وَلَا شَكَّ أَنَّهُ ﷺ كَانَ يَتَطَلَّعَ إِلَىٰ الوَحْيِ، وَهُوَ فِي أَشَدِّ الحَاجَةِ إِلَيْهِ، لِتَطْمَئِنَّ نَفْسُهُ، وَيُخْرِسَ أَلْسُنَ النِّفَاقِ، وَيَذُبَّ عَنْ زَوْجِهِ الحَبِيْبَةِ، وَأَبِيْهَا الَّذِي كَانَ أَحَبَّ النَّاسِ إِلَيْهِ، ثُمَّ نَزَلَ الوَحْيُ بِقَوْلِهِ -تَعَالَىٰ-: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ جَآءُو بِٱلْإِفْكِ عُصْبَةٌ مِّنكُمْ لَا تَحْسَبُوهُ شَرًّا

لَكُمۖ بَلۡ هُوَ خَيۡرٞ لَّكُمۡۚ لِكُلِّ ٱمۡرِيٕٖ مِّنۡهُم مَّا ٱكۡتَسَبَ مِنَ ٱلۡإِثۡمِۚ وَٱلَّذِي تَوَلَّىٰ كِبۡرَهُۥ مِنۡهُمۡ لَهُۥ عَذَابٌ
عَظِيمٞ ﴿١١﴾ لَّوۡلَآ إِذۡ سَمِعۡتُمُوهُ ظَنَّ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ وَٱلۡمُؤۡمِنَٰتُ بِأَنفُسِهِمۡ خَيۡرٗا وَقَالُواْ هَٰذَآ إِفۡكٞ مُّبِينٞ
﴿١٢﴾ لَّوۡلَا جَآءُو عَلَيۡهِ بِأَرۡبَعَةِ شُهَدَآءَۚ فَإِذۡ لَمۡ يَأۡتُواْ بِٱلشُّهَدَآءِ فَأُوْلَٰٓئِكَ عِندَ ٱللَّهِ هُمُ ٱلۡكَٰذِبُونَ
﴿١٣﴾ وَلَوۡلَا فَضۡلُ ٱللَّهِ عَلَيۡكُمۡ وَرَحۡمَتُهُۥ فِي ٱلدُّنۡيَا وَٱلۡأٓخِرَةِ لَمَسَّكُمۡ فِي مَآ أَفَضۡتُمۡ فِيهِ عَذَابٌ عَظِيمٌ
﴿١٤﴾ إِذۡ تَلَقَّوۡنَهُۥ بِأَلۡسِنَتِكُمۡ وَتَقُولُونَ بِأَفۡوَاهِكُم مَّا لَيۡسَ لَكُم بِهِۦ عِلۡمٞ وَتَحۡسَبُونَهُۥ هَيِّنٗا وَهُوَ عِندَ
ٱللَّهِ عَظِيمٞ ﴿١٥﴾ وَلَوۡلَآ إِذۡ سَمِعۡتُمُوهُ قُلۡتُم مَّا يَكُونُ لَنَآ أَن نَّتَكَلَّمَ بِهَٰذَا سُبۡحَٰنَكَ هَٰذَا بُهۡتَٰنٌ عَظِيمٞ
﴿١٦﴾ يَعِظُكُمُ ٱللَّهُ أَن تَعُودُواْ لِمِثۡلِهِۦٓ أَبَدًا إِن كُنتُم مُّؤۡمِنِينَ ﴿١٧﴾ وَيُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمُ ٱلۡأٓيَٰتِۚ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ
حَكِيمٌ ﴿١٨﴾﴾ [النُّور: ١١-١٨][1].

فَهَلْ رَأَيْتَ -أَخِي- وَعِيدًا لِلعُصَاةِ كَهَذَا؟!، إِنَّهُ وَعِيدٌ عَظِيمٌ حَتَّىٰ قَالَ الزَّمَخْشَرِيُّ[2]: «لَوْ فَتَّشْتَ القُرْآنَ كُلَّهُ عَمَّا أُوعِدَ بِهِ العُصَاةُ، لَمْ تَرَ اللهَ -تَعَالَىٰ- قَدْ غَلَّظَ فِي شَيْءٍ تَغْلِيظَهُ فِي إِفْكِ عَائِشَةَ -رِضْوَانُ اللهِ عَلَيْهَا-»[3].

وَقَالَ آخَرُ:

لَا يُذْكَرُ الطُّهْرُ إِلَا قِيلَ عَائِشَةٌ ... رَمْزٌ لَهُ وَهُوَ نُورٌ فِي مُحَيَّاهَا
نُجِلُّهَا نُطْرِبُ الدُّنْيَا بِرَوْعَتِهَا ... إِذَا انبَرَىٰ بِكَلَامِ السُّوءِ أَشْقَاهَا
نُرَتِّلُ الوَحْيَ صَفْوًا عَنْ طَهَارَتِهَا ... وَلَا نُبَالِي بِصَوْتٍ خَاسِئٍ تَاهَا[4]

---

(١) انْظُرْ: قِصَّةُ الإِفْكِ فِي «البُخَارِيُّ» (٤٧٥٠)، وَمُسْلِمٌ (٢٧٧٠).
(٢) الزَّمَخْشَرِيُّ مُعْتَزِلِيٌّ جَلْدٌ، قَالَ البُلْقِينِيُّ: «اسْتَخْرَجْتُ مِنَ الكَشَّافِ اعْتِزَالاً بِالمَنَاقِشِ».
(٣) «الكَشَّافُ» لِلزَّمَخْشَرِيِّ (٣/ ٢٢٣)، وَلَا نَنْصَحُ بِالكِتَابِ إِلَّا لِعَالِمٍ، أَوْ طَالِبِ عِلْمٍ.
(٤) «حَبِيبَاتُ المُصْطَفَىٰ، أُمَّهَاتُ المُؤْمِنِينَ» (١١٦)، لِلكَاتِبِ.

قال حَسَّانُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يَمْدَحُ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا:

حَصَانٌ[١] رَزَانٌ[٢] مَا تُزَنُّ[٣] بِرِيبَةٍ ... وَتُصْبِحُ غَرْثَىٰ[٤] مِنْ لُحُومِ الغوافِلِ
عَقِيلَةُ[٥] حَيٍّ مِنْ لُؤَيِّ بنِ غَالِبٍ ... كِرَامِ المسَاعِي مَجْدُهُمْ غَيْرُ زَائِلِ
مُهَذَّبةٌ قَدْ طَيَّبَ اللهُ خِيمَهَا[٦] ... وطَهَّرَهَا مِنْ كُلِّ سُوءٍ وَبَاطِلِ
حَلِيلَةُ خَيْرِ الْخَلْقِ دِينًا ومَنْصِبًا ... نَبِيِّ الْهُدىٰ والمَكْرُمَاتِ الْفَوَاصِلِ
رأيتك وَلْيَغْفِرْ لَكِ اللهُ حُرَّةً ... مِنَ المُحْصِنَاتِ غَيْرَ ذاتِ الْغَوَائِلِ[٧]

---

(١) الحصان: المرأة العفيفة.
(٢) الرزان: المرأة إذا كانت ذات وقار.
(٣) ما تزن: ما تتهم.
(٤) الغرثىٰ: التي لا تغتاب أحدًا.
(٥) العقيلة: الكريمة.
(٦) الخيم: الأصل.
(٧) سيرة ابن هشام (٣/ ٣٣٤).

غَزْوَةُ الخَنْدَقِ (الأَحْزَابُ)

وَيَــوْمُ أَقْبَلَـتِ الأَحْـزَابُ وانْهزَمَتْ ... وَكُـمْ خَبَـا لَهَـبٌ بِالشِّـرْكِ مَشْـعُولُ[1]

١ـ وَقْتُهَا:

كَانَتْ سَنَةَ خَمْسٍ مِنَ الهِجْرَةِ، وَهُوَ قَوْلُ جُمْهُورِ عُلَمَاءِ السِّيْرَةِ.

٢ـ سَبَبُهَا:

سَبَبُهَا وَاحِدٌ لاَ غَيْرَ -وَإِنْ اخْتَلَفَتْ الأَلْسُنُ- وَهُوَ مَا أَخْبَرَ اللهُ عَنْهُ فِي كِتَابِهِ: ﴿وَلَا يَزَالُونَ يُقَٰتِلُونَكُمْ حَتَّىٰ يَرُدُّوكُمْ عَن دِينِكُمْ إِنِ ٱسْتَطَٰعُوا۟﴾ [البَقَرَةُ: ٢١٧].

٣ـ كَيْفَ تَجَمَّعَ الأَحْزَابُ؟:

ذهَبَ رَهْطٌ مِنَ الْيَهُودِ نَحوَ مَكَّةَ لِيُؤَلِّبُوا أَهْلَهَا وَيُحَرِّضُوهُمْ عَلَىٰ غَزْوِ المَدِيْنَةِ، وَلَمَّا وَجَدُوا مِنْهُمْ اسْتِجَابَةً، تَوَجَّهُوا نَحْوَ غَطَفَانَ؛ لِيَكْتَمِلَ عِقْدُ الأَحْزَابِ، وَتَدَاعَتِ الجُمُوعُ، وَأَقْبَلَ الشَّرُّ بِخَيْلِهِ وَرَجِلِهِ، فَخَرَجَتْ مِنَ الجَنُوبِ قُرَيْشٌ، وَكِنَانَةُ، وَأَهْلُ تِهَامَةَ، وَوَافَاهُمْ بَنُو سُلَيْمٍ، وَخَرَجَتْ مِنَ الشَّرْقِ قَبَائِلُ غَطَفَانَ، وَكَذَلِكَ خَرَجَتْ بَنُو أَسَدٍ، وَاتَّجَهَتِ الأَحْزَابُ الكَافِرَةُ صَوْبَ المَدِيْنَةِ.

٤ـ عَدَدُ جَيْشِ الأَحْزَابِ:

كَانَ عَدَدُ جَيْشِ الأَحْزَابِ يَبْلُغُ عَشَرَةَ آلاَفِ مُقَاتِلٍ، أَيْ يَزِيْدُ عَلَىٰ عَدَدِ سُكَّانِ

(١) «دَوَاوِيْنُ الشِّعْرِ العَرَبِيِّ» (٩/ ٦٢).

المَدِيْنَةِ رِجَالًا وَنِسَاءً، صِغَارًا وَكِبَارًا، فِي جُوعٍ شَدِيْدٍ، وَبَرْدٍ وَزَمْهَرِيْرٍ، وَعُدَّةٍ قَلِيْلَةٍ، وَمَا عِنْدَ اللهِ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰ.

٥ ـ عَدَدُ جَيْشِ المُسْلِمِيْنَ:

ذَكَرَ ابْنُ إِسْحَاقَ -وَتَابَعَهُ جُمْهُورُ عُلَمَاءِ السِّيْرَةِ-: أَنَّهُمْ ثَلَاثَةُ آلَافِ مُقَاتِلٍ(١).

٦ ـ انْقِسَامُ النَّاسِ تِجَاهَ الأَحْزَابِ:

انْقَسَمَ النَّاسُ تِجَاهَ الأَحْزَابِ إِلَىٰ قِسْمَيْنِ:

القِسْمُ الأَوَّلُ:

وَهُمُ المُؤْمِنُونَ الَّذِيْنَ آمَنُوا بِوَعْدِ اللهِ، وَصَدَّقُوا بِنَصْرِ رِسَالَتِهِ.

قَالَ الله ﷻ: ﴿وَلَمَّا رَءَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلْأَحْزَابَ قَالُوا۟ هَٰذَا مَا وَعَدَنَا ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَصَدَقَ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ ۚ وَمَا زَادَهُمْ إِلَّآ إِيمَٰنًا وَتَسْلِيمًا ﴿٢٢﴾﴾ [الأَحْزَابُ: ١٣].

القِسْمُ الثَّانِي:

وَهُمْ أَهْلُ النِّفَاقِ فَقَدْ تَزَعْزَعَتْ قُلُوبُهُمْ، وَانْخَلَعَتْ صُدُورُهُمْ لِرُؤْيَةِ الجُمُوعِ وَالعَدَدِ والعُدَّةِ.

قَالَ اللـه ﷻ: ﴿وَإِذْ يَقُولُ ٱلْمُنَٰفِقُونَ وَٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ مَّا وَعَدَنَا ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ إِلَّا غُرُورًا ﴿١٢﴾﴾ [الأَحْزَابُ: ١٢].

٧ ـ حَفْرُ الخَنْدَقِ:

اشْتَغَلَ النَّبِيُّ ﷺ بِمُقَارَعَةِ العَدُوِّ، وَأَخْذَ العُدَّةَ، وَحَفَرَ الخَنْدَقَ، وَكَانَ طُوْلُهُ خَمْسَةَ آلَافِ ذِرَاعٍ، وَعَرْضُهُ تِسْعَةَ أَذْرَاعٍ، وَعُمْقُهُ سَبْعَةَ أَذْرُعٍ إِلَىٰ عَشَرَةٍ، وَكَانَ عَلَىٰ كُلِّ عَشَرَةٍ مِنَ المُسْلِمِيْنَ حَفْرُ أَرْبَعِيْنَ ذِرَاعًا.

---

(١) «سِيْرَةُ ابْنِ هِشَامٍ» (٢/ ٢٢٠) ذُكِرَ عَنْ ابْنِ إِسْحَاقَ بِدُونِ إِسْنَادٍ.

وَقَدْ تَوَلَّىٰ المُهَاجِرُونَ الحَفْرَ مِنْ نَاحِيَةِ حِصْنِ رَاتِجٍ فِي الشَّرْقِ إِلَىٰ حِصْنِ ذُبَابٍ، وَالأَنْصَارُ مِنْ حِصْنِ ذُبَابٍ إِلَىٰ جَبَلِ عُبَيْدٍ فِي الغَرْبِ، وَقَدْ تَمَّ حَفْرُهُ بِسُرْعَةٍ عَجِيْبَةٍ، وَفِي سِتَّةِ أَيَّامٍ -فَقَطْ- رَغْمَ الجَوِّ البَارِدِ، وَالمَجَاعَةِ الَّتِي أَصَابَتِ المَدِيْنَةَ فِي ذَلِكَ الوَقْتِ(١).

٨ـ تَنْظِيمُ الجَيْشِ:

كَرَوْضَةٍ أَخَذَتْ بِالغَيْثِ زُخْرُفُهَا ... فَالرَّوْضُ مُنْتَظِمٌ، وَالغَيْثُ مُنْتَشِرُ (٢)

رَتَّبَ النَّبِيُّ ﷺ جَيْشَهُ فَأَسْنَدَ ظَهْرَهُمْ إِلَىٰ جَبَلِ سَلْعٍ دَاخِلَ المَدِيْنَةِ، وَوُجُوهَهُمْ إِلَىٰ الخَنْدَقِ الَّذِي يَفْصِلُ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ المُشْرِكِيْنَ الَّذِيْنَ نَزَلُوا رُوْمَةَ(٣) بَيْنَ الجُرْفِ(٤) وَالغَابَةِ وَنَقَمَىٰ(٥).(٦)

الجَيْشُ جَيْشُكَ غَيْرَ أَنَّكَ جَيْشُهُ ... فِي قَلْبِهِ وَيَمِيْنِهِ وَشِمَالِهِ(٧)

٩ـ مُشَارَكَةُ النَّبِيِّ ﷺ فِي حَفْرِ الخَنْدَقِ:

تَيَمَّمْتَهُ وَالسَّعْدُ حَوْلَكَ جَحْفَلٌ ... وَقَارَعْتَهُ وَالنَّصْرُ دُونَكَ خَنْدَقُ (٨)

---

(١) رَوَاهُ البُخَارِيُّ (٤١٠١)، وَمُسْلِمٌ (٢٠٣٩).

(٢) «دِيْوَانُ المَعَانِي» (٧٢).

(٣) رُوْمَة -بِالضَّمِّ-: بِئْرٌ مَعْرُوفَةٌ عَلَىٰ نِصْفِ فَرْسَخٍ مِنَ المَدِيْنَةِ.

(٤) الجُرْف -بِالضَّمِّ ثُمَّ السُّكُون- مَوْضِعٌ عَلَىٰ ثَلاثَةِ أَمْيَالٍ مِنَ المَدِيْنَةِ مِنْ جِهَةِ الشَّامِ.

(٥) نَقَمَىٰ -بِزِنَةِ جَمَزَىٰ- مِنْطَقَةٍ بِشِمَالِ المَدِيْنَةِ وَشَمَال أُحُدٍ.

(٦) انْظُر «تَفْسِيرُ الطَّبَرِيِّ» (٢١/ ١٢٩-١٣٠).

(٧) «الإِبَانَةُ عَنْ سَرِقَاتِ المُتَنَبِّي» (٤٠).

(٨) «دَوَاوِيْنُ الشِّعْرِ العَرَبِيِّ» (٨٣/ ٤١٢).

ظَلَّ المُسْلِمُونَ يَعْمَلُونَ بِقُوَّةٍ فِي حَفْرِ الخَنْدَقِ، وَيَحْمِلُونَ التُّرَابَ عَلَىٰ أَكْتَافِهِمْ؛ وَفِيْهِمْ مَنْ كَانَ لاَ يَخْدُمُ نَفْسَهُ مِنَ التُّجَارِ وَالزُّعَمَاءِ، وَقَدْ اسْتَوَوْا جَمِيْعًا فِي الحَفْرِ وَحَمْلِ الأَتْرِبَةِ، وَهُمْ فِي غَايَةِ الحَمَاسِ، يُرَدِّدُونَ الأَهَازِيْجَ، وَالرَّسُولُ ﷺ يَحْفرُ مَعَهُمْ، وَيَنْقِلُ التُّرَابَ، حَتَّىٰ اغْبَرَّ بَطْنُهُ، وَوَارَىٰ التُّرَابُ جِلْدَهُ، وَقَدْ شَدَّ عَلَىٰ بَطْنِهِ حَجَرًا لِفَرْطِ الجُوعِ[1].

وَكَانَ الصَّحَابَةُ -رِضْوَانُ اللهِ عَلَيْهِمْ- يَلْجَئُونَ إِلَيْهِ إِذَا عَرَضَتْ لَهُمْ صَخْرَةٌ، فَيَأْخُذُ المِعْوَلَ، وَيُفَتِّتُ الصَّخْرَةَ[2]، وَكَانَ ﷺ يُرَدِّدُ مَعَهُمُ الأَهَازِيْجَ وَالأَرْجَازَ مُشَارَكَةً لَهُمْ وَتَوَاضُعًا.

اللَّهُمَّ لَوْلَا أَنْتَ مَا اهْتَدَيْنَا   وَلَا تَصَدَّقْنَا وَلَا صَلَّيْنَا
فَأَنْزِلَنْ سَكِينَةً عَلَيْنَا   وَثَبِّتِ الْأَقْدَامَ إِنْ لَاقَيْنَا
إِنَّ الْأُلَىٰ قَدْ بَغَوْا عَلَيْنَا   وَإِنْ أَرَادُوا فِتْنَةً أَبَيْنَا

وَكَانَ يَمُدُّ صَوْتَهُ بِآخِرِهَا[3].

وَكَانَ المُسْلِمُونَ يَقُولُونَ - وَهُمْ يَحْفِرُونَ وَيَنْقُلُونَ التُّرَابَ:

نَحْنُ الَّذِينَ بَايَعُوا مُحَمَّدَا   عَلَىٰ الْجِهَادِ مَا بَقِينَا أَبَدَا

فَكَانَ ﷺ يُجِيْبُهُمْ بِقَوْلِهِ:

اللهُمَّ إِنَّ الْعَيْشَ عَيْشُ الْآخِرَهْ   فَاغْفِرْ لِلْأَنْصَارِ وَالْمُهَاجِرَهْ

---

(١) رَوَاهُ البُخَارِيُّ (٤١٠١)، وَمُسْلِمٌ (٢٠٣٩).

(٢) رَوَاهُ البُخَارِيُّ (٤١٠١)، وَمُسْلِمٌ (٢٠٣٩).

(٣) رَوَاهُ البُخَارِيُّ (٤١٠٦)، وَمُسْلِمٌ (١٨٠٣).

وَرُبَّمَا يَبْدَؤُهُمْ بِقَوْلِهِ، فَيَرُدُّونَ عَلَيْهِ بِقَوْلِهِمْ»(١).

١٠ـ نَقْضُ قُرَيْظَةَ لِلعَهْدِ:

وَرَأَيْتُ نَقْضَ العَهْدِ ذَنْبًا يُحْتَوَىٰ ... أَبَدًا وَكَشْفَ السِّرِّ شَيْئًا مُفْحِشَا(٢)

اشْتَدَّ الخَطْبُ عَلَىٰ المُسْلِمِيْنَ عِنْدَما بَلَغَهُمْ أَنَّ حُلَفَاءَهُمْ يَهُودَ بَنِي قُرَيْظَةَ قَدْ نَكَثُوا العَهْدَ، وَغَدَرُوا بِهِمْ، وَكَانَتْ دِيَارُ بَنِي قُرَيْظَةَ فِي العَوَالِي فِي الجَنُوبِ الشَّرْقِيِّ لِلمَدِيْنَةِ عَلَىٰ وَادِي مَهْزُوزٍ، فَكَانَ مَوْقِعُهُمْ يُمَكِّنُهُمْ مِنْ إِيْقَاعِ ضَرْبَةٍ بِالمُسْلِمِيْنَ مِنَ الخَلْفِ.

وَوَصَفَ القُرْآنُ الكَرِيْمُ البَلَاءَ الَّذِي أَصَابَ المُسْلِمِيْنَ بِوَصْفٍ عَجِيْبٍ، كَأَنَّ العَيْنَ تَرَاهُمْ، قَالَ اللهُ ﷻ: ﴿إِذْ جَآءُوكُم مِّن فَوْقِكُمْ وَمِنْ أَسْفَلَ مِنكُمْ وَإِذْ زَاغَتِ ٱلْأَبْصَٰرُ وَبَلَغَتِ ٱلْقُلُوبُ ٱلْحَنَاجِرَ وَتَظُنُّونَ بِٱللَّهِ ٱلظُّنُونَا۠ ﴿١٠﴾ هُنَالِكَ ٱبْتُلِىَ ٱلْمُؤْمِنُونَ وَزُلْزِلُوا۟ زِلْزَالًا شَدِيدًا ﴿١١﴾﴾ [الأَحْزَابُ: ١٠-١١].

١١ـ انْجِلاءُ الغُمَّةِ:

لَا تَأْخُذُ الْغُمَّةُ الْكُبْرَىٰ مَآخِذَهَا ... مِنْكُمْ وَإِنْ صَغُرَتْ تِلْقَاءَهَا الْغُمَمُ(٣)

لَمَّا أَرَادَ اللهُ ﷻ انْجِلاءَ الغُمَّةِ، وَتَفْرِيْجُ الكُرْبَةِ، صَنَعَ أَمْرًا مِنْ عِنْدِهِ، فَأَرْسَلَ عَلَىٰ الأَحْزَابِ رِيْحَ الصَّبَا(٤)، فَاقْتَلَعَتْ خِيَامَهُمْ، وَكَفَأَتْ قُدُورَهُمْ، وَأَطْفَأَتْ

(١) رَوَاهُ البُخَارِيُّ (٤١٠٠)، وَمُسْلِمٌ (١٨٠٥).
(٢) «دَوَاوِيْنُ الشِّعْرِ العَرَبِيِّ» (٣٧/ ٣١).
(٣) «دَوَاوِيْنُ الشِّعْرِ العَرَبِيِّ» (٤٥/ ٢٦٦).
(٤) رَوَاهُ البُخَارِيُّ (٥/ ٤٧)، وَمُسْلِمٌ (٢/ ٦١٧).

نِيرَانَهُمْ، وَدَفَنَتْ رِحَالَهُمْ وَآمَالَهُمْ، فَلَمْ تَدَعْ قِدْرًا إِلَّا كَفَأَتْهَا، وَلاَ طُنُبًا[١]، إِلاَّ قَلَعَتْهُ، وَلاَ قَلْبًا إِلَّا أَهْلَعَتْهُ وَأَرْعَبَتْهُ.

قَالَ الله ﷻ: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱذْكُرُواْ نِعْمَةَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ جَآءَتْكُمْ جُنُودٌ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا وَجُنُودًا لَّمْ تَرَوْهَا ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرًا ﴿٩﴾ ﴾ [الأَحْزَاب: ٩].

وَعَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا قَالَ: قَالَ رَسُولَ اللهِ ﷺ: «**نُصِرْتُ بِالصَّبَا وَأُهْلِكَتْ عَادٌ بِالدَّبُورِ**»[٢].

بَعْدَهَا انْفَضَّ الأَحْزَابُ عَنِ المَدِيْنَةِ، فَتَنَفَّسَ المُسْلِمُونَ الصُّعْدَاءَ، ﴿وَرَدَّ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِغَيْظِهِمْ لَمْ يَنَالُواْ خَيْرًا ۚ وَكَفَى ٱللَّهُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱلْقِتَالَ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ قَوِيًّا عَزِيزًا ﴿٢٥﴾ ﴾ [الأَحْزَاب: ٢٥].

رامَتْ بِجهلَتِهَا أَمْرًا وَلَوْ عَلِمَتْ ... مَاذَا أُعِدَّ لَها فِي الغَيْبِ لَمْ تَرُمِ
فَخَيَّبَ اللهُ مَسْعَاهَا وَغادَرَهَا ... نَهْبَ الرَّدَىٰ وَالصَّدَىٰ وَالرِّيحِ وَالطَّسَمِ
فَقوَّضَتْ عُمُدَ التَّرْحَالِ، وَانصرَفَتْ ... لَيْلًا إِلَىٰ حَيْثُ لَم تَسْرَحْ وَلَمْ تَسُمِ
وَكَيْفَ تَحْمَدُ عُقْبَىٰ مَا جَنَتْ يَدُهَا ... بَغْيًا وَقَدْ سَرَحَتْ فِي مَرْتَعٍ وَخِمِ
قَدْ أَقبَلَتْ وَهِيَ في فَخْرٍ وَفِي جَذَلٍ ... وَأَدْبَرَتْ وَهِيَ فِي خِزْيٍ وَفِي سَدَمِ
مَنْ يركَبِ الغَيَّ لا يَحْمَدْ عَوَاقِبَهُ ... وَمَنْ يُطِعْ قَلْبُهُ أَمْرَ الهَوَىٰ يَهِمِ[٣]

---

(١) الطُّنُبُ - بِضَمَّتَيْنِ- الوَتَدُ.

(٢) رَوَاهُ البُخَارِيُّ (١٠٣٥)، وَمُسْلِمٌ (٩٠٠).

(٣) «مَوْسُوعَةُ الشِّعْرِ الإِسْلاَمِي» (١/ ١٦)، وَغادَرَهَا: بَقَّاهَا، الرَّدَىٰ: الهَلاَك، وَالصَّدَىٰ: العَطَشُ، وَالطَّسَمِ -بِفَتْحَتَيْنِ -: الظَّلَامُ، وَالجَذَل: الفَرَحُ، والسَّدَمِ -بِفَتْحَتَيْنِ -: الغَيْظُ مَعَ الحُزْنِ.

١٢ـ مُدَّةُ لَبْثِ الحِصَارِ:

فَـذاقُـوا بِـهِ مُـرَّ الحِصَـارِ فَأَصْبَحُـوا   لَهمُ ذَلِكَ الحِصْـنُ الحَصِيْنُ حَصِيْرُ(١)

دَامَ الحِصَارُ شَهْرًا(٢)، قُتِلَ مِنَ المُسْلِمِيْنَ ثَمَانِيَةٌ مِنْهُمْ سَعْدُ بْنُ مُعَاذٍ سَيِّدُا لأَوْسِ، وَقُتِلَ مِنَ المُشْرِكِيْنَ أَرْبَعَةٌ، فَكَانَتْ غَزْوَةُ الأَحْزَابِ أَقَلَّ الغَزَوَاتِ قَتْلَىٰ، وَلَمْ يَقَعِ الْتِحَامٌ مُبَاشِرٌ بَيْنَهُمْ؛ حَيْثُ حَالَ الخَنْدَقُ دُونَ ذَلِكَ، وَكَانَ طُولُ الحِصَارِ سَبَبًا فِي إِضْعَافِ مَعْنَوِيَّةِ الأَحْزَابِ، وَاسْتَجَابَ اللهُ ﷻ: «**اللَّهُمَّ مُنْزِلَ الْكِتَابِ، سَرِيعَ الْحِسَابِ، مُجْرِيَ السَّحَابِ، هَازِمَ الأَحْزَابِ، اهْزِمْهُمْ وَزَلْزِلْهُمْ**»(٣).

فَهَزَمَهُمُ اللهُ ﷻ.

وَبَعْدَ مَعْرَكَةِ الأَحْزَابِ زُفَّتِ البَشَائِرُ، وَأَشْرَقَتِ المَدِيْنَةُ بِقَوْلِ رَسُولِ اللهِ ﷺ: «**الْآنَ نَغْزُوهُمْ وَلَا يَغْزُونَنَا، نَحْنُ نَسِيرُ إِلَيْهِمْ**»(٤).

مِمَّا يَدُلُّ عَلَىٰ تَغْيِيرِ الاسْتِرَاتِجِيَّةِ الإِسْلَامِيَّةِ مِنْ مَرْحَلَةِ الدِّفَاعِ إِلَىٰ مَرْحَلَةِ الهُجُومِ.

ثُـمَّ اسْـتَثَارَتْ قُرَيْشٌ -وَهِـيَ ظَالِمَةٌ-   أَحْـلَافَهَـا وَأَتَـتْ فِـي جَحْفَـلٍ لَهِـمِ

---

(١) «دَوَاوِيْنُ الشِّعْرِ العَرَبِيِّ» (٩/ ٢٤).

(٢) «تَفْسِيْرُ الطَّبَرِيِّ» ١٢/ ١٢٨)، وَ«زَادُ المِعَادِ» (٩/ ٢٤).

(٣) رَوَاهُ البُخَارِيُّ (٤١١٥)، وَمُسْلِمٌ (١٧٤٢).

(٤) رَوَاهُ البُخَارِيُّ (٤١١٠).

تَستَمرِئُ البَغْيَ مِنْ جَهْلٍ، وَمَا عَلِمَتْ ... أَنَّ الجَهَالَةَ مَدْعَاةٌ إِلَىٰ الثَّلَمِ

فَخَنْدَقَ المُؤْمِنُونَ الدَّارَ وَانتَصَبُوا ... لِحَرْبِهِمْ كَضَوَارِي الأُسْدِ فِي الأَجَمِ

فَمَا اسْتَطَاعَتْ قُرَيْشٌ نَيْلَ مَا طَلَبَتْ ... وَهَلْ تَنَالُ الثُّرَيَّا كَفُّ مُسْتَلِمِ(١)

---

(١) «مَوْسُوعَةُ الشِّعْرِ الإِسْلَامِي» (١٥/ ٦٠٦)، وَاللهِمُ: الأَكُون، وَاسْتَمْرَأَ الطَّعَامَ: وَجَدَهُ مَرِيْئًا (أَيْ: هَنِيْئًا حَمِيْدَ المَغَبَّةِ).

غَزْوَةُ بَنِي قُرَيْظَةَ

لَقَدْ لَقِيَتْ قُرَيْظَةُ مَا عَظَاهَا ... وَحَلَّ بِحِصْنِهَا ذُلٌّ ذَلِيلُ[(١)]

١ ـ سَبَبُ الغَزْوَةِ:

سَبَبُ غَزْوَةِ بَنِي قُرَيْظَةَ هُوَ مَا تَقَدَّمَ فِي قِصَّةِ الخَنْدَقِ مِنْ نَقْضِ عَهْدِهِمْ مَعَ رَسُولِ اللهِ ﷺ، وَمُعَاوَنَتِهِمُ الأَحْزَابَ عَلَىٰ حَرْبِهِ.

٢ ـ وَقْتُهَا:

قَالَ الحَافِظُ ابْنُ حَجَرٍ رَحِمَهُ اللهُ: كَانَتْ - أَيْ غَزْوَةُ بَنِي قُرَيْظَةَ - لِسَبْعٍ بَقِينَ مِنْ ذِي الْقِعْدَةِ، فِي السَّنَةِ الخَامِسَةِ مِنَ الهِجْرَةِ.

وَكَانَ عَدَدُ جَيْشِ المُسْلِمِيْنَ ثَلَاثَةِ آلَافِ رَجُلٍ وَذَكَرَ ابْنُ سَعْدٍ: أَنَّهُ كَانَ مَعَ المُسْلِمِيْنَ سِتَّةٌ وَثَلَاثُونَ فَرَسًا[(٢)].

٣ ـ تَعَجُّلُ النَّبِيِّ ﷺ لِقِتَالِهِمْ:

تَعَجَّلَ النَّبِيُّ ﷺ الصَّحَابَةَ لِلخُرُوجِ إِلَيْهِمْ قَبْلَ أَنْ يَتَحَصَّنُوا، وَيَأْخُذُوا العُدَّةَ لِذَلِكَ.

فَعَنْ ابْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ يَوْمَ الْأَحْزَابِ: «**لَا يُصَلِّيَنَّ أَحَدُكُمُ الْعَصْرَ إِلَّا فِي بَنِي قُرَيْظَةَ**»، فَأَدْرَكَ بَعْضُهُمُ الْعَصْرَ فِي الطَّرِيقِ، فَقَالَ

---

(١) «دِيْوَانُ حَسَّانَ بْنِ ثَابِتٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ» (١٧٥).

(٢) «فَتْحُ البَارِي» (٧/ ٤٧١) بِتَصَرُّفٍ.

بَعْضُهُـمْ: لَا نُصَلِّـي حَتَّىٰ نَأْتِيَهُمْ، وَقَالَ بَعْضُهُمْ: بَلْ نُصَلِّـي لَمْ يُرِدْ مِنَّا ذَلِكَ، فَذُكِرَ ذَلِكَ لِلنَّبِيِّ ﷺ فَلَمْ يُعَنِّفْ وَاحِدًا مِنْهُمْ[١].

٤ـ جِبْرِيْلُ عَلَيْهِ السَّلَامُ فِي مَوْكِبٍ مِنَ المَلَائِكَةِ:

الـرُّوحُ وَالـمَــلَأُ الـمَلَائِـكُ حَوْلَـهُ ... لِلــدِّيْــنِ وَالـدُّنْـيـا بِـهِ بُشَـراءُ[٢]

كَانَتْ غَزْوَةُ بَنِي قُرَيْظَةَ يَتَقَدَّمُهَا جِبْرِيْلُ فِي مَوْكِبٍ مِنَ المَلَائِكَةِ.

فَعَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهَا قَالَتْ: لَمَّا رَجَعَ النَّبِيُّ ﷺ مِنْ الْخَنْدَقِ، وَوَضَعَ السِّلَاحَ وَاغْتَسَلَ، أَتَاهُ جِبْرِيـلُ عَلَيْهِ السَّلَامُ فَقَالَ: قَـدْ وَضَعْتَ السِّـلَاحَ، وَاللهِ مَـا وَضَعْنَاهُ، فَاخْـرُجْ إِلَيْهِمْ، قَـالَ: «فَإِلَىٰ أَيْنَ؟» قَالَ: هَا هُنَا، وَأَشَـارَ إِلَىٰ بَنِـي قُرَيْظَةَ فَخَرَجَ النَّبِيُّ ﷺ إِلَيْهِمْ[٣].

وَعَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ: كَأَنِّي أَنْظُرُ إِلَىٰ غُبَارٍ سَاطِعٍ فِي سِكَّةِ بَنِي غَنْمٍ، مَوْكِبِ جِبْرِيلَ- صَلَوَاتُ اللهِ عَلَيْهِ- حِيْنَ سَارَ رَسُولُ اللهِ ﷺ إِلَىٰ بَنِي قُرَيْظَةَ»[٤].

حَـيُّــوا المَلَائِكَـةَ الأَبْـرَارَ يَقْدُمُهُـمْ ... جِبْرِيْـلُ فِـي غَمَـرَاتِ الهَـوْلِ يَقْتَحِـمُ
الأَرْضُ تَرْجُـفُ رُعْبًـا والسَّـماءُ بِهَـا ... غَـيْـظٌ يَظَـلُّ عَلَـىٰ الكُفَّـارِ يَحْتَـدِمُ[٥]

---

(١) رَوَاهُ البُخَارِيُّ (٤١١٩).
(٢) «مَوْسُوعَةُ الشِّعْرِ الإِسْلَامِي» (٤/ ١٥٠).
(٣) رَوَاهُ البُخَارِيُّ (٤١١٧).
(٤) رَوَاهُ البُخَارِيُّ (٤١١٨).
(٥) «دِيْوَانُ أَحْمَد مُحَرَّم» (٩٩١).

٥ـ حُكْمُ سَعْدِ بْنِ مُعَاذٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ فِي بَنِي قُرَيْظَةَ:

نَمَا سَيِّدُ الأَنْصَارِ سَعْدٌ، وَسَدَّدَتْ   يَدٌ لَهُ فِي أَغْرَاضِهِ النَّصْرَ والسَّعَدَا[١]

عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهَا، قَالَتْ: خَرَجْتُ يَوْمَ الْخَنْدَقِ أَقْفُو[٢] آثَارَ النَّاسِ، فَسَمِعْتُ وَئِيدَ الْأَرْضِ[٣] مِنْ وَرَائِي، فَالْتَفَتُّ فَإِذَا أَنَا بِسَعْدِ بْنِ مُعَاذٍ، وَمَعَهُ ابْنُ أَخِيهِ الْحَارِثُ بْنُ أَوْسٍ، يَحْمِلُ مِجَنَّهُ[٤]، فَجَلَسْتُ إِلَىٰ الأَرْضِ، قَالَتْ: فَمَرَّ سَعْدٌ وَعَلَيْهِ دِرْعٌ قَدْ خَرَجَتْ مِنْهَا أَطْرَافُهُ، فَأَنَا أَتَخَوَّفُ عَلَىٰ أَطْرَافِ سَعْدٍ، قَالَتْ: وَكَانَ مِنْ أَعْظَمِ النَّاسِ وَأَطْوَلِهِمْ.

قَالَتْ: فَمَرَّ يَرْتَجِزُ وَهُوَ يَقُولُ[٥]:

لَبِّثْ قَلِيلًا يُدْرِكِ الْهَيْجَا[٥] حَمَلْ   مَا أَحْسَنَ الْمَوْتَ إِذَا حَانَ الأَجَلْ

قَالَتْ: فَقُمْتُ فَاقْتَحَمْتُ الحَدِيقَةَ، فَإِذَا فِيهَا نَفَرٌ مِنَ الْمُسْلِمِينَ فِيهِمْ عُمَرُ ابْنُ الْخَطَّابِ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، فَقَالَ عُمَرُ: وَيْحَكِ، مَا جَاءَ بِكِ؟، وَاللهِ إِنَّكِ لَجَرِيئَةٌ، مَا يُؤَمِّنُكِ أَنْ يَكُونَ تَحَوُّزٌ أَوْ بَلَاءٌ؟!.

قَالَتْ: فَمَا زَالَ يَلُومُنِي حَتَّىٰ تَمَنَّيْتُ أَنَّ الأَرْضَ قَدِ انْشَقَّتْ فَدَخَلْتُ فِيهَا، وَفِيهِمْ رَجُلٌ عَلَيْهِ نَصِيفَةٌ لَهُ، فَرَفَعَ الرَّجُلُ النَّصِيفَ[٦] عَنْ وَجْهِهِ، فَإِذَا طَلْحَةُ بْنُ عُبَيْدِ اللهِ.

---

(١) «دِيْوَانُ لِسَان الدِّيْن الخَطِيْب» (٤١٠).

(٢) أَقْفُو: أَتَّبِعُ.

(٣) وَئِيدَ الأَرْضِ أَيْ: حِسَّهَا.

(٤) المِجَنَّه -بِالكَسْرِ- التُّرْسُ.

(٥) الهَيْجَا: أَي الحَرْبِ.

(٦) النَّصِيفَ: الخِمَار.

فَقَالَ: وَيْحَكَ يَا عُمَرُ، إِنَّكَ قَدْ أَكْثَرْتَ مُنْذُ الْيَوْمِ، وَأَيْنَ الْفِرَارُ إِلَّا إِلَىٰ اللهِ؟

قَالَتْ: وَرَمَىٰ سَعْدًا رَجُلٌ مِنَ الْمُشْرِكِينَ يُقَالُ لَهُ: ابْنُ الْعَرِقَةِ، بِسَهْمٍ قَالَ: خُذْهَا وَأَنَا ابْنُ الْعَرِقَةِ، فَأَصَابَ أَكْحَلَهُ[١] فَقَطَعَهُ، فَقَالَ: اللهُمَّ لاَ تُمِتْنِي حَتَّىٰ تُقِرَّ عَيْنِي مِنْ قُرَيْظَةَ، وَكَانُوا حُلَفَاءَهُ وَمَوَالِيَهُ فِي الْجَاهِلِيَّةِ، فَبَرَأَ كَلْمُهُ[٢]، وَبَعَثَ اللهُ الرِّيحَ عَلَىٰ الْمُشْرِكِينَ ﴿وَكَفَى ٱللَّهُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱلْقِتَالَۚ وَكَانَ ٱللَّهُ قَوِيًّا عَزِيزًا ۝٢٥﴾ [الأَحْزَابُ: ٢٥].

فَلَحِقَ أَبُو سُفْيَانَ بِتِهَامَةَ، وَلَحِقَ عُيَيْنَةُ وَمَنْ مَعَهُ بِنَجْدٍ، وَرَجَعَتْ بَنُو قُرَيْظَةَ، فَتَحَصَّنُوا بِصَيَاصِيهِمْ[٣]، فَرَجَعَ رَسُولُ اللهِ ﷺ إِلَىٰ الْمَدِينَةِ، وَأَمَرَ بِقُبَّةٍ مِنْ أَدَمٍ، فَضُرِبَتْ عَلَىٰ سَعْدٍ فِي الْمَسْجِدِ وَوَضَعَ السِّلَاحَ، قَالَتْ: فَأَتَاهُ جِبْرِيلُ، فَقَالَ: أَوَقَدْ وَضَعْتَ السِّلَاحَ؟!، فَوَاللهِ مَا وَضَعَتِ الْمَلَائِكَةُ السِّلَاحَ، اخْرُجْ إِلَىٰ بَنِي قُرَيْظَةَ فَقَاتِلْهُمْ.

فَأَمَرَ رَسُولُ اللهِ ﷺ بِالرَّحِيلِ، وَلَبِسَ لَأْمَتَهُ[٤]، فَخَرَجَ فَمَرَّ عَلَىٰ بَنِي غَنْمٍ وَكَانُوا جِيرَانَ الْمَسْجِدِ، فَقَالَ: مَنْ مَرَّ بِكُمْ؟ قَالُوا: مَرَّ بِنَا دِحْيَةُ الْكَلْبِيُّ، فَأَتَاهُمْ رَسُولُ اللهِ ﷺ فَحَاصَرَهُمْ خَمْسًا وَعِشْرِينَ يَوْمًا، فَلَمَّا اشْتَدَّ حَصْرُهُمْ، وَاشْتَدَّ الْبَلَاءُ عَلَيْهِمْ قِيلَ لَهُمْ: انْزِلُوا عَلَىٰ حُكْمِ رَسُولِ اللهِ ﷺ، فَاسْتَشَارُوا أَبَا لُبَابَةَ، فَأَشَارَ إِلَيْهِمْ أَنَّهُ الذَّبْحُ، فَقَالُوا: نَنْزِلُ عَلَىٰ حُكْمِ سَعْدِ بْنِ مُعَاذٍ، فَنَزَلُوا عَلَىٰ حُكْمِ سَعْدٍ.

وَبَعَثَ رَسُولُ اللهِ ﷺ إِلَىٰ سَعْدٍ، فَحُمِلَ عَلَىٰ حِمَارٍ، وَعَلَيْهِ إِكَافٌ مِنْ لِيفٍ وَحَفَّ بِهِ قَوْمُهُ، فَجَعَلُوا يَقُولُونَ: يَا أَبَا عَمْرٍو، حُلَفَاؤُكَ وَمَوَالِيكَ وَأَهْلُ النِّكَايَةِ

---

(١) أَكْحَلَهُ: عِرْقَ فِي اليَدِ.

(٢) الكَلْم -بِالفَتْحِ- الجُرْح.

(٣) الصَّيَاصِي: الحُصُون، وَاحِدُهَا: صِيْصَةٌ - بِالكَسْرِ -.

(٤) اللَّأْمَة: -بِالفَتْح- الدِّرْع.

وَمَـنْ قَدْ عَلِمْتَ، فَلَا يَرْجِعُ إِلَيْهِمْ قَوْلًا، حَتَّىٰ إِذَا دَنَا مِنْ ذَرَارِيِّهِمُ الْتَفَتَ إِلَىٰ قَوْمِهِ، فَقَالَ: قَدْ آنَ لِسَعْدٍ أَنْ لَا يُبَالِي فِي اللهِ لَوْمَةَ لَائِمٍ، فَلَمَّا طَلَعَ عَلَىٰ رَسُولِ اللهِ ﷺ، قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**قُومُوا إِلَىٰ سَيِّدِكُمْ فَأَنْزِلُوهُ**».

قَالَ عُمَرُ: سَيِّدُنَا اللهُ، قَالَ: «**أَنْزِلُوهُ**»، فَأَنْزَلُوهُ، فَقَالَ لَهُ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**احْكُمْ فِيهِمْ**»، قَالَ: فَإِنِّي أَحْكُمُ فِيهِمْ أَنْ تُقْتَلَ مُقَاتِلَتُهُمْ، وَتُسْبَىٰ ذَرَارِيُّهُمْ، وَتُقْسَمَ أَمْوَالُهُمْ.

قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**لَقَدْ حَكَمْتَ فِيهِمْ بِحُكْمِ اللهِ وَرَسُولِهِ**».

ثُمَّ دَعَا اللهَ سَعْدٌ، فَقَالَ: اللهُمَّ إِنْ كُنْتَ أَبْقَيْتَ عَلَىٰ نَبِيِّكَ ﷺ مِنْ حَرْبِ قُرَيْشٍ شَيْئًا، فَأَبْقِنِي لَهَا، وَإِنْ كُنْتَ قَطَعْتَ بَيْنَهُ وَبَيْنَهُمْ، فَاقْبِضْنِي إِلَيْكَ، فَانْفَجَرَ كَلْمُهُ، وَكَانَ قَدْ بَرَأَ مِنْهُ حَتَّىٰ مَا بَقِيَ مِنْهُ إِلَّا مِثْلَ الْحِمَّصِ(١).

قَالَتْ: فَرَجَعَ رَسُولُ اللهِ ﷺ، وَرَجَعَ سَعْدٌ إِلَىٰ بَيْتِهِ الَّذِي ضَرَبَ عَلَيْهِ رَسُولُ اللهِ ﷺ، قَالَتْ: فَحَضَرَهُ رَسُولُ اللهِ ﷺ وَأَبُو بَكْرٍ وَعُمَرُ، قَالَتْ: فَوَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ، إِنِّي لَأَعْرِفُ بُكَاءَ أَبِي بَكْرٍ مِنْ بُكَاءِ عُمَرَ وَأَنَا فِي حُجْرَتِي، وَكَانُوا كَمَا قَالَ اللهُ: ﴿رُحَمَآءُ بَيْنَهُمْۖ﴾ [الفَتْحُ: ٢٥].

قَالَ عَلْقَمَةُ: فَقُلْتُ أَيْ أُمَّهْ، فَكَيْفَ كَانَ رَسُولُ اللهِ ﷺ يَصْنَعُ؟. قَالَتْ: كَانَ عَيْنَاهُ لَا تَدْمَعُ عَلَىٰ أَحَدٍ، وَلَكِنَّهُ إِذَا وَجَدَ(٢) إِنَّمَا هُوَ آخِذٌ بِلِحْيَتِهِ(٣).

---

(١) الْحِمَّص - بِالكَسرِ - الحَاءِ، وَتَشْدِيْدِ المِيْمِ مَكْسُورَةً أَوْ مَفْتُوحَةً -: حُبٌّ مَعْرُوفٌ، وَالعَوَامُّ يَقُولُونَ: حُمَّصٌ -بِضَمِّ الحَاءِ وَالمِيْمِ المُشَدَّدَةِ-.

(٢) وَجَدَ: حَزِنَ.

(٣) (حَسَنٌ) أَخْرَجَهُ أَحْمَدُ (٢٥١٤٠)، وَحَسَّنَهُ الأَلْبَانِيُّ رَحِمَهُ اللهُ فِي «الصَّحِيحَةِ» (٦٧).

٦ ـ ضَرْبُ أَعْنَاقِ اليَهُودِ(١):

رَفَعُوا بِحَدِّ السَّيْفِ دِيْنَ هِدَايَةٍ ... وَلَوْلاَ جَلِيْلُ صَنْعِهِمْ مَا قَامَا (١)

قَالَ ابْنُ كَثِيرٍ رَحِمَهُ اللهُ: «ثُمَّ لَمَّا اسْتَنْزَلُوا مِنْ حُصُونِهِمْ، حَبَسَهُمْ رَسُولُ اللهِ ﷺ بِالْمَدِينَةِ فِي دَارٍ، ثُمَّ خَرَجَ رَسُولُ اللهِ ﷺ إِلَىٰ سُوقِ الْمَدِينَةِ، فَخَنْدَقَ بِهَا خَنَادِقَ، ثُمَّ بَعَثَ إِلَيْهِمْ فَضَرَبَ أَعْنَاقَهُمْ فِي تِلْكَ الْخَنَادِقِ، يَخْرُجُ بِهِمْ إِلَيْهِ أَرْسَالًا، وَفِيهِمْ عَدُوُّ اللهِ حُيَيُّ بْنُ أَخْطَبَ، وَكَعْبُ بْنُ أَسَدٍ رَأْسُ الْقَوْمِ، وَهُمْ سِتُّمِائَةٍ أَوْ سَبْعُمِائَةٍ، وَسُبِيَ مَنْ لَمْ يَنْبُتْ مِنْهُمْ مَعَ النِّسَاءِ وَأَمْوَالِهِمْ»(٢).

فَعَنْ عَطِيَّةَ الْقُرَظِيِّ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ: «كُنْتُ مِنْ سَبْيِ بَنِي قُرَيْظَةَ، فَكَانُوا يَنْظُرُونَ، فَمَنْ أَنْبَتَ الشَّعْرَ قُتِلَ، وَمَنْ لَمْ يُنْبِتْ لَمْ يُقْتَلْ، فَكُنْتُ فِيمَنْ لَمْ يُنْبِتْ». وفي رواية: «فَكَشَفُوا عَانَتِي، فَوَجَدُوهَا لَمْ تَنْبُتْ، فَجَعَلُونِي مِنَ السَّبْيِ»(٣).

ثُمَّ اِنتَحَىٰ بِوُجُوهِ الخَيْلِ سَاهِمَةً ... بَنِي قُرَيظَةَ في رَجْرَاجَةٍ حُطَمِ
خَانُوا الرَّسُولَ فَجَازَاهُم بِمَا كَسَبُوا ... وَفِي الخِيَانَةِ مَدعَاةٌ إِلَىٰ النِّقَمِ (٤)

---

(١) «دِيْوَانُ أَحْمَد مُحَرَّم» (٩٠).

(٢) مَحَاسِنُ التَّأْوِيْلِ» (١٣/ ٢٤٤).

(٣) (صَحِيْحٌ) أَخْرَجَهُ أَبُو دَاوُدَ(٤٤٠٤)، وَالتِّرْمِذِيُّ(١٥٨٤)، وَالنَّسَائِيُّ (٦/ ١٥٥)، وَابْنُ مَاجَهْ (٢٥٤)، وَأَحْمَدُ(٤/ ٣١٠)، وَصَحَّحَهُ الأَلْبَانِيُّ رَحِمَهُ اللهُ فِي «صَحِيْحِ ابْنُ مَاجَهْ» (٢٥٤).

(٤) «مَوْسُوعَةُ الشِّعْرِ الإِسْلاَمِي»(١٥/ ٦٠٦) وَاِنتَحَىٰ: مَالَ وَتَوَجَّهَ إِلَىٰ. وَفَرَسٌ سَاهِمُ الوَجْهِ: مَحْمُولٌ عَلَىٰ كَرِيْهَةِ الجَرْي، وَقَدْ سُهِمَ. وَكَتِيْبَةٌ رَجْرَاجَةٌ: تَمُوجُ وَلاَ تَكَادُ تَسِيْرُ لِكَثْرَتِهَا. حُطَمٌ أَيْ: عَنِيْفَة تَحْطِمُ مَا تَلْقَىٰ.

قَتْلُ أَبِي رَافِعٍ سَلَامِ بْنِ أَبِي رَافِعٍ الْيَهُودِيِّ

وَسَامَ أَعْدَاءَكَ الأَشْقِينَ مَا كَسَبُوا ... وَمَنْ تَرَدَّاءْ رِدَاءَ الغَدْرِ أَرْدَاهُ

أَبُو رَافِعٍ سَلَامُ بْنُ أَبِي الحَقِيْق، كَانَ يُؤْذِي النَّبِيَّ ﷺ، وَكَانَ مِمَّنْ حَزَّبَ الأَحْزَابَ عَلَىٰ رَسُولِ اللهِ ﷺ.

فَعَنْ الْبَرَاءِ بْنِ عَازِبٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ: بَعَثَ رَسُولُ اللهِ ﷺ إِلَىٰ أَبِي رَافِعٍ الْيَهُودِيِّ رِجَالًا مِنْ الْأَنْصَارِ، فَأَمَّرَ عَلَيْهِمْ عَبْدَ اللهِ بْنَ عَتِيكٍ، وَكَانَ أَبُو رَافِعٍ يُؤْذِي رَسُولَ اللهِ ﷺ وَيُعِينُ عَلَيْهِ، وَكَانَ فِي حِصْنٍ لَهُ بِأَرْضِ الْحِجَازِ، فَلَمَّا دَنَوْا مِنْهُ وَقَدْ غَرَبَتْ الشَّمْسُ، وَرَاحَ النَّاسُ بِسَرْحِهِمْ، فَقَالَ عَبْدُ اللهِ لِأَصْحَابِهِ: اجْلِسُوا مَكَانَكُمْ فَإِنِّي مُنْطَلِقٌ وَمُتَلَطِّفٌ لِلْبَوَّابِ، لَعَلِّي أَنْ أَدْخُلَ فَأَقْبَلَ حَتَّىٰ دَنَا مِنْ الْبَابِ ثُمَّ تَقَنَّعَ بِثَوْبِهِ كَأَنَّهُ يَقْضِي حَاجَةً وَقَدْ دَخَلَ النَّاسُ فَهَتَفَ بِهِ الْبَوَّابُ يَا عَبْدَ اللهِ، إِنْ كُنْتَ تُرِيدُ أَنْ تَدْخُلَ فَادْخُلْ فَإِنِّي أُرِيدُ أَنْ أُغْلِقَ الْبَابَ، فَدَخَلْتُ فَكَمَنْتُ، فَلَمَّا دَخَلَ النَّاسُ أَغْلَقَ الْبَابَ، ثُمَّ عَلَّقَ الْأَغَالِيقَ عَلَىٰ وَتَدٍ، قَالَ: فَقُمْتُ إِلَىٰ الْأَقَالِيدِ فَأَخَذْتُهَا فَفَتَحْتُ الْبَابَ، وَكَانَ أَبُو رَافِعٍ يُسْمَرُ عِنْدَهُ، وَكَانَ فِي عَلَالِيَّ لَهُ، فَلَمَّا ذَهَبَ عَنْهُ أَهْلُ سَمَرِهِ صَعِدْتُ إِلَيْهِ، فَجَعَلْتُ كُلَّمَا فَتَحْتُ بَابًا أَغْلَقْتُ عَلَيَّ مِنْ دَاخِلٍ، قُلْتُ: إِنْ الْقَوْمُ نَذِرُوا بِي لَمْ يَخْلُصُوا إِلَيَّ حَتَّىٰ أَقْتُلَهُ، فَانْتَهَيْتُ إِلَيْهِ فَإِذَا هُوَ فِي بَيْتٍ مُظْلِمٍ وَسْطَ عِيَالِهِ، لَا أَدْرِي أَيْنَ هُوَ مِنْ الْبَيْتِ، فَقُلْتُ: يَا أَبَا رَافِعٍ، قَالَ: مَنْ هَذَا، فَأَهْوَيْتُ نَحْوَ الصَّوْتِ فَأَضْرِبُهُ ضَرْبَةً بِالسَّيْفِ وَأَنَا دَهِشٌ، فَمَا أَغْنَيْتُ شَيْئًا، وَصَاحَ فَخَرَجْتُ مِنْ

الْبَيْتِ، فَأَمْكُثُ غَيْرَ بَعِيدٍ، ثُمَّ دَخَلْتُ إِلَيْهِ فَقُلْتُ: مَا هَذَا الصَّوْتُ يَا أَبَا رَافِعٍ، فَقَالَ: لِأُمِّكَ الْوَيْلُ، إِنَّ رَجُلًا فِي الْبَيْتِ ضَرَبَنِي قَبْلُ بِالسَّيْفِ، قَالَ: فَأَضْرِبُهُ ضَرْبَةً أَثْخَنَتْهُ وَلَمْ أَقْتُلْهُ، ثُمَّ وَضَعْتُ ظِبَةَ السَّيْفِ فِي بَطْنِهِ حَتَّىٰ أَخَذَ فِي ظَهْرِهِ، فَعَرَفْتُ أَنِّي قَتَلْتُهُ، فَجَعَلْتُ أَفْتَحُ الْأَبْوَابَ بَابًا بَابًا حَتَّىٰ انْتَهَيْتُ إِلَىٰ دَرَجَةٍ لَهُ، فَوَضَعْتُ رِجْلِي وَأَنَا أُرَىٰ أَنِّي قَدْ انْتَهَيْتُ إِلَىٰ الْأَرْضِ، فَوَقَعْتُ فِي لَيْلَةٍ مُقْمِرَةٍ فَانْكَسَرَتْ سَاقِي فَعَصَبْتُهَا بِعِمَامَةٍ، ثُمَّ انْطَلَقْتُ حَتَّىٰ جَلَسْتُ عَلَىٰ الْبَابِ، فَقُلْتُ: لَا أَخْرُجُ اللَّيْلَةَ حَتَّىٰ أَعْلَمَ أَقَتَلْتُهُ، فَلَمَّا صَاحَ الدِّيكُ قَامَ النَّاعِي عَلَىٰ السُّورِ فَقَالَ: أَنْعَىٰ أَبَا رَافِعٍ تَاجِرَ أَهْلِ الْحِجَازِ، فَانْطَلَقْتُ إِلَىٰ أَصْحَابِي فَقُلْتُ: النَّجَاءَ فَقَدْ قَتَلَ اللهُ أَبَا رَافِعٍ، فَانْتَهَيْتُ إِلَىٰ النَّبِيِّ ﷺ فَحَدَّثْتُهُ، فَقَالَ: ابْسُطْ رِجْلَكَ، فَبَسَطْتُ رِجْلِي فَمَسَحَهَا، فَكَأَنَّهَا لَمْ أَشْتَكِهَا قَطُّ»[1].

---

(١) رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ (٤٠٣٩).

غَزْوَةُ الحُدَيْبِيَةِ

وَفـي الحُدَيْبِيَـةِ الصُّلـحُ اِسـتَتَبَّ إِلَىٰ عَشْـرٍ وَلَـم يَجـرِ فِيْهَا مِـنْ دَمٍ هَـدَمِ [١]

١ـ مَوْقِعُ الحُدَيْبِيَةِ:

الحُدَيْبِيَـةُ اسْـمُ بِئْرٍ تَقَعُ عَلَـىٰ بُعْدِ اثْنَيْنِ وَعِشْـرِيْنَ كَيْلًا إِلَىٰ الشَّـمَالِ الغَرْبِيِّ مِنْ مَكَّةَ، وَتُعْرَفُ الآنَ بِالشَّمِيْسِـيِّ، وَفِيْهَا حَدَائِقُ الحُدَيْبِيَةِ، وَمَسْـجِدُ الرِّضْوَانِ[٢]، وَأَطْرَافُهَـا تَدْخُلُ فِـي حُدُودِ الحَرَمِ المَكِّـيِّ، وَمُعْظَمُهَا مِنَ الحِـلِّ خَارِجَةٌ[٣]، وَقَدْ سُمِّيَتِ الغَزْوَةُ بِهَا؛ لِأَنَّ قُرَيْشًا مَنَعَتِ المُسْلِمِيْنَ مِنْ دُخُولِ مَكَّةَ وَهُمْ فِي الحُدَيْبِيَةِ.

٢ـ وَقْتُهَا:

كَانَ خُـرُوجُ رَسُـولُ اللـهِ ﷺ إِلَىٰ الحُدَيْبِيَـةِ مُسْـتَهَلَّ ذِي القَعْدَةِ مِنَ السَّـنَةِ السَّادِسَةِ بِإِجْمَاعِ عُلَمَاءِ السِّيْرَةِ[٤].

٣ـ المَقْصُودُ مِنْهَا:

قَصَـدَ ﷺ بِخُرُوجِـهِ العُمْـرَةَ[٥]، وَبَلَـغَ عَـدَدُ المُسْـلِمِيْنَ فِـي الحُدَيْبِيَـةِ أَلْفًا

---

(١) «مَوْسُوعَةُ الشِّعْرِ الإِسْلَامِي» (١٦/ ٦٠٦).

(٢) «نَسَب حَرْبٍ» (٣٥٠).

(٣) «زَادُ المِعَادِ» (٣/ ٣٨٠).

(٤) «دَلَائِلُ النُّبُوَّة» (٢/ ٢١٢).

(٥) رَوَاهُ البُخَارِيُّ (٤١٧٨).

وَأَرْبَعَمِائَةِ رَجُلٍ[١]، وَلَمَّا وَصَلَ المُسْلِمُونَ إِلَىٰ ذِي الحُلَيْفَةِ صَلُّوا، وَأَحْرَمُوا بِالعُمْرَةِ[٢]، وَسَاقُوا الهَدْيَ سَبْعِيْنَ بَدَنَةً[٣].[٤]

٤ـ مُشَاوَرَةُ النَّبِيِّ ﷺ أَصْحَابَهُ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمْ:

فَشَاوِرْ نُجُومَ السَّعْدِ وَأَلْقِ بِصَدْرِهَا ... إِلَىٰ فَلَقٍ فِيْهِ الصَّبَاحُ كَمِيْنُ[٥]

بَعَثَ النَّبِيُّ ﷺ عَيْنًا إِلَىٰ مَكَّةَ، هُوَ بِسْرُ بْنُ سُفْيَانَ الخُزَاعِيُّ الكَعْبِيُّ[٦]، وَمَضَىٰ المُسْلِمُونَ إِلَىٰ أَنْ وَصَلُوا عُسْفَانَ عَلَىٰ ثَمَانِيْنَ كَيْلًا مِنْ مَكَّةَ، فَجَاءَهُمْ بِسْرُ بْنُ سُفْيَانَ الخُزَاعِيُّ الكَعْبِيُّ بِخَبَرِ قُرَيْشٍ، وَأَنَّهَا سَمِعَتْ بِمَسِيْرِهِمْ، وَجَمَعَتْ لَهُمُ الجُمُوعُ لِصَدِّهِمْ عَنْ دُخُولِ مَكَّةَ، وَأَنَّ خَالِدَ بْنَ الوَلِيْدِ خَرَجَ بِخَيْلِهِمْ إِلَىٰ كُرَاعِ الغَمِيْمِ - عَلَىٰ بُعْدِ أَرْبَعَةٍ وَسِتِّيْنَ كَيْلًا عَنْ مَكَّةَ، فَاسْتَشَارَ النَّبِيُّ ﷺ فِي أَنْ يَغِيْرَ عَلَىٰ دِيَارِ الَّذِيْنَ نَاصَرُوا قُرَيْشًا، وَجْتَمَعُوا مَعَهَا؛ لِيَدْعُوا قُرَيْشًا، وَيَعُودُوا لِلدِّفَاعِ عَنْ دِيَارِهِمْ، فَقَالَ: أَشِيرُوا -أَيُّهَا النَّاسُ - عَلَيَّ، أَتَرَوْنَ أَنْ أَمِيلَ إِلَىٰ عِيَالِهِمْ وَذَرَارِيِّ هَؤُلَاءِ الَّذِينَ يُرِيدُونَ أَنْ يَصُدُّونَا عَنِ البَيْتِ، فَإِنْ يَأْتُونَا كَانَ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ قَدْ قَطَعَ عَيْنًا مِنَ المُشْرِكِينَ، وَإِلَّا تَرَكْنَاهُمْ مَحْرُوبِينَ.

فَقَالَ أَبُو بَكْرٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: يَا رَسُولَ اللهِ، خَرَجْتَ عَامِدًا لِهَذَا البَيْتِ، لَا تُرِيدُ قَتْلَ أَحَدٍ،

---

(١) رَوَاهُ البُخَارِيُّ (٤١٥٥)، وَمُسْلِمٌ (٨٥٦).

(٢) رَوَاهُ البُخَارِيُّ (٤١٧٨).

(٣) (حَسَنٌ) رَوَاهُ أَحْمَدُ (٤/ ٣٢٣)، وَسَنَدُهُ حَسَنٌ.

(٤) البَدَنَة: النَّاقَة، سُمِّيَتْ بَدَنَةً لِعِظَمِهَا وَضَخَامَتِهَا.

(٥) «دَوَاوِيْنُ الشِّعْرِ العَرَبِيِّ» (٨١/ ٤٥٣).

(٦) رَوَاهُ البُخَارِيُّ (٤١٧٨).

وَلاَ حَرْبَ أَحَدٍ، فَتَوَجَّهْ لَهُ، فَمَنْ صَدَّنَا عَنْهُ قَاتَلْنَاهُ. قَالَ: «**امْضُوا عَلَىٰ اسْمِ اللهِ**»[١].

طَلَبْتَ عَزِيْزًا لاَ يَنَالُ، فَإِنْ يَكُنْ فَإِنَّ أَبَا بَكْرٍ بِذَاكَ جَدِيْرُ
رَضَيْتَ بِهِ حَظًّا مِنَ النَّاسِ كُلِّهِمْ فَمَا بَعْدَهُ حُرٌّ إِلَيْهِ نُشِيْرُ[٢]

٥ـ صَلاَةُ الخَوْفِ:

أَنَاخَ بِهِمْ فِي الأَمْنِ خَوْفٌ أَرَاهُمُ كَأَنَّهُمْ يَمْشُونَ فَوْقَ شَفِيْرِ[٣]

صَلَّىٰ رَسُولُ اللهِ ﷺ بِأَصْحَابِهِ صَلاَةَ الْخَوْفِ، وَذَلِكَ فِي عُسْفَانَ، عِنْدَمَا عَلِمَ بِقُرْبِ خَيْلِ الْمُشْرِكِيْنَ مِنْهُمْ[٤]، فَيَكُونُ أَوَّلَ صَلاَةِ خَوْفٍ صَلاَهَا رَسُولُ اللهِ ﷺ بِعُسْفَانَ فِي الحُدَيْبِيَةِ.

٦ـ ثَنِيَّةُ المُرَارِ:

جَيْشٌ مَشَىٰ جِبْرِيْلُ تَحْتَ لِوَائِهِ وَ مَشَىٰ النَّبِيُّ (مُجَاهِدًا) مِقْدَامًا[٥]

سَلَكَ النَّبِيُّ ﷺ طَرِيْقًا وَعِرَةً عَبْرَ ثَنِيَّةِ المُرَارِ، وَهِيَ مَهْبَطُ الحُدَيْبِيَةِ.

وَقَالَ - كَمَا رَوَىٰ عَنْهُ جَابِرُ بْنُ عَبْدِ اللهِ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**مَنْ يَصْعَدُ الثَّنِيَّةَ، ثَنِيَّةَ الْـمُرَارِ، فَإِنَّهُ يُحَطُّ عَنْهُ مَا حُطَّ عَنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ**».

(١) رَوَاهُ البُخَارِيُّ (٤١٧٨).
(٢) «الحُلَّة السِّيَرَاء» لابْنِ الأَبَّار (٢/ ٢١٠).
(٣) «دِيْوَانُ ابْنِ الرُّومِيِّ» (٢٠٠٥).
(٤) (صَحِيْحٌ) أَخْرَجَهُ أَبُو دَاوُدَ(٢٦٦٥)،وَصَحَّحَهُ الأَلْبَانِيُّ فِي«صَحِيحِ أَبِي دَاوُدَ»(١١٣٣).
(٥) «دِيْوَانُ أَحْمَد مُحَرَّم» (٨٩).

قَالَ: فَكَانَ أَوَّلَ مَنْ صَعِدَهَا خَيْلُنَا خَيْلُ بَنِي الْخَزْرَجِ، ثُمَّ تَتَامَّ النَّاسُ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**وَكُلُّكُمْ مَغْفُورٌ لَهُ، إِلَّا صَاحِبَ الْجَمَلِ الْأَحْمَرِ**»، فَأَتَيْنَاهُ فَقُلْنَا لَهُ: تَعَالَ يَسْتَغْفِرُ لَكَ رَسُولُ اللهِ ﷺ فَقَالَ: وَاللهِ لَأَنْ أَجِدَ ضَالَّتِي أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ أَنْ يَسْتَغْفِرَ لِي صَاحِبُكُمْ. قَالَ: وَكَانَ رَجُلٌ يَنْشُدُ ضَالَّةً لَهُ(١) »(٢).

وَقَدْ غَيَّرَ رَسُولُ اللهِ ﷺ طَرِيْقَ جَيْشِهِ تَجَنُّبًا لِلقِتَالِ مَعَ خَالِدِ بْنِ الوَلِيْدِ، وَخَيَّالَةِ المُشْرِكِيْنَ، فَلَمَّا أَحَسَّ خَالِدَ بِذَلِكَ رَجعَ إِلَىٰ مَكَّةَ.

فَأَصْبَحَتْ قَدْ غَادَرَتْ كُلَّ ثَنِيَّةٍ ... لَهَا مَنْهَجٌ يَهْدِي الأَدِلَّاءَ لَهْجَمُ(٣)

٧ــ بُرُوكُ النَّاقَةِ:

تُصْغِي إِلَىٰ أَمْرِ الزِّمَامِ كَمَا ... عَطَفَتْ يَدُ الجَانِي ذُرَا الغُصْنِ(٤)

لَمَّا اقْتَرَبَ رَسُولُ اللهِ ﷺ مِنَ الحُدَيْبِيَةِ، بَرَكَتْ نَاقَتُهُ، فَقَالُوا: خَلَأَتِ(٥) الْقَصْوَاءُ(٦)، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «**مَا خَلَأَتِ الْقَصْوَاءُ وَمَا ذَاكَ لَهَا بِخُلُقٍ، وَلَكِنْ حَبَسَهَا حَابِسُ الْفِيلِ، ثُمَّ قَالَ: وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَا يَسْأَلُونِي خُطَّةً**(٧)**، يُعَظِّمُونَ فِيْهَا حُرُمَاتِ**

---

(١) يَنْشُدُ ضَالَّةً أَيْ: يَسْأَلُ عَنْهَا.

(٢) رَوَاهُ مُسْلِمٌ (٢٧٨٠).

(٣) «دِيْوَانُ ابْنِ الرُّومِيِّ» (٣٩٠٦) وَمَنْهَج: الطَّرِيْقُ المُسْتَقِيْم، وَاللَهْجَمُ: الطَّرِيْقُ الوَاضِحُ المُذَلَّل الوَاسِع.

(٤) «دَوَاوِيْنُ الشِّعْرِ العَرَبِيِّ» (١١/ ٤١) وَالذُّرا: جَمْعُ ذِرْوَةٍ -بِالتَّثْلِيْثِ-، وَذِرْوَةُ الشَّيْءِ: أَعْلاهُ.

(٥) خَلَأَتْ: بَرَكَتْ.

(٦) الْقَصْوَاءِ: اسْمُ نَاقَةِ رَسُولِ اللهِ ﷺ قِيْلَ: كَانَ طَرْفُ أُذُنِهَا مَقْطُوعًا، والقَصْوُ: قَطْعُ طَرَفِ الْأُذُنِ، وَقِيْلَ: كَانَتْ لَا تُسْبَقُ، فَقِيْلَ لَهَا القَصْوَاءُ؛ لِأَنَّهَا بَلَغَتْ مِنَ السَّبْقِ أَقْصَاهُ.

(٧) خُطَّة أَيْ: خَصْلَة.

اللـهِ[١]، **إلاَّ أَعْطَيْتُهُمْ إِيَّاهَا**»، ثُمَّ زَجَرَهَـا فَوَثَبَتْ، قَالَ: ثُمَّ عَدَلَ عَنْ دُخُولِ مَكَّةَ إِلَىٰ أَقْصَىٰ الْحُدَيْبِيَةِ فَنَزَلَ عَلَىٰ بِئْرٍ قَلِيْلَةِ الْمَاءِ، فَاشْتَكَىٰ المُسْلِمُونَ العَطَشَ إِلَىٰ رَسُولِ اللـهِ ﷺ، فَانْتَزَعَ سَـهْمًا مِنْ كِنَانَتِهِ، ثُـمَّ أَمَرَهُمْ أَنْ يَجْعَلُوهُ فِيْها، فَمَـا زَالَ يَجِيْشُ[٢] بِالرِّيِّ حَتَّىٰ صَدَرُوا عَنْهُ، فَكَانَ تَكْثِيْرُ المَاءِ مِنْ مُعْجِزَاتِهِ ﷺ[٣].

٨ـ الحِكْمَةُ مِنْ بُرُوكِ النَّاقَةِ:

وَاللـهُ يَحْكُمُ، ثُمَّ يُمْضِي حُكْمَهُ ... فِـي الكَائِنَاتِ كَمَا يَرَىٰ وَيَشَاءُ[٤]

قَـالَ بَعْـضُ أَهْلِ العِلْمِ: «إِنَّ ذَلِـكَ لِيُعْلِمَهُ اللهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ أَنَّـهُ أَرَادَ بِبَعْضِ أَهْلِ مَكَّةَ خَيْرًا، وَأَنَّهُ لَمْ يُسَلِّطْهُ عَلَيْهِمُ الآنَ، وَأَنَّ دُخُولَهُ مَكَّةَ غَيْبٌ لَنْ يَأْتِ وَقْتُهُ، فَهَذَا تَعْلِيْمٌ لَهُ ﷺ وَتَأْدِيْبٌ، وَتَعْلِيْمٌ لِأُمَّتِهِ، لِيَرُدُّوا كُلَّ الأَمْرِ لَهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ»[٥].

٩ـ إِخْبَارُ النَّبِيِّ ﷺ قُرَيْشًا بِمَقْصَدِهِ:

وَلَـيْسَ الحَرْبُ مَرْكَبَ كُلِّ يَوْمٍ ... وَلاَ الـدَّمُ كُـلَّ آوِنَـةٍ حَـلاَلا[٦]

أَرْسَلَ رَسُولُ اللهِ ﷺ لِقُرَيْشٍ عَنْ طَرِيْقِ رِجَالٍ مُحَايِدِيْنَ، وَبِوَاسِطَةِ رُسُلٍ أَرْسَلَهُمْ أَنَّهُ لاَ يُرِيْدُ الحَرْبَ، وَسَعَىٰ لِبَيَانِ مَوْقِفِهِ أَمَامَ النَّاسِ جَمِيْعًا أَنَّهُ يُرِيْدُ زِيَارَةَ البَيْتِ الحَرَامِ

(١) يُعَظِّمُونَ فِيْهَا حُرُمَاتِ اللَّه أَيْ: مِنْ تَرْكِ القِتَالِ فِي الحَرَمِ.

(٢) يَجِيْشُ: يَفُورُ.

(٣) رَوَاهُ البُخَارِيُّ (٢٧٣١).

(٤) «دِيْوَانُ مُحَمَّد العِيْد آل خَلِيفَة» (٤٣٣).

(٥) «أَسْنَىٰ المَطَالِبِ فِي أَحَادِيْثَ مُخْتَلِفَةِ المَرَاتِب» لِدَرْوِيْشٍ الشَّافِعِيِّ (١/ ١٠٣).

(٦) «دِيْوَانُ أَحْمَد شَوْقِي» (١/ ٣٣٤).

وَتَعْظِيْمِهُ، وَأَرْسَلَ رُسُلَهُ تَتْرَىٰ إِلَىٰ قُرَيْشٍ يُعْلِنُونَ مَقْصَدَهُمْ، فَأَرْسَلَ خِرَاشَ بْنَ أُمَيَّةَ الْخُزَاعِيَّ، فَأَرَادَتْ قُرَيْشٌ قَتْلَهُ، لَوْلاَ أَنْ مَنَعَهُمُ الأَحَابِيْشُ، وَأَرَادَ أَنْ يُرْسِلَ عُمَرَ، ثُمَّ عَدَلَ عَنْهُ إِلَىٰ عُثْمَانَ؛ عِنْدَمَا بَيَّنَ عُمَرُ شَدِيْدَ عَدَاوَتِهِ لِقُرَيْشٍ، وَأَنَّهَا تَعْلَمُ ذَلِكَ، وَأَنَّ بَنِي عَدِيٍّ قَوْمَهُ لاَ يَحْمُونَهُ، فَذَهَبَ عُثْمَانُ إِلَىٰ قُرَيْشٍ، فَأَجَارَهُ أَبَانُ بْنُ سَعِيْدِ بْنِ العَاصِ، حَتَّىٰ أَبْلَغَهُمْ رِسَالَةَ النَّبِيِّ ﷺ، وَقَدْ سَمِحَتْ لَهُ قُرَيْشٌ بِالطَّوَافِ، فَأَبَىٰ أَنْ يَسْبِقَ رَسُولَ اللهِ ﷺ.

١٠ـ بَيْعَةُ الرِّضْوَانِ:

لَعَمْرِي؛لَقَدْ شَدَّتْ عُرَا الدِّيْنِ بَيْعَةٌ أَعَزَّ بِهَا الرَّحْمَنُ كُلَّ مُوَحِّدِ[١]

أَرْسَلَ رَسُولُ اللهِ ﷺ عُثْمَان بْن عَفَّان رَضِيَ اللهُ عَنْهُ إِلَىٰ قُرَيْشٍ، فَحَبَسَتْهُ (أَيْ: أَخَّرَتْهُ) فَحَسِبَ المُسْلِمُونَ أَنَّهَا قَتَلَتْهُ، فَدَعَا رَسُولُ اللهِ ﷺ لِلْبَيْعَةِ تَحْتَ شَجَرَةٍ سَمُرَةٍ، فَبَايَعُوهُ جَمِيْعًا إِلَّا الْجَدَّ بْنِ قَيْسٍ - وَكَانَ مُنَافِقًا - وَكَانَتِ البَيْعَةُ عَلَىٰ المَوْتِ[٢].

وَقَدْ سُمِّيَتْ بَيْعَةَ الرِّضْوَانِ؛ لِأَنَّ اللهَ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ رَضِيَ عَنْهُمْ بِهَا قَالَ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ: ﴿لَّقَدْ رَضِىَ ٱللَّهُ عَنِ ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ ٱلشَّجَرَةِ فَعَلِمَ مَا فِى قُلُوبِهِمْ فَأَنزَلَ ٱلسَّكِينَةَ عَلَيْهِمْ وَأَثَٰبَهُمْ فَتْحًا قَرِيبًا ﴿١٨﴾﴾ [الفَتْحُ: ١٨].

وَقَدْ وَرَدَ فِي فَضْلِ هَذِهِ البَيْعَةِ أَحَادِيْثُ، مِنْهَا:

قَوْلُهُ ﷺ: «**لَا يَدْخُلُ النَّارَ -إِنْ شَاءَ اللهُ- مِنْ أَصْحَابِ الشَّجَرَةِ أَحَدٌ، الَّذِين بَايَعُوا تَحْتَهَا**»[٣].

---

(١) «مُعْجَمُ الْأُدَبَاءِ» (٣/ ١٠٦٦).

(٢) رَوَاهُ البُخَارِيُّ (٤١٦٩)، ومُسْلِمٌ (١٨٦٠).

(٣) رَوَاهُ مُسْلِمٌ (٢٤٩٦).

وَ قَالَ ﷺ لِمَنْ بَايَعَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ: «**أَنْتُمْ خَيْرُ أَهْلِ الْأَرْضِ**»[١].

هِيَ بَيْعَةُ الرِّضْوَانِ يُشْرَعُ وَسْطَهَا ... بَابُ السَّلَامَةِ فَادْخُلُوا بِسَلَامِ[٢]

وَلَمَّا كَانَ عُثْمَانُ مَحْبُوسًا فِي قُرَيْشٍ،قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ بِيَدِهِ الْيُمْنَىٰ: «**هَذِهِ يَدُ عُثْمَانَ**»،فَضَرَبَ بِهَا عَلَىٰ يَدِهِ فَقَالَ: «**هَذِهِ لِعُثْمَانَ**»[٣].

ثُمَّ رَجَعَ عُثْمَانُ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ بَعْدَ بَيْعَةَ الرِّضْوَانِ مُبَاشَرَةً.

تَحُوطُكَ مِنْ عُلْيا قُرَيْشٍ عِصَابَةٌ ... لَهَا الفَلَكُ الدَّوَّارُ تَعْنُو ذَوَائِبُهْ
جَرَتْ بِهِمْ مَا بَيْنَ شَرْقٍ وَمَغْرِبٍ ... كَتَائِبَ عَزْمٍ نَائِيَاتٍ رَغَائِبُهْ
إِذَا مَرَّ مِنْهُمْ مَوْكِبٌ لَاحَ مَوْكِبٌ ... تمُجُّ زُعَافَ المَوْتِ صِرْفًا مَقَانِبُهْ
بكلِّ فَتَىٰ مَاضِي العَزَائِمِ لَهْذَمٍ ... إِذَا اعتَزَّ شَأْنُ العُرْبِ يعْتَزُّ جَانِبُهْ
يَرُومُونَ مَجْدًا لَا تَنِي عَزَمَاتُهُمْ ... عَنِ المَجْدِ حَتَّىٰ يُدْرِكَ المَجْدَ خَاطِبُهْ
دَفَعَتْ بِهِم فِي وَجهِ كُلِّ عَظِيْمَةٍ ... فَخَاضُوا إِلَيهَا الموْتَ دُهْمًا مَسَارِبُهْ
فَأَسْأَرْتَ للأَقْوَامِ فِي كُلِ وِجهَةٍ ... جَدًا لَم تَشُبْهُ بالأَذَاةِ شَوَائِبُهْ
وَغَادَرْتَ للإِسْلَام صَرْحًا مُمَرَّدًا ... تُنَاطِحُ أَعْنَانَ السَّماءِ مَنَاكِبُهْ[٤]

(١) رَوَاهُ البُخَارِيُّ (٤١٥٤).
(٢) «دِيْوَانُ أَبِي تَمَّامٍ».
(٣) رَوَاهُ البُخَارِيُّ (٣٦٩٨).
(٤) «مُخْتَارَاتٌ مِنْ أَجْمَلِ الشِّعْرِ فِي مَدْحِ الرَّسُولُ ﷺ» (٣٩)، وَنَائِيَات: بَعِيْدَات.وَزُعَاف المَوْت- بِالضَّمِّ- سَرِيْعُهُ.والمَنَاقِب: جَمْعُ مِقْنَبٍ، وَهُوَ الجَمَاعَةُ مِنَ الخَيْل. وَاللَّهْذَم: الحَادُّ القَاطِعُ. =

صُلْحُ الحُدَيْبِيَةِ

١١ـ صُلْحُ الحُدَيْبِيَةِ:

يُـدفَـعُ الشَّـرُّ بِالشُّـرُورِ اضْطِـرَارًا ... رُبَّ صُـلْـحٍ مِـنَ الْوَغَـىٰ مُسْتَفَادُ[١]

أَرْسَـلَتْ قُرَيْشٌ عَدَدًا مِن الرُّسُلِ لِلتَّفَاوُضِ، أَوَّلَهُمْ عُرْوَةَ بْنُ مَسْعُودٍ الثَّقَفِيُّ، وَقَدْ لَاحَظَ تَعْظِيْمَ المُسْلِمِيْنَ لِرَسُولِ اللهِ ﷺ، وَحُبَّهُمْ لَـهُ، وَتَفَانِيَهُمْ فِي طَاعَتِهِ، فَلَمَّـا رَجَعَ إِلَىٰ قُرَيْشٍ قَالَ: أَيْ قَوْمُ، وَاللهِ لَقَـدْ وَفَدْتُ عَلَىٰ الْمُلُوكِ وَوَفَدْتُ عَلَىٰ كِسْرَىٰ وَقَيْصَرَ وَالنَّجَاشِيِّ، وَاللهِ إِنْ رَأَيْتُ مَلِكًا -قَطُّ- يُعَظِّمُهُ أَصْحَابُهُ مَا يُعَظِّمُ أَصْحَابُ مُحَمَّدٍ مُحَمَّدًا، وَاللهِ إِنْ يَتَنَخَّمُ نُخَامَةً إِلا وَقَعَتْ فِي كَفِّ رَجُلٍ مِنْهُمْ، فَدَلَّـكَ بِهَا وَجْهَهُ وَجِلْدَهُ، وَإِذَا أَمَرَهُمُ ابْتَدَرُوا أَمْرَهُ، وَإِذَا تَوَضَّأَ كَادُوا يَقْتَتِلُونَ عَلَىٰ وَضُوئِـهِ، وَإِذَا تَكَلَّمُوا عِنْدَهُ خَفَضُوا أَصْوَاتَهُمْ، وَمَا يُحِـدُّونَ النَّظَرَ إِلَيْهِ تَعْظِيمًا لَهُ، وَإِنَّهُ قَدْ عَرَضَ عَلَيْكُمْ خُطَّةَ رُشْدٍ فَاقْبَلُوهَا.

فَقَالَ رَجُلٌ مِنْ كِنَانَةَ: دَعُونِي أَئْتِهِ. فَقَالُوا: ائْتِهِ. فَلَمَّا أَشْرَفَ عَلَىٰ النَّبِيِّ ﷺ، وَأَصْحَابِهِ، قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «**هَذَا فُلانٌ، وَهُوَ مِنْ قَوْمٍ يُعَظِّمُونَ الْبُدْنَ، فَابْعَثُوهَا لَهُ**».

فَبُعِثَتْ لَهُ، وَاسْتَقْبَلَهُ قَوْمٌ يُلَبُّونَ. فَلَمَّا رَأَىٰ ذَلِكَ، قَالَ: سُبْحَانَ اللهِ! مَا يَنْبَغِي

=وَالدَّهم: الكَثِيْر. وَالمَسَارِب: المَرَاعِي. فَأَسْأَرْتَ: فَأَبْقَيْتَ. وَغَادَرْتَ: تَرَكْتَ. وَالصَّرْح: القَصْر. وَالمُمَرَّد: المُطَوَّل.

(١) «دَوَاوِيْنُ الشِّعْرِ العَرَبِيِّ» (٨٦/ ١٧) وَالوَغَىٰ: الحَرْبُ.

لِهَـؤُلاءِ أَنْ يُصَـدُّوا عَنِ الْبَيْتِ، فَلَمَّا رَجَعَ إِلَىٰ أَصْحَابِهِ قَالَ: رَأَيْتُ الْبُدْنَ قَدْ قُلِّدَتْ وَأُشْعِرَتْ(١)، فَمَا أَرَىٰ أَنْ يُصَدُّوا عَنْ الْبَيْتِ.

فَقَـامَ رَجُلٌ مِنْهُـمْ، يُقَالُ لَهُ: مُكْرِزُ بْنُ حَفْصٍ، فَقَالَ لَهُـمْ: دَعُونِي آتِهِ، قَالُوا: ائْتِهِ فَلَمَّا أَشْرَفَ عَلَيْهِمْ، قَالَ النَّبِيُّ، ﷺ: «**هَذَا مُكْرِزُ بْنُ حَفْصٍ وَهُوَ رَجُلٌ فَاجِرٌ**». فَجَـاءَ، فَجَعَـلَ يُكَلِّمُ النَّبِيَّ ﷺ، فَبَيْنَا هُوَ يُكَلِّمُهُ إِذْ جَاءَ سُـهَيْلُ بْنُ عَمْرٍو، قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «**قَدْ سُهِّلَ لَكُمْ مِنْ أَمْرِكُمْ**».

فَجَاءَ سُهَيْلُ بْنُ عَمْرٍو، فَقَالَ: هَاتِ اكْتُبْ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ كِتَابًا، فَدَعَا النَّبِيُّ ﷺ الْكَاتِبَ، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «**بِسْـمِ اللهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ**»، قَالَ سُـهَيْلٌ: أَمَّا الرَّحْمَنُ، فَوَاللهِ مَا أَدْرِي مَا هُوَ، وَلَكِنْ اكْتُبْ بِاسْمِكَ اللهُمَّ كَمَا كُنْتَ تَكْتُبُ.

فَقَالَ الْمُسْـلِمُونَ: وَاللهِ لَا نَكْتُبُهَا إِلَّا بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «**اكْتُـبْ بِاسْـمِكَ اللهُمَّ**»، ثُمَّ قَالَ: «**هَـذَا مَا قَاضَىٰ عَلَيْهِ مُحَمَّدٌ رَسُـولُ اللهِ**»، فَقَالَ سُهَيْلٌ: وَاللهِ لَوْ كُنَّا نَعْلَمُ أَنَّكَ رَسُولُ اللهِ مَا صَدَدْنَاكَ عَنِ الْبَيْتِ وَلَا قَاتَلْنَاكَ، وَلَكِـنْ اكْتُـبْ مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ اللـهِ، فَقَالَ النَّبِـيُّ ﷺ: «**وَاللهِ إِنِّي لَرَسُـولُ اللهِ، وَإِنْ كَذَّبْتُمُونِي، اكْتُبْ مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ اللهِ**».

فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «**عَلَىٰ أَنْ تُخَلُّوا بَيْنَنَا وَبَيْنَ الْبَيْتِ فَنَطُوفَ بِهِ**».

فَقَـالَ سُـهَيْلٌ: وَاللهِ لَا تَتَحَـدَّثُ الْعَرَبُ، أَنَّا أُخِذْنَا ضُغْطَـةً، وَلَكِنْ ذَلِكَ مِنَ الْعَامِ الْمُقْبِلِ، فَكَتَبَ.

فَقَالَ سُهَيْلٌ: وَعَلَىٰ أَنَّهُ لَا يَأْتِيكَ مِنَّا رَجُلٌ، وَإِنْ كَانَ عَلَىٰ دِينِكَ إِلَّا رَدَدْتَهُ إِلَيْنَا.

---

(١) أُشْعِرَتْ أَيْ: جُعِلَتْ عَلَيْهَا عَلامَة؛ لِيُعْرَفَ أَنَّهَا هَدْيٌ.

قَالَ الْمُسْـلِمُونَ: سُـبْحَانَ اللهِ، كَيْفَ يُرَدُّ إِلَىٰ الْمُشْـرِكِينَ وَقَدْ جَاءَ مُسْلِمًا؟ فَبَيْنَمَا هُمْ كَذَلِكَ إِذْ دَخَلَ أَبُو جَنْدَلِ بْنُ سُـهَيْلِ بْنِ عَمْرٍو يَرْسُـفُ فِي قُيُودِهِ(١)، وَقَدْ خَرَجَ مِنْ أَسْفَلِ مَكَّةَ حَتَّىٰ رَمَىٰ بِنَفْسِهِ بَيْنَ أَظْهُرِ الْمُسْلِمِينَ.

فَقَالَ سُـهَيْلٌ: هَذَا يَا مُحَمَّدُ، أَوَّلُ مَا أُقَاضِيـكَ عَلَيْهِ أَنْ تَرُدَّهُ إِلَيَّ، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: إِنَّا لَمْ نَقْضِ الْكِتَابَ بَعْدُ، قَالَ: فَوَاللهِ إِذًا لَمْ أُصَالِحْكَ عَلَىٰ شَيْءٍ أَبَدًا.

قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: فَأَجِزْهُ لِي.

قَـالَ: مَا أَنَا بِمُجِيـزِهِ لَكَ، قَالَ: بَلَىٰ، فَافْعَلْ، قَالَ: مَا أَنَـا بِفَاعِلٍ، قَالَ مِكْرَزٌ: بَلْ قَدْ أَجَزْنَاهُ لَكَ»(٢).

وَتَمَّ الاتِّفَاقُ عَلَى الأُمُورِ الآتِيَةِ:

عَلَـىٰ وَضْعِ الْحَرْبِ عَشْـرَ سِنِينَ، يَأْمَـنُ فِيهَا النَّـاسُ، وَيَكُـفُّ بَعْضُهُمْ عَنْ بَعْـضٍ، عَلَـىٰ أَنَّهُ مَنْ أَتَىٰ رَسُـولَ اللهِ ﷺ مِنْ أَصْحَابِـهِ بِغَيْرِ إِذْنِ وَلِيِّـهِ رَدَّهُ عَلَيْهِمْ، وَمَنْ أَتَىٰ قُرَيْشًا مِمَّنْ مَعَ رَسُولِ اللهِ ﷺ لَمْ يَرُدُّوهُ عَلَيْهِ، وَإِنَّ بَيْنَنَا عَيْبَةً مَكْفُوفَةً أَيْ: بَيْنَهُـمْ صَدْرٌ نَقِيٌّ مِنَ الغِـلِّ والخِدَاعِ مَطْوِيٌّ عَلَىٰ الوَفَاءِ بِالصُّلْحِ- وَإِنَّهُ لَا إِسْـلَالَ وَلَا إِغْلَالَ- أَيْ: لَاَ سَرِقَةَ وَلاَ خِيَانَةَ.

وَأَنَّ مَـنْ أَحَـبَّ أَنْ يَدْخُلَ فِي عَقْدِ مُحَمَّـدٍ وَعَهْدِهِ دَخَلَ فِيـهِ، وَمَنْ أَحَبَّ أَنْ يَدْخُلَ فِي عَقْدِ قُرَيْشٍ وَعَهْدِهِمْ دَخَلَ فِيهِ.

فَتَوَاثَبَتْ خُزَاعَةُ، فَقَالُوا: نَحْنُ مَعَ عَقْدِ رَسُولِ اللهِ ﷺ وَعَهْدِهِ.

---

(١) يَرْسُفُ فِي قُيُودِهِ أَيْ: يَثِبُ وَثْبًا خَفِيفًا قَدْرَ اسْتِطَاعَتِهِ، فَالرَّسْفُ: مِشْيَةُ المُقَيَّدِ.

(٢) رَوَاهُ البُخَارِيُّ (٢٧٣١-٢٧٣٢).

وَتَوَاثَبَتْ بَنُو بَكْرٍ، فَقَالُوا: نَحْنُ فِي عَقْدِ قُرَيْشٍ وَعَهْدِهِمْ.

وَأَنَّكَ تَرْجِعُ عَنَّا عَامَنَا هَذَا، فَلَا تَدْخُلْ عَلَيْنَا مَكَّةَ، وَأَنَّهُ إِذَا كَانَ عَامُ قَابِلٍ، خَرَجْنَا عَنْكَ، فَتَدْخُلُهَا بِأَصْحَابِكَ، وَأَقَمْتَ فِيهِمْ ثَلَاثًا مَعَكَ سِلَاحُ الرَّاكِبِ لَا تَدْخُلْهَا بِغَيْرِ السُّيُوفِ.

هَكَذَا كَانَ صُلْحُ الحُدَيْبِيَةِ، وَالوَاقِعُ أَنَّ المُسْلِمِيْنَ تَذَمَّرُوا مِنْ هَذِهِ الاتِّفَاقِيَّةِ، وَضَاقُوا بِهَا ذَرْعًا؛ لِتَصَوُّرِ مُعْظَمِهِمْ أَنَّ فِي شُرُوطِ الصُّلْحِ إِجْحَافًا بِهِمْ، أَدَّتْ إِلَىٰ غَضَبِ المُسْلِمِيْنَ، حَتَّىٰ إِذَا أَمَرَهُمْ الرَّسُولُ اللهِ ﷺ بِأَنْ يَنْحَرُوا الهَدْيَ، وَتَحْلِقُوا رُؤُوسَهُمْ، وَكَرَّرَ ذَلِكَ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ لَمْ يَقُمْ مِنْهُمْ أَحَدٌ.

فَلَمَّا رَأَوْهُ قَامَ بِمَشُورَةٍ مِنَ أُمِّ سَلَمَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهَا -فَذَبَحَ بُدْنَهُ، وَحَلَقَ رَأْسَهَ- «**قَامُوا فَنَحَرُوا، وَجَعَلَ بَعْضُهُمْ يَحْلِقُ لِبَعْضٍ حَتَّىٰ كَادَ بَعْضُهُمْ يَقْتُلُ بَعْضًا غَمًّا**»[1].

ثُمَّ شَرَعَ النَّبِيُّ ﷺ فِي التَهَيُّؤِ لِلعَوْدَةِ إِلَىٰ المَدِيْنَةِ، بَعْدَ أَنْ قَامُوا فِي الحُدَيْبِيَةِ عِشْرِيْنَ يَوْمًا، وَ بَعْدَ أَنْ تَحَلَّلَ المُسْلِمُونَ مِنْ عُمْرَتِهِمْ، وَشُرِعَ التَّحَلُّلُ لِلمُعْتَمِرِ، ولاَ يَلْزَمُهُ القَضَاءُ.

وَ فِي العَوْدَةِ إِلَىٰ المَدِيْنَةِ نَزَلَتْ سُورَةُ الفَتْحِ ﴿إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُّبِينًا ۝١﴾ [الفَتْحُ: ١].

وَقَدْ عَبَّرَ النَّبِيُّ ﷺ عَنْ عَظِيْمِ فَرَحِهِ بِقَوْلِهِ: «**لَقَدْ أُنْزِلَتْ عَلَيَّ اللَّيْلَةَ، سُورَةٌ لَهِيَ أَحَبُّ إِلَيَّ مِمَّا طَلَعَتْ عَلَيْهِ الشَّمْسُ** ﴿إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُّبِينًا ۝١﴾ [الفَتْحُ: ١]»[2].

وَبِنُزُولِ هَذِهِ السُّورَةِ انْقَلَبَتْ كَآبَةُ المُسْلِمِيْنَ إِلَىٰ فَرَحٍ غَامِرٍ، وَأَدْرَكُوا أَنَّهُ

(١) رَوَاهُ البُخَارِيُّ (٢٧٣١).

(٢) رَوَاهُ البُخَارِيُّ (٤١٧٧).

لاَ يُمْكِنُ أَنْ يُحِيْطُوا بِالأَسْبَابِ وَالنَّتَائِجِ، وَأَنَّ التَّسْلِيْمَ لِأَمْرِ اللهِ وَرَسُولِهِ فِيْهِ كُلُّ الخَيْرِ لَهُمْ، وَلِدَعْوَةِ الإِسْلَامِ(١).

وَإِذَا أَخَذْتَ العَهْدَ أَوْ أَعطَيتَهُ ... فَجَمِيْعُ عَهْدِكَ ذِمَّةٌ وَوَفَاءُ
وَإِذَا مَشَيْتَ إِلَىٰ العِدَا فَغَضَنْفَرٌ ... وَإِذَا جَرَيْتَ فَإِنَّكَ النَّكْبَاءُ
وَتَمُدُّ حِلْمَكَ لِلسَّفِيْهِ مُدَارِيًا ... حَتَّىٰ يَضِيْقَ بِعَرْضِكَ السُّفَهَاءُ(٢)

وَقَالَ عُمَرُ بْن صَبِيْح -حَفَظَهُ اللهُ-:

صُلْحٌ تَوَلَّدَ مِنْهُ الْفَتْحُ مُبْتَسِمًا ... بِرَغْمِ مَا فِيْهِ مِمَّا يُورِثُ الغَمَّا
فَخَالَهُ بَعْضُهُمْ قَيْدًا وَمَا عَلِمُوا ... بِمَا تَرَتَّبَ مِمَّا أَزْهَقَ الْهَمَّا

---

(١) انْظُرْ: «السِّيْرَةُ النَّبَوِيَّةُ الصَحِيْحَةُ» (١٤٦).

(٢) «دِيْوَانُ شَوْقِي»(٦)،وَالغَضَنْفَرُ: الأَسَدُ، وَالنَّكْبَاءُ: رِيْحُ تَجْرِي بَيْنَ الشَّمَالِ وَالدَّبُورِ، وَهِي رِيْحٌ تَقْشَعُ السَّحَابَ.

إِرْسَالُ الكُتُبِ لدَعْوَةِ المُلُوكِ وَالأُمَرَاءِ إِلَى الإِسْلَامِ

وَأَرْسَلَ الرُّسُلَ تَتْرَىٰ لِلمُلُوكِ بِمَا ... فِـيْـهِ بَـلَاغٌ لِأَهْـلِ الذِّكْـرِ والفَهَـمِ(١)

أَتَاحَ صُلْحُ الحُدَيْبِيَةِ الفُرْصَةَ لِتَوْسِيْعِ نِطَاقِ الدَّعْوَةِ دَاخِلَ الجِزيْرَةِ العَرَبِيَّةِ وَخَارِجَهَا، حَيْثُ أَرْسَلَ النَّبِيُّ ﷺ دِحْيَةَ بْنُ خَلِيْفَةِ الكَلْبِيَّ إِلَىٰ قَيْصَرَ، وَعَبْدَ اللهِ بْنَ حُذَافَةَ السَّهْمِيَّ إِلَىٰ كِسْرَىٰ، وَعَمْرُو بْنَ أُمَيَّةَ الضَّمْرِيَّ إِلَىٰ نَجَاشِيِّ الحَبَشَةِ، وَحَاطِبَ بْنَ أَبِي بَلْتَعَةَ اللَّخْمِيَّ إِلَىٰ المُقَوْقِسِ حَاكِمِ مِصْرَ، وَسَلِيْطَ بْنَ عَمْرٍو العَامِرِيَّ إِلَىٰ هَوْذَنَ بْنِ عَلِيٍّ الحَنَفِيِّ فِي اليَمَامَةِ(٢).

وَمِمَّا يَدُلُّ عَلَىٰ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ أَرْسَلَ الكُتُبَ لِدَعْوَةِ المُلُوكِ بَعْدَ صُلْحِ الحُدَيْبِيَةِ - مَاذَكَرَهُ ابْنُ حَجَرٍ رَحِمَهُ اللهُ: «أَنَّ دِحْيَةَ أُرْسِلَ إِلَىٰ هِرَقْلَ فِي آخِرِ سَنَةِ سِتٍّ بَعْدَ أَنْ رَجَعَ النَّبِيُّ ﷺ مِنَ الحُدَيْبِيَةِ، فَوَصَلَ إِلَىٰ هِرَقْلَ فِي الْمُحَرَّمِ سَنَةَ سَبْعٍ»(٣).

وَفِي «صَحِيْحِ مُسْلِمٍ» عَنْ أَنَسٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ: «كَتَبَ النَّبِيُّ ﷺ إِلَىٰ كُلِّ جَبَّارٍ يَدْعُوهُمْ إِلَىٰ اللهِ، وَسَمَّىٰ مِنْهُمْ كِسْرَىٰ وَقَيْصَرَ وَالنَّجَاشِيَّ، قَالَ: وَلَيْسَ بِالنَّجَاشِيِّ الَّذِي أَسْلَمَ»(٤).

---

(١) «مَوْسُوعَةُ الشِّعْرِ» (٦٠٦/ ١٩).

(٢) «سِيْرَةُ ابْنِ هِشَامٍ» (٤/ ٢٧٩)، وَ«تَارِيْخُ الطَّبَرِيِّ» (٢/ ٢٨٨).

(٣) «فَتْحُ البَارِيِّ» (١/ ٣٨).

(٤) رَوَاهُ مُسْلِمٌ (١٣٩٧).

١ ـ رِسَالَةُ النَّبِيِّ ﷺ إِلَى قَيْصَر:

عَـنْ عُبَيْدُ اللهِ بْنُ عَبْدِ اللـهِ بْنِ عُتْبَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ: حَدَّثَنِي ابْنُ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا قَالَ: حَدَّثَنِي أَبُو سُـفْيَانَ، مِنْ فِيهِ إِلَىٰ فِيَّ، قَـالَ: انْطَلَقْتُ فِي الْمُدَّةِ الَّتِي كَانَتْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ رَسُـولِ اللهِ ﷺ قَالَ: فَبَيْنَا أَنَا بِالشَّامِ إِذْ جِيءَ بِكِتَابٍ مِنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ إِلَىٰ هِرَقْلَ قَالَ: وَكَانَ دِحْيَةُ الْكَلْبِيُّ جَاءَ بِهِ فَدَفَعَهُ إِلَىٰ عَظِيمِ بُصْرَىٰ، فَدَفَعَهُ عَظِيمُ بُصْرَىٰ إِلَىٰ هِرَقْـلَ، قَـالَ: فَقَالَ هِرَقْـلُ: أَهَاهُنَا أَحَدٌ مِنْ قَـوْمِ هَذَا الرَّجُلِ الَّذِي يَزْعُـمُ أَنَّهُ نَبِيٌّ؟ قَالُوا: نَعَمْ، قَالَ: فَدُعِيتُ فِي نَفَرٍ مِنْ قُرَيْشٍ، فَدَخَلْنَا عَلَىٰ هِرَقْلَ فَجَلَسْنَا إِلَيْهِ فَقَالَ: أَيُّكُمْ أَقْرَبُ نَسَبًا مِنْ هَذَا الرَّجُلِ الَّذِي يَزْعُمُ أَنَّهُ نَبِيٌّ؟

قَالَ أَبُو سُفْيَانَ: قُلْتُ: أَنَا، فَأَجْلَسُونِي بَيْنَ يَدَيْهِ، وَأَجْلَسُوا أَصْحَابِي خَلْفِي، ثُمَّ دَعَا بِتَرْجُمَانِهِ فَقَالَ: قُلْ لَهُمْ إِنِّي سَائِلٌ هَذَا عَنْ هَذَا الرَّجُلِ الَّذِي يَزْعُمُ أَنَّهُ نَبِيٌّ، فَإِنْ كَذَبَنِي فَكَذِّبُوهُ.

قَـالَ أَبُـو سُـفْيَانَ: وَايْـمُ اللهِ لَـوْلَا أَنْ يُؤْثَـرَ عَلِيَّ الْكَـذِبُ لَكَذَبْـتُ، ثُمَّ قَالَ لِتَرْجُمَانِهِ: سَلْهُ كَيْفَ حَسَبُهُ فِيكُمْ؟، قَالَ: قُلْتُ: هُوَ فِينَا ذُو حَسَبٍ، قَالَ: فَهَلْ كَانَ مِـنْ آبَائِهِ مَلِكٌ؟، قَـالَ: قُلْتُ: لَا، قَالَ: فَهَلْ كُنْتُمْ تَتَّهِمُونَهُ بِالْكَذِبِ قَبْلَ أَنْ يَقُولَهُ؟، قَـالَ: قُلْـتُ: لَا، قَالَ: فَمَـنِ اتَّبَعَهُ؟ أَشْـرَافُكُمْ أَمْ ضُعَفَاؤُكُمْ؟، قُلْتُ: بَـلْ ضُعَفَاؤُنَا قَـالَ: هَـلْ يَزِيـدُونَ أَمْ يَنْقُصُونَ؟، قَالَ: قُلْـتُ: لَا بَلْ يَزِيدُونَ، قَالَ: هَـلْ يَرْتَدُّ أَحَدٌ عَـنْ دِينِهِ بَعْـدَ أَنْ يَدْخُلَ فِيهِ سَـخْطَةً لَهُ؟، قُلْـتُ: لَا، قَالَ: فَهَـلْ قَاتَلْتُمُوهُ؟، قُلْتُ: نَعَمْ، قَالَ: فَكَيْفَ يَكُونُ قِتَالُكُمْ إِيَّاهُ؟، قَالَ: قُلْتُ: يَكُونُ الْحَرْبُ بَيْنَنَا وَبَيْنَهُ سِجَالًا يُصِيبُ مِنَّا، وَنُصِيبُ مِنْهُ، قَالَ: فَهَلْ يَغْدِرُ؟، قُلْتُ: لَا، وَنَحْنُ مِنْهُ فِي هُدْنَةٍ لَا نَدْرِي

مَـا هُـوَ صَانِعٌ فِيهَا قَالَ: فَوَاللـهِ مَا أَمْكَنَنِي مِنْ كَلِمَةٍ أُدْخِلُ فِيهَا شَـيْئًا غَيْرَ هَذِهِ قَالَ: فَهَلْ قَالَ هَذَا الْقَوْلَ أَحَدٌ قَبْلَهُ؟، قُلْتُ: لَا.

قَالَ لِتَرْجُمَانِهِ: قُلْ لَهُ إِنِّي سَأَلْتُكُمْ عَنْ حَسَبِهِ فَقُلْتَ: إِنَّهُ فِينَا ذُو حَسَبٍ، وَكَذَلِكَ الرُّسُـلُ تُبْعَثُ فِي أَحْسَـابِ قَوْمِهَا، وَسَـأَلْتُكَ هَلْ كَانَ فِي آبَائِهِ مَلِكٌ؟، فَزَعَمْتَ أَنْ: لَا، فَقُلْتُ: لَوْ كَانَ مِنْ آبَائِهِ مَلِكٌ، قُلْتُ رَجُلٌ يَطْلُبُ مُلْكَ آبَائِهِ، وَسَأَلْتُكَ عَنْ أَتْبَاعِهِ أَضُعَفَاؤُهُمْ أَمْ أَشِدَّاؤُهُمْ؟، قَالَ: فَقُلْتَ: بَلْ ضُعَفَاؤُهُمْ، وَهُمْ أَتْبَاعُ الرُّسُلِ، وَسَأَلْتُكَ: هَلْ كُنْتُمْ تَتَّهِمُونَهُ بِالْكَذِبِ قَبْلَ أَنْ يَقُولَ مَا قَالَ؟، فَزَعَمْتَ أَنْ: لَا، فَقَدْ عَرَفْتُ أَنَّهُ لَمْ يَكُنْ لِيَدَعِ الْكَذِبَ عَلَىٰ النَّاسِ، ثُمَّ يَذْهَبُ فَيَكْذِبُ عَلَىٰ اللهِ، وَسَأَلْتُكَ هَلْ يَرْتَدُّ أَحَدٌ مِنْهُمْ عَنْ دِينِهِ بَعْدَ أَنْ يَدْخُلَ فِيهِ سَـخْطَةً لَـهُ؟، فَزَعَمْتَ أَنْ: لَا، وَكَذَلِكَ الْإِيمَانُ إِذَا خَالَطَ بَشَاشَةَ الْقُلُوبِ، وَسَأَلْتُكَ: هَلْ يَزِيدُونَ أَمْ يَنْقُصُونَ؟، فَزَعَمْتَ أَنَّهُمْ يَزِيدُونَ، وَكَذَلِكَ الْإِيمَانُ لَا يَزَالُ إِلَىٰ أَنْ يَتِمَّ، وَسَأَلْتُكَ هَلْ قَاتَلْتُمُوهُ؟، فَزَعَمْتَ أَنَّكُمْ قَاتَلْتُمُوهُ، فَيَكُونُ الْحَرْبُ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُ سِجَالًا، يَنَالُ مِنْكُمْ وَتَنَالُونَ مِنْهُ، وَكَذَلِكَ الرُّسُلُ تُبْتَلَىٰ، ثُـمَّ تَكُـونُ لَهُمُ الْعَاقِبَةُ، وَسَـأَلْتُكَ هَلْ يَغْدِرُ؟ فَزَعَمْتَ أَنَّهُ لَا يَغْدُرُ، وَكَذَلِكَ الرُّسُـلُ لَا تَغْدُرُ، وَسَـأَلْتُكَ هَلْ قَـالَ أَحَدٌ هَذَا الْقَوْلَ قَبْلَهُ؟، فَزَعَمْـتَ أَنْ لَا، فَقُلْتُ: لَوْ كَانَ هَـذَا الْقَوْلُ قَالَهُ أَحَدٌ قَبْلَهُ قُلْتُ: رَجُلٌ ائْتَـمَّ بِقَوْلٍ قِيلَ قَبْلَهُ، قَالَ: بِمَ يَأْمُرُكُمْ؟ قُلْتُ: يَأْمُرُنَـا بِالصَّلَاةِ، وَالـزَّكَاةِ، وَالْعَفَافِ، وَالصِّلَةِ، قَالَ: إِنْ يَكُ مَـا تَقُولُهُ حَقًّا فَإِنَّهُ نَبِيٌّ، وَإِنِّـي كُنْتُ أَعْلَـمُ أَنَّهُ لَخَارِجٌ، وَلَمْ أَكُنْ أَظُنُّهُ مِنْكُمْ، وَلَوْ كُنْتُ أَعْلَمُ أَنِّي أَخْلُصُ إِلَيْهِ لَأَحْبَبْتُ لِقَاءَهُ، وَلَوْ كُنْتُ عِنْدَهُ لَغَسَـلْتُ عَنْ قَدَمَيْهِ، وَلَيَبْلُغَنَّ مُلْكُهُ مَا تَحْتَ قَدَمَيَّ.

قَالَ: ثُمَّ دَعَا بِكِتَابِ رَسُولِ اللهِ ﷺ فَقَرَأَهُ، فَإِذَا فِيهِ (بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ،

مِنْ مُحَمَّدٍ رَسُولِ اللهِ إِلَىٰ هِرَقْلَ عَظِيمِ الرُّومِ، سَلَامٌ عَلَىٰ مَنِ اتَّبَعَ الْهُدَىٰ، أَمَّا بَعْدُ، فَإِنِّي أَدْعُوكَ بِدِعَايَةِ الْإِسْلَامِ، أَسْلِمْ تَسْلَمْ، وَأَسْلِمْ يُؤْتِكَ اللهُ أَجْرَكَ مَرَّتَيْنِ، وَإِنْ تَوَلَّيْتَ فَإِنَّ عَلَيْكَ إِثْمَ الْأَرِيسِيِّينَ، وَ﴿قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ تَعَالَوْا۟ إِلَىٰ كَلِمَةٍ سَوَآءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا ٱللَّهَ﴾ إِلَىٰ قَوْلِهِ ﴿ٱشْهَدُوا۟ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ ﴿٦٤﴾﴾ [آلُ عِمْرَانَ: ٦٤] فَلَمَّا فَرَغَ مِنْ قِرَاءَةِ الْكِتَابِ ارْتَفَعَتِ الْأَصْوَاتُ عِنْدَهُ وَكَثُرَ اللَّغَطُ وَأَمَرَ بِنَا فَأُخْرِجْنَا قَالَ: فَقُلْتُ لِأَصْحَابِي حِينَ خَرَجْنَا: لَقَدْ أَمِرَ أَمْرُ ابْنِ أَبِي كَبْشَةَ إِنَّهُ يَخَافُهُ مَلِكُ بَنِي الْأَصْفَرِ، فَمَا زِلْتُ مُوقِنًا بِأَمْرِ رَسُولِ اللهِ ﷺ أَنَّهُ سَيَظْهَرُ حَتَّىٰ أَدْخَلَ اللهُ عَلَيَّ الْإِسْلَامَ.

قَالَ الزُّهْرِيُّ: فَدَعَا هِرَقْلُ عُظَمَاءَ الرُّومِ فَجَمَعَهُمْ فِي دَارٍ لَهُ فَقَالَ: يَا مَعْشَرَ الرُّومِ هَلْ لَكُمْ إِلَىٰ الْفَلَاحِ وَالرُّشْدِ آخِرَ الْأَبَدِ؟ وَأَنْ يَثْبُتَ لَكُمْ مُلْكُكُمْ؟ قَالَ: فَحَاصُوا حَيْصَةَ حُمُرِ الْوَحْشِ إِلَىٰ الْأَبْوَابِ فَوَجَدُوهَا قَدْ غُلِّقَتْ قَالَ: فَدَعَاهُمْ فَقَالَ: إِنِّي اخْتَبَرْتُ شِدَّتَكُمْ عَلَىٰ دِينِكُمْ، فَقَدْ رَأَيْتُ مِنْكُمُ الَّذِي أَحْبَبْتُ فَسَجَدُوا لَهُ وَرَضُوا عَنْهُ(١).

رَأَىٰ اليَتِيمُ أَبُو الأَيْتَامِ غَايَتَهُ ... قُصوىٰ فَشَقَّ إِلَيْهَا كُلَّ مِضْمَارِ
وَامْتَدَّتِ المِلَّةُ السَّمحَا يَرِفُّ عَلَىٰ ... جَبِيْنِهَا تَاجُ إِعْظَامٍ وَإِكْبَارِ

٢ـ رِسَالَةُ النَّبِيِّ ﷺ إلى كِسْرَى:

عن ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا أَنَّ رسُولَ الله ﷺ بعثَ بِكِتابِهِ إلىٰ كِسرىٰ مع عبدِ اللهِ بنِ حُذافَةَ السهميِّ، فَأمرَهُ أَنْ يَدْفَعَهُ إِلَىٰ عَظِيمِ الْبَحْرَيْنِ فَدَفَعَهُ عظيمُ الْبَحْرَيْنِ إِلىٰ كِسْرَىٰ فَلَمَّا قرأَهُ مَزَّقَهُ، قَالَ ابنُ المسيِّبِ: فدعا عليهم رسولُ اللهِ ﷺ أَنْ يُمَزَّقُوا كلَّ ممزَّقٍ»(٢).

---

(١) رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ (٢٩٧٨ - ٧١٩٦).

(٢) رَوَاهُ البخاريُّ (٤٤٢٤).

غَزْوَةُ ذَاتِ القَرَدِ

هَيْهَاتَ! زُعْزِعَتِ الأَرْضُ الوَقُورُ بِهِ   عَنْ غَزْوِ مُحْتَسِبٍ لَاغَزْوِ مُكْتَسِبِ[1]

كَانَتْ غَزْوَةُ ذَاتِ القَرَدِ بَعْدَ الحُدَيْبِيَةِ، وَقَبْلَ خَيْبَرَ بِثَلَاثِ لَيَالٍ، وَذَاتُ قَرَدٍ اسْمُ مَاءٍ قَرِيْبٍ مِنْ خَيْبَرَ.

فَعَنْ سَلَمَةَ بْنَ الْأَكْوَعِ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، قَالَ: خَرَجْتُ قَبْلَ أَنْ يُؤَذَّنَ بِالْأُولَىٰ -أَيْ بِغَلَسٍ،وَكَانَتْ لِقَاحُ رَسُولِ اللهِ ﷺ تَرْعَىٰ بِذِي قَرَدٍ، قَالَ: فَلَقِيَنِي غُلَامٌ لِعَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ عَوْفٍ، فَقَالَ: أُخِذَتْ لِقَاحُ رَسُولِ اللهِ ﷺ، فَقُلْتُ: مَنْ أَخَذَهَا؟، قَالَ: غَطَفَانُ.

قَالَ: فَصَرَخْتُ ثَلَاثَ صَرَخَاتٍ،يَا صَبَاحَاهْ،قَالَ: فَأَسْمَعْتُ مَا بَيْنَ لَابَتَيِ الْمَدِينَةِ- أَيْ: طَرَفَيْهَا-، ثُمَّ انْدَفَعْتُ عَلَىٰ وَجْهِي حَتَّىٰ أَدْرَكْتُهُمْ،بِذِي قَرَدٍ، وَقَدْ أَخَذُوا يَسْقُونَ مِنَ الْمَاءِ، فَجَعَلْتُ أَرْمِيهِمْ بِنَبْلِي، وَكُنْتُ رَامِيًا، وَأَقُولُ:

أَنَا ابْنُ الْأَكْوَعْ   وَالْيَوْمَ يَوْمُ الرُّضَّعْ

فَأَرْتَجِزُ حَتَّىٰ اسْتَنْقَذْتُ اللِّقَاحَ مِنْهُمْ، وَاسْتَلَبْتُ مِنْهُمْ ثَلَاثِينَ بُرْدَةً.

قَالَ: وَجَاءَ النَّبِيُّ ﷺ وَالنَّاسُ، فَقُلْتُ: يَا نَبِيَّ اللهِ، إِنِّي قَدْ حَمَيْتُ الْقَوْمَ الْمَاءَ وَهُمْ عِطَاشٌ - أَيْ: مَنَعْتُهُمْ شُرْبَ المَاءِ -، فَابْعَثْ إِلَيْهِمِ السَّاعَةَ.

---

(١) «دِيْوَانُ أَبِي تَمَّامٍ» (٢٢).

فَقَالَ: «**يَا ابْنَ الْأَكْوَعِ مَلَكْتَ فَأَسْجِحْ** - أَيْ: قَدَرْتَ فَاعْفُ -».

قَالَ: ثُمَّ رَجَعْنَا وَيُرْدِفُنِي رَسُولُ اللهِ ﷺ عَلَىٰ نَاقَتِهِ حَتَّىٰ دَخَلْنَا الْمَدِينَةَ[(١)].

وَأَمَّ ذَا قَــــرَدٍ فِـي جَحفَـلٍ لَجِبٍ ... يَسْـتَنُّ فِي لَاحِبٍ بَـادٍ وَفـي نَسَـمِ[(٢)]

---

(١) رَوَاهُ البُخَارِيُّ (٤١٩٤) - وَاللَّفْظُ لَهُ -، ومُسْلِمٌ (١٨٠٦).

(٢) «مَوْسُوعَةُ الشِّعْرِ» (١٦/ ٦٠٦)، والجَحْفَلِ اللَّجِبُ: ذُو الجَلَبَةِ وَالصِّيَاحِ، وَاللاَّحِبُ: الطَّرِيْقُ الوَاضِحُ. والنَّسَم -مُتَحَرِّكَةً -: نَفَسُ الرِّيحِ إِذَا كَانَ ضَعِيفًا.

غَزْوَةُ خَيْبَرَ

وَمِنْ عَزْمِهِ تَخْرِيْبُ خَيْبَرَ مِثْلَ مَا ... قُرَيْظَةُ قَرْضٌ وَ النَّظِيْرُ نَضِيْرُ[1]

١ـ مَوْقِعُهَا:

تَقَعُ خَيْبَرُ فِي الشَّمَالِ الشَّرْقِيِّ لِلمَدِيْنَةِ النَّبَوِيَّةِ، وَعَلَىٰ بُعْدِ حَوَالَيْ مَائَةٍ وَثَمَانِيَةٍ وَسِتِّيْنَ كَيْلاً.

٢ـ سَبَبُهَا:

لَمْ يُبْدِ يَهُودُ خَيْبَرَ أَيَّ عِدَاءٍ لِلمُسْلِمِيْنَ، حَتَّىٰ لَحِقَ بِهِمْ زُعَمَاءُ بَنِي النَّضِيْرِ، عِنْدَمَا أُجْلُوا عَنِ المَدِيْنَةِ، وَكَانَ أَبْرَزُ زُعَمَاءِ بَنِي النَّضِيْرِ الَّذِيْنَ غَادَرُوا المَدِيْنَةِ، وَنَزَلُوا خَيْبَرَ وَهُمْ:

١- سَلَّامُ بْنُ أَبِي الْحُقَيْقِ.

٢- كِنَانَةَ بْنَ الرَّبِيْعِ.

٣- حُيَيُّ بْنُ أَخْطَبَ.

فَلَمَّا نَزَلُوهَا، دَانَ لَهُمْ أَهْلُهَا.

٣ـ وَقْتُهَا:

قَدِمَ رَسُولُ اللهِ ﷺ الْمَدِينَةَ بَعْدَ غَزْوَةِ الْحُدَيْبِيَةِ، وَذَلِكَ فِي ذِي الْحِجَّةِ،

---

(١) «دَوَاوِيْنُ الشِّعْرِ العَرَبِيِّ» (٧٧/ ٤٥٣).

فَأَقَامَ بِهَا حَتَّىٰ سَارَ إِلَىٰ خَيْبَرَ فِي الْمُحَرَّمِ (أَيْ فِي السَّنَةِ السَّابِعَةِ)، وَهُوَ قَوْلُ جُمْهُورُ العُلَمَاءِ.

٤ـ الاسْتِعْدَادُ لِلمَعْرَكَةِ:

وَعَجِيْبٌ خُلِقْتَ لِلحَرْبِ لَيْثًا ... وَسَجَايَاكَ كُلُّهُنَّ سَلَامُ

عَنْ أَنَسٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ أَتَىٰ خَيْبَرَ لَيْلاً، وكانَ إِذَا أَتَىٰ قَوْمًا بِلَيْلٍ لَمْ يُغِرْ بِهِمْ حَتَّىٰ يُصْبِحَ، فَلَمَّا أَصْبَحَ خَرَجَتِ الْيَهُودُ بِمَسَاحِيهِم[١]، وَمَكَاتِلِهِمْ[٢]، فلما رَأَوْهُ قَالُوا: مُحَمَّدُ وَاللهِ، مُحَمَّدُ وَالْخَمِيسُ[٣]، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «**خَرِبَتْ خَيْبَرُ، إِنَّا إِذَا نَزَلْنَا بِسَاحَةِ قَوْمٍ فَسَاءَ صَبَاحُ الْمُنْذَرِينَ**»[٤].

فَحَاصَرَهُمْ النَّبِيُّ ﷺ بِضَعَ عَشَرَةَ لَيْلَةً، كَمَا قَالَ ابْنُ إِسْحَاقَ، وَقِيْلَ أَكْثَرَ مِنْ ذَلِكَ، وَكَانَ ذَلِكَ فِي شِدَّةِ الحَرِّ، وَأَصَابَتْهُمْ مَخْمَصَةٌ شَدِيْدَةٌ[٥].

٥ـ فَتْحُ خَيْبَرَ:

رَمَاهَا إِمَامُ الرُّسُلِ بِالأَسَدِ الَّذِي ... فَرَائِسُهُ الآسَادُ حَالَ اغْتِلامِهَا[٦]

قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**لَأُعْطِيَنَّ هَذِهِ الرَّايَةَ غَدًا رَجُلًا يَفْتَحُ اللهُ عَلَىٰ يَدَيْهِ**

(١) المَسَاحِي: جَمْعُ مِسْحَاةٍ -بِالكَسْرِ- وَهِيَ المِجْرَفَةُ مِنَ الحَدِيْدِ.

(٢) المَكَاتِل: جَمْعُ مِكْتَلٍ -بِالكَسْرِ-، وَهُوَ الزِّنْبِيْلُ. وَالمَعْنَىٰ: أَنَّهُمْ خَرَجُوا إِلَىٰ أَعْمَالِهِمْ، غَيْرَ عَالِمِيْنَ بِالنَّبِيِّ ﷺ وَجَيْشِهِ.

(٣) الْخَمِيسُ: الجَيْشُ؛ لِأَنَّهُ يَنْقَسِم عَلَىٰ خَمْسِ أَقْسَامٍ: مَيْمَنَةٍ، وَمَيْسَرَةٍ، وَمُقَدِّمَةٍ، وَسَاقَةٍ، وَقَلْبٍ.

(٤) رَوَاهُ البُخَارِيُّ (٤١٩٧)، ومُسْلِمٌ (١٣٦٥).

(٥) المَخْمَصَة: المَجَاعَةُ الشَّدِيْدَة.

(٦) «دِيْوَانُ ابْنِ المُعْتَزِّ» (٢٦).

يُحِبُّ اللهَ وَرَسُولَهُ، وَيُحِبُّهُ اللهُ وَرَسُولُهُ».

قَالَ: فَبَاتَ النَّاسُ يَدُوكُونَ(١) لَيْلَتَهُمْ أَيُّهُمْ يُعْطَاهَا، فَلَمَّا أَصْبَحَ النَّاسُ، غَدَوْا عَلَىٰ رَسُولِ اللهِ ﷺ كُلُّهُمْ يَرْجُو أَنْ يُعْطَاهَا.

فَقَالَ: «**أَيْنَ عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ؟!**».

فَقِيلَ: هُوَ يَا رَسُولَ اللهِ يَشْتَكِي عَيْنَيْهِ، قَالَ: «**فَأَرْسِلُوا إِلَيْهِ**»، فَأُتِيَ بِهِ، فَبَصَقَ رَسُولُ اللهِ ﷺ فِي عَيْنَيْهِ وَدَعَا لَهُ فَبَرَأَ، حَتَّىٰ كَأَنْ لَمْ يَكُنْ بِهِ وَجَعٌ، فَأَعْطَاهُ الرَّايَةَ.

فَقَالَ عَلِيٌّ: يَا رَسُولَ اللهِ أُقَاتِلُهُمْ حَتَّىٰ يَكُونُوا مِثْلَنَا.

فَقَالَ: «**انْفُذْ عَلَىٰ رِسْلِكَ -أَيْ اتئِدْ وَلاَ تَعْجَلْ-، حَتَّىٰ تَنْزِلَ بِسَاحَتِهِمْ، ثُمَّ ادْعُهُمْ إِلَىٰ الْإِسْلَامِ، وَأَخْبِرْهُمْ بِمَا يَجِبُ عَلَيْهِمْ مِنْ حَقِّ اللهِ فِيهِ، فَوَاللهِ؛ لَأَنْ يَهْدِيَ اللهُ بِكَ رَجُلًا وَاحِدًا، خَيْرٌ لَكَ مِنْ أَنْ يَكُونَ لَكَ حُمْرُ النَّعَمِ**»(٢).

وَعَنْ سَلَمَةَ بْنِ الْأَكْوَعِ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ: «... خَرَجْنَا إِلَىٰ خَيْبَرَ مَعَ رَسُولِ اللهِ ﷺ قَالَ فَجَعَلَ عَمِّي عَامِرٌ يَرْتَجِزُ بِالْقَوْمِ:

تَاللهِ لَوْلَا اللهُ مَا اهْتَدَيْنَا وَلَا تَصَدَّقْنَا وَلَا صَلَّيْنَا

وَنَحْنُ عَنْ فَضْلِكَ مَا اسْتَغْنَيْنَا فَثَبِّتْ الْأَقْدَامَ إِنْ لَاقَيْنَا

وَأَنْزِلَنْ سَكِينَةً عَلَيْنَا

فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ مَنْ هَذَا؟، قَالَ: أَنَا عَامِرٌ؟، قَالَ: غَفَرَ لَكَ رَبُّكَ؟، قَالَ: وَمَا اسْتَغْفَرَ رَسُولُ اللهِ ﷺ لِإِنْسَانٍ يَخُصُّهُ إِلَّا اسْتُشْهِدَ؟، قَالَ: فَنَادَىٰ عُمَرُ بْنُ

(١) يَدُوكُونَ: يَخُوضُونَ وَيَمُوجُونَ.

(٢) رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ (٤٢١٠)، ومُسْلِمٌ (٢٤٠٦).

الْخَطَّابِ وَهُوَ عَلَىٰ جَمَلٍ لَهُ؟، يَا نَبِيَّ اللهِ لَوْلَا مَا مَتَّعْتَنَا بِعَامِرٍ؟، قَالَ: فَلَمَّا قَدِمْنَا خَيْبَرَ قَالَ: خَرَجَ مَلِكُهُمْ مَرْحَبٌ يَخْطِرُ بِسَيْفِهِ(١) وَيَقُولُ:

قَدْ عَلِمَتْ خَيْبَرُ أَنِّي مَرْحَبُ
شَاكِي السِّلَاحِ(٢) بَطَلٌ مُجَرَّبُ
إِذَا الْحُرُوبُ أَقْبَلَتْ تَلَهَّبُ

قَالَ: وَبَرَزَ لَهُ عَمِّي عَامِرٌ فَقَالَ(٣):

قَدْ عَلِمَتْ خَيْبَرُ أَنِّي عَامِرٌ شَاكِي السِّلَاحِ بَطَلٌ مُغَامِرٌ(١)

قَالَ: فَاخْتَلَفَا ضَرْبَتَيْنِ فَوَقَعَ سَيْفُ مَرْحَبٍ فِي تُرْسِ عَامِرٍ وَذَهَبَ عَامِرٌ يَسْفُلُ لَهُ(٤)، فَرَجَعَ سَيْفُهُ عَلَىٰ نَفْسِهِ فَقَطَعَ أَكْحَلَهُ فَكَانَتْ فِيهَا نَفْسُهُ.

قَالَ سَلَمَةُ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: فَخَرَجْتُ فَإِذَا نَفَرٌ مِنْ أَصْحَابِ النَّبِيِّ ﷺ يَقُولُونَ: بَطَلَ عَمَلُ عَامِرٍ قَتَلَ نَفْسَهُ.

قَالَ: فَأَتَيْتُ النَّبِيَّ ﷺ وَأَنَا أَبْكِي فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ، بَطَلَ عَمَلُ عَامِرٍ؟

قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**مَنْ قَالَ ذَلِكَ؟!**»، قَالَ: قُلْتُ: نَاسٌ مِنْ أَصْحَابِكَ، قَالَ: «**كَذَبَ مَنْ قَالَ ذَلِكَ، بَلْ لَهُ أَجْرُهُ مَرَّتَيْنِ**».

ثُمَّ أَرْسَلَنِي إِلَىٰ عَلِيٍّ وَهُوَ أَرْمَدُ، فَقَالَ: «**لَأُعْطِيَنَّ الرَّايَةَ رَجُلًا يُحِبُّ اللهَ**

---

(١) يَخْطِرُ بِسَيْفِهِ - بِكَسْرِ الطَّاءِ - أَيْ: يَرْفَعُهُ مَرَّةً، وَيَضَعُهُ أُخْرَىٰ.
(٢) شَاكِي السِّلَاحِ أَيْ: تَامُّ السِّلَاحِ.
(٣) مُغَامِرٌ أَيْ: يَرْكَبُ غَمَرَاتِ الحَرْبِ وَشَدَائِدَهَا، وَيُلْقِي نَفْسَهُ فِيهَا.
(٤) يَسْفُلُ لَهُ أَيْ: يَضْرِبُهُ مِنْ أَسْفَلِهِ.

وَرَسُولَهُ أَوْ يُحِبُّهُ اللهُ وَرَسُولُهُ»، قَالَ: فَأَتَيْتُ عَلِيًّا فَجِئْتُ بِهِ أَقُودُهُ وَهُوَ أَرْمَدُ، حَتَّىٰ أَتَيْتُ بِهِ رَسُولَ اللهِ ﷺ، فَبَسَقَ فِي عَيْنَيْهِ فَبَرَأَ وَأَعْطَاهُ الرَّايَةَ، وَخَرَجَ مَرْحَبٌ فَقَالَ:

قَدْ عَلِمَتْ خَيْبَرُ أَنِّي مَرْحَبُ
شَاكِي السِّلَاحِ بَطَلٌ مُجَرَّبُ
إِذَا الْحُرُوبُ أَقْبَلَتْ تَلَهَّبُ

فَقَالَ عَلِيٌّ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ:

أَنَا الَّذِي سَمَّتْنِي أُمِّي حَيْدَرَه[١]
كَلَيْثِ غَابَاتٍ كَرِيهِ الْمَنْظَرَهْ
أُوفِيهِمُ بِالصَّاعِ كَيْلَ السَّنْدَرَهْ[٢]

قَالَ: فَضَرَبَ رَأْسَ مَرْحَبٍ فَقَتَلَهُ ثُمَّ كَانَ الْفَتْحُ عَلَىٰ يَدَيْهِ[٣].

وَجَاءَ خَيْبَرَ فِي جَأْوَاءَ كَالِحَةٍ ... بِالخَيْلِ كَالسَّيْلِ وَالأَسْيَافِ كَالضَّرَمِ
حَتَّىٰ إِذَا امتَنَعَتْ شُمُّ الحُصُونِ عَلَىٰ ... مَنْ رامَهَا بَعْدَ إِيغَالٍ وَمُقتَحَمِ
قَالَ النَّبِيُّ سَأُعْطِي رَايَتِي رَجُلاً ... يُحِبُّنِي وَيُحِبُّ اللهَ ذَا الكَرَمِ
ذَا مِرَّةٍ يَفْتَحُ اللهُ الحُصُونَ عَلَىٰ ... يَدَيْهِ لَيْسَ بِفَرَّارٍ وَلَا بَرِمِ

---

(١) حَيْدَرَة: اسْمٌ لِلأَسَدِ لِغِلْظِهِ وَقُوَّتِهِ، وَكَانَتْ أُمُّ عَلِيٍّ سَمَّتْهُ أَوَّلَ وِلَادَتِهِ أَسَدًا بِاسْمِ جَدِّهِ لِأُمِّهِ أَسَدِ بْنِ هِشَامٍ، وَكَانَ أَبُو طَالِبٍ غَائِبًا، فَلَمَّا قَدِمَ سَمَّاهُ عَلِيًّا.

(٢) السَّنْدَرَة: مِكْيَالٌ وَاسِعٌ. وَالمَعْنَىٰ: أَقْتُلُ الأَعْدَاءَ قَتْلًا وَاسِعًا ذَرِيعًا.

(٣) رَوَاهُ مُسْلِمٌ (١٨٠٧).

فَمَا بَدَا الفَجرُ إِلَّا وَالزَّعِيْمُ عَلَىٰ   جَيْشِ القِتَالِ عَلِيٌّ رَافِعُ العَلَمِ
فَسَارَ مُعْتَزِمًا حَتَّىٰ أَنَافَ عَلَىٰ   حُصُونِ خَيْبَرَ بِالمَسْلُولَةِ الخُذُمِ
فَلَمْ يَزَلْ صَائِلاً فِي الحَرْبِ مُقتَحِمًا   غَيَابَةَ النَّقْعِ مِثْلَ الحَيْدَرِ القَرِمِ
حَتَّىٰ تَبَلَّجَ فَجْرُ النَّصْرِ وَانتَشَرَتْ   بِهِ البَشَائِرُ بَيْنَ السَّهْلِ وَالْعَلَمِ(١)

٦ ـ تَعْجِيْلُ اللهِ لِلمُسْلِمِيْنَ غَنَائِمَ خَيْبَرَ:

قَدْ حَمِدْنَا عِنْدَ الصَّبَاحِ سُرَانَا   وَغَنِمْنَا غَنَائِمَ الشُّجْعَانِ(٢)

كَانَتْ غَنَائِمُ خَيْبَرَ وَعْدًا مِنَ اللهِ لِلمُسْلِمِيْنَ، فَبَعْدَ غَزْوَةِ الحُدَيْبِيَةِ أَنْزَلَ اللهُ ﷻ: ﴿وَعَدَكُمُ ٱللَّهُ مَغَانِمَ كَثِيرَةً تَأْخُذُونَهَا فَعَجَّلَ لَكُمْ هَٰذِهِۦ﴾ [الفَتْحُ: ٢٠].

فَتَحَقَّقَ وَعْدُ اللهِ لَهُمْ؛ إِذْ عَجَّلَ لَهُمْ غَنَائِمَ خَيْبَرَ ﴿فَعَجَّلَ لَكُمْ هَٰذِهِۦ﴾.

قِسمَةُ الغَنَائِمِ:

مُحَمَّدٌ خَاتَمُ الرُّسْلِ المُبَاحُ لهُ   مِنَ الغَنَائِمِ تَقسِيْمٌ وَتَنفِيْلُ(٣)

عَنْ بُشَيْرِ بْنِ يَسَارٍ مَوْلَىٰ الْأَنْصَارِ عَنْ رِجَالٍ مِنْ أَصْحَابِ النَّبِيِّ ﷺ: أَنَّ

(١) «مَوْسُوعَةُ الشِّعْرِ الإِسْلَامِي» (١٦/ ٦٠٦) والكَتِيْبَةُ الجَأْوَاءُ: هِيَ الَّتِي يَعْلُوهَا لَوْنُ السَّوَادِ لِكَثْرَةِ الدُّرُوع. وَالإِيْغَال: الإِمْعَانُ فِي السَّيْرِ، وَالمُبَالَغَة فِيْهِ. والمِرَّة -بِالكَسْرِ- القُوَّة. والبَرَمُ: الضَّجِرُ. وَأَنَافَ: أَشْرَفَ وَارْتَفَع. والخُذُم: السُّيُوفِ القَوَاطِع. صَائِلاً: وَاثِبًا. وَالغَابَة: كُلُّ مَا أَظَلَّ الإِنْسَانَ فَوْقَ رَأْسِهِ، مِثْل: السَّحَابَة، وَالغُبْرَة، وَالظُّلْمَة، وَنَحْوَ ذَلِكَ. وَالنَّقْع: الغُبَار. والحَيْدَر: الأَسَد. وَالقَرِم: الشَّدِيْدُ الشَّهْوَة لِلَّحمِ. وَتَبَلَّجَ الفَجْرُ: إِذَا أَشْرَقَ وَأَنَارَ. والسَّهْل مِنَ الأَرْضِ: مَا لَانَ. والعَلَمُ -مُتَحَرِّكَةً-: الجَبَل.

(٢) «دِيْوَانُ مُحَمَّد العِيْدِ آل خَلِيْفَة» (٢٤٥).

(٣) «دَوَاوِيْنُ الشِّعْرِ العَرَبِيِّ» (٩/ ٥٩) والتَّنْفِيْل: إِعْطَاءُ شَيْءٍ زَائِدٍ عَلَىٰ سِهَامِ الغَانِمِيْنَ.

رَسُولَ اللهِ ﷺ لَمَّا ظَهَرَ عَلَىٰ خَيْبَرَ قَسَمَهَا عَلَىٰ سِتَّةٍ وَثَلَاثِينَ سَهْمًا، جَمَعَ كُلُّ سَهْمٍ مِائَةَ سَهْمٍ، فَكَانَ لِرَسُولِ اللهِ ﷺ وَلِلْمُسْلِمِينَ النِّصْفُ مِنْ ذَلِكَ، وَعَزَلَ النِّصْفَ الْبَاقِيَ لِمَنْ نَزَلَ بِهِ مِنَ الْوُفُودِ وَالْأُمُورِ، وَنَوَائِبِ النَّاسِ»[١].

تَبَاشَرَتِ الأَقْطَارُ مِنْ فَرَحٍ بِهِ ... فَفِي كُلِّ ثَغْرٍ مِنْ ظِبَاه مَبَاسِمُ
وَمَا تَحْمِلُ الخَيْلُ الأَعَادِي جَهَالَةً ... بِهِ، بَلْ رَجَاءً أَنَّهُنَّ غَنَائِمُ[٢]

حِكَايَةُ الشَّاةِ المَسْمُومَةِ[٣]:

حَلَاوَةُ دُنْيَاكَ مَسْمُومَةٌ ... فَمَا تَأْكُلُ الشَّهْدَ إِلَّا بِسُمٍّ[٣]

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ: لَمَّا فُتِحَتْ خَيْبَرَ، أُهْدِيَتْ لِرَسُولِ اللهِ ﷺ شَاةٌ فِيهَا سُمٌّ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**اجْمَعُوا لِي مَنْ كَانَ هَا هُنَا مِنَ الْيَهُودِ**».

فَجُمِعُوا لَهُ، فَقَالَ لَهُمْ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**إِنِّي سَائِلُكُمْ عَنْ شَيْءٍ فَهَلْ أَنْتُمْ صَادِقِيَّ عَنْهُ؟**». قَالُوا: نَعَمْ، يَا أَبَا الْقَاسِمِ.

فَقَالَ لَهُمْ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**مَنْ أَبُوكُمْ؟**»، قَالُوا: أَبُونَا فُلَانٌ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**كَذَبْتُمْ، بَلْ أَبُوكُمْ فُلَانٌ**»، قَالُوا: صَدَقْتَ وَبَرَرْتَ، فَقَالَ لَهُمْ: «**هَلْ أَنْتُمْ صَادِقِيَّ عَنْ شَيْءٍ إِنْ سَأَلْتُكُمْ عَنْهُ؟**»، فَقَالُوا: نَعَمْ، وَإِنْ كَذَبْنَاكَ، عَرَفْتَ كَذِبَنَا كَمَا عَرَفْتَهُ فِي آبَائِنَا.

---

(١) (صَحِيحٌ) أَخْرَجَهُ أَبُو دَاوُدَ (٣٠١٢)، وَصَحَّحَهُ الأَلْبَانِيُّ رَحِمَهُ اللهُ فِي «صَحِيحِ أَبِي دَاوُدَ» (٢٦٠٣).

(٢) «دَوَاوِيْنُ الشِّعْرِ العَرَبِيِّ» (٤٧/ ٤).

(٣) «الكَشْكُولُ» (٢/ ٨٩).

فَقَالَ لَهُمْ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**فَمَنْ أَهْلُ النَّارِ؟**»، فَقَالُوا: نَكُونُ فِيهَا يَسِيرًا ثُمَّ تَخْلِفُونَنا فِيهَا.

قَالَ لَهُمْ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**كَذَبْتُمْ، اخْسَئُوا فِيهَا، وَاللهِ لَا نَخْلِفُكُمْ فِيهَا أَبَدًا**».

ثُمَّ قَالَ لَهُمْ: «**هَلْ أَنْتُمْ صَادِقِيَّ عَنْ شَيْءٍ إِنْ سَأَلْتُكُمْ عَنْهُ؟**»، قَالُوا: نَعَمْ. قَالَ: «**هَلْ جَعَلْتُمْ فِي هَذِهِ الشَّاةِ سُمًّا؟**»، قَالُوا: نَعَمْ، قَالَ: «**مَا حَمَلَكُمْ عَلَىٰ ذَلِكَ؟**».

قَالُوا: أَرَدْنَا إِنْ كُنْتَ كَاذِبًا أَنْ نَسْتَرِيحَ مِنْكَ، وَإِنْ كُنْتَ نَبِيًّا لَمْ يَضُرَّكَ[1].

---

(١) رَوَاهُ البُخَارِيُّ (٣١٦٩).

زَوَاجُهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِنْ صَفِيَّةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا

حَصَانٌ إِنِ التَّقْوَىٰ اسْتَبَدَّتْ بِسِرِّهَا ... فَمِنْ صَالِحِ الأَعْمَالِ يُسْتَوْضَحُ الجَهْرُ (١)

كَانَتْ صَفِيَّةُ بِنْتُ حُيَيٍّ سَيِّدَةَ قُرَيْظَةَ وَالنَّضِيرِ، وَبِنْتَ مَلِكٍ مِنْ مُلُوكِهِمْ.

عَنْ أَنَسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: إِنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ غَزَا خَيْبَرَ... فَجُمِعَ السَّبْيُ، فَجَاءَ دِحْيَةُ فَقَالَ: أَعْطِنِي يَا رَسُولَ اللهِ جَارِيَةً مِنَ السَّبْيِ. قَالَ: «**اذْهَبْ فَخُذْ جَارِيَةً**». فَأَخَذَ صَفِيَّةَ بِنْتَ حُيَيٍّ، فَجَاءَ رَجُلٌ إِلَىٰ النَّبِيِّ ﷺ فَقَالَ: يَا نَبِيَّ اللهِ أَعْطَيْتَ دِحْيَةَ صَفِيَّةَ سَيِّدَةَ قُرَيْظَةَ وَالنَّضِيرِ؟ لَا تَصْلُحُ إِلَّا لَكَ.

قَالَ: «**ادْعُوهُ بِهَا**»، فَجَاءَ بِهَا، فَلَمَّا نَظَرَ إِلَيْهَا النَّبِيُّ ﷺ قَالَ: «**خُذْ جَارِيَةً مِنَ السَّبْيِ غَيْرَهَا**».

قَالَ: فَأَعْتَقَهَا النَّبِيُّ ﷺ وَتَزَوَّجَهَا»(٢).

وَكَانَتْ صَفِيَّةُ بِنْتُ حُيَيٍّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قَدْ رَأَتْ رُؤْيَا قَبْلَ مَجِيءِ رَسُولِ اللهِ ﷺ إِلَىٰ خَيْبَرَ: أَنَّهَا سَوْفَ تَكُونُ مِنْ نِسَائِهِ ﷺ.

فَعَنِ ابْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، قَالَ: كَانَ بِعَيْنَيْ صَفِيَّةَ خُضْرَةٌ، فَقَالَ لَهَا النَّبِيُّ ﷺ: «**مَا هَذِهِ الْخُضْرَةُ بِعَيْنَيْكِ؟**».

---

(١) «دَوَاوِيْنُ الشِّعْرِ العَرَبِيِّ عَبْرَ العُصُورِ» (٨/ ٢٦).

(٢) رَوَاهُ البُخَارِيُّ (٣٧١).

فَقَالَتْ: قُلْتُ لِزَوْجِي: إِنِّي رَأَيْتُ فِيمَا يَرَىٰ النَّائِمِ قَمَرًا وَقَعَ فِي حِجْرِي فَلَطَمَنِي، وَقَالَ: أَتُرِيدِينَ مَلِكَ يَثْرِبَ؟[(١)].

وَكَانَتْ رَضِيَ اللهُ عَنْهَا ذَاتَ جَمَالٍ بَاهِرٍ إِلَىٰ نَسَبٍ شَرِيْفٍ، فَهِيَ مِنْ نَسْلِ نَبِيِّ اللهِ هَارُونَ عَلَيْهِ السَّلَامُ.

فَعَنِ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ: «قَدِمْنَا خَيْبَرَ، فَلَمَّا فَتَحَ اللهُ عَلَيْهِ الْحِصْنَ ذُكِرَ لَهُ جَمَالُ صَفِيَّةَ بِنْتِ حُيَيِّ بْنِ أَخْطَبَ -وَقَدْ قُتِلَ زَوْجُهَا، وَكَانَتْ عَرُوسًا- فَاصْطَفَاهَا رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لِنَفْسِهِ، فَخَرَجَ بِهَا حَتَّىٰ بَلَغْنَا سَدَّ الصَّهْبَاءِ حَلَّتْ، فَبَنَىٰ بِهَا رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ»[(٢)].

عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**إِنَّكِ لَابْنَةُ نَبِيٍّ، وَإِنَّ عَمَّكِ لَنَبِيٌّ، وَإِنَّكِ لَتَحْتَ نَبِيٍّ**»[(٣)].

وَكَانَتْ رَضِيَ اللهُ عَنْهَا قَدْ وَجَدَتْ عَلَىٰ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لِأَنَّهُ قَتَلَ أَبَاهَا وَزَوْجَهَا، فَمَا زَالَ يَعْتَذِرُ إِلَيَّ؛ حَتَّىٰ ذَهَبَ ذَلِكَ مِنْ نَفْسِي[(٤)].

قَالَ أُسْتَاذُنَا عَبْدُ الكَرِيْمِ العِمَادُ -حَفِظَهُ اللهُ-:

كَمْ قَدْ عَذَرْتَ أُنَاسًا دُونَ مَعْذِرَةٍ ... مَاذَا وَأَنْتَ رَسُولُ اللهِ تَعْتَذِرُ؟!

---

(١) (حَسَنٌ) أَخْرَجَهُ الطَّبَرَانِيُّ فِي «الكَبِيْرِ» (٢٤/ ٦٧)، وَصَحَّحَهُ الأَلْبَانِيُّ رَحِمَهُ اللهُ فِي «الصَّحِيْحَةِ» (٢٧٩٣).

(٢) رَوَاهُ البُخَارِيُّ (٤٢١١).

(٣) (صَحِيْحٌ) أَخْرَجَهُ أَحْمَدُ (٣/ ١٥٣)، وَأَبُو دَاوُدَ (٣٨٩٤)، وَصَحَّحَهُ الأَلْبَانِيُّ رَحِمَهُ اللهُ فِي «المِشْكَاةِ» (٩١٨٣).

(٤) (صَحِيْحٌ) أَخْرَجَهُ الطَّبَرَانِيُّ فِي «الكَبِيْرِ» (٢٤/ ٦٧)، وَصَحَّحَهُ الأَلْبَانِيُّ رَحِمَهُ اللهُ فِي «الصَّحِيْحَةِ» (٢٧٩٣).

وَكُــلُّ فِعْلِكَ خَيْرٌ، وَالصَّـوَابُ بِـهِ ... وَكُــلُّ قَـوْلِـكَ خَيْرٌ صَـادِقٌ نَضِـرُ

مَـا كُـنْـتَ إِلَّا بِـأَمْـرِ اللهِ مُؤْتَمِـرًا ... وَهَـلْ يُـلَامُ امْـرُؤٌ لِلَّـهِ يَـأْتَمِـرُ؟!

بِـالـحَـقِّ وَافَيْـتَ وَالظُّلْمَـاءُ عَاكِفَـةٌ ... فَـسَــارَ فِـي دَرْبِـكَ الأَنْـوَارُ وَالظَّفَـرُ

قُدُومُ جَعْفَرٍ وَأَصْحَابُ السَّفِيْنَةِ

زَانُـوا قَـدِيمَهُـمُ بِحُسْـنِ فَعالِهِـمْ ... وَكَـرِيـمَ أَخْلاقٍ بِحُسْـنِ وَجُـوهِ[1]

عَنْ أَبِي مُوسَىٰ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، قَالَ: بَلَغَنَا مَخْرَجُ النَّبِيِّ ﷺ وَنَحْنُ بِاليَمَنِ، فَخَرَجْنَا مُهَاجِرِينَ إِلَيْهِ، أَنَا وَأَخَوَانِ لِي، أَنَا أَصْغَرُهُمْ، أَحَدُهُمَا أَبُو بُرْدَةَ، وَالآخَرُ أَبُو رُهْمٍ، إِمَّا قَالَ: فِي بِضْعٍ، وَإِمَّا قَالَ: فِي ثَلاثَةٍ وَخَمْسِينَ، أَوِ اثْنَيْنِ وَخَمْسِينَ رَجُلًا مِنْ قَوْمِي[1].

فَرَكِبْنَا سَفِينَةً، فَأَلْقَتْنَا سَفِينَتُنَا إِلَىٰ النَّجَاشِيِّ بِالحَبَشَةِ، فَوَافَقْنَا جَعْفَرَ بْنَ أَبِي طَالِبٍ وَأَصْحَابَهُ عِنْدَهُ

فَقَالَ جَعْفَرٌ: إِنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ بَعَثَنَا هَاهُنَا، وَأَمَرَنَا بِالإِقَامَةِ، فَأَقِيمُوا مَعَنَا، فَأَقَمْنَا مَعَهُ حَتَّىٰ قَدِمْنَا جَمِيعًا.

قَالَ: فَوَافَقْنَا رَسُولُ اللهِ ﷺ حِينَ افْتَتَحَ خَيْبَرَ، فَأَسْهَمَ لَنَا وَلَمْ يُسْهِمْ لِأَحَدٍ غَابَ عَنْ خَيْبَرَ إِلَّا أَصْحَابَ سَفِينَتِنَا مَعَ جَعْفَرٍ وَأَصْحَابِهِ، فَقَسَمَ لَهُمْ مَعَهُمْ.

قَالَ: فَكَانَ أُنَاسٌ مِنَ النَّاسِ يَقُولُونَ لَنَا -يَعْنِي لِأَهْلِ السَّفِينَةِ-: سَبَقْنَاكُمْ بِالهِجْرَةِ.

قَالَ: فَدَخَلَتْ أَسْمَاءُ بِنْتُ عُمَيْسٍ، وَهِيَ مِمَّنْ قَدِمَ مَعَنَا، عَلَىٰ حَفْصَةَ زَوْجِ

(١) «دِيْوَانُ الفَرَزْدَقِ» (١٠٣).

النَّبِيِّ ﷺ زَائِرَةً، وَقَدْ كَانَتْ هَاجَرَتْ إِلَىٰ النَّجَاشِيِّ فِيمَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِ، فَدَخَلَ عُمَرُ عَلَىٰ حَفْصَةَ، وَأَسْمَاءُ عِنْدَهَا، فَقَالَ عُمَرُ حِينَ رَأَىٰ أَسْمَاءَ: مَنْ هَذِهِ؟.

قَالَتْ: أَسْمَاءُ بِنْتُ عُمَيْسٍ.

قَالَ عُمَرُ: الْحَبَشِيَّةُ هَذِهِ؟ الْبَحْرِيَّةُ هَذِهِ؟.

فَقَالَتْ أَسْمَاءُ: نَعَمْ.

فَقَالَ عُمَرُ: سَبَقْنَاكُمْ بِالْهِجْرَةِ، فَنَحْنُ أَحَقُّ بِرَسُولِ اللهِ ﷺ مِنْكُمْ، فَغَضِبَتْ، وَقَالَتْ كَلِمَةً: كَذَبْتَ يَا عُمَرُ كَلَّا، وَاللهِ كُنْتُمْ مَعَ رَسُولِ اللهِ ﷺ يُطْعِمُ جَائِعَكُمْ، وَيَعِظُ جَاهِلَكُمْ، وَكُنَّا فِي دَارٍ، أَوْ فِي أَرْضِ الْبُعَدَاءِ الْبُغَضَاءِ فِي الْحَبَشَةِ، وَذَلِكَ فِي اللهِ وَفِي رَسُولِهِ، وَايْمُ اللهِ لَا أَطْعَمُ طَعَامًا وَلَا أَشْرَبُ شَرَابًا حَتَّىٰ أَذْكُرَ مَا قُلْتَ لِرَسُولِ اللهِ ﷺ، وَنَحْنُ كُنَّا نُؤْذَىٰ وَنُخَافُ، وَسَأَذْكُرُ ذَلِكَ لِرَسُولِ اللهِ ﷺ وَأَسْأَلُهُ، وَوَاللهِ لَا أَكْذِبُ وَلَا أَزِيغُ وَلَا أَزِيدُ عَلَىٰ ذَلِكَ.

قَالَ: فَلَمَّا جَاءَ النَّبِيُّ ﷺ قَالَتْ: يَا نَبِيَّ اللهِ، إِنَّ عُمَرَ قَالَ: كَذَا وَكَذَا.

فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**لَيْسَ بِأَحَقَّ بِي مِنْكُمْ، وَلَهُ وَلِأَصْحَابِهِ هِجْرَةٌ وَاحِدَةٌ، وَلَكُمْ أَنْتُمْ، أَهْلَ السَّفِينَةِ، هِجْرَتَانِ**»[1].

قَال الشَّاعِرُ[2]:

قَوْمٌ عَلَىٰ كَتْفِ الزَّمَانِ لَبُوسُهُمْ ... ثَوْبُ بِحُسْنِ فَعَالِهِمْ مَوْسُومُ

آثَارُهُمْ فِي الحَادِثِيْنَ حَدِيْثَةٌ ... وَفَخَارُهُمْ فِي الأَقْدَمِيْنَ قَدِيْمُ[2]

---

(١) رَوَاهُ البُخَارِيُّ (٤٢٣٠)، ومُسْلِمٌ (٢٥٠٢).

(٢) «دَوَاوِيْنُ الشِّعْرِ العَرَبِيِّ» (٢٥/ ٤٦٩).

وَقَال آخَرُ(١):

أَبْشِـر بِهِ يَومَ فَتْحٍ قَدْ أَضاءَ بِهِ وَجْـهُ الزَّمَانِ، فَأَبْدَىٰ بِشْرَ مُبتَسِمِ
أَتَىٰ بِهِ جَعْفَرُ الطَّيَّارُ، فَابتَهَجَتْ بِعَوْدِهِ أَنفُسُ الأَصْحَابِ وَالعُزَمِ
فَكَانَ يَوْمـًا حَوَىٰ عِيْدَيْنِ فِي نَسَقٍ فَتْحـًا وَعَوْد كَرِيْمٍ طَاهِرِ الشِّيَمِ (١)

---

(١) «مَوْسُوعَةُ الشِّعْرِ الإِسْلَامِي» (١٧/ ٦٠٦) وَالعُزَمِ: جَمْعُ عُزْمَةٍ -بِالضَّمِّ- وَهِيَ أُسْرَةُ الرَّجُلِ وَقَبِيْلَتُهُ.

إِسْلَامُ خَالد بْنِ الوَلِيْد، وَعَمْرُو بْنِ العَاصِ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا

جَمَالَ ذِي الأَرْضِ كَانوا فِي الحَيَاةِ وَهُمْ ... بَعْدَ المَمَاتِ جَمَالُ الكُتْبِ وَالسِّيَرِ[1]

كَانَ صُلْحُ الحُدَيْبِيَةِ فَتْحًا لِلقُلُوبِ، دَخَلَ فِي الإِسْلَامِ خَالِدُ بْنُ الوَلِيْدِ، الَّذِي كَانَ قَائِدَ فُرْسَانِ قُرَيْشٍ، وَبَطَلُ مَعَارِكَ عَظِيْمَةٍ، وَقَدْ سَمَّاهُ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**سَيْفًا مِنْ سُيُوفِ اللهِ**»[1].

وَقَدْ أَبْلَىٰ بَلَاءً حَسَنًا، وَفَتَحَ اللهُ عَلَىٰ يَدِهِ الفُتُوحَ.

وَدَخَلَ فِي الإِسْلَامِ عَمْرُو بْنُ الْعَاصِ، أَحَدُ دُهَاةِ العَرَبِ، وَأَحَدُ كِبَارِ القَادَةِ وَالأُمَرَاءِ، وَفَاتِحُ مِصْرَ، وَقَدْ قَدِمَا بَعْدَ صُلْحِ الحُدَيْبِيَةِ، وَبِالتَّحْدِيْدِ فِي شَهْرِ صَفَرٍ مِنَ السَّنَةِ الثَّامِنَةِ لِلهِجْرَةِ.

يَرْوِي ذَلِكَ عَمْرُو بْنُ الْعَاصِ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ: خَرَجْتُ عَامِدًا إِلَىٰ رَسُولِ اللهِ ﷺ فَلَقِيتُ خَالِدَ بْنَ الْوَلِيدِ وَكَانَ قُبَيْلَ الْفَتْحِ وَهُوَ مُقْبِلٌ مِنْ مَكَّةَ، فَقُلْتُ: أَيْنَ يَا أَبَا سُلَيْمَانَ.

قَالَ: وَاللهِ لَقَدِ اسْتَقَامَ المَنْسِمُ[2]، وَإِنَّ الرَّجُلَ لَنَبِيٌّ، اذْهَبْ -وَاللهُ- فَأَسْلِمْ، فَحَتَّىٰ مَتَىٰ؟

---

(١) «المُحَاضَراتُ والمُحَاوَرَات» (٣٩٤).

(٢) اسْتَقَامَ الْمَيْسَمُ: أَي: اتَّضَحَ الأَمْرُ.

قَالَ: قُلْتُ: فَأَنَا وَاللهِ مَا جِئْتُ إِلَّا لِلإِسْلَام، قَالَ: فَقَدِمْنَا عَلَىٰ رَسُولِ اللهِ ﷺ فَتَقَدَّمَ خَالِدُ بْنُ الْوَلِيدِ فَأَسْلَمَ وَبَايَعَ، ثُمَّ دَنَوْتُ فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ، إِنِّي أُبَايِعُكَ عَلَىٰ أَنْ تَغْفِرَ لِي مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِي وَلَا أَذْكُرُ مَا تَأَخَّرَ.

قَالَ: فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**يَا عَمْرُو، بَايِعْ فَإِنَّ الْإِسْلَامَ يَجُبُّ مَا كَانَ قَبْلَهُ، وَإِنَّ الْهِجْرَةَ تَجُبُّ مَا كَانَ قَبْلَهَا**».

قَالَ: فَبَايَعْتُ ثُمَّ انْصَرَفْتُ[(١)].

قَالَ أُسْتَاذُنَا عَبْدُ الكَرِيْمِ العِمَادُ -حَفِظَهُ اللهُ-:

سُبْحَانَ مَنْ يَهْدِي القُلُوبِ إِلَىٰ التُّقَىٰ ... مَهْمَا اسْتَطَالَ الظُّلْمُ وَالإِظْلَامُ!

خَاضُوا الضَّلَالَ وَبِالمَحَارِمِ أَفْطَرُوا ... حَتَّىٰ اهْتَدَوْا؛ فَعَنِ المَحَارِمِ صَامُوا

(١) (حَسَنٌ) رَوَاهُ أَحْمَدُ (٤/ ١٩٨)، وَالبَغَوِيُّ فِي «التَّارِيْخ» (٢/ ٣١١) مُخْتَصِرًا، وَابْنُ جَرِيْرٍ فِي «التَّارِيْخ» (٢/ ١٤٦) مِنْ طَرِيْقِ مُحَمَّدِ بْنِ إِسْحَاق، وَهُوَ فِي «المَغَازِي» (٣/ ٢٧٠)، وَقَدْ صَرَّحَ بِالتَّحْدِيْثِ، وَحَسَّنَهُ الأَلْبَانِيُّ رَحِمَهُ اللهُ فِي «الإِرْوَاء» (٥/ ١٢٣).

عُمْرَةُ القَضَاءِ

هَوَىٰ جَبَلٌ مِنَ العُدْوَانِ عَالٍ   وَزُلْزِلَ لِلأَذَىٰ صَرْحٌ مَشِيْدُ (١)

وَقْتُهَا:

كَانَتْ عُمْرَةُ الْقَضَاءِ فِي ذِي الْقَعْدَةِ مِنَ السَّنَةِ السَّابِعَةِ مِنَ الهِجْرَةِ، حَيْثُ خَرَجَ رَسُولُ اللهِ ﷺ إِلَىٰ مَكَّةَ قَاصِدًا العُمْرَةَ، كَمَا اتَّفَقَ مَعَ قُرَيْشٍ فِي صُلْحِ الحُدَيْبِيَةِ.

وَتُسَمَّىٰ عُمْرَةُ الْقَضِيَّةِ؛ لِأَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَضَىٰ قُرَيْشًا عَلَيْهَا، وَلَيْسَ لِأَنَّهُ قَضَىٰ العُمْرَةَ الَّتِي صُدَّ عَنِ البَيْتِ فِيْهَا؛ فَإِنَّهَا لَمْ تَكُنْ فَسَدَتْ بِصَدِّهِمْ عَنِ البَيْتِ، بَلْ كَانَتْ عُمْرَةً تَامَّةً مُتَقَبَّلَةً، فَهِيَ مَعْدُودَةٌ فِي عُمَرِ النَّبِيِّ ﷺ، وَهُنَّ أَرْبَعُ عُمَرٍ:

١- عُمْرَةُ الحُدَيْبِيَةِ.
٢- عُمْرَةُ القَضَاءِ.
٣- عُمْرَةُ الجِعْرَانَةِ.
٤- العُمْرَةُ الَّتِي قَرَنَهَا مَعَ حِجَّةِ الوَدَاعِ.

فَعَنِ ابْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا: «أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ خَرَجَ مُعْتَمِرًا فَحَالَ كُفَّارُ قُرَيْشٍ بَيْنَهُ وَبَيْنَ البَيْتِ، فَنَحَرَ هَدْيَهُ، وَحَلَقَ رَأْسَهُ بِالحُدَيْبِيَةِ، وَقَاضَاهُمْ عَلَىٰ أَنْ يَعْتَمِرَ العَامَ المُقْبِلَ، وَلَا يَحْمِلَ سِلَاحًا عَلَيْهِمْ إِلَّا سُيُوفًا، وَلَا يُقِيمَ بِهَا إِلَّا مَا أَحَبُّوا، فَاعْتَمَرَ مِنَ العَامِ المُقْبِلِ، فَدَخَلَهَا كَمَا كَانَ صَالَحَهُمْ، فَلَمَّا أَنْ أَقَامَ بِهَا ثَلَاثًا أَمَرُوهُ أَنْ يَخْرُجَ فَخَرَجَ»(٢).

(١) «دِيْوَانُ أَحْمَد مُحَرَّم» (٦٩٩).

(٢) رَوَاهُ البُخَارِيُّ (٢٧٠).

قَالَ ابْنُ حَجَرٍ رَحِمَهُ اللَّهُ:

١-«قَدْ تَوَاتَرَتِ الْأَخْبَارُ أَنَّهُ ﷺ لَمَّا هَلَّ هِلَالُ ذِي الْقِعْدَةِ مِنْ سَنَةِ سَبْعٍ مِنَ الْهِجْرَةِ، أَمَرَ أَصْحَابَهُ أَنْ يَعْتَمِرُوا قَضَاءَ عُمْرَتِهِمْ، وَأَنْ لَا يَتَخَلَّفَ مِنْهُمْ أَحَدٌ مِمَّنْ شَهِدَ الْحُدَيْبِيَةَ، فَخَرَجُوا إِلَّا مَنِ اسْتُشْهِدَ، وَخَرَجَ مَعَهُ آخَرُونَ مُعْتَمِرِيْنَ، فَكَانَتْ عِدَّتُهُمْ أَلْفَيْنِ سِوَىٰ النِّسَاءِ وَالصِّبْيَانِ»[1].

٢- كَيْفَ دَخَلَ رَسُولُ اللهِ ﷺ مَكَّةَ؟:

عَنْ أَنَسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ دَخَلَ مَكَّةَ فِي عُمْرَةِ الْقَضَاءِ وعَبْدُ اللهِ بْنُ رَوَاحَةَ يَمْشِي بَيْنَ يَدَيْهِ، وَهُوَ يَقُولُ:

خَلُّوا بَنِي الْكُفَّارِ عَنْ سَبِيلِهْ ... الْيَوْمَ نَضْرِبْكُمْ عَلَىٰ تَنْزِيلِهْ
ضَرْبًا يُزِيلُ الْهَامَ عَنْ مَقِيلِهْ ... وَيُذْهِلُ الْخَلِيلَ عَنْ خَلِيلِهْ

فَقَالَ عُمَرُ: يَابْنَ رَوَاحَةَ، بَيْنَ يَدَيْ رَسُولِ اللهِ ﷺ، وَفِي حَرَمِ اللهِ تَقُولُ شِعْرًا؟!. فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «**خَلِّ عَنْهُ يَا عُمَرُ، فَلَهِيَ أَسْرَعُ فِيهِمْ مِنْ نَضْحِ النَّبْلِ**»[2].

٣- إِظْهَارُ الْقُوَّةِ وَالجَلَدِ:

إِنَّ التَّعَاوُنَ قُوَّةٌ عُلْوِيَّةٌ ... تَبْنِي الرِّجَالَ، وَتُبْدِعُ الأَشْيَاءَ[3]

حَثَّ رَسُولُ اللهِ ﷺ أَصْحَابَهُ عَلَىٰ إِظْهَارِ القُوَّةِ وَالجَلَدِ فِي طَوَافِهِمْ.

فَعَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، قَالَ: قَدِمَ رَسُولُ اللَّه ﷺ وَأَصْحَابُهُ، فَقَالَ الْمُشْرِكُونَ:

---

(١) «فَتْحُ البَارِي» (٧/ ٥٧٢).

(٢)(صَحِيحٌ) أَخْرَجَهُ النَّسَائِيُّ (٩/ ٣٢٠)،وَصَحَّحَهُ الألْبَانِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ فِي «صَحِيحِ النَّسَائِيِّ» (٢٨٧٣).

(٣) «دِيْوَانُ أَحْمَد شَوْقِي» (٦٢٧).

إِنَّهُ لِيَقْدِمُ عَلَيْكُمْ وَفْدٌ وَهَنَهُمْ حُمَّىٰ يَثْرِبَ، وَأَمَرَهُمُ النَّبِيُّ ﷺ أَنْ يَرْمُلُوا[1] الْأَشْوَاطَ الثَّلَاثَةَ، وَأَنْ يَمْشُوا مَا بَيْنَ الرُّكْنَيْنِ[2]، وَلَمْ يَمْنَعْهُ أَنْ يَأْمُرَهُمْ أَنْ يَرْمُلُوا الْأَشْوَاطَ كُلَّهَا إِلَّا الْإِبْقَاءُ عَلَيْهِمْ»[3].

وَكَانَتْ قُرَيْشٌ قَدْ تَرَكَتْ مَكَّةَ إِلَىٰ جَبَلِ قُيْقَعَانِ[4]، تَنْظُرُ إِلَيْهِمْ يَطُوفُونَ، وَكَانُوا يَتَعَجَّبُونَ مِنْ قُوَّتِهِمْ[5].

قَالَ ابْنُ حَجَرٍ رَحِمَهُ اللهُ:

وَيُؤْخَذُ مِنْهُ جَوَازُ إِظْهَارِ الْقُوَّةِ بِالْعِدَّةِ وَالسِّلَاحِ وَنَحْوِ ذَلِكَ لِلْكُفَّارِ إِرْهَابًا لَهُمْ، وَلَا يُعَدُّ ذَلِكَ مِنَ الرِّيَاءِ الْمَذْمُومِ. وَفِيهِ جَوَازُ الْمَعَارِيضِ بِالْفِعْلِ كَمَا يَجُوزُ بِالْقَوْلِ، وَرُبَّمَا كَانَتْ بِالْفِعْلِ أَوْلَىٰ[6].

٤- مُدَّةُ إِقَامَةِ النَّبِيِّ ﷺ بِمَكَّةَ فِي عُمْرَةِ الْقَضَاءِ:

وَمَا الدَّهْرُ يَوْمًا واحِداً فِي اخْتِلافِهِ ... وَمَا كُلُّ أَيَّامِ الفَتَىٰ بِسَواءِ[7]

أَقَامَ النَّبِيُّ ﷺ بِمَكَّةَ ثَلاثَةَ أَيَّامٍ، ثُمَّ سَأَلَهُ المُشْرِكُونَ الوَفَاءَ بِالعَقْدِ، فَأَذَّنَ بِالرَّحِيلِ.

---

(١) الرَّمْلُ: إِسْرَاعُ المَشْيِ مَعَ تَقَارُبِ الخُطا، وَهَزِّ الكَتِفَيْنِ.

(٢) وَأَنْ يَمْشُوا مَا بَيْنَ الرُّكْنَيْنِ أَيْ: حَيْثُ لَا تَقَعُ عَلَيْهِمْ أَعْيُنُ المُشْرِكِيْنَ، فَإِنَّهُمْ مَا كَانُوا فِي تِلْكَ الجِهَةِ.

(٣) رَوَاهُ البُخَارِيُّ (١٦٠٢)، ومُسْلِمٌ (١٢٦٦).

(٤) قُيْقَعَان: هُوَ جَبَلٌ يُوَاجِهُ مَا بَيْنَ الرُّكْنَيْنِ مِنَ الكَعْبَةِ.

(٥)(صَحِيْحٌ) أَخْرَجَهُ النَّسَائِيُّ (٩/ ٣٢٠)، وَصَحَّحَهُ الأَلْبَانِيُّ رَحِمَهُ اللهُ فِي «صَحِيْحِ النَّسَائِيِّ» (٢٨٧٣).

(٦) «فَتْحُ البَارِي» (٣/ ٥٤٩).

(٧) «دِيْوَانُ أَبِي العَتَاهِيَةِ» (١).

فَعَـنِ الْبَرَاءِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: «... فَلَمَّا دَخَلَهَا وَمَضَى الأَجَلُ أَتَوْا عَلِيًّا فَقَالُوا: قُلْ لِصَاحِبِكَ: اخْرُجْ عَنَّا فَقَدْ مَضَى الأَجَلُ، فَخَرَجَ النَّبِيُّ ﷺ فَتَبِعَتْهُ ابْنَةُ حَمْزَةَ فَنَادَتْ: يَـا عَمِّ يَا عَـمِّ، فَتَنَاوَلَهَا عَلِـيٌّ فَأَخَذَ بِيَدِهَا، وَقَـالَ لِفَاطِمَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا: دُونَـكِ ابْنَةَ عَمِّكِ احْمِلِيهَا، فَاخْتَصَمَ فِيهَا عَلِيٌّ وَزَيْدٌ وَجَعْفَرٌ، فَقَالَ عَلِيٌّ: أَنَا أَخَذْتُهَا وَهِيَ بِنْتُ عَمِّي.

وَقَالَ جَعْفَرٌ: ابْنَةُ عَمِّي وَخَالَتُهَا تَحْتِي، وَقَالَ زَيْدٌ: ابْنَةُ أَخِي.

فَقَضَى بِهَا النَّبِيُّ - ﷺ لِخَالَتِهَا- وَقَالَ: «**الْخَالَةُ بِمَنْزِلَةِ الأُمِّ**»[1].

---

(١) رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ (٢٦٩٩).

زَوَاجُ النَّبِيِّ صَلَّىٰ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِمَيْمُونَةَ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهَا

كَرِيْمَةٌ مِنْ ذَوَاتِ الطُّهْرِ فَاضِلَةٌ قَدْ كَانَ مِثْلَ اسْمِهَا طَبَقًا مُسَمَّاهَا [1]

تَزَوَّجَ النَّبِيُّ ﷺ مَيْمُونَةَ فِي رِحْلَةِ عُمْرَةِ الْقَضَاءِ.

عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ: «تَزَوَّجَ النَّبِيُّ ﷺ مَيْمُونَةَ فِي عُمْرَةِ الْقَضَاءِ»[2].

عَنْ البَرَاءِ بْنِ عَازِبٍ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ قَالَ: «تَزَوَّجَ النَّبِيُّ ﷺ مَيْمُونَةَ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهَا وَبَنَىٰ بِهَا بِسَرِفَ»[3].

وَمَيْمُونَةَ هِيَ آخِرُ نِسَائِهِ ﷺ مَوْتًا بَعْدَهُ، والعَجَبُ أَنَّهَا مَاتَتْ بِسَرِفٍ فِي الْمَوْضِعِ الَّذِي بَنَىٰ بِهَا رَسُولُ اللهِ ﷺ، فَمَكَانُ عُرْسِهَا هُوَ مَكَانُ دَفْنِهَا، فَرضيَ اللهُ عَنْهَا وَأَرْضَاهَا.

---

(١) «دِيْوَانُ إِبْرَاهِيْم اليَازِجيّ» (٢٠٢).

(٢) رَوَاهُ البُخَارِيُّ (٤٢٥٩).

(٣) رَوَاهُ البُخَارِيُّ (٢٦٩٩).

غَزْوَةُ مُؤْتَةَ

قَـدْ أَتَانَا مِـنْ قَتْلِهِمْ مَا كَفَانَا ... فَبِحُـزْنٍ نَبِيتُ غَيْـرَ سُرُورِ[١]

١ـ وَقْتُهَا:

فِي جَمَادِىٰ الأُولَىٰ مِنْ سَنَةِ ثَمَانٍ مِنَ الهِجْرَةِ بَعَثَ النَّبِيُّ ﷺ جَيْشًا قَوَامُهُ ثَلاثَةُ آلَافِ مُقَاتِلٍ إِلَىٰ الشَّامِ، وَعَيَّنَ زَيْدَ بْنَ حَارِثَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا أَمِيرًا عَلَيْهِ، فَإِنْ أُصِيبَ زَيْدٌ، فَجَعْفَرُ بْنُ أَبِي طَالِبٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، فَإِنْ أُصِيبَ جَعْفَرٌ،فَعَبْدُ اللهِ بْنُ رَوَاحَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ »[٢].

وَهَذِهِ هِيَ المَرَّةُ الأُوْلَىٰ الَّتِي يَتَّخِذُ فِيهَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ مِثْلَ هَذِهِ الاحْتِيَاطِ،وَرُبَّمَا كَانَ مُتَوَقَّعًا أَنْ تَحُفُّ الأَخْطَارُ هَذِهِ الحَمْلَةُ لِوَجْهَتِهَا البَعِيْدَةِ، وَلِعَدَمِ وُقُوعِ احْتِكَاكٍ سَابِقٍ بِمَنَاطِقَ تَخْضَعُ لِنُفُوذِ دَوْلَةٍ قَوِيَّةٍ: كَالإِمْبَرَاطُورِيَّةِ البِيْزَنْطِيَّةِ، الَّتِي كَانَتْ قَبَائِلُ الشَّامِ وَأَطْرَافِهَا مُوَالِيَةً لَهَا سِيَاسيًّا.

٢ـ المَلْحَمَةُ:

وَشَبَابِ مَأْسَدةٍ كَأَنَّ سُيُوفَهُمْ ... فِي كُلِّ مَلْحَمِةٍ بِرُوقٌ وَرعُودُ[٣]

وَصَلَ الجَيْشُ إِلَىٰ مَعَانٍ[٤] عِنْدَمَا وَصَلَتْهُ أَخْبَارُ وُصُولِ هِرَقْلَ بِأَرْضِ مَآبَ

(١) «دِيْوَانُ حَسَّانَ بْنِ ثَابِتٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ » (٨٩).
(٢) رَوَاهُ البُخَارِيُّ (٤٢٦١).
(٣) «الحَمَاسَةُ البَصَرِيَّةُ» (١/ ١٧٨).
(٤) مَعَان -بِالفَتْحِ- حِصْنٌ كَبِيْرٌ بِالأُرْدُنِّ.

-وَهِـيَ البَلْقَـاءُ- فِي مِائَةِ أَلْفٍ مِنَ الرُّومِ، وَ مِائَةِ أَلْـفٍ أُخْرَىٰ مِنْ نَصَارَىٰ العَرَب: لَخْمٍ، وَجُذَامٍ، وَقُضَاعَةَ (بَهْرَاءَ، وَبَلِيٍّ، وَبَلْقَيْنَ).

فَانْدَفَـعَ زَيْـدُ بْنُ حَارِثَةَ بِالنَّاسِ إِلَىٰ مَنْطِقَةِ مُؤْتَةَ جَنُوبِ الكَرْكِ بِيَسِـيرٍ، حَيْثُ آثَـرَ الاصْطِـدَامُ بِالرُّوْمِ هُنَاكَ، فَكَانَتْ مَلْحَمَةً، سَـجَّلَ فِيْهَا القَـادَةُ الثَّلَاثَةُ بُطُولَاتٍ عَظِيْمَةً، انْتَهَتْ بِاسْتِشْـهَادِهِمْ، فَشَـاطَ[١] زَيْدُ بْنُ حَارِثَةَ عَنْ رِمَاحِ الرُّومِ فَاسْتُشْـهِدَ، وَأَخَذَ الرَّايَةَ جَعْفَرٌ، فَعَقَرَ فَرَسَهُ[٢] الشَّقْرَاءَ، وَقَاتَلَ بِالرَّايَةِ، فَقُطِعَتْ يَمِيْنُهُ، فَأَمْسَكَهَا بِشِـمَالِهِ، فَقُطِعَتْ، فَاحْتَضَنَ الرَّايَةَ حَتَّىٰ اسْتُشْهِدَ، فَأَخَذَ الرَّايَةَ عَبْدُ اللهِ بْنُ رَوَاحَةَ، فَتَرَدَّدَ يَسِـيْرًا، ثُمَّ انْدَفَعَ، فَقَاتَلَ حَتَّىٰ اسْتُشْـهِدَ، فَأَخَذَ الرَّايَةَ ثَابِتُ بْنُ أَرْقَمَ، وَنَادَىٰ فِي المُسْـلِمِيْنَ: أَنْ يَخْتَـارُوا قَائِدًا، فَاخْتَارُوا خَالِدَ بْنَ الوَلِيْـدِ، وَقَدْ أَدْرَكَ خَالِدَ بْنَ الوَلِيْدِ خُطُـورَةَ المَوْقِفِ، فَأَعَادَ تَنْظِيْـمَ الجَيْشِ، وَبَدَّلَ المَيْسَـرَةَ بِالمَيْمَنَةِ، وَجَعَلَ قِسْـمًا مِـنَ الجَيْـش يَتَقَدَّمُونَ مِـنَ الخَلْـفِ، وَكَأَنَّهُمْ أَمْـدَادٌ جَدِيْدَةٌ لِإِيْهَـامِ الرُّومِ، وَتَمَكَّنَ مِنْ خِلَالِ ذَلِكَ مِنَ القِيَامِ بِانْسِحَابٍ مُنَظَّمٍ، لَمْ يُفْقِدْهُ إِلَّا اليَسِيْرَ مِنْ رِجَالِهِ، حَيْثُ سَمَّتِ المَصَادِرُ ثَلَاثَةَ عَشَرَ شَهِيْدًا[٣].

قَال الشَّاعِرُ:

وَسَـارَ زَيْـدٌ أَمِيْـراً نَحْـوَ مُؤْتَـةَ فِـي ... بَـعَـثٍ فَلَاقَـىٰ بِهَـا الأَعْدَاءَ مِـنْ كَـثَمِ

(١) فَشَاطَ أَيْ: سَالَ دَمُهُ.

(٢) عَقَرَ فَرَسَهُ أَيْ: ضَرَبَ قَوائِمَهَا بِالسَّيْفِ وَهِي قَائِمَةٌ.

(٣) «سِيْرَةُ ابْن هِشَامٍ» (٣/ ٤٣٠-٤٤٧)، وَلَمْ يُسْنَدِ ابْنُ إِسْحَاق قِصَةَ الوَاقِعَةِ سِوَىٰ عَقْرِ جَعْفَرٍ لِفَرَسِهِ، وَخَبَر تَرَدُّدِ ابْنِ رَوَاحَةَ، ثُمَّ إِقْدَامِهِ، حَيْثُ سَاقَهُمَا بِإِسْنَادٍ حَسَنٍ، وَفِيْهِ جَهَالَةُ اسْمِ الصَّحَابِيِّ، وَلاَ تَضُرُّ. انْظُر: «حَاشِيَة السِّيْرَةِ الصَّحِيْحَةِ» لِلعمَرِيِّ (٢/ ٤٦٨).

فَعَبَّأَ المُسْلِمُونَ الجُنْدَ وَاقتَتَلُوا قِتَالَ مُنتَصِرٍ لِلحَقِّ مُنْتَقِمِ
فَطَاحَ زَيْدٌ وَأَوْدَىٰ جَعْفَرٌ وَقَضَىٰ تَحْتَ العَجَاجَةِ عَبْدُ اللهِ فِي قُدُمِ
لَا عَارَ بِالمَوْتِ فَالشَّهْمُ الجَرِيءُ يَرَىٰ أَنَّ الرَّدَىٰ فِي المَعَالِي خَيْرُ مُغْتَنَمِ(١)

وَقَالَ أُسْتَاذُنَا عَبْدُ الكَرِيْمِ العِمَادُ -حَفِظَهُ اللهُ-:

وَيَوْمُ مُؤْتَةَ بَاسْمِ المَوْتِ قَدْ قُرِنَتْ وَالأُسْدُ مَا بَيْنَ مَلْثُومٍ وَمُلْتَثَمِ
لَمْ يَرْهَبُوا الجَمْعَ أَضْعَافًا مُضَاعَفَةً حُبُّ الشَّهَادَةِ يَمْحُو رَهْبَةَ العَمَمِ
نُفُوسُهُمْ تَسْتَظِلُّ المَوْتَ أَوْسِمَةً وَأَنْفُسُ الكُفْرِ تَنْبُو عَنْهُ فِي الأَكَمِ

٣- عَبْقَرِيَّةُ خَالِدٍ:

كَتَائِبُ مِنْ أَقْوَامِنَا خَالِدِيَّةٌ وَمَا الحَرْبُ إِلَّا خَالِدٌ وَكَتَائِبُهْ(٢)

لَقَدْ أَظْهَرَتْ عَبْقَرِيَّةُ خَالِدِ بْنِ الْوَلِيدِ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ فِي الإِنْسِحَابِ المُنَظَّمِ النَّاجِحِ فَتْحًا عَظِيْمًا، حَيْثُ تَمَكَّنَ مِنْ إِنْقَاذِ جَيْشِهِ مِنْ بَحْرٍ مُتَلاطِمِ الأَمْوَاجِ، وَمِنْ فَيَالِقَ تَرْبُو عَلَيْهِمْ سَبْعِيْنَ ضِعْفًا بِخَسَائِرَ طَفِيْفَةٍ، مَعَ الإِثْخَانِ فِي الرُّوْمِ، وَإِصَابَتِهِمْ بِقَتْلَىٰ وَجَرْحَىٰ.

فَهَا هُوَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ يُحَدِّثُنَا «لَقَدِ انْقَطَعَتْ فِي يَدِي يَوْمَ مُؤْتَةَ تِسْعَةُ أَسْيَافٍ، فَمَا بَقِيَ فِي يَدِي إِلَّا صَفِيْحَةٌ يَمَانِيَةٌ»(٣).

---

(١) «مَوْسُوعَةُ الشِّعْرِ الإِسْلَامِي» (١٧/ ٦٠٦) والكَثَمُ -مُتَحَرِّكَةً-: القُرْبُ.

(٢) «دِيْوَانُ أَحْمَد مُحَرَّم» (٧٨).

(٣) رَوَاهُ البُخَارِيُّ (٤٢٦٥).

وَقَدْ سَمَّىٰ رَسُولُ اللهِ ﷺ خَالِدًا سَيْفًا مِنْ سِيُوفِ اللهِ، وَسَمَّىٰ عَمَلَهُ هَذَا فَتْحًا.

فَعَنْ أَنَسٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ نَعَىٰ زَيْدًا، وَجَعْفَرًا، وَابْنَ رَوَاحَةَ لِلنَّاسِ قَبْلَ أَنْ يَأْتِيَهُمْ خَبَرُهُمْ، فَقَالَ: «**أَخَذَ الرَّايَةَ زَيْدٌ فَأُصِيبَ، ثُمَّ أَخَذَ جَعْفَرٌ فَأُصِيبَ، ثُمَّ أَخَذَ ابْنُ رَوَاحَةَ فَأُصِيبَ**، -وَعَيْنَاهُ تَذْرِفَانِ- **حَتَّىٰ أَخَذَ الرَّايَةَ سَيْفٌ مِنْ سُيُوفِ اللهِ، حَتَّىٰ فَتَحَ اللهُ عَلَيْهِمْ**»[1].

غَطَارِفَةٌ تَمْضِي العُصُورُ وَذِكْرُهُمْ ... فَتِيٌّ شَبَابٍ كُلَّمَا شِخْنَ أَيْفَعَا
وَلَوْ أَغْفَلَ التَّأْرِخُ ذِكْرَ فِعَالِهِم ... دَعَا نَاطِقُ الآثَارِ مِنْهَا فَأَسْمَعَا[2]

٤ـ جَنَاحَانِ لِجَعْفَرٍ فِي الجَنَّةِ:

فَلاَ يَشُبَ أَجْرَ الجِهَادِ الَّذِي ... فُزْتَ بِهِ دُونَ الوَرَىٰ مَأْثَمُ[3]

أَبْلَىٰ جَعْفَرٌ بَلاءً حَسَنًا، يُحَدِّثُنَا عَبْدُ اللهِ بْنُ عُمَرَ -وَكَانَ حَاضِرًا-: «لَقَدْ وُجِدَ فِي جَسَدِ جَعْفَرٍ أَكْثَرُ مِنْ تِسْعِيْنَ إِصَابَةً بِالرِّمَاحِ وَالسِّهَامِ»[4].

وَمَا أَقْعَدَهُ ذَلِكَ عَنِ القِتَالِ حَتَّىٰ الرَّمَقِ الأَخِيرِ.

وَذَكَرَتْ بَعْضُ المَصَادِرِ: أَنَّهُ قُطِعَتَا يَدَاهُ، فَأَبْدَلَهُ اللهُ بِيَدَيْهِ جَنَاحَيْنِ فِي الجَنَّةِ.

فَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**رَأَيْتُ جَعْفَرَ بْنَ أَبِي طَالِبٍ**

(١) رَوَاهُ البُخَارِيُّ (٤٢٦٢).

(٢) «دِيْوَانُ إِبْرَاهِيْمَ اليَازِجِيِّ»(٩٧)، وَالغَطَارِفَةُ: جَمْعُ غِطْرِيْفٍ -بِالكَسْرِ- وَهُوَ السَّيِّدُ الكَرِيْمُ الشَّرِيْفُ السَّخِيُّ.

(٣) «دِيْوَانُ أُسَامَةَ بْنِ مُنْقِذٍ»(٤١٨).

(٤) رَوَاهُ البُخَارِيُّ (٤٢٦).

مَلَكًا يَطِيرُ مَعَ الْمَلائِكَةِ فِي الْجَنَّةِ بِجَنَاحَيْنِ»(١).

كَانَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا إِذَا سَلَّمَ عَلَىٰ ابْنِ جَعْفَرٍ، قَالَ: «السَّلامُ عَلَيْكَ يَا ابْنَ ذِي الْجَنَاحَيْنِ»(٢).

ثَوَوْا فِي الثَّرَىٰ مِنْ بَعْدَمَا سُرْبِلُوا العُلا ... ومِنْ بَعْدَمَا سَمُّوا نُجُومَ المَحَافِلِ
مَصَارِعُ لَمْ تُورَثْ شَنَاراً، وإِنَّهَا ... لَيَرْتَعُ فيْهَا شَامِتٌ عِنْدَ جاهِلِ(٣)

٥- مَكَانَةُ شُهَدَاءِ مُؤْتَةَ:

هَذَا كِتَابُ اللهِ يَنْطِقُ بَيْنَنَا ... لَيْسَ الشَّهِيْدُ بِمَيِّتٍ لاَ يَكْذِبُ(٤)

ذَكَرَ النَّبِيُّ ﷺ شُهَدَاءُ مُؤْتَةَ، وَقَالَ: «مَا يَسُرُّنِي أَنَّهُمْ عِنْدَنَا». أَوْ قَالَ: «مَا يَسُرُّهُمْ أَنَّهُمْ عِنْدَنَا»(٥).

قَالَ أُسْتَاذُنَا عَبْدُ الكَرِيْمِ العِمَادُ -حَفِظَهُ اللهُ-:

هُمُ القَوْمُ فَازُوا بِالشَّهَادَةِ وَالرِّضَا ... عَنِ القَوْمِ لاَ تَسْأَلْ، وَعَنْ نَفْسِكَ اسْأَلِ
لَهُمْ عِنْدَ مَوْلاَهُمْ جِنَانٌ تَزَيَّنَتْ ... وَجَنَّاتُ رَبِّي فَوْقَ كُلِّ تَخَيُّلِ
فَيَا نَفْسُ، سِيْرِي سَيْرَهُمْ وَاقْتَدِي بِهِمْ ... فَإِنَّكِ فِي دَرْبِ اليَقِيْنِ المُؤَجَّلِ

---

(١) (صَحِيْحٌ) أَخْرَجَهُ التِّرْمِذِيُّ (٣٧٦٣)، وَالحَاكِمُ (٤٩٣٥)، وَصَحَّحَهُ الأَلْبَانِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ فِي «الصَّحِيْحَةِ» (١٢٢٦).
(٢) رَوَاهُ البُخَارِيُّ (٣٧٠٩).
(٣) «دِيْوَانُ أَبِي تَمَّامٍ» (٥٣٤) وَالشَّنَار -بِالفَتْحِ- أَقْبَحُ العَيْبِ وَالعَارُ.
(٤) «دَوَاوِيْنُ الشِّعْرِ العَرَبِيِّ» (١٩/ ٦٥).
(٥) رَوَاهُ البُخَارِيُّ (٢٧٩٨).

غَزْوَةُ ذَاتِ السَّلَاسِلِ

هُمُو ضَارِبُوا عَنْهُ، فَصَانُوا ذِمَارَهُ بِصَارِمِ عَزْمٍ مَا يُرَدُّ مَضَاؤُهُ[١]

لَمْ تَمْضِ سِوَىٰ أَيَّامٍ عَلَىٰ عَوْدَةِ الجَيْشِ مِنْ مُؤْتَةَ إِلَىٰ المَدِيْنَةِ، حَتَّىٰ جَهَّزَ النَّبِيُّ ﷺ جَيْشًا بِقِيَادَةِ عَمْرُو بْنِ العَاصِ رضي الله عنه إِلَىٰ ذَاتِ السَّلَاسِلِ؛ وَذَلِكَ لِتَأْدِيْبِ قُضَاعَةَ الَّتِي غَرَّهَا مَا حَدَثَ لِلْمُسْلِمِيْنَ فِي مُؤْتَةَ الَّتِي اشْتَرَكَتْ فِيْهَا إِلَىٰ جَانِبِ الرُّومِ، فَتَجَمَّعَتْ تُرِيْدُ الدُّنُوَّ مِنَ المَدِيْنَةِ، فَتَقَدَّمَ عَمْرُو بْنِ العَاصِ رضي الله عنه فِي دِيَارِهَا، وَمَعَهُ ثَلاثُمِائَةٍ مِنَ المُهَاجِرِيْنَ وَالأَنْصَارِ، وَأَمَرَهُ النَّبِيُّ ﷺ أَنْ يَسْتَعِيْنَ بِبَعْضِ فُرُوعِ قُضَاعَةَ، وَقَدْ بَلَغَ عَمْرُو بْنِ العَاصِ أَنَّ جُمُوعَهَا كَبِيْرَةٌ، فَاسْتَمَدَّ الرَّسُولَ ﷺ، فَأَمَدَّهُ بِمِائَتَيْنِ مِنَ المُهَاجِرِيْنَ وَالأَنْصَارِ، فِيْهِمْ أَبُو بَكْرٍ وَعُمَرُ، وَعَلَيْهِمْ أَبُو عُبَيْدَةَ بْنُ الجَرَّاحِ رضي الله عنهم.

وَقَدْ تَوَغَّلَ الجَيْشُ فِي قُضَاعَةَ الَّتِي هَرَبَتْ وَتَفَرَّقَتْ، وَقَدْ أَعَادَتْ هَذِهِ الحَمْلَةُ الهَيْبَةَ لِلْمُسْلِمِيْنَ فِي هَذِهِ المَنْطِقَةِ، تِلْكَ الهَيْبَةَ الَّتِي كَانَتْ أَحْدَاثُ غَزْوَةِ مُؤْتَةَ قَدْ زَعْزَعَتْهَا[٢].

أُولَئِكَ إِنْ يَكُنْ فِي النَّاسِ خَيْرٌ فَإِنَّ لَدَيْهِمُ حَسَبًا وَجُودا

(١) «دِيْوَانُ أَحْمَد مُحَرَّم» (٥) وَالذِّمَار -بِالكَسْرِ- مَا يَلْزَمُكَ حِفْظُهُ وَحِمَايَتُهُ.
(٢) «انظُرْ: السِّيْرَةُ النَّبَوِيَّةُ الصَّحِيْحَة»، لِلعِمَرِي (٥٠٨).

هُـــمُ خَـيْـرُ الـمَعَاشِـرِ مِـنْ قُرَيْـشٍ   وَأَوْرَاهَـا إِذَا قُـــدِحَـــتْ زُنُـــودا[1]

وَقَالَ أُسْتَاذُنَا عَبْدُ الكَرِيْمِ العِمَادُ -حَفِظَهُ اللهُ-:

لَـــهُ الـلــهُ فِـي عَيْنَيْـهِ بَـدْرٌ وَمُؤْتَـةٌ   وَفِــي قَلْبِـهِ ذَاتُ السَّلَاسِـلِ والجِسْـرُ

---

(١) «طَبَقَاتُ فُحُولِ الشُّعَرَاءِ» (١/ ١٤٦)وَالإِوْرَاءُ: إِشْعَالُ النَّارِ. وَالزُّنُودُ: جَمْعُ زَنْدٍ -بِالفَتْحِ- وَهُوَ العُودُ الَّذِي يُقْدَحُ بِهِ النَّارُ.

قِصَّةُ عُكْلٍ وَعُرَيْنَةَ

الحَـــزْمُ هَــادٍ وَالسِّيَاسَـةُ مَـرْكَـبٌ وَالـعَـزْمُ حَــادٍ وَالمَـضَـاءُ قَرِيْـنُ [١]

بَعْدَ غَزْوَةِ ذِي قَرَدٍ قَدِمَ رِجَالٌ مِنْ قَبِيْلَتَيْ عُكْلٍ وَعُرَيْنَةَ إِلَىٰ المَدِيْنَةِ، وَأَعْلَنُوا إِسْلَامَهُمْ، ثُمَّ طَلَبُوا أَنْ يَسْكُنُوا الرِّيْفَ؛ لِأَنَّهُمْ يَسْتَوْخِمُونَ المَدِيْنَةَ، فَأَمَرَ لَهُمُ النَّبِيُّ ﷺ بِنِيَـاقٍ وَرَاعٍ، وَأَمَرَهُمْ أَنْ يَخْرُجُوا فِيْهِ، فَيَشْـرَبُوا مِـنْ أَلْبَانِهَا وَأَبْوَالِهَا، فَانْطَلَقُوا حَتَّىٰ إِذَا كَانُوا نَاحِيَةَ الحَرَّةِ، كَفَرُوا بَعْدَ إِسْلَامِهِمْ، وَقَتَلُوا رَاعِيَ النَّبِيِّ ﷺ، وَاسْتَاقُوا النِّيَـاقَ، فَبَلَـغَ النَّبِيَّ ﷺ، فَبَعَـثَ الطَّلَبَ فِي آثَارِهِـمْ، فَجَاءُوه بِهِمْ، حَيْثُ سُـمِلَتْ أَعْيُنُهُـمْ [٢]، وَقُطِّعَـتْ أَيْدِيهُـمْ، وَتُرِكُـوا فِي نَاحِيَةِ الحَـرَّةِ حَتَّىٰ مَاتُوا عَلَـىٰ حَالِهِمْ.

وَقَدْ نَهَىٰ رَسُولُ اللهِ ﷺ بَعْدَهَا عَنِ المُثْلَةِ [٣].

---

(١) «دِيْوَانُ أَحْمَد مُحَرَّم» (٦٠).

(٢) سُمِلَتْ أَعْيُنُهُمْ أَيْ: فُقِئَتْ.

(٣) رَوَاهُ البُخَارِيُّ (٤١٩٢)، ومُسْلِمٌ (١٦٧١).

فَتْحُ مَكَّةَ

فَيَالَكَ مِنْ فَتْحٍ غَدَا زِيْنَةَ العُلَىٰ وَوَاسِطَةَ الدُّنْيَا، وفَائِدَةَ العَصْرِ[١]

فَتْحُ مَكَّةَ الحَدِيْثُ عَنْهُ ذُو شُجُونٍ، فَهُوَ كَمَا وَصَفَهُ ابْنُ القَيِّمِ رَحِمَهُ اللهُ: «هُوَ الْفَتْحُ الْأَعْظَمُ، الَّذِي أَعَزَّ اللهُ بِهِ دِينَهُ وَرَسُولَهُ، وَجُنْدَهُ وَحِزْبَهُ الْأَمِينَ، وَاسْتَنْقَذَ بِهِ بَلَدَهُ وَبَيْتَهُ الَّذِي جَعَلَهُ هُدًى لِلْعَالَمِينَ مِنْ أَيْدِي الْكُفَّارِ وَالْمُشْرِكِينَ، وَهُوَ الْفَتْحُ الَّذِي اسْتَبْشَرَ بِهِ أَهْلُ السَّمَاءِ، وَضَرَبَتْ أَطْنَابُ[٢] عِزِّهِ عَلَىٰ مَنَاكِبِ الْجَوْزَاءِ[٣]، وَدَخَلَ النَّاسُ بِهِ فِي دِينِ اللهِ أَفْوَاجًا، وَأَشْرَقَ بِهِ وَجْهُ الْأَرْضِ ضِيَاءً وَابْتِهَاجًا»[٤].

قَالَ أَبُو تَمَّامٍ:

فَتْحُ الْفُتُوحِ تَعَالَىٰ أَنْ يُحِيطَ بِهِ نَظْمٌ مِنَ الشِّعْرِ، أَوْ نَثْرٌ مِنَ الْخُطَبِ
فَتْحٌ تُفَتَّحُ أَبْوَابُ السَّمَاءِ لَهُ وَتَبْرُزُ الأَرْضُ فِي أَثْوَابِهَا القُشُبِ[٥]

---

(١) «دِيْوَانُ الثَّعَالِبِي» (٧٩).

(٢) الأَطْنَاب: جَمْعُ طُنُبٍ -بِضَمَّتَيْنِ-، وَهُوَ الوَتَدُ.

(٣) الجَوْزَاء: بُرْجٌ فِي السَّمَاءِ.

(٤) «زَادُ المِعَاد» (٣/ ٣٤٧).

(٥) «دِيْوَانُ أَبِي تَمَّامٍ» (١٨)، والقُشُبُ: جَمْعُ قَشِيْبٍ، وَهُوَ الجَدِيْدُ.

١ـ وَقْتُهَا[(١)]:

لَـــمْ يَبْــقَ إِلَّا مَـكَّـةٌ فَانْهَـضْ لَهَـا ... فَـاللهُ جَـلَّ بِـنَـصْـرِهِ لَـكَ مُنْجِـدُ [(١)]

كَانَتْ فِي عَشْرٍ خَلَوْنَ مِنْ رَمَضَانَ عَلَىٰ رَأْسِ ثَمَانِ سِنِيْنَ وَنِصْفٍ مِنْ مَقْدَمِ رَسُولُ اللهِ ﷺ المَدِيْنَةَ.

فَعَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ «**غَزَا غَزْوَةَ الْفَتْحِ فِي رَمَضَانَ**»[(٢)].

وَعَنْهُ قَالَ: «صَامَ رَسُولُ اللهِ ﷺ حَتَّىٰ إِذَا بَلَغَ الْكَدِيدَ -الْمَاءَ الَّذِي بَيْنَ قُدَيْدٍ وَعُسْفَانَ- أَفْطَرَ؛ فَلَمْ يَزَلْ مُفْطِرًا حَتَّىٰ انْسَلَخَ الشَّهْرُ»[(٣)].

وَعَنْهُ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا «أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ خَرَجَ مِنَ الْمَدِينَةِ وَمَعَهُ عَشَرَةُ آلَافٍ، وَذَلِكَ عَلَىٰ رَأْسِ ثَمَانِ سِنِينَ وَنِصْفٍ مِنْ مَقْدِمِهِ الْمَدِينَةَ، فَسَارَ بِمَنْ مَعَهُ مِنَ الْمُسْلِمِينَ إِلَىٰ مَكَّةَ يَصُومُ وَيَصُومُونَ، حَتَّىٰ إِذَا بَلَغَ الْكَدِيدَ، وَهُوَ مَاءٌ بَيْنَ عُسْفَانَ وَقُدَيْدٍ، أَفْطَرَ وَأَفْطَرُوا»[(٤)].

٢ـ سَبَبُهَا:

شَـــادَ الـعُـلَـىٰ بِمَعَـارِفٍ وَعَـوَارِفٍ ... وَرَمَـىٰ العِـدَىٰ بِصَـوَارِمٍ وَصَوَاهِلِ [(٥)]

لِكُلِّ شَيْءٍ سَبَبٌ، وَسَبَبُ فَتْحِ مَكَّةَ نَقْضُ قُرَيْشٍ لِمُعَاهِدَةِ الحُدَيْبِيَةِ.

فَعَنِ الْمِسْوَرِ بْنِ مَخْرَمَةَ وَمَرْوَانَ بْنِ الْحَكَمِ قَالَا: كَانَ فِي صُلْحِ الْحُدَيْبِيَةِ أَنَّهُ

---

(١) «دَوَاوِيْنُ الشِّعْرِ العَرَبِيِّ» (٨٥/ ٤٧٠).

(٢) رَوَاهُ البُخَارِيُّ (٤٢٧٥).

(٣) رَوَاهُ البُخَارِيُّ (٤٢٧٥)، ومُسْلِمٌ (١١٣).

(٤) رَوَاهُ البُخَارِيُّ (٤٢٧٦)، ومُسْلِمٌ (١١٣).

(٥) «دَوَاوِيْنُ الشِّعْرِ العَرَبِيِّ» (٣٣/ ٨٢).

مَنْ شَاءَ أَنْ يَدْخُلَ فِي عَقْدِ مُحَمَّدٍ وَعَهْدِهِ دَخَلَ، وَمَنْ شَاءَ أَنْ يَدْخُلَ فِي عَقْدِ قُرَيْشٍ وَعَهْدِهِمْ دَخَلَ... وَفِيْهِ أَنَّ خُزَاعَةَ فِي عَقْدِ النَّبِيِّ ﷺ وَعَهْدِهِ، وَدَخَلَتْ بَنُو بَكْرٍ فِي عَقْدِ قُرَيْشٍ وَعَهْدِهِمْ، فَمَكَثُوا فِي تِلْكَ الْهُدْنَةِ نَحْوَ السَّبْعَةَ أَوِ الثَّمَانِيَةَ عَشَرَ شَهْرًا، ثُمَّ إِنَّ بَنِي بَكْرٍ وَثَبُوا عَلَىٰ خُزَاعَةَ لَيْلًا، بِمَاءٍ يُقَالُ لَهُ: الْوَتِيرُ. وَهُوَ قَرِيبٌ مِنْ مَكَّةَ.

وَقَالَتْ قُرَيْشٌ: مَا يَعْلَمُ بِنَا مُحَمَّدٌ، وَهَذَا اللَّيْلُ وَمَا يَرَانَا أَحَدٌ. فَأَعَانُوهُمْ عَلَيْهِمْ بِالْكُرَاعِ[1] وَالسِّلَاحِ، وَقَاتَلُوهُمْ مَعَهُمْ، لِلضَّغْنِ عَلَىٰ رَسُولِ اللهِ ﷺ، وَإِنَّ عَمْرَو بْنَ سَالِمٍ رَكِبَ عِنْدَمَا كَانَ مِنْ أَمْرِ خُزَاعَةَ وَبَنِي بَكْرٍ بِالْوَتِيرِ، حَتَّىٰ قَدِمَ عَلَىٰ رَسُولِ اللهِ ﷺ يُخْبِرُهُ الْخَبَرَ.

فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**نُصِرْتَ يَا عَمْرَو بْنَ سَالِمٍ**»[2].

قَالَ الشَّاعِرُ:

فِي كَفِّكَ الشَّهْمِ مِنْ قَبْلِ الهُدَىٰ طَرَفٌ ... عَلَىٰ الصِّرَاطِ، وَفِي أَرْوَاحِنَا طَرَفُ
هَيْهَاتَ رِحْلَةُ مَسْرَانَا جَحَا فِلُنَا ... كَمَا عَهِدَتْ، وَعَزَمَاتُ الوَرَىٰ أُنُفُ

وَقَالَ أُسْتَاذُنَا عَبْدُ الكَرِيمِ العِمَادُ -حَفِظَهُ اللهُ-:

بُشْرَاكَ يَا عَمْرُو، هَذَا الوَعْدُ مُنْجِزُهُ ... مُحَمَّدٌ، وَهُوَ يُوَفِّي كُلَّ مَا يَعِدُ
جَحَافِلُ النُّورِ تَسْرِي خَلْفَ مَوْكِبِهِ ... وَمَكَّةُ الخَيْرِ بِالأَشْوَاقِ تَتَّقِدُ

---

(١) الكُرَاع - بِالضَّمِّ -: الدَّوَابُّ الَّتي تَصْلُحُ لِلحَرْبِ.

(٢) (حَسَنٌ) «البِدَايَةُ وَالنِّهَايَة» (٦/ ٥٠٨) مِنْ طَرِيْقِ الطَّبَرِيِّ فِي «تَارِيْخِهِ» (٢/ ٣/ ١١١)، والبَيْهَقِيِّ فِي «دَلَائِلِهِ» (٥/ ٥-٧)، بِسَنَدٍ حَسَنٍ إِلَىٰ ابْنِ إِسْحَاق، وَقَدْ صَرَّحَ بِالتَّحْدِيْثِ.

٣ـ السِّرِّيَّةُ التَّامَّةُ:

ضَعِ السِّرَّ فِي صَمَّاءَ لَيْسَتْ بِصَخْرَةٍ صَلُودٍ كَمَا عَايَنْتَ مِنْ سَائِرِ الصَّخْرِ
وَلَكِنَّهُ قَلْبُ امْرِئٍ ذِي حَفِيظَةٍ يَرَىٰ ضَيْعَةَ الأَسْرَارِ قَاصِمَةَ الظَّهْرِ(١)

شَرَعَ رَسُولُ اللهِ ﷺ فِي الجِهَازِ إِلَىٰ مَكَّةَ، وَأَحَاطَ ذَلِكَ بِسِرِّيَّةٍ تَامَّةٍ، بَلْ وَسَأَلَ اللهَ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ أَنْ يَعْمِّيَ عَلَىٰ قُرَيْشٍ الأَخْبَارَ، فَاسْتَجَابَ لَهُ رَبُّهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ؛لِذَلِكَ لَمَّا كَتَبَ حَاطِبُ بْنُ أَبِي بَلْتَعَةَ كِتَابًا إِلَىٰ أَهْلِ مَكَّةَ، يُعْلِمُهُمْ فِيهِ بِمَا هَمَّ بِهِ رَسُولُ اللهِ ﷺ مِنَ العَزْمِ عَلَىٰ قِتَالِهِمْ، وَبَعَثَ بِهِ مَعَ امْرَأَةٍ، وَقَدْ تَأَوَّلَ فِي ذَلِكَ مَصْلَحَةً تَعُودُ عَلَيْهِ، وَقَبِلَ ذَلِكَ مِنْهُ رَسُولُ اللهِ ﷺ، -وَصَدَّقَهُ؛ لِأَنَّهُ كَانَ مِنْ أَهْلِ بَدْرٍ والحُدَيْبِيَةِ - بَعَثَ رَسُولُ اللهِ ﷺ عَلِيًّا وَالزُّبَيْرَ وَالمِقْدَادَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمْ، فَقَالَ: «**انْطَلِقُوا حَتَّىٰ تَأْتُوا رَوْضَةَ خَاخٍ، فَإِنَّ بِهَا ظَعِينَةً، وَمَعَهَا كِتَابٌ فَخُذُوهُ مِنْهَا**»، قَالَ عَلِيٌّ: فَانْطَلَقْنَا تَعَادَىٰ بِنَا خَيْلُنَا حَتَّىٰ انْتَهَيْنَا إِلَىٰ الرَّوْضَةِ، فَإِذَا نَحْنُ بِالظَّعِينَةِ(٢)، فَقُلْنَا أَخْرِجِي الكِتَابَ،فَقَالَتْ: مَا مَعِي مِنْ كِتَابٍ، فَقُلْنَا: لَتُخْرِجِنَّ الكِتَابَ أَوْ لَنُلْقِيَنَّ الثِّيَابَ، فَأَخْرَجَتْهُ مِنْ عِقَاصِهَا(٣)، فَأَتَيْنَا بِهِ رَسُولَ اللهِ ﷺ، فَإِذَا فِيهِ مِنْ حَاطِبِ بْنِ أَبِي بَلْتَعَةَ إِلَىٰ أُنَاسٍ مِنَ المُشْرِكِينَ مِنْ أَهْلِ مَكَّةَ يُخْبِرُهُمْ بِبَعْضِ أَمْرِ رَسُولِ اللهِ ﷺ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**يَا حَاطِبُ مَا هَذَا؟**».

قَالَ: يَا رَسُولَ اللهِ، لاَ تَعْجَلْ عَلَيَّ إِنِّي كُنْتُ امْرَأً مُلْصَقًا فِي قُرَيْشٍ، وَلَمْ

(١) «دَوَاوِيْنُ الشِّعْرِ العَرَبِيِّ» (٨٣/ ٤٣٦).
(٢) الظَّعِيْنَةُ: المَرْأَةُ فِي هَوْدَجِهَا.
(٣) عِقَاصِهَا -بِالكَسْرِ - أَيْ: شَعْرِهَا المَضْفُور.

أَكُـنْ مِنْ أَنْفُسِـهَا، وَكَانَ مَنْ مَعَكَ مِـنَ المُهَاجِرِينَ لَهُمْ قَرَابَاتٌ بِمَكَّـةَ يَحْمُونَ بِهَا أَهْلِيهِـمْ وَأَمْوَالَهُمْ، فَأَحْبَبْتُ إِذْ فَاتَنِي ذَلِكَ مِنَ النَّسَـبِ فِيهِـمْ، أَنْ أَتَّخِذَ عِنْدَهُمْ يَدًا يَحْمُـونَ بِهَا قَرَابَتِي، وَمَـا فَعَلْتُ كُفْرًا وَلاَ ارْتِدَادًا، وَلاَ رِضًا بِالكُفْرِ بَعْدَ الإِسْـلاَمِ، فَقَالَ رَسُـولُ اللهِ ﷺ: «**لَقَدْ صَدَقَكُمْ**»، قَالَ عُمَرُ: يَا رَسُولَ اللهِ دَعْنِي أَضْرِبْ عُنُقَ هَذَا المُنَافِقِ.

قَالَ رَسُـولُ اللهِ ﷺ: «**إِنَّهُ قَدْ شَـهِدَ بَدْرًا، وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّ اللهَ أَنْ يَكُونَ قَدِ اطَّلَعَ عَلَىٰ أَهْلِ بَدْرٍ فَقَالَ: اعْمَلُوا مَا شِئْتُمْ فَقَدْ غَفَرْتُ لَكُمْ**».

فَأَنْزَلَ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ السُّورَةَ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُواْ عَدُوِّى وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَآءَ تُلْقُونَ إِلَيْهِم بِٱلْمَوَدَّةِ وَقَدْ كَفَرُواْ بِمَا جَآءَكُم مِّنَ ٱلْحَقِّ﴾ إِلَىٰ قَوْلِهِ: ﴿فَقَدْ ضَلَّ سَوَآءَ ٱلسَّبِيلِ ﴿١﴾﴾[1].

لِيَهْـنِ رَكْبٌ سَـرَوا لَيْـلاً، وَأَنْـتَ بِهِمْ ... لِسَـيْرِهِمْ فِـي صَبَـاحٍ، مِنْـكَ، مُنبَلِـجِ
فَلْيَصْنَـعِ القَـوْمُ مَـا شَـاءُوا لِأَنفُسِـهِمْ ... هُمْ أَهْلُ بَدرٍ، فَلَا يَخشَونَ مِنْ حَرَجِ[2]

٤ـ لِقَاءُ رَسُولِ اللهِ ﷺ بِمَنْ قَدِمَ مُهَاجِرًا:

تَـأْتِـي البَـشَـائِرُ بَـعْـدَ طُـوْلِ مَشَـقَّةٍ ... كَـالغَـيْـثِ بَـعْـدَ البَـرْقِ وَالإِرْعَـادِ

وَفِي الطَّرِيْقِ إِلَىٰ مَكَّةَ لَقِيَهُ عَمُّهُ العَبَّاسُ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ بِذِي الحُلَيْفَةِ، وَقِيلَ بِالجُحْفَةِ[3]، فَأَسْلَمَ وَرَجَعَ مَعَهُ وَبَعَثَ أَهْلَهُ وَمَتَاعَهُ إِلَىٰ المَدِيْنَةِ.

وَفِي الطَّرِيْقِ -أَيْضًا- قَدِمَ بَعْضُ زُعَمَاءِ المُشْـرِكِيْنَ، فَأَعْلَنُوا إِسْلامَهُمْ، فَفِي

(١) رَوَاهُ البُخَارِيُّ (٤٢٧٤)، وَمُسْلِمٌ (٢٤٩٤).

(٢) «الكَشْكُول» (٢/ ٣٠) لِيَهْنِ أَيْ: هَنِيئًا لَهُمْ. وَ مُنبَلِجِ: مُتَّضِح.

(٣) «سِيْرَةُ ابْنِ هِشَام» (٢/ ٤٠٠).

الأَبْوَاءِ قَدِمَ أَبُو سُفْيَانَ بْنُ الحَارِثِ أَخُو الرَّسُولُ اللهِ ﷺ مِنَ الرِّضَاعَةِ، وَعَبْدُ اللهِ بْنُ أَبِي أُمَيَّةَ بْنِ المُغِيْرَةِ، فَأَسْلَمَا وَكَانَا شَدِيْدَيْنِ فِي مُعَادَاةِ الإِسْلَامِ، فَكَانَ أَبُو سُفْيَانَ بْنُ الحَارِثِ يَهْجُو المُسْلِمِيْنَ، وَيُقَاتِلِهِم فِي سَائِرِ الحُرُوبِ عِشْرِيْنَ سَنَةً، حَتَّىٰ قَذَفَ اللهُ فِي قَلْبِهِ الإِسْلَامَ، وَحَسُنَ إِسْلَامُهُ، فَكَانَ أَحَدَ الَّذِيْنَ صَمَدُوا مَعَ رَسُولُ اللهِ ﷺ فِي غَزْوَةِ حُنَيْنٍ حِيْنَ فَرَّ النَّاسُ.

وَكَانَ عَبْدُ اللهِ بْنُ أَبِي أُمَيَّةَ شَدِيْدَ العَدَاوَةِ لِلمُسْلِمِيْنَ، وَهُوَ ابْنُ عَمَّتِهِ ﷺ عَاتِكَةَ بِنْتِ عَبْدِ المُطَّلِبِ، وَصِهْرُهُ، وَهُوَ أَخُو أُمِّ سَلَمَةَ -أُمُّ المُؤْمِنِيْنَ- لِأَبِيْهَا، وَقَدِمَ عَلَىٰ رَسُولِ اللهِ ﷺ بَيْنَ السُّقْيَا والعَرْجِ عَلَىٰ طَرِيْقِ (المَدِيْنَةِ مَكَّةَ)، فَأَسْلَمَ، وَحَسُنَ إِسْلَامُهُ، وَاسْتُشْهِدَ فِي حِصَارِ الطَّائِفِ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ[1].

أَحَاطَ بِكَ التَّوْفِيْقُ مِنْ كُلِّ وِجْهَةٍ وَجَاءَتْكَ مِنْ كُلِّ البِلَادِ البَشَائِرُ[1]

٥ـ عَسْكَرَ الجَيْشُ فِي مَرِّ الظَّهْرَانِ[2]:

فَسَارَ مِنْ نَفسِهِ فِي جَحْفَلٍ حَرِدٍ وَسَارَ مِنْ جَيْشِهِ فِي عَسْكَرٍ لَجِبِ

عَسْكَرَ جَيْشُ المُسْلِمِيْنَ فِي مَرِّ الظَّهْرَانِ، فَخَرَجَ أَبُو سُفْيَانَ بْنُ حَرْبٍ، وَحَكِيمُ بْنُ حِزَامٍ، وَبُدَيْلُ بْنُ وَرْقَاءَ، يَلْتَمِسُونَ الْخَبَرَ عَنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ فَأَقْبَلُوا يَسِيرُونَ حَتَّىٰ أَتَوْا مَرَّ الظَّهْرَانِ، فَإِذَا هُمْ بِنِيرَانٍ كَأَنَّهَا نِيرَانُ عَرَفَةَ، فَقَالَ أَبُو سُفْيَانَ: مَا هَذِهِ؟ لَكَأَنَّهَا نِيرَانُ عَرَفَةَ.

---

(١) «تَتِمَّةُ اليَتِيْمَةِ» (٥/ ٥١).

(٢) «دِيْوَانُ ابْنِ مُشَرَّفٍ» (٣٤٥).

فَقَالَ بُدَيْلُ بْنُ وَرْقَاءَ: نِيرَانُ بَنِي عَمْرٍو.

قَالَ أَبُو سُفْيَانَ: عَمْرٌو أَقَلُّ مِنْ ذَلِكَ، فَرَآهُمْ نَاسٌ مِنْ حَرَسِ رَسُولِ اللهِ ﷺ فَأَدْرَكُوهُمْ، فَأَخَذُوهُمْ فَأَتَوْا بِهِمْ رَسُولَ اللهِ ﷺ فَأَسْلَمَ أَبُو سُفْيَانَ، فَلَمَّا سَارَ قَالَ لِلْعَبَّاسِ: «**احْبِسْ أَبَا سُفْيَانَ عِنْدَ خَطْمِ الخَيْلِ**(١)**، حَتَّىٰ يَنْظُرَ إِلَىٰ الْمُسْلِمِينَ**».

فَحَبَسَهُ الْعَبَّاسُ، فَجَعَلَتِ الْقَبَائِلُ تَمُرُّ مَعَ النَّبِيِّ ﷺ تَمُرُّ كَتِيبَةً كَتِيبَةً عَلَىٰ أَبِي سُفْيَانَ، فَمَرَّتْ كَتِيبَةٌ، قَالَ: يَا عَبَّاسُ مَنْ هَذِهِ؟ قَالَ: هَذِهِ غِفَارُ.

قَالَ: مَا لِي وَلِغَفَارَ. ثُمَّ مَرَّتْ جُهَيْنَةُ، فَقَالَ مِثْلَ ذَلِكَ، ثُمَّ مَرَّتْ سَعْدُ ابْنُ هُذَيْمٍ، فَقَالَ مِثْلَ ذَلِكَ، وَمَرَّتْ سُلَيْمٌ، فَقَالَ مِثْلَ ذَلِكَ، حَتَّىٰ أَقْبَلَتْ كَتِيبَةٌ لَمْ يَرَ مِثْلَهَا، قَالَ: مَنْ هَذِهِ؟ قَالَ: هَؤُلَاءِ الْأَنْصَارُ عَلَيْهِمْ سَعْدُ بْنُ عُبَادَةَ مَعَهُ الرَّايَةُ، فَقَالَ سَعْدُ بْنُ عُبَادَةَ: يَا أَبَا سُفْيَانَ، الْيَوْمُ يَوْمُ الْمَلْحَمَةِ، الْيَوْمُ تُسْتَحَلُّ الْكَعْبَةُ. فَقَالَ أَبُو سُفْيَانَ: يَا عَبَّاسُ، حَبَّذَا يَوْمُ الذِّمَارِ، ثُمَّ جَاءَتْ كَتِيبَةٌ وَهِيَ أَقَلُّ الْكَتَائِبِ فِيهِمْ رَسُولُ اللهِ ﷺ وَأَصْحَابُهُ، وَرَايَةُ النَّبِيِّ ﷺ مَعَ الزُّبَيْرِ بْنِ الْعَوَّامِ، فَلَمَّا مَرَّ رَسُولُ اللهِ ﷺ بِأَبِي سُفْيَانَ، قَالَ: أَلَمْ تَعْلَمْ مَا قَالَ: سَعْدُ بْنُ عُبَادَةَ؟.

قَالَ: «**مَا قَالَ؟**»، قَالَ: كَذَا وَكَذَا.

قَالَ: «**كَذَبَ سَعْدٌ**(٢)**، وَلَكِنْ هَذَا يَوْمٌ يُعَظِّمُ اللهُ فِيهِ الْكَعْبَةَ، وَيَوْمٌ تُكْسَىٰ فِيهِ الْكَعْبَةُ**»(٣).

---

(١) خَطْمِ الخَيْلِ: ازْدِحَامِهَا، وَهُوَ يَكُون عِنْدَ مَضِيْقِ الجَبَل، فَلايَفُوتَهُ إِذَا وَقَفَ فِيْهِ أَحَدٌ مِنَ الجَيْشِ.

(٢) كَلِمَةُ «كَذِبَ» كَانَتْ تُسْتَعْمَلُ بِمَعْنَىٰ أَخْطَأَ.

(٣) رَوَاهُ البُخَارِيُّ (٤٢٨٠).

٦ ـ اسْتِعْرَاضُ الجَيْشِ:

مَا جَاشَ فِي صَدْرِ المُلَطَّفُ صَدْرُهُ إِلاَّ ظَنَنْتُ الجَيْشَ قَدْ مَلأَ الفَضَا(١)

اسْتَعْرَضَ الجَيْشُ أَمَامَ أَبِي سُفْيَانَ، فَأَدْرَكَ أَبُو سُفْيَانَ قُوَّةَ المُسْلِمِيْنَ، وَأَنَّهُ لاَ قِبَلَ لِقُرَيْشٍ بِهِمْ.

فَعَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ لِلعَبَّاسِ: «**يَا عَبَّاسُ، احْبِسْهُ بِمَضِيقِ الْوَادِي عِنْدَ خَطْمِ الْجَبَلِ(٢)، حَتَّىٰ تَمُرَّ بِهِ جُنُودُ اللهِ فَيَرَاهَا**».

قَالَ: فَخَرَجْتُ حَتَّىٰ حَبَسْتُهُ بِمَضِيقِ الْوَادِي، حَيْثُ أَمَرَنِي رَسُولُ اللهِ ﷺ أَنْ أَحْبِسَهُ قَالَ: وَمَرَّتْ الْقَبَائِلُ عَلَىٰ رَايَاتِهَا، كُلَّمَا مَرَّتْ قَبِيلَةٌ قَالَ: يَا عَبَّاسُ، مَنْ هَذِهِ؟ فَأَقُولُ: سُلَيْمٌ، فَيَقُولُ: مَالِي وَلِسُلَيْمٍ، ثُمَّ تَمُرُّ الْقَبِيلَةُ فَيَقُولُ: يَا عَبَّاسُ، مَنْ هَؤُلَاءِ؟ فَأَقُولُ: مُزَيْنَةُ، فَيَقُولُ: مَالِي وَلِمُزَيْنَةَ، حَتَّىٰ نَفِدَتْ الْقَبَائِلُ، مَا تَمُرُّ بِهِ قَبِيلَةٌ إِلَّا يَسْأَلُنِي عَنْهَا، فَإِذَا أَخْبَرْتُهُ بِهِمْ، قَالَ: مَالِي وَلِبَنِي فُلَانٍ، حَتَّىٰ مَرَّ رَسُولُ اللهِ ﷺ فِي كَتِيبَتِهِ الْخَضْرَاءِ(٣)، فِيهَا الْمُهَاجِرُونَ وَالأَنْصَارُ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمْ، لاَ يُرَىٰ مِنْهُمْ إلاَّ الْحَدَقُ مِنْ الْحَدِيدِ، فَقَالَ: سُبْحَانَ اللهِ: يَا عَبَّاسُ، مَنْ هَؤُلَاءِ؟.

قَالَ: قُلْتُ: هَذَا رَسُولُ اللهِ ﷺ فِي الْمُهَاجِرِينَ وَالأَنْصَارِ، قَالَ: مَا لِأَحَدٍ بِهَؤُلَاءِ قِبَلٌ(٤) وَلاَ طَاقَةٌ، وَاللَّهِ يَا أَبَا الْفَضْلِ، لَقَدْ أَصْبَحَ مُلْكُ ابْنِ أَخِيكَ

---

(١) «دَوَاوِيْنُ الشِّعْرِ العَرَبِيِّ» (٤٦/ ٤٨).

(٢) خَطْمُ الْجَبَلِ -بِالفَتْحِ-: أَنْفٌ يَتَقَدَّمُهُ، وَهُوَ مَحَلٌّ ضَيِّقٌ، وَفِي رِوَايَة: «خَطْمُ الْخَيَلِ».

(٣) الكَتِيبَةُ: الطَّائِفَةُ العَظِيْمَةُ مِنَ الجَيْشِ مُجْتَمِعَةً، وَالجَمْعُ كَتَائِبُ.

(٤) القِبَلُ - بِزِنَةِ العِنَبِ -: الطَّاقَةُ، وَمِنْهُ قَوْلُهُ تَعَالَىٰ: ﴿فَلَنَأْتِيَنَّهُم بِجُنُودٍ لَّا قِبَلَ لَهُم بِهَا﴾ [النَّمْلُ: ٣٧]، أَيْ لَا =

الْغَدَاةَ[١] عَظِيمًا. قَالَ: قُلْتُ: يَا أَبَا سُفْيَانَ. إِنَّهَا النُّبُوَّةُ.

قَالَ: فَنَعَمْ إِذَنْ[٢].

وَلَا عَيْبَ فِيهِمْ غَيْرَ أَنَّ سُيُوفَهُمْ ... بِهِنَّ فُلُولٌ مِنْ قِرَاعِ الْكَتَائِبِ
فَهُمْ يَتَسَاقَوْنَ المَنِيَّةَ بَيْنَهُمْ ... بِأَيْدِيهِمُ بِيضٌ رِقَاقُ المَضَارِبِ[٣]

٧ـ حِكَايَةُ دُخُولِ الجَيْشِ المُظَفَّرِ مَكَّةَ:

هَذِي الْحِكَايَةُ أَذْكَرَتْنِي أَنَّ لِي ... شَكْوَىٰ إِلَيْكَ عَظِيمَةَ الأَخْطَارِ[٤]

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: كُنَّا مَعَ رَسُولِ اللهِ ﷺ يَوْمَ الْفَتْحِ، فَجَعَلَ خَالِدَ بْنَ الْوَلِيدِ عَلَىٰ الْمُجَنِّبَةِ الْيُمْنَىٰ، وَجَعَلَ الزُّبَيْرَ عَلَىٰ الْمُجَنِّبَةِ الْيُسْرَىٰ، وَجَعَلَ أَبَا عُبَيْدَةَ عَلَىٰ الْبَيَاذِقَةِ[٥] وَبَطْنِ الْوَادِي، فَقَالَ يَا أَبَا هُرَيْرَةَ: «**ادْعُ لِي الأَنْصَارَ**».

فَدَعَوْتُهُمْ فَجَاءُوا يُهَرْوِلُونَ، فَقَالَ يَا مَعْشَرَ الأَنْصَارِ: «**هَلْ تَرَوْنَ أَوْبَاشَ قُرَيْشٍ؟**».

قَالُوا: نَعَمْ، قَالَ: «**انْظُرُوا إِذَا لَقِيتُمُوهُمْ غَدًا أَنْ تَحْصُدُوهُمْ حَصْدًا**»، وَأَخْفَىٰ

=طَاقَةَ لَهُمْ بِهَا، وَلاَ قُدْرَةَ لَهُمْ عَلَىٰ مُقَاوَمَتِهَا.

(١) الْغَدَاةَ أَيْ: صَبَاحَ الْيَوْمِ.

(٢) (صَحِيحٌ) أَخْرَجَهُ الطَّبَرَانِيُّ فِي «الكَبِيرِ» (٨/ ١٠)، والحَاكِمُ فِي «الْمُسْتَدْرِكِ» (٣/ ٤٣)، وَالبَيْهَقِيُّ فِي «دَلاَئِلِ النُّبُوَّةِ» (٥/ ٢٣)، وَصَحَّحَهُ الأَلْبَانِيُّ فِي «الصَّحِيحَةِ» (٣٣٤١).

(٣) «الزَّهْرَةُ» (١٨٠) وَفُلُولُ السَّيْفِ: ثُلَمُهُ. وَقِرَاعُ الكَتَائِبِ: هُوَ أَنْ تَضْرِبَ بَعْضُ الجُيُوشِ بَعْضًا، وَهُوَ مِنْ بَابِ تَأْكِيدِ المَدْحِ بِمَا يُشْبِهُ الذَّمَّ. وَالبِيضُ: جَمْعُ أَبْيَضَ، وَهُوَ السَّيْفُ.

(٤) «دَوَاوِينُ الشِّعْرِ العَرَبِيِّ» (٤٥/ ٦).

(٥) الْبَيَاذِقَةُ: هُمُ الرَّجَّالَةُ، سُمُّوا بِذَلِكَ لِخِفَّتِهِمْ، وَسُرْعَةِ حَرَكَتِهِمْ، وَأَنَّهُمْ لَيْسَ مَعَهُمْ مَا يُثْقِلُهُمْ.

بِيَدِهِ وَوَضَعَ يَمِينَهُ عَلَىٰ شِمَالِهِ، وَقَالَ: «**مَوْعِدُكُمْ الصَّفَا**».

قَالَ: فَمَا أَشْرَفَ يَوْمَئِذٍ لَهُمْ أَحَدٌ إِلَّا أَنَامُوهُ[١].

قَالَ: وَصَعِدَ رَسُولُ اللهِ ﷺ الصَّفَا، وَجَاءَتْ الْأَنْصَارُ، فَأَطَافُوا بِالصَّفَا فَجَاءَ أَبُو سُفْيَانَ، فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللهِ، أُبِيدَتْ خَضْرَاءُ قُرَيْشٍ لَا قُرَيْشَ بَعْدَ الْيَوْمِ، قَالَ أَبُو سُفْيَانَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**مَنْ دَخَلَ دَارَ أَبِي سُفْيَانَ فَهُوَ آمِنٌ، وَمَنْ أَلْقَىٰ السِّلَاحَ فَهُوَ آمِنٌ، وَمَنْ أَغْلَقَ بَابَهُ فَهُوَ آمِنٌ**»[٢].

خَفَقَتْ لَهُ فِي فَتْحِ مَكَّةَ رَايَةٌ ... فِي الخَافِقَيْنِ سَرَتْ لَهَا أَخْبَارُ
وَالرُّعْبُ يَسْرِي لِلجَوَانِبِ قَبْلَهُ ... فَتُرَاعُ قَبْلَ وُرُودِهِ الأَقْطَارُ[٣]

٨ـ كَيْفَ دَخَلَ رَسُولُ اللهِ ﷺ مَكَّةَ؟:

وَدَخَلْتَ مَكَّةَ -يَا حَبِيْبُ- مُظَفَّرًا ... بِفَيَالِقِ التَّوْحِيْدِ وَالإِيْمَانِ

دَخَلَ رَسُولُ اللهِ ﷺ مَكَّةَ مِنْ كَدَاءٍ الَّتِي بِأَعْلَىٰ مَكَّةَ[٤]، خَاشِعًا مُتَوَاضِعًا لِلهِ، شَاكِرًا لِرَبِّهِ آلَاءَهُ وَإِنْعَامَهُ عَلَىٰ نَاقَتِهِ، يَقْرَأُ سُورَةَ الفَتْحِ[٥].

وَكَانَ دُخُولُهُ عَامَ الفَتْحِ مِنْ كَدَاءٍ الَّتِي بِأَعْلَىٰ مَكَّةَ تَحْقِيْقًا لِقَوْلِ حَسَّانَ بْنِ ثَابِتٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ حِيْنَ هَجَا قُرَيْشًا، وَأَخْبَرَهُمْ أَنَّ خَيْلَ اللهِ سَتَدْخُلُ مِنْ كَدَاءٍ.

---

(١) أَنَامُوهُ أَيْ: قَتَلُوهُ «النِّهَايَةُ فِي غَرِيْبِ الحَدِيْثِ» (٥/ ١٣١).

(٢) رَوَاهُ مُسْلِمٌ (١٧٨٠).

(٣) «دَوَاوِيْنُ الشِّعْرِ العَرَبِيِّ» (٨٧/ ٤٥٠).

(٤) رَوَاهُ البُخَارِيُّ (٤٢٩٠)، ومُسْلِمٌ (١٢٥٨).

(٥) رَوَاهُ البُخَارِيُّ (٤٢٨١).

قَالَ حَسَّانَ بْنِ ثَابِتٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ:

هَجَوْتَ مُحَمَّدًا فَأَجَبْتُ عَنْهُ ... وَعِنْدَ اللهِ فِي ذَاكَ الْجَزَاءُ
أَتَهْجُوهُ وَلَسْتَ لَهُ بِكُفْءٍ ... فَشَرُّكُمَا لِخَيْرِكُمَا الْفِدَاءُ
فَإِنَّ أَبِي وَوَالِدَهُ وَعِرْضِي ... لِعِرْضِ مُحَمَّدٍ مِنْكُمْ وِقَاءُ
ثَكِلْتُ (١) بُنَيَّتِي إِنْ لَمْ تَرَوْهَا ... تُثِيرُ النَّقْعَ (٢) مِنْ كَنَفَيْ كَدَاءِ
يُبَارِيْنَ (٣) الْأَعِنَّةَ (٤) مُصْعِدَاتٍ (٥) ... عَلَىٰ أَكْتَافِهَا الْأَسَلُ (٦) الظِّمَاءُ (٧)
تَظَلُّ جِيَادُنَا (٨) مُتَمَطِّرَاتٍ (٩) ... تُلَطِّمُهُنَّ بِالْخُمُرِ (١٠) النِّسَاءُ
فَإِنْ أَعْرَضْتُمُو عَنَّا اعْتَمَرْنَا ... وَكَانَ الْفَتْحُ وَانْكَشَفَ الْغِطَاءُ (١١)

---

(١) الثُكْلُ: فُقْدَانِ الوَلَد.

(٢) تُثِيْرُ النَّقْعَ أَيْ: تَرْفَعُ الغُبَارَ وَتُهَيِّجُهُ.

(٣) يُبَارِيْنَ الْأَعِنَّةَ أَيْ: أَنَّ الخُيُولَ لِصَرَامَتِهَا وَقُوَّةُ نُفُوسِهَا تُضَاهِي أَعَنَتَهَا بِقُوَّةِ جَذِبِهَا لَهَا، وَهِيَ مُنَازَعَتِهَا لَهَا -أَيْضًا-.

(٤) الأَعِنَّةَ: جَمْعُ عِنَانٍ -بِالكَسْرِ-، وَهُوَ سَيْرُ اللِّجَامِ الَّذِي تُمْسَكُ بِهِ الدَّابَّةُ.

(٥) مُصْعِدَاتٍ أَيْ: مُقْبِلَاتٍ إِلَيْكُمْ وَمُتَوَجِّهَاتٍ.

(٦) الأَسَلُ -بِفَتْحَتَيْنِ-: الرِّمَاحُ.

(٧) الظِّمَاءُ: العِطَاشُ لِدِمَاءِ الأَعْدَاءِ.

(٨) الجِيَادُ: الخَيْلُ.

(٩) مُتَمَطِّرَاتٍ أَيْ: بِالعَرَقِ مِنْ سُرْعَةِ الجَرْي.

(١٠) الخُمُرُ: جَمْعُ خِمَارٍ، وَهُوَ مَا تُغَطِّي بِهِ المَرْأَةُ رَأْسَهَا، أَيْ: يُزِلْنَ عَنْهُنَّ الغُبَارَ، وَهَذَا لِعِزَّتِهَا وَكَرَامَتِهَا عِنْدَهُمْ.

(١١) رَوَاهُ مُسْلِمٌ (٢٤٩٠).

ثُمَّ طَافَ النَّبِيُّ ﷺ بِالكَعْبَةِ، وَاسْتَلَمَ الرُّكْنَ بِمِحْجَنِهِ[١]؛ كَرَاهَةَ أَنْ يُزَاحِمَ النَّاسَ، وَتَعْلِيمًا لِأُمَّتِهِ[٢]، وَبَيَّنَ حُرْمَةَ مَكَّةَ، وَأَنَّهَا لَا تُغْزَى بَعْدَ الفَتْحِ[٣].

وَأَعْلَى مَكَانَةَ قُرَيْشٍ، فَأَعْلَنَ أَنَّهُ لَا يُقْتَلُ قُرَشِيٌّ صَبْرًا[٤] بَعْدَ هَذَا اليَوْمِ إِلَى يَوْمِ القِيَامَةِ[٥].

٩- تَطْهِيرُ البَيْتِ مِنَ الأَوْثَانِ:

وَخُبِّرَتْ الأَوْثَانُ أَنَّ زَمَانَهَا تَوَلَّى وَرَاحَ الجَهْلُ وَالجُهَلَاءُ[٦]

أَمَرَ رَسُولُ اللهِ ﷺ بِتَحْطِيمِ الأَصْنَامِ،وَتَطْهِيرِ البَيْتِ الحَرَامِ مِنْهَا، وَشَارَكَ ذَلِكَ بِيَدِهِ، فَكَانَ يَهْوِي بِقَوْسِهِ إِلَيْهَا، فَتَسَاقَطُ وَهُوَ يَقْرَأُ: ﴿ وَقُلْ جَآءَ ٱلْحَقُّ وَزَهَقَ ٱلْبَٰطِلُ ۚ إِنَّ ٱلْبَٰطِلَ كَانَ زَهُوقًا ﴿٨١﴾ ﴾ [الإِسْرَاءُ: ٨١][٧].

وَكَانَ حَوْلَ البَيْتِ سُتُّونَ وَثَلَاثُ مِائَةِ نُصُبٍ[٨].[٩].

وَلَطَّخَ بِالزَّعْفَرَانِ صُوَرَ إِبْرَاهِيمَ، وَإِسْمَاعِيلَ، وَإِسْحَاقَ، وَهُمْ يَسْتَقْسِمُونَ

(١) المِحْجَن -بِكَسْرِ المِيمِ- عَصَا مَحْنِيَّةُ الطَّرَفِ.
(٢) (صَحِيحٌ) أَخْرَجَهُ أَبُو دَاوُدَ (١/ ٤٣٤)، وَصَحَّحَهُ الأَلْبَانِيُّ رَحِمَهُ اللهُ فِي «صَحِيحِ أَبِي دَاوُدَ» (١٦٤٢).
(٣) (صَحِيحٌ) أَخْرَجَهُ التِّرْمِذِيُّ (٣/ ٨٣)، وَصَحَّحَهُ وَالأَلْبَانِيُّ رَحِمَهُ اللهُ فِي «صَحِيحِ الجَامِعِ» (٧٣٧٢).
(٤) قُتِلَ صَبْرًا أَيْ: مَحْبُوسًا مَأْسُورًا لَا فِي مَعْرَكَةٍ.
(٥) رَوَاهُ مُسْلِمٌ (١٧٨٢).
(٦) «دِيْوَانُ عَلِيٍّ الجَارِمِ» (٢).
(٧) رَوَاهُ مُسْلِمٌ (١٧٨١).
(٨) النُّصُبِ -بِضَمَّتَيْنِ-: وَاحِدُ الأَنْصَابِ، وَهُوَ مَا نُصِبَ، فَعُبِدَ مِنْ دُونِ اللهِ.
(٩) رَوَاهُ البُخَارِيُّ (٤٢٨٧)، وَمُسْلِمٌ (١٧٨١).

بِـالأَزْلَامِ، وَكَانَتْ هَذِهِ الصُّوَرُ دَاخِلَ الكَعْبَةِ، وَقَـالَ: «**قَاتَلَهُمْ اللهُ، مَا كَانَ إِبْرَاهِيمُ يَسْتَقْسِمُ بِالْأَزْلَامِ**»(١).

وَفِـي رِوَايَـةٍ: «أَنَّ النَّبِـيَّ ﷺ لَـمْ يَدْخُـلِ الكَعْبَـةَ إِلَّا بَعْـدَ أَنْ مُحِيَـتْ هَـذِهِ الصُّورُ مِنْهَا»(٢).

ثُمَّ دَخَلَ، فَصَلَّىٰ فِيهَا رَكْعَتَيْنِ، وَذَلِكَ بَيْنَ العَمُودَيْنِ المُقَدَّمِيْنَ مِنْهَا، وَكَانَتْ مَبْنِيَّةً عَلَىٰ سِتَّةِ أَعْمِدَةٍ مُتَوَازِنَةٍ، وَقَدْ جَعَلَ بَابَ الكَعْبَةِ خَلْفَ ظَهْرِهِ، وَتَرَكَ عَمُودَيْنِ عَنْ يَسَارِهِ، وَعَمُودًا عَنْ يَمِيْنِهِ، وَثَلاَثَةً وَرَاءَهُ(٣).

ثُـمَّ خَرَجَ، فَدَعَا عُثْمَانَ بْنَ طَلْحَةَ، فَأَعْطَاهُمِ مِفْتَاحَ الكَعْبَةِ، وَكَانَتْ الحجَابَةُ فِي بَنِي شَيْبَةَ فِي الجَاهِلِيَّةِ، فَأَبْقَاهَا بِأَيْدِيهِمْ(٤).

ثُمَّ إِنَّ الرَّسُولَ ﷺ اسْتَلَمَ الحَجَرَ الأَسْوَدَ، وَطَافَ مُهَلِّلاً مُكَبِّرًا، ذَاكِرًا شَاكِرًا، وَكَانَ غَيْرُ مُحْرِمٍ، وَعَلَىٰ رَأْسِهِ المِغْفَرُ، ثُمَّ لَبِسَ عِمَامَةً سَوْدَاءَ، مِمَّا يَدُلُّ عَلَىٰ جَوَازِ دُخُولِ مَكَّةَ بِغَيْرِ إِحْرَامٍ، لِمَنْ لَمْ يُرِدْ حَجًّا وَلاَ عُمْرَةً(٥).

قال الشَّاعِرُ:

غَـنَّـتْ بَوَاكِيرُ الصَّبَاحِ فحرَّكتْ ... شَـجْـوُ الطُّـيورِ وَلَهْفَـةِ الأَزْهَـارِ

---

(١) رَوَاهُ البُخَارِيُّ (٤٢٨٨).

(٢) رَوَاهُ البُخَارِيُّ (٤٢٨٨).

(٣) رَوَاهُ البُخَارِيُّ (٤٢٨٩)، ومُسْلِمٌ (١٣٩٩).

(٤) (صَحِيْحٌ) مُصَنَّفُ عَبْد الرَّزَّاق»(٥/ ٨٣-٨٤-٨٥).

(٥) رَوَاهُ البُخَارِيُّ (٤٢٨٩)، ومُسْلِمٌ (١٣٢٩).

غَـنَّـتْ فَـمَـكَّـةُ وَجْهُهَـا مُتَأَلـقٌ أمـلًا وَوَجْـه طُـفَـاتِـهَـا مُتوارِي
هـلَّ الهـلال فَـلا العيُـونُ تـردَّدَتْ فـيـمـا رأتْـهُ ولا الـعـقـولُ تُـمـارِ
أوْ مَـا تَـرَىٰ الْبَطْحَـاءَ تفتـحُ قَلْبَهَـا فـرحًـا بِـمقْـدَمِ سَـيِّدُ الأبـرارِ
عَطَشَـىٰ يلمَّضُهـا الحنيـنَ وَلَـمْ تَزَلْ تَهْفُـو إلـىٰ غيثِ الهـدىٰ المـدرارِي

١٠ـهَدْمُ أُوْثَانِ مَكَّةَ وَمَا حَوْلَهَا[1]:

بَـيْـتٌ بِـهِ عُـبِـدَ الإلَـهُ وبُطِّلَـتْ بَـعْـدَ الـغُـلُـوِّ عِـبَادَةُ الأَوْثَـانِ[1]

مَا إِنْ تَمَّ فَتْحُ مَكَّةَ، وَطُهِّرَتِ الكَعْبَةُ، حَتَّىٰ أَرْسَلَ رَسُولُ ﷺ خَالِدَ بْنُ الوَلِيْدِ إِلَىٰ نَخْلَةَ، لِهَدْمِ العُزَّىٰ، الَّتِي كَانَتْ مُضَرُ جَمِيْعًا تُعَظِّمَهَا، فَهَدَمَهَا[2].

وَأَرْسَلَ عَمْرُو بْنَ العَاص إِلَىٰ سَوَاعٍ صَنَمٍ لِهُذَيْل، فَهَدَمَهُ[3].

وَأَرْسَـلَ سَـعْدَ بْنَ زَيْدِ الأَشْهَلِيَّ إِلَىٰ مَنَاةَ بِالمُشَـلَّلِ (نَاحِيَةَ قُدَيْدٍ عَلَىٰ طَرِيْقِ مَكَّةَ المَدِيْنَةِ) فَهَدَمَهَا[4].

وَبِذَلِـكَ أُزِيْلَتْ أَكْبَرُ مَرَاكِزِ الوَثَنِيَّةِ، حَيْـثُ ذَكَرَهَا اللهُ ﷻ فِي كِتَابِهِ الكَرِيْمِ: ﴿أَفَرَءَيْتُمُ ٱللَّٰتَ وَٱلْعُزَّىٰ ﴿١٩﴾ وَمَنَوٰةَ ٱلثَّالِثَةَ ٱلْأُخْرَىٰٓ ﴿٢٠﴾﴾ [النَّجْمُ: ١٨-١٩].

وَفِـي فَتْحِ مَكَّةَ نَزَلَتْ سُـورَةُ النَّصْـرِ[5]: ﴿إِذَا جَآءَ نَصْرُ ٱللَّهِ وَٱلْفَتْحُ ﴿١﴾

(١) «دِيْوَانُ ابْنِ رَشِيْقٍ» (١٣٥).
(٢) «سِيْرَةُ ابْنِ هِشَامٍ»(٢/ ٤٣٦)،و«طَبَقَاتُ ابْنِ سَعْدٍ»(٢/ ١٤٥).
(٣) «طَبَقَاتُ ابْنِ سَعْدٍ»(٢/ ١٤٦).
(٤) «طَبَقَاتُ ابْنِ سَعْدٍ»(٢/ ١٤٦).
(٥) رَوَاهُ البُخَارِيُّ (٤٢٩٤).

وَرَأَيْتَ ٱلنَّاسَ يَدْخُلُونَ فِي دِينِ ٱللَّهِ أَفْوَاجًا ﴿٢﴾ فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَٱسْتَغْفِرْهُۚ إِنَّهُۥ كَانَ تَوَّابَۢا ﴿٣﴾﴾.

قَالَ أُسْتَاذُنَا عَبْدُ الكَرِيْمِ العِمَادُ -حَفِظَهُ اللهُ-:

وَدَخَلْتَ مَكَّةَ -يَا حَبِيْبُ- مُظَفَّرًا ... بِفَيَالِقِ التَّوْحِيْدِ وَالإِيْمَانِ
مِنْ كُلِّ لَيْثٍ لَوْ أَمَرْتَ تَوَاثَبُوا ... لِلمَوْتِ كَالأَشْطَانِ دُونَ تَوَانِ
بِيْضُ الصَّوَارِمِ وَالثِّيَابِ قُلُوبُهُمْ ... وَوُجُوهُهُمْ نُورٌ مِنَ الرَّحْمَنِ
وَفَرَائِصُ الأَوْبَاشِ تَرْعَدُ بَعْدَمَا ... فَعَلُوا مِنَ الإِجْرَامِ وَالبُهْتَانِ
ظَنُّوكَ مُنْتَقِمًا كَعَادَةِ ظَنِّهِمْ ... مُذْ جِئْتَ بِالتَّوْحِيْدِ لِلدَّيَّانِ
فَدَخَلْتَ مُنْكَسِرًا لِرَبِّكَ خَاضِعًا ... مُتَوَاضِعًا صَفْوًا مِنَ الأَصْفَانِ

١١ـ دَخَلَ النَّبِيُّ ﷺ مَكَّةَ مِنْ دُونِ إِحْرَامٍ:

وَفَتْحِ مَكَّةَ ضَاءَتِ الدُّنْيَا بِهِ ... مُذْ جَاءَهَا بِعَمَامَةٍ سَوْدَاءِ[1]

دَخَلَ النَّبِيُّ ﷺ مَكَّةَ خَاشِعًا مُتَوَاضِعًا لِرَبِّهِ بِغَيْرِ إِحْرَام.

عَنْ جَابِرٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، أَنَّ رَسُولَ ﷺ: «دَخَلَ يَوْمَ فَتْحِ مَكَّةَ وَعَلَيْهِ عِمَامَةٌ سَوْدَاءُ بِغَيْرِ إِحْرَامٍ»[2].

قَالَ الشَّاعِرُ:

وَبِفَتْحِ مَكَّةَ وَالرِّجَالُ ذَوَاهِلُ ... حَيِيٌّ بِخُلُقٍ -لَوْ فَقِهْتَ- جَدِيْدِ

---

(١) «دَوَاوِيْنُ الشِّعْرِ العَرَبِيِّ» (٨٧/ ٤١٢).

(٢) رَوَاهُ مُسْلِمٌ (١٣٥٨).

قَـــدْ أَذْهَــبَ الـلـهُ الشَّـقَـاءَ وَأَهْلَـهُ ... وَأَتَــىٰ بِـحِــزْبٍ لاَ يُــرَامُ سَـعِـيْـدِ
مِـــنْ كُـلِّ فَحْـلٍ فِي العَرَمْـرَمِ صَائِلٍ ... سَــامِي الـجَـنَابِ مُـهَـذَّبٍ صِنْدِيْدِ [(١)]

وَقَالَ آخَرُ:

هُـوَ الفَتْـحُ مَنْظُومًـا عَلَـىٰ أَثْـرِهِ الفَتْحُ ... وَمَــا فِيْهِمَـا عَهْـدٌ، وَلاَ فِيْهِمَـا صُلْـحُ
سِـوَىٰ أَنَّ صَفْحًـا كَانَ مِـنْ بَعْـدِ قُدْرَةٍ ... وَأَحْسَـنُ مَقْـرُونٍ إِلَـىٰ قُـدْرَةٍ صَفْحُ [(٢)]

وَقَالَ آخَرُ:

وَحِيْنَ خاسَـتْ قُرَيْـشٌ بِالعُهُـودِ وَلَم ... تُنْصِفْ وَسَـارَتْ مِنَ الأَهْـوَاءِ في نَقَمِ
وَظَــاهَـرَتْ مِـنْ بَنِي بَكْـرٍ حَلِيْفَتَها ... عَلَـىٰ خُزَاعَةَ أَهْـلِ الصِّدْقِ فِـي الذِّمَمِ
قَــامَ الـنَّبِيُّ لِنَصْـرِ الحَـقِّ مُعْتَزِمـًا ... بِجَحْفَـلٍ لِـجُمُـوعِ الشِّـركِ مُـخْتَـرِمِ
فَلَـمْ يَـزَلْ سَــائِراً حَتَّـىٰ أَنَـافَ عَلَـىٰ ... أَرْبَــاضِ مَـكَّـةَ بِالفُرْسـانِ وَالْبُهَـمِ
فَأَقْبَلـوا يَسْـأَلُونَ الصَّـفْـحَ حِيْـنَ رَأَوْا ... أَنَّ اللَّجْــاجَـةَ مَـدْعَــاةٌ إِلَـىٰ الـنَّـدَمِ
وَأَقْـبَـلَ الـنَّـصْـرُ يَتْلُـو وَهُـوَ مُبْتَسِـمٌ ... المَجْدُ لِلسَّـيفِ لَيْسَ المَجْـدُ لِلقَلَمِ [(٣)]

---

(١) «دَوَاوِيْنُ الشِّعْرِ العَرَبِيِّ» (٨٧/ ٤٤٢). والجَيْشُ العَرَمْرَمُ أَيِ: الكَثِيْرُ، وَالصِّنْدِيْدُ -بِالكَسْرِ-: السَّيِّدُ الشُّجَاعُ.

(٢) المَرْجِعُ السَّابِقُ (١٥/ ٣٠٩). وَالصَّفْحُ: إِزَالَةُ أَثَرِ الذَّنْبِ مِنَ النَّفْسِ، فَهُوَ أَبْلَغُ مِنَ العَفْوِ؛ فَقَدْ لَا يَأْخُذُ الإِنْسَانُ بِالذَّنْبِ، لَكِنَّهُ يَذكُرُ لِلمُذْنِبِ إِسَاءَتَهُ وَعُدْوَانَهُ.

(٣) «مَوْسُوعَةُ الشِّعْرِ» (١٧-١٨/ ٦٠٦). وَالأَرْبَاضُ: جَمْعُ رَبَضٍ -بِفَتْحَتَيْنِ-، وَهُوَ مَا حَوْلَ مَدِيْنَةٍ أَوْ قَصْرٍ مِنْ مَسَاكِنِ جُنْدٍ أَوْ غَيْرِهِم. والبُهَم: جَمْعُ بُهْمَةٍ، وَهِيَ الكَتِيْبَةُ.

غَزْوَةُ حُنَيْنٍ

١ ـ هَوَازِنُ تَحْمِلُ رَايَةَ الشِّرْكِ:

لِـلـهِ يَـوْمُ حُـنَـيْـنٍ حِـيْـنَ كَانَ بِـهِ ... كَـسَـاعَةِ البَعْـثِ تَهْوِيْـلٌ وَتَطْوِيْـلُ [١]

بَعْـدَ فَتْحِ مَكَّةَ سَـقَطَتْ زَعَامَـةُ قُرَيْشٍ، فَحَمَلَـتْ هَوَازِنُ رَايَةَ الشِّـرْكِ، وَهِي قَبِيْلَةٌ عَرَبِيَّةٌ شَـهِيْرَةٌ، مُضَرِيَّـةٌ عَدْنَانِيَّةٌ، تَفَرَّعَتْ مِنْهَا فُرُوعٌ جَمَّـةٌ غَزِيْرَةٌ، مِنْهَا ثَقِيْفٌ الَّتِي اسْتَقَرَّتْ فِي الطَّائِفِ الحَصِيْنَةِ، فِي حِيْنِ انْتَشَرَتْ بُطُونُ هَوَازِنُ الأُخْرَىٰ عَلَىٰ سَاحِلِ البَحْرِ الأَحْمَرِ مِنْ حُدُودِ الشَّامِ إِلَىٰ حُدُودِ اليَمَنِ.

تَجَمَّعَتْ هَذِهِ القَبِيْلَةُ فِي «حُنَيْنٍ»، وَالَّتِي تَبْعُدُ عَنْ مَكَّةَ سِـوَىٰ عِشْـرِيْنَ كَيْلاً شَرْقَيَّ مَكَّةَ، وَتُعْرَفُ الآنَ بِالشَّرَائِعِ [٢].

٢ ـ عَدَدُ جَيْشِ هَوَازِنُ:

فَــإِنْ تَـكُ فِـي عُلْيَـا هَـوَازِنَ شَـوْكَةٌ ... تُـخَـافُ فَفِيْكُـم حَـدُّ نَـابٍ ومِخْلَـبِ

كَانَ عَدَدُ جَيْشِ هَوَازِنُ - كَمَا ذَكَرَ الوَاقِدِيُّ - عِشْـرِيْنَ أَلْفًا [٣]، وَرَجَّحَ ذَلِكَ الحَافِظُ ابْنُ حَجَرٍ [٤]، وَذَلِكَ بِقِيَادَةِ مَالِك بْنِ عَوْفٍ النَّصْرِيِّ، وَكَانَ فِي الثَّلاثِيْنَ مِنْ

(١) «دَوَاوِيْنُ الشِّعْرِ العَرَبِيِّ» (٩/ ٦٢).
(٢) انْظُرْ: «السِّيْرَةِ النَّبَوِيَّةِ الصَّحِيْحَة» لِلعُمْرِيِّ (٢/ ٤٨٩).
(٣) «مَغَازِي الوَاقِدِيِّ» (٣/ ٨٩٣).
(٤) «فَتْحُ البَارِيِّ» (٨/ ٢٩).

عُمُرِهِ، وَقَدْ عُرِفَ بِالشَّجَاعَةِ وَحُسْنِ البَلَاءِ فِي القِتَالِ، وَأَسْلَمَ فِيمَا بَعْدُ، وَحَسُنَ إِسْلَامُهُ، وَاسْتَعْمَلَهُ النَّبِيُّ ﷺ عَلَىٰ مَنْ أَسْلَمَ مِنْ قَوْمِهِ(١).

٣- اسْتِعْدَادُ النَّبِيُّ ﷺ لِغَزْوَةِ حُنَيْنٍ:

أَخُو الْحَرْبِ إِنْ عَضَّتْ بِهِ الْحَرْبُ عَضَّهَا ... وَإِنْ شَمَّرَتْ عَنْ سَاقِهَا الْحَرْبُ شَمَّرَا(٢)

عَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللهِ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ: «سَارَ إِلَىٰ حُنَيْنٍ لَمَّا فَرَغَ مِنْ فَتْحِ مَكَّةَ، جَمَعَ عَوْفُ بْنُ مَالِكٍ النَّصْرِيُّ بَنِي نَصْرٍ، وبَنِي جُشَمَ، وَبَنِي سَعْدِ بْنِ بَكْرٍ، وَأَوْزَاعًا(٣)، مِنْ بَنِي هِلَالٍ -وَهُمْ قَلِيلٌ- وَنَاسًا مِنْ بَنِي عَمْرِو بْنِ عَامِرٍ، وَعَوْفِ بْنِ عَامِرٍ، وَأَوْعَبَتْ(٤) مَعَهُ ثَقِيفُ الأَحْلافِ(٥)، وَبَنُو مَالِكٍ.

ثُمَّ سَارَ بِهِمْ إِلَىٰ رَسُولِ اللهِ ﷺ، وَسَاقَ مَعَهُ الأَمْوَالَ وَالنِّسَاءَ وَالأَبْنَاءَ، فَلَمَّا سَمِعَ بِهِمْ رَسُولُ اللهِ ﷺ، بَعَثَ عَبْدَ اللهِ بْنَ أَبِي حَدْرَدٍ الأَسْلَمِيَّ، فَقَالَ: اذْهَبْ فَادْخُلْ فِي الْقَوْمِ، حَتَّىٰ تَعْلَمَ لَنَا مِنْ عِلْمِهِمْ.

فَدَخَلَ فِيهِمْ، فَمَكَثَ فِيهِمْ يَوْمًا أَوِ اثْنَيْنِ، ثُمَّ أَتَىٰ رَسُولَ اللهِ ﷺ، فَأَخْبَرَهُ خَبَرَهُمْ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ لِعُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ: «**أَلا تَسْمَعُ مَا يَقُولُ ابْنُ أَبِي حَدْرَدٍ**»؟

فَقَالَ عُمَرُ: كَذِبَ.

---

(١) «الفُصُولُ» لابْن كَثِيرٍ (٢٤١).

(٢) «الأَشْبَاهُ وَالنَّظَائِرُ» (٦٠).

(٣) أَوْزَاعًا أَيْ: جَمَاعَاتٍ مُتَفَرِّقَةً.

(٤) أَوْعَبَ بَنِي فُلَانٍ: إِذَا خَرَجُوا كُلُّهُمْ إِلَىٰ الغَزْوِ.

(٥) لأَنَّ ثَقِيفًا فِرْقَتَانِ: بَنُو مَالِكِ بْنِ حُطَيْطِ بْنِ جُشَمَ بْنِ قَيْسُ بْنُ مُنَبِّهِ بْنِ بَكْرِ بْنِ هَوَازِنَ، وَبَنُو عَوْفِ بْنِ مُعَاوِيَةَ بْنِ بَكْرِ بْنِ هَوَازِنَ، وَهُمُ الأَحْلَافُ، وَسُمُّو بِذَلِكَ لِتَحَالُفِهِمْ عَلَىٰ بَنِي مَالِكٍ.

فَقَالَ ابْنُ أَبِي حَدْرَدٍ: وَاللهِ لَئِنْ كَذَّبْتَنِي يَا عُمَرُ لَرُبَّمَا كَذَّبْتَ بِالْحَقِّ.

فَقَالَ عُمَرُ: أَلا تَسْمَعُ يَا رَسُولَ اللهِ مَا يَقُولُ ابْنُ أَبِي حَدْرَدٍ؟، فَقَالَ: قَدْ كُنْتَ يَا عُمَرُ ضَالا فَهَدَاكَ اللهُ، ثُمَّ بَعَثَ رَسُولُ اللهِ ﷺ إِلَىٰ صَفْوَانَ بْنِ أُمَيَّةَ، فَسَأَلَهُ أَدْرَاعًا عِنْدَهُ، مِائَةَ دِرْعٍ، وَمَا يُصْلِحُهَا مِنْ عُدَّتِهَا.

فَقَالَ: أَغَصْبًا يَا مُحَمَّدُ؟ قَالَ: «**بَلْ عَارِيَةٌ مَضْمُونَةٌ حَتَّىٰ نُؤَدِّيَهَا إِلَيْكَ**».

ثُمَّ خَرَجَ رَسُولُ اللهِ ﷺ سَائِرًا»[1].

٤ـ عَدَدُ جَيْشِ المُسْلِمِيْنَ:

كَأَنَّهُ وَحْدَه جَيْشٌ لَهُ لَجَبٌ ... صَوَاهِلِ الأَرْضِ شَتَّىٰ مِنْ صَوَاهِلِهِ[2]

سَارَ النَّبِيُّ ﷺ وَمَعَهُ عَشَرَةُ آلَافٍ، الَّذِيْنَ كَانُوا مَعَهُ فِي الفَتْحِ، وَأَلْفَيْنِ مِنْ طُلَقَاءِ مَكَّةَ، وَشَهِدَ مَعَهُ صَفْوَانُ بْنُ أُمَيَّةَ حُنَيْنًا، وَهُوَ يَوْمَئِذٍ مُشْرِكٌ، وَكَانَ ذَلِكَ فِي خَمْسٍ خَلَتْ مِنْ شَوَالٍ مِنَ السَّنَةِ الثَّامِنَةِ لِلهِجْرَةِ.

٥ـ ذَاتُ أَنْوَاطٍ:

فَهَذَا عَظِيْمُ الشِّرْكِ قَدْ جَاءَ خَاضِعًا ... وَأَلْقَىٰ بِكَفَّيْهِ إِلَيْكَ مُحَكِّمًا[3]

مَرَ رَسُولِ اللهِ ﷺ عَلَىٰ شَجَرَةٍ يُعَظِّمُهَا المُشْرِكُونَ، يُقَالَ لَهَا ذَاتُ أَنْوَاطٍ[4]، فَقَالَ بَعْضُ جُهَّالِ الأَعْرَابِ: اجْعَلْ لَنَا ذَاتَ أَنْوَاطٍ، كَمَا لَهُمْ ذَاتَ أَنْوَاطٍ.

---

(١) (صَحِيْحٌ) أَخْرَجَهُ الحَاكِمُ (٣/ ٤٨)، وَصَحَّحَهُ الأَلْبَانِيُّ رَحِمَهُ اللهُ فِي «إِرْوَاءِ الغَلِيْلِ» (١٥١٥).

(٢) «دِيْوَانُ ابْنُ الرُّومِيِّ» (٣٥٦٩).

(٣) «دَوَاوِيْنُ الشِّعْرِ العَرَبِيِّ» (٤٢/ ١٦).

(٤) سُمِّيَتْ بِذَلِكَ؛ لَأَنَّ المُشْرِكُونَ كَانُوا يَنُوطُونَ بِهَا سِلاحَهُمْ - أَيْ: يُعَلِّقُونَهُ بِهَا - وَيَعْكُفُونَ حَوْلَهَا يَوْمًا، وَيَذْبَحُونَ عِنْدَهَا، يَفْعَلُونَ ذَلِكَ كُلَّ سَنَةٍ.

فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «قُلْتُمْ: وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ، كَمَا قَالَ بَنُو إِسْرَائِيلَ لِمُوسَىٰ: ﴿ٱجْعَل لَّنَآ إِلَٰهًا كَمَا لَهُمْ ءَالِهَةٌ﴾ [الأعراف: ١٣٨]، لَتَرْكَبُنَّ سُنَنَ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ»[١].

٦ ـ المَعْرَكَةُ[٢]:

فَـانْـهَـضْ بِـجِـدِّكَ قَاطِنًـا أَوْ ظَاعِنًـا ... وَاقْطَـعْ بِـحَـدِّكَ مُغْمَـدًا أَوْ مُنْتَضَـىٰ[٢]

نَهَضَ رَسُولُ اللهِ ﷺ فَوَافَىٰ حُنَيْنًا - وَهُوَ وَادٍ حَدُورٌ مِنْ أَوْدِيَةِ تِهَامَةَ- وَقَدْ كَمَنَتْ لَهُمْ هَوَازِنُ فِيْهِ، وَذَلِكَ فِي عَمَايَةِ الصُّبْحِ -أَيْ: ظَلامِهِ-، وَحَمَلُوا عَلَىٰ الْمُسْلِمِيْنَ حَمْلَةَ رَجُلٍ وَاحِدٍ، فَوَلَّىٰ الْمُسْلِمُونَ لاَ يَلْوِي أَحَدٌ عَلَىٰ أَحَدٍ[٣].

فَذَلِكَ قَوْلُهُ -تعالَىٰ-: ﴿لَقَدْ نَصَرَكُمُ ٱللَّهُ فِى مَوَاطِنَ كَثِيرَةٍ ۙ وَيَوْمَ حُنَيْنٍ ۙ إِذْ أَعْجَبَتْكُمْ كَثْرَتُكُمْ فَلَمْ تُغْنِ عَنكُمْ شَيْـًٔا وَضَاقَتْ عَلَيْكُمُ ٱلْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ ثُمَّ وَلَّيْتُم مُّدْبِرِينَ ﴿٢٥﴾ ثُمَّ أَنزَلَ ٱللَّهُ سَكِينَتَهُۥ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ وَعَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ وَأَنزَلَ جُنُودًا لَّمْ تَرَوْهَا وَعَذَّبَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا ۚ وَذَٰلِكَ جَزَآءُ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٢٦﴾﴾ [التَّوْبَةُ: ٢٥-٢٦].

أَنْـعِـمْ بِـهِ جَـارًا، وِطِـبْ نَفْسًـا، فَمَـا ... سَـقَـطَ الـلِّـوَاءُ، وَلاَ خَـلاَ الـمَـيْـدَانُ

واللهُ نِـعْـمَ الـمُـسْـتَعَانُ إِذَا الهَـوَىٰ ... غَـلَـبَ الـنُّـفُـوسَ، وَقَلَّـتِ الأَعْـوَانُ

---

(١) (صَحِيْحٌ) أَخْرَجَهُ أَحْمَدُ (٥/ ٩٨)، وَالتِّرْمِذِيُّ (٢١٨٠)، وَصَحَّحَهُ الأَلْبَانِيُّ رَحِمَهُ اللهُ فِي «مَوَارِدِ الظَّمْآن» (١٥٤٠).

(٢) «دَوَاوِيْنُ الشِّعْرِ العَرَبِيِّ» (٤٦/ ٤٨) قَاطِنًا أَوْ ظَاعِنًا أَيْ: مُقِيْمًا أَوْ مُرْتَحِلًا. مُغْمَدًا أَوْ مُنْتَضَىٰ أَيْ: دَاخِلَ غِمْدِهِ أَوْ خَارِجَهُ.

(٣) (صَحِيْحٌ) أَخْرَجَهُ أَحْمَدُ (٣/ ٣٧٦-٣٧٧)، وَالتِّرْمِذِيُّ (٢١٨٠)، وَصَحَّحَهُ الأَلْبَانِيُّ رَحِمَهُ اللهُ فِي حَاشِيَةِ «فِقْهُ السِّيْرَةِ» (٤٤٢).

لِلْحَقِّ صَوْلَتُهُ وَشِدَّةُ بَأْسِهِ   وَلِمَنْ يُحَارِبُ جُنْدَهُ الخِذْلاَنُ [١]

٧ـ ثَبَاتُ النَّبِيِّ ﷺ:

يَسِيرُونَ لِلهَيْجَاءِ مِلْءَ صُدُورِهِمْ   ثَبَاتٌ وَعَزْمٌ لاَ يُبَالُونَ بِالقَتْلِ [٢]

ثَبَتَ النَّبِيُّ ﷺ وَلَمْ يَفِرَّ، قَالَ البَرَاءُ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ وَسَأَلَهُ رَجُلٌ مِنْ قَيْسٍ: أَفَرَرْتُمْ عَنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ يَوْمَ حُنَيْنٍ؟.

فَقَالَ: لَكِنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ لَمْ يَفِرَّ، كَانَتْ هَوَازِنُ رُمَاةً، قَالَ: وَإِنَّا لَمَّا حَمَلْنَا عَلَيْهِمُ انْكَشَفُوا، فَأَكْبَبْنَا عَلَى الْغَنَائِمِ فَاسْتُقْبِلْنَا بِالسِّهَامِ، وَلَقَدْ رَأَيْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ عَلَى بَغْلَتِهِ البَيْضَاءِ، وَأَنَّ أَبَا سُفْيَانَ بْن الحَارِثِ آخِذٌ بِزِمَامِهَا: وَهُوَ يَقُولُ: «**أَنَا النَّبِيُّ لَا كَذِبْ**»[٣].

قَالَ الشَّاعِرُ:

كَأَنَّ ثُبُوتَ الرَّاسِيَاتِ ثُبُوتُهُ   إِذَا خَفَّ مِنْ خَوْفِ الرَّدَىٰ كُلُّ مُحْجِمِ
كَأَنَّ أَدِيمَ الأَرْضِ رَاحَةُ كَفِّهِ   وَفِي بَسْطِهَا قَبْضٌ عَلَىٰ كُلِّ مُجْرِمِ [٤]

وَقَالَ آخَرُ:

أَنْتَ الشُّجَاعُ إِذَا الأَبْطَالِ ذَاهِلَةٌ   وَالْهُنْدُوَانِيُّ فِيْ الأَعْنَاقِ وَاللِّمَمِ

---

(١) «دِيْوَانُ أَحْمَد مُحَرَّم» (١٠٠٩).
(٢) «دِيْوَانُ ابْنِ سَحْنُونَ» (١٢٠)، وَالهَيْجَاءُ: الحَرْبُ.
(٣) رَوَاهُ البُخَارِيُّ (٤٣١٧)، ومُسْلِمٌ (١٧٧٦).
(٤) «خَرِيْدَةُ القَصْرِ» (١٢٧)، والمُحْجِم: المُتَأَخِّر عَنِ الأَمْرِ. وَأَدِيْمُ الأَرْضِ: ظَاهِرُهَا.

فَكُنْتَ أَثْبَتَهُمْ قَلْبًا وَأَوْضَحَهُمْ دَرْبًا وَأَبْعَدَهُمْ عَنْ رِيبَةِ التُّهَمِ[١]

٨- شِدَّةٌ يَعْقُبُهَا فَرَجٌ:

كَمْ بَابَ نَصْرٍ، وَكَمْ بَابًا إِلَىٰ فَرَجٍ فَتَحْتَ يَا فَائِزَ المَسْعَىٰ وَظَافِرَهُ[٢]

عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا قَالَ: قَالَ عَبَّاسٌ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: شَهِدْتُ مَعَ رَسُولِ اللهِ ﷺ يَوْمَ حُنَيْنٍ، فَلَزِمْتُ أَنَا وَأَبُو سُفْيَانَ بْنُ الْحَارِثِ بْنِ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ رَسُولَ اللهِ ﷺ فَلَمْ نُفَارِقْهُ، وَرَسُولُ اللهِ ﷺ عَلَىٰ بَغْلَةٍ لَهُ بَيْضَاءَ أَهْدَاهَا لَهُ فَرْوَةُ بْنُ نُفَاثَةَ الْجُذَامِيُّ، فَلَمَّا الْتَقَىٰ الْمُسْلِمُونَ وَالْكُفَّارُ وَلَّىٰ الْمُسْلِمُونَ مُدْبِرِينَ، فَطَفِقَ رَسُولُ اللهِ ﷺ يَرْكُضُ بَغْلَتَهُ[٣] قِبَلَ الْكُفَّارِ، قَالَ عَبَّاسٌ: وَأَنَا آخِذٌ بِلِجَامِ بَغْلَةِ رَسُولِ اللهِ ﷺ أَكُفُّهَا إِرَادَةَ أَنْ لَا تُسْرِعَ، وَأَبُو سُفْيَانَ آخِذٌ بِرِكَابِ رَسُولِ اللهِ ﷺ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: **«أَيْ عَبَّاسُ، نَادِ أَصْحَابَ السَّمُرَةِ»**[٤].

فَقَالَ عَبَّاسٌ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: -وَكَانَ رَجُلًا صَيِّتًا-[٥]، فَقُلْتُ بِأَعْلَىٰ صَوْتِي: أَيْنَ أَصْحَابُ السَّمُرَةِ؟ قَالَ: فَوَاللهِ، لَكَأَنَّ عَطْفَتَهُمْ حِينَ سَمِعُوا صَوْتِي عَطْفَةُ الْبَقَرِ عَلَىٰ أَوْلَادِهَا، فَقَالُوا: يَا لَبَّيْكَ، يَا لَبَّيْكَ، قَالَ: فَاقْتَتَلُوا وَالْكُفَّارَ، وَالدَّعْوَةُ فِي

---

(١) «مَوْسُوعَةُ الشِّعْرِ الإِسْلَامِيِّ» (٧٥/ ٥٦٠). وَالْهُنْدُوَانِيُّ -بِالكَسْرِ وَتُضَمُّ إِتْبَاعًا لِلدَّالِ- السَّيْفُ المَطْبُوعُ مِنْ حَدِيْدِ الهِنْدِ. وَاللِّمَمِ -بِالكَسْرِ- جَمعُ لِمَّةٍ، وَهِيَ الشَّعْرُ المُسْتَرْسِلُ إِلَىٰ المَنْكِبِ.

(٢) «دِيْوَانُ ابْنِ نُبَاتَةَ» (٨٤٤).

(٣) يَرْكُضُ بَغْلَتَهُ أَيْ: يَضْرِبُهَا بِرِجْلِهِ الشَّرِيْفَةِ عَلَىٰ كَبِدِهَا لِتُسْرِعَ.

(٤) أَصْحَابَ السَّمُرَةِ: هِيَ الشَّجَرَة الَّتِي بَايَعُوا بَيْعَةَ الرِّضْوَانِ، وَالمَعْنَىٰ: نَادِ أَهْلَ بَيْعَةِ الرِّضْوَانِ يَوْمَ الحُدَيْبِيَةِ.

(٥) صَيِّتًا أَيْ: قَوِيَّ الصَّوْتِ.

الْأَنْصَارِ يَقُولُونَ: يَا مَعْشَرَ الْأَنْصَارِ، يَا مَعْشَرَ الْأَنْصَارِ، قَالَ: ثُمَّ قُصِرَتِ الدَّعْوَةُ عَلَىٰ بَنِي الْحَارِثِ بْنِ الْخَزْرَجِ، فَقَالُوا: يَا بَنِي الْحَارِثِ بْنِ الْخَزْرَجِ، يَا بَنِي الْحَارِثِ بْنِ الْخَزْرَجِ، فَنَظَرَ رَسُولُ اللهِ ﷺ وَهُوَ عَلَىٰ بَغْلَتِهِ كَالْمُتَطَاوِلِ عَلَيْهَا إِلَىٰ قِتَالِهِمْ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ «**هَذَا حِينَ حَمِيَ الْوَطِيسُ**»[١].

قَالَ: ثُمَّ أَخَذَ رَسُولُ اللهِ ﷺ حَصَيَاتٍ فَرَمَىٰ بِهِنَّ وُجُوهَ الْكُفَّارِ، ثُمَّ قَالَ: «**انْهَزَمُوا وَرَبِّ مُحَمَّدٍ**» قَالَ: فَذَهَبْتُ أَنْظُرُ فَإِذَا الْقِتَالُ عَلَىٰ هَيْئَتِهِ فِيمَا أَرَىٰ، قَالَ: فَوَاللهِ، مَا هُوَ إِلَّا أَنْ رَمَاهُمْ بِحَصَيَاتِهِ فَمَا زِلْتُ أَرَىٰ حَدَّهُمْ كَلِيلا[٢]، وَأَمْرَهُمْ مُدْبِرًا[٣].

٩ـ سَبَبُ هَزِيمَةِ المُسْلِمِيْنَ أَوَّلَ الأَمْرِ:

فَلاَ يَأْسٌ إِذَا مَا الحَرْبُ طَالَتْ ... مِنَ النَّصْرِ المُرَجَّىٰ فِي الخِتَامِ[٤]

قَالَ النَّوَوِيُّ رَحِمَهُ اللهُ: «قَالَ الْعُلَمَاءُ: فِي هَذَا الْحَدِيثِ - أَيْ حَدِيْثِ العَبَّاسِ- دَلِيلٌ عَلَىٰ أَنَّ فِرَارَهُمْ لَمْ يَكُنْ بَعِيدًا، وَأَنَّهُ لَمْ يَحْصُلِ الْفِرَارُ مِنْ جَمِيعِهِمْ، وَإِنَّمَا فَتَحَهُ عَلَيْهِمْ مَنْ فِي قَلْبِهِ مَرَضٌ مِنْ مُسْلِمَةِ أَهْلِ مَكَّةَ الْمُؤَلَّفَةِ، وَمُشْرِكِيهَا الَّذِينَ لَمْ يَكُونُوا أَسْلَمُوا، وَإِنَّمَا كَانَتْ هَزِيمَتُهُمْ فَجْأَةً لِانْصِبَابِهِمْ عَلَيْهِمْ دَفْعَةً وَاحِدَةً وَرَشْقِهِمْ بِالسِّهَامِ، وَلِاخْتِلَاطِ أَهْلِ مَكَّةَ مَعَهُمْ مِمَّنْ لَمْ يَسْتَقِرَّ الْإِيمَانُ فِي قَلْبِهِ، وَمِمَّنْ يَتَرَبَّصُ بِالْمُسْلِمِينَ الدَّوَائِرَ، وَفِيهِمْ نِسَاءٌ وَصِبْيَانٌ خَرَجُوا لِلْغَنِيمَةِ فَتَقَدَّمَ إِخْفَاؤُهُمْ فَلَمَّا رَشَقُوهُمْ بِالنَّبْلِ وَلَّوْا فَانْقَلَبَتْ أُولَاهُمْ عَلَىٰ أُخْرَاهُمْ إِلَىٰ أَنْ أَنْزَلَ

---

(١) الْوَطِيسُ: التَّنُّورُ يُسْجَرُ فِيهِ، وَيُضْرَبُ مَثَلًا لِشِدَّةِ الحَرْبِ الَّتِي يُشْبِهُ حَرُّهَا حَرَّهُ.

(٢) حَدَّهُمْ كَلِيلاً أَيْ: قُوَّتَهُمْ ضَعِيفَةً.

(٣) رَوَاهُ مُسْلِمٌ (١٧٧٥).

(٤) «دِيْوَانُ أَحْمَد مُحَرَّم» (٣٠).

اللهُ تَعَالَىٰ سَكِينَتَهُ عَلَىٰ الْمُؤْمِنِينَ كَمَا ذَكَرَ اللهُ تَعَالَىٰ فِي الْقُرْآنِ»(١).

وَعَنْ أَنَسٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، أَنَّ أُمَّ سُلَيْمٍ اتَّخَذَتْ يَوْمَ حُنَيْنٍ خِنْجَرًا -أَيْ: سِكِّينًا ذَاتَ حَدَّيْنِ -، فَكَانَ مَعَهَا، فَرَآهَا أَبُو طَلْحَةَ، فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللهِ، هَذِهِ أُمُّ سُلَيْمٍ مَعَهَا خِنْجَرٌ، فَقَالَ لَهَا رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**مَا هَذَا الْخِنْجَرُ**»؟، قَالَتْ: اتَّخَذْتُهُ إِنْ: دَنَا مِنِّي أَحَدٌ مِنَ الْمُشْرِكِينَ، بَقَرْتُ بِهِ بَطْنَهُ، فَجَعَلَ رَسُولُ اللهِ ﷺ يَضْحَكُ، قَالَتْ: يَا رَسُولَ اللهِ، اقْتُلْ مَنْ بَعْدَنَا مِنَ الطُّلَقَاءِ(٢) انْهَزَمُوا بِكَ(٣)؟، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**يَا أُمَّ سُلَيْمٍ، إِنَّ اللهَ قَدْ كَفَىٰ وَأَحْسَنَ**»(٤).

هَذَا لَفْظُ مُسْلِمٍ، وَلِأَبِي دَاوُدَ نَحْوُهُ، وَفِيْهِ: «أَنَّ أَبَا طَلْحَةَ قَتَلَ يَوْمَئِذٍ عِشْرِينَ رَجُلًا فَأَخَذَ أَسْلَابَهُمْ»(٥).

١٠ـ النَّصْرُ العَظِيْمُ:

سَلَامٌ عَلَيْهِ يَوْمَ يَسْمُو إِلَىٰ الوَغَىٰ ... يَهُزُّ لِوَاءَ النَّصْرِ، وَالنَّصْرُ بَاسِمُ(٦)

عَنْ سَلَمَةَ ابْنِ الأَكْوَعِ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ: «غَزَوْنَا مَعَ رَسُولِ اللهِ ﷺ حُنَيْنًا، فَلَمَّا وَاجَهْنَا الْعَدُوَّ، تَقَدَّمْتُ فَأَعْلُو ثَنِيَّةً، فَاسْتَقْبَلَنِي رَجُلٌ مِنَ الْعَدُوِّ فَأَرْمِيهِ بِسَهْمٍ،

---

(١) «شَرْحُ النَّوَوِيُّ عَلَىٰ مُسْلِم» (١٢/ ١١٥).

(٢) الطُّلَقَاءُ: هُمُ الَّذِيْنَ أَسْلَمُوا يَوْمَ فَتْحِ مَكَّةَ، سُمُّوا بِذَلِكَ؛ لأَنَّ النَّبِيَّ ﷺ مَنَّ عَلَيْهِمْ وَأَطْلَقَهُمْ، وَكَانَ فِي إِسْلَامِهِمْ ضَعْفٌ؛ لِأَنَّ الإِيْمَانَ لَمْ يَسْتَقِرَّ فِي قُلُوبِهِمْ بَعْدُ.

(٣) انْهَزَمُوا بِكَ أَيْ: انْهَزَمُوا عَنْكَ، فَالبَاءُ بِمَعْنَىٰ عَنْ، وَرُبَّمَا تَكُونُ لِلسَّبَبِيَّةِ، أَيْ: انْهَزَمُوا بِسَبَبِكَ لِنِفَاقِهِمْ.

(٤) رَوَاهُ مُسْلِمٌ (١٨٠٩).

(٥) (صَحِيْحٌ) أَخْرَجَهُ أَبُو دَاوُدَ (٢٧١٨).

(٦) «دِيْوَانُ أَحْمَد مُحَرَّم» (٢١٢).

فَتَـوَارَىٰ عَنِّـي، فَمَا دَرَيْتُ مَا صَنَعَ وَنَظَـرْتُ إِلَىٰ الْقَوْمِ، فَإِذَا هُمْ قَـدْ طَلَعُوا مِنْ ثَنِيَّةٍ أُخْـرَىٰ، فَالْتَقَـوْا هُمْ وَصَحَابَةُ النَّبِـيِّ ﷺ، فَوَلَّىٰ صَحَابَةُ النَّبِـيِّ ﷺ وَأَرْجِعُ مُنْهَزِمًا وَعَلَيَّ بُرْدَتَانِ مُتَّزِرًا بِإِحْدَاهُمَا مُرْتَدِيًا بِالأُخْرَىٰ، فَاسْتَطْلَقَ إِزَارِي فَجَمَعْتُهُمَا جَمِيعًا.

وَمَـرَرْتُ عَلَـىٰ رَسُـولِ اللـهِ ﷺ مُنْهَزِمًا وَهُـوَ عَلَىٰ بَغْلَتِـهِ الشَّـهْبَاءِ[١]، فَقَالَ رَسُـولُ اللهِ ﷺ: «**لَقَـدْ رَأَىٰ ابْنُ الأَكْوَعِ فَزَعًا فَلَمَّا غَشُـوا**»[٢] رَسُـولَ اللهِ ﷺ نَزَلَ عَـنِ الْبَغْلَـةِ ثُمَّ قَبَضَ قَبْضَـةً مِنْ تُرَابٍ مِنَ الأَرْضِ ثُمَّ اسْـتَقْبَلَ بِـهِ وُجُوهَهُمْ فَقَالَ: «**شَـاهَتِ الْوُجُـوهُ**»[٣]، فَمَا خَلَقَ اللهُ مِنْهُمْ إِنْسَـانًا إِلاَّ مَلَأَ عَيْنَيْهِ تُرَابًـا بِتِلْكَ الْقَبْضَةِ فَوَلَّـوْا مُدْبِرِيـنَ، فَهَزَمَهُـمُ اللـهُ -عَـزَّ وَ جَـلَّ- وَقَسَـمَ رَسُـولُ اللـهِ ﷺ غَنَائِمَهُمْ بَيْنَ الْمُسْلِمِينَ[٤].

أَبَـىٰ الـلـهُ إِلَّا أَنْ يَكُـونَ لَـكَ النَّصْـرُ ... وَأَنْ يَـهْـدِمَ الإِيْـمَـانُ مَـا شَـادَهُ الكُفْـرُ
وَأَنْ يُـرْجِـعَ الأَعْـلاجَ بَعْـدَ عِلاجِهَـا ... خَـزَايَـا عَـلَـىٰ آثَارِهَـا الـذُّلُّ والقَهْرُ[٥]

١١ـ تَعقُّبُ الفَارِّيْنَ نَحْوَ نَخْلَةِ أَوْطَاسٍ:

إِذَا مَـا رَكِـبْـتَ الحَـزْمَ مُستَبطِنًـا لَـهُ ... سَـبَـقْـتَ بِـهِ مَـنْ لَا تَظُـنُّ لَـهُ سَـبْقًا[٦]

(١) الشُّبْهَةُ فِي الأَلْوَانِ: البَيَاضُ الغَالِبُ عَلَىٰ السَّوَادِ.
(٢) فَلَمَّا غَشُوا رَسُولَ اللهِ ﷺ أَيْ: أَتَوْهُ مِنْ كُلِّ جَانِبٍ.
(٣) شَاهَتِ الْوُجُوهُ: أَيْ قَبُحَتْ.
(٤) رَوَاهُ مُسْلِمٌ (١٧٧٧).
(٥) «دَوَاوِيْنُ الشِّعْرِ العَرَبِيِّ» (٧/ ٣٠٨). والأَعْلَاج: جَمْعُ عِلْجٍ -بِالكَسْرِ-، وَهُوَ الرَّجُلُ الضَّخْمُ مِنْ كِبَارِ العَجَمِ، وَبَعْضُ العَرَبِ يُطْلِقُهُ عَلَىٰ الكَافِرِ مُطْلَقًا.
(٦) «دَوَاوِيْنُ الشِّعْرِ العَرَبِيِّ» (٤١/ ١٥٢).

انْحَازَتْ طَوَائِفُ مِنْ هَوَازِنَ إِلَىٰ أَوْطَاسٍ، فَبَعَثَ رَسُولُ اللهِ ﷺ إِلَيْهِمْ أَبَا عَامِرٍ الأَشْعَرِيَّ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ.

فَعَنْ أَبِي مُوسَىٰ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، قَالَ: لَمَّا فَرَغَ النَّبِيُّ ﷺ، مِنْ حُنَيْنٍ، بَعَثَ أَبَا عَامِرٍ عَلَىٰ جَيْشٍ إِلَىٰ أَوْطَاسٍ، فَلَقِيَ دُرَيْدَ ابْنَ الصِّمَّةِ، فَقُتِلَ دُرَيْدٌ وَهَزَمَ اللهُ أَصْحَابَهُ، فَقَالَ أَبُو مُوسَىٰ: وَبعَثَنِي مَعَ أَبِي عَامِرٍ، قَالَ: فَرُمِيَ أَبُو عَامِرٍ فِي رُكْبَتِهِ، رَمَاهُ رَجُلٌ مِنْ بَنِي جُشَمٍ بِسَهْمٍ، فَأَثْبَتَهُ فِي رُكْبَتِهِ فَانْتَهَيْتُ إِلَيْهِ فَقُلْتُ: يَا عَمِّ مَنْ رَمَاكَ؟ فَأَشَارَ أَبُو عَامِرٍ إِلَىٰ أَبِي مُوسَىٰ، فَقَالَ: إِنَّ ذَاكَ قَاتِلِي، تَرَاهُ ذَلِكَ الَّذِي رَمَانِي.

قَالَ أَبُو مُوسَىٰ: فَقَصَدْتُ لَهُ فَاعْتَمَدْتُهُ فَلَحِقْتُهُ، فَلَمَّا رَآنِي وَلَّىٰ عَنِّي ذَاهِبًا، فَاتَّبَعْتُهُ وَجَعَلْتُ أَقُولُ لَهُ: أَلَا تَسْتَحْيِي؟، أَلَسْتَ عَرَبِيًّا؟، أَلَا تَثْبُتُ؟ فَكَفَّ، فَالْتَقَيْتُ أَنَا وَهُوَ، فَاخْتَلَفْنَا أَنَا وَهُوَ ضَرْبَتَيْنِ، فَضَرَبْتُهُ بِالسَّيْفِ فَقَتَلْتُهُ، ثُمَّ رَجَعْتُ إِلَىٰ أَبِي عَامِرٍ فَقُلْتُ: إِنَّ اللهَ قَدْ قَتَلَ صَاحِبَكَ، قَالَ: فَانْزِعْ هَذَا السَّهْمَ، فَنَزَعْتُهُ فَنَزَا مِنْهُ الْمَاءُ. (أَيْ: ظَهَرَ وَجَرَىٰ).

فَقَالَ: يَا ابْنَ أَخِي انْطَلِقْ إِلَىٰ رَسُولِ اللهِ ﷺ فَأَقْرِئْهُ عَنِّي السَّلَامَ، وَقُلْ لَهُ: يَقُولُ لَكَ أَبُو عَامِرٍ: اسْتَغْفِرْ لِي، قَالَ: وَاسْتَخْلَفَنِي أَبُو عَامِرٍ عَلَىٰ النَّاسِ يَسِيرًا، ثُمَّ إِنَّهُ مَاتَ. فَلَمَّا رَجَعْتُ إِلَىٰ النَّبِيِّ ﷺ دَخَلْتُ عَلَيْهِ، وَهُوَ فِي بَيْتٍ عَلَىٰ سَرِيرٍ مُرْمَلٍ(١)، وَعَلَيْهِ فِرَاشٌ، وَقَدْ أَثَّرَ رِمَالُ السَّرِيرِ بِظَهْرِ رَسُولِ اللهِ ﷺ وَجَنْبَيْهِ، فَأَخْبَرْتُهُ بِخَبَرِنَا وَخَبَرِ أَبِي عَامِرٍ، وَقُلْتُ لَهُ: قَالَ: قُلْ لَهُ: يَسْتَغْفِرْ لِي.

فَدَعَا رَسُولُ اللهِ ﷺ بِمَاءٍ، فَتَوَضَّأَ مِنْهُ، ثُمَّ رَفَعَ يَدَيْهِ، ثُمَّ قَالَ: «**اللهُمَّ اغْفِرْ لِعُبَيْدٍ أَبِي عَامِرٍ**» حَتَّىٰ رَأَيْتُ بَيَاضَ إِبْطَيْهِ، ثُمَّ قَالَ: «**اللهُمَّ اجْعَلْهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ**

---

(١) مُرْمَلٍ: هُوَ الَّذِي يُنْسَجُ فِي وَجْهِهِ بِالسَّعْفِ وَغَيْرِهِ، وَيُشَدُّ بِشَرِيطٍ وَنَحْوِهِ.

فَوْقَ كَثِيرٍ مِنْ خَلْقِكَ- أَوْ مِنَ النَّاسِ-»، فَقُلْتُ: وَلِي فَاسْتَغْفِرْ، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «اللهُمَّ اغْفِرْ لِعَبْدِ اللهِ ابْنِ قَيْسٍ ذَنْبَهُ، وَأَدْخِلْهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مُدْخَلًا كَرِيمًا»(١).

هُمُ الجِبَالُ فَسَلْ عَنْهُمْ مُصَادِمَهُمْ ... مَاذَا رَأَىٰ مِنْهُمُ فِي كُلِّ مُصْطَدَمِ(٢)
وَسَلْ حُنَيْنًا وَسَلْ بَدْرًا وَسَلْ أُحُدًا ... فُصُولَ(٣) حَتْفٍ(٤) لَهُمْ أَدْهَىٰ مِنَ الوَخَمِ(٥)
تُهْدِي إِلَيْكَ رِيَاحُ النَّصْرِ نَشْرَهُمُ(٦) ... فَتَحْسَبُ الزَّهْرَ فِي الأَكْمَامِ كُلَّ كَمِي(٧)
كَأَنَّهُمْ فِي ظُهُورِ الخَيْلِ نَبْتُ رُبًا(٨) ... مِنْ شِدَّةِ الحَزْمِ لاَ مِنْ شِدَّةِ الحُزُمِ(٩)
طَارَتْ قُلُوبُ العِدَا مِنْ بَأْسِهِمْ فَرَقًا(١٠) ... فَمَا تُفَرِّقُ بَيْنَ البَهْمِ وَالبُهُمِ(١١)(١٢)

---

(١) رَوَاهُ البُخَارِيُّ (٤٣٢٣)، ومُسْلِمٌ (٢٤٩٨).
(٢) المُصْطَدَم: مَكَانَ الاصْطِدَامِ، أَيْ: مُلْتَقَىٰ الجَيْشِ.
(٣) الفُصُول: المَوَاسِمُ.
(٤) الحَتْفُ: المَوْتُ.
(٥) الوَخَمُ: الوَبَاءُ.
(٦) نَشْرَهُمُ أَيْ: رَائِحَتِهِمْ.
(٧) الكَمِيُّ -بِزِنَةِ الغَنِيِّ-: لَابِسُ السِّلَاحِ والشُّجَاعُ.
(٨) الرُّبَا: جَمْعُ رَبْوَةٍ، وَهِيَ الأَرْضُ المُرْتَفِعَةُ.
(٩) الْحَزْم -بِالفَتْحِ- ضَبْطُ الأَمْرِ، وَالأَخْذُ مِنْهُ الثِّقَةِ. والحُزُم -بِضَمَّتَيْنِ- جَمْعُ حِزَامٍ، وَهُوَ مَا يُشَدُّ بِهِ الوَسَطُ.
(١٠) الفَرَق -بِفَتْحَتَيْنِ- الخَوْفُ.
(١١) البَهْمُ-بِالفَتْح-جَمْعُ بَهْمَةٍ،وَهِيَ أَوْلَادُ الغَنَمِ وَالبَقَرِ.البُهَمُ-بِزِنَةِ الغُرَفِ- جَمْعُ بُهْمَةٍ -بِالضَّمِّ-، وَهُوَ الشُّجَاعُ الَّذِي يَسْتَبْهِمُ مَأْتَاهُ عَلَىٰ أَقْرَانِهِ (أَيْ: تَخْفَىٰ عَلَيْهِمْ مُقَاتَلَهُ).
(١٢) «دَوَاوِيْنُ الشِّعْرِ العَرَبِيِّ» (٩/ ٧٥).

١٢ـ عَدَدُ مَنْ قُتِلَ مِنَ المُسْلِمِيْنَ:

وَهُنِّئْتُمُ مَا نِلْتُمْ مِنْ كَرَامَةٍ إِلَىٰ كَرَمٍ فُزْتُمْ بِهِ وَمَكَارِمِ [١]

كَانَ أَبُو عَامِرٍ رَابِعَ أَرْبَعَةٍ اسْتُشْهِدُوا يَوْمَ حُنَيْنٍ، وَالثَّانِي أَيْمَنُ ابْنُ أُمِّ أَيْمَنَ، وَالثَّالِثُ يَزِيْدُ بْنُ زَمْعَةَ بْنِ الأَسْوَدِ، وَالرَّابِعُ سُرَاقَةُ بْنُ الحَارِثِ مِنَ الأَنْصَارِ، وَأَمَّا المُشْرِكُونَ فَقُتِلَ مِنْهُمْ خَلْقٌ كَثِيرٌ [٢].

قَالَ حَسَّانُ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ:

أُولَئِكَ الْقَوْمُ أَنْصَارُ النَّبِيِّ وَهُمْ قَوْمِي أَصِيرُ إِلَيْهِمْ حَيْنَ أَتَّصِلُ
مَاتُوا كِرَامًا وَلَمْ تُنْكَثْ عُهُودُهُمُ وَقَتْلُهُمْ فِي سَبِيلِ اللهِ إِذْ قُتِلُوا [٣]

---

(١) «دِيْوَانُ ابْنِ الرُّومِيِّ» (٤١٦٠).

(٢) «الفُصُولُ» (٢٣٧).

(٣) «الحَمَاسَةُ المَغْرِبِيَّةِ» (١/ ٥٧٣).

غَزْوَةُ الطَّائِفِ

عَاجُوا إِلَىٰ الطَّائِفِ الحِصْنِ الحَصِيْنِ، وَقَدْ ظَنُّوا بِهَا رادعًا عَنْ كُلِّ مُصْطَدَمِ (١)

بَعْدَ أَنْ شَتَّتَ المُسْلِمُونَ هَوَازِنَ، وَتَعَقَّبُوهَا فِي نَخْلَةَ وَأَوْطَاس، اتَّجَهُوا إِلَىٰ مَدِيْنَةِ الطَّائِفِ، الَّتِي تَحَصَّنَتْ فِيْهَا ثَقِيْفُ، وَمَعَهُمْ مَالِكُ بْنُ عَوْفٍ النَّصْرِيُّ قَائِدُ هَوَازِنَ.

١ ـ حَالُ الطَّائِفِ:

تَبْعُدُ الطَّائِفُ عَنْ مَكَّةَ حَوَالِيْ تِسْعِيْنَ كَيْلاً، وَتَمْتَازُ بِمَوْقِعِهَا الجَبَلِيِّ، وَبِأَسْوَارِهَا القَوِيَّةِ، وَحُصُونِهَا الدِّفَاعِيَّةِ، وَلَيْسَ إِلَيْهَا مَنْفَذٌ سِوَىٰ الأَبْوَابِ الَّتِي أَغْلَقَتْهَا ثَقِيْفُ، بَعْدَ أَنْ أَدْخَلَتْ مِنَ الأَقْوَاتِ مَا يَكْفِي لِسَنَةٍ كَامِلَةٍ، وَهَيَّأَتْ مِنْ وَسَائِلِ الحَرْبِ مَا يَكْفَلُ لَهَا الصُّمُودَ طَوِيْلاً(٢).

٢ ـ حِصَارُ الطَّائِفِ:

حَاصَرَ النَّبِيُّ ﷺ، أَهْلَ الطَّائِفِ بِضْعَ عَشْرَةَ لَيْلَةً، ثُمَّ أَذِنَ بِالرَّحِيْلِ(٣).

٣ ـ الإِيْذَانُ بِالرَّحِيْلِ:

فَعَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ عَمْرٍو رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا، قَالَ: حَاصَرَ النَّبِيُّ ﷺ أَهْلَ الطَّائِفِ فَلَمْ يَنَلْ مِنْهُمْ شَيْئًا، فَقَالَ: «**إِنَّا قَافِلُونَ غَدًا إِنْ شَاءَ اللهُ**»، قَالَ الْمُسْلِمُونَ: أَنَرْجِعُ وَلَمْ نَفْتَحْهُ؟ فَقَالَ لَهُمْ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**اغْدُوا عَلَىٰ الْقِتَالِ غَدًا**»، فَأَصَابَهُمْ جِرَاحٌ، فَقَالَ

---

(١) قَالَهُ أُسْتَاذُنَا عَبْدُ الكَرِيْمِ العِمَادُ -حَفِظَهُ اللهُ-.

(٢) انْظُرْ: «السِّيْرَةِ النَّبَوِيَّةِ الصَّحِيْحَةِ» لِلعُمْرِيِّ (٢/ ٥٠٧).

(٣) «جَوَامِعُ السِّيْرَةِ» لابْنِ حَزْمٍ (٢٤٨).

لَهُمْ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**إِنَّا قَافِلُونَ غَدًا إِنْ شَاءَ اللهُ**»، قَالَ: فَأَعْجَبَهُمْ ذَلِكَ، فَضَحِكَ رَسُولُ اللهِ ﷺ(١).

قَالَ النَّوَوِيُّ رَحِمَهُ اللهُ فِي شَرْحِهِ لِهَذَا الْحَدِيثِ:

«مَعْنَىٰ الْحَدِيثِ أَنَّهُ ﷺ قَصَدَ الشَّفَقَةَ عَلَىٰ أَصْحَابِهِ وَالرِّفْقَ بِهِمْ بِالرَّحِيلِ عَنِ الطَّائِفِ لِصُعُوبَةِ أَمْرِهِ، وَشِدَّةِ الْكُفَّارِ الَّذِينَ فِيهِ، وَتَقْوِيَتِهِمْ بِحِصْنِهِمْ ومَعَ أَنَّهُ ﷺ عَلِمَ أَوْ رَجَا أَنَّهُ سَيَفْتَحُهُ بَعْدَ هَذَا بِلَا مَشَقَّةٍ كَمَا جَرَىٰ، فَلَمَّا رَأَىٰ حِرْصَ أَصْحَابِهِ عَلَىٰ الْمُقَامِ وَالْجِهَادِ أَقَامَ، وَجَدَّ فِي الْقِتَالِ، فَلَمَّا أَصَابَتْهُمُ الْجِرَاحُ رَجَعَ إِلَىٰ مَا كَانَ قَصَدَهُ أَوَّلًا مِنَ الرِّفْقِ بِهِمْ فَفَرِحُوا بِذَلِكَ؛ لِمَا رَأَوْا مِنَ الْمَشَقَّةِ الظَّاهِرَةِ، وَلَعَلَّهُمْ نَظَرُوا فَعَلِمُوا أَنَّ رَأْيَ النَّبِيِّ ﷺ أَبْرَكُ وَأَنْفَعُ وَأَحْمَدُ عَاقِبَةً، وَأَصْوَبُ مِنْ رَأْيِهِمْ، فَوَافَقُوا عَلَىٰ الرَّحِيلِ، وَفَرِحُوا فَضَحِكَ النَّبِيُّ ﷺ تَعَجُّبًا مِنْ سُرْعَةِ تَغَيُّرِ رَأْيِهِمْ. وَاللهُ أَعْلَمُ»(٢).

إِذَا مَا دَنَوْا أَدْنَاهُمُ، وَإِذَا هَفَوْا ... تَجَاوَزَ عَنْهُمْ نَاظِرًا فِي العَوَاقِبِ
شَفِيْقٌ عَلَىٰ الأَقْصِيْنَ أَنْ يَرْكُوا الرَّدَىٰ ... فَكَيْفَ بِهِ فِي وَاشِجَاتِ الأَقَارِبِ؟!(٣)

٤ـ حِكَايَةُ عَبِيْدِ الطَّائِفِ:

وَجَّهَ النَّبِيُّ ﷺ نِدَاءً إِلَىٰ عَبِيْدِ الطَّائِفِ:

أَنَّ مَنْ نَزَلَ مِنْهُمْ مِنَ الحِصْنِ، وَخَرَجَ إِلَىٰ المُسْلِمِيْنَ فَهُوَ حُرٌّ، فَخَرَجَ ثَلَاثَةٌ

---

(١) رَوَاهُ البُخَارِيُّ (٤٣٢٥)، ومُسْلِمٌ (١٧٧٨).

(٢) «شَرْحُ النَّوَوِيُّ عَلَىٰ مُسْلِم» (١٢/ ١٢٤).

(٣) الأَبْيَاتِ لابْنِ المَولَىٰ، كَمَا فِي «الأَغَانِي» (٣/ ٢٩٠)، يُقَالُ: رَحِمٌ وَاشِجَةٌ أَيْ: مُشْتَبَكَةٌ مُتَّصِلَةٌ مُتَدَاخِلَةٌ.

وَعِشْرُونَ مِنَ العَبِيْدِ، مِنْهُمْ أَبُو بَكْرَةَ الثَّقَفِيُّ فَأَسْلَمُوا فَأَعْتَقَهُمْ.

فَعَنْ أَبِي العَالِيَةِ، أَوْ أَبِي عُثْمَانَ النَّهْدِيِّ، قَالَ: سَمِعْتُ سَعْدًا وَأَبَا بَكْرَةَ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ، قَالَ: عَاصِمٌ قُلْتُ: لَقَدْ شَهِدَ عِنْدَكَ رَجُلاَنِ حَسْبُكَ بِهِمَا، قَالَ: أَجَلْ، أَمَّا أَحَدُهُمَا فَأَوَّلُ مَنْ رَمَىٰ بِسَهْمٍ فِي سَبِيلِ اللهِ، وَأَمَّا الآخَرُ فَنَزَلَ إِلَىٰ النَّبِيِّ ﷺ ثَالِثَ ثَلاَثَةٍ وَعِشْرِينَ مِنَ الطَّائِفِ»[١].

قَالَ الشَّاعِرُ:

إِنَّمَا النَّاسُ جَمِيْعًا أُخْوَةٌ ... لَيْسَ فِيْهِمْ مِنْ عَبِيدٍ أَوْ خَدَمْ
هُمْ سَوَاءٌ، وَلِكُلٍّ حَقُّهُ ... ذَاكَ حُكْمُ اللهِ، لاَ حُكْمُ الصَّنَمْ[٢]

٥ـ عُمرَةُ الجِعْرَانَةِ:

لاَ تَخَلْ مَعْشَرًا قَضَوْا فِي سَبِيْلِ اللَّـ ... ـهِ مَوْتَىٰ، بَلْ هُمْ مِنَ الأَحْيَاءِ[٣]

قَالَ ابْنُ القَيِّمِ رَحِمَهُ اللهُ:

«وَاسْتُشْهِدَ مَعَ رَسُولِ اللهِ ﷺ بِالطَّائِفِ جَمَاعَةٌ، ثُمَّ خَرَجَ رَسُولُ اللهِ ﷺ مِنَ الطَّائِفِ إِلَىٰ الْجِعْرَانَةِ، ثُمَّ دَخَلَ مِنْهَا مُحْرِمًا بِعُمْرَةٍ فَقَضَىٰ عُمْرَتَهُ، ثُمَّ رَجَعَ إِلَىٰ الْمَدِينَةِ»[٤].

---

(١) رَوَاهُ البُخَارِيُّ (٤٣٢٧).

(٢) «دِيْوَانُ أَحْمَد مُحَرَّم» (١٠٥٠).

(٣) «دِيْوَانُ مُحَمَّد العِيْد آل خَلِيْفَةِ» (٣٩٧).

(٤) «زَادُ المِعَادِ» (٣/ ٤٩٨).

قَالَ الشَّاعِرُ:

هَـــذَا كِـتَـابُ الـلـه يَـنْـطِـق بَيْنَنَـا ... لَـيْـسَ الشَّـهِيدُ بِـمَيِّـتٍ لاَ يَكْـذِبُ(١)

وَقَالَ آخَرُ:

وَفِـي حُنَيْـنٍ إِذْ اِرتَـدَّتْ هَـوَازِنُ عَـنْ ... قَصْـدِ السَّـبِيْلِ وَلَم تَرْجِـعْ إِلَىٰ الحَكَمِ

سَـرَىٰ إِلَـيْهـا بِبَحْـرٍ مِـنْ مُلَمْلَمَـةٍ(٢) ... طَامِي(٣) السَّـرَاة(٤) بِمَـوْجِ البِيْضِ مُلتَطِمِ

حَتَّىٰ اسْـتَذَلَّتْ وَعَـادَتْ بَعْـدَ نَخْوَتِهَا ... تُلْـقِـي إِلَــىٰ كُلِّ مَـنْ تَلْقَـاهُ بِالسَّـلَمِ

وَيَمَّـمَ(٥) الطَّائِـفَ الغَنَّـاءَ(٦) ثُمَّ مَضَىٰ ... عَنْهَـا إِلَىٰ أَجَـلٍ فِـي الغَيْـبِ مُكْتَتَمِ(٧)

---

(١) «مَوْسُوعَةُ الشِّعْرِ» (١/ ٤١).

(٢) كَتِيبَةٌ مُلَمْلَمَةٌ أَيْ: مُجْتَمِعَةٌ مَضْمُومٌ بَعْضُهَا إِلَىٰ بَعْضٍ.

(٣) بَحْرٌ طَامٍ أَيْ: مُرْتَفِعٌ.

(٤) سَرَاةُ كُلِّ شَيْءٍ -بِفَتْحِ السِّيْنِ- ظَهْرُهُ، والجَمْعُ سَرَوَاتٌ.

(٥) يَمَّمَ: قَصَدَ.

(٦) الغَنَّاء أَيِ: العَامِرَةُ الوَافِرَة العُشْبِ وَالأَهْلِ والبُنْيَانِ.

(٧) «مَوْسُوعَةُ الشِّعْرِ» (١٩/ ٦٠٦).

غَنَائِمُ حُنَيْنٍ

أَعْطَىٰ المُؤَلَّفَةَ القُلُوبِ رِضَاهُمُ كَرَمًا، وَرَدَّ أَخَايِذَ الأَحْزَابِ [١]

بَشَّرَ اللهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ المُسْلِمِيْنَ بِغَنَائِمَ كَثِيْرَةٍ، وَمِنْهَا غَنَائِمُ حُنَيْنٍ.

قَالَ اللهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ: ﴿ وَعَدَكُمُ ٱللَّهُ مَغَانِمَ كَثِيرَةً تَأْخُذُونَهَا فَعَجَّلَ لَكُمْ هَٰذِهِۦ ﴾ [الفَتْحُ: ٢٠].

وَقَدْ بَشَّرَ النَّبِيُّ ﷺ المُسْلِمِيْنَ بِأَنَّ غَنَائِمَ حُنَيْنٍ مِنْ نَصِيبِهِمْ.

فَعَنْ سَهْلِ بْنِ الْحَنْظَلِيَّةِ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ أَنَّهُمْ سَارُوا مَعَ رَسُولِ اللهِ ﷺ يَوْمَ حُنَيْنٍ، فَأَطْنَبُوا السَّيْرَ حَتَّىٰ كَانَتْ عَشِيَّةً، فَحَضَرْتُ الصَّلَاةَ عِنْدَ رَسُولِ اللهِ ﷺ، فَجَاءَ رَجُلٌ فَارِسٌ فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللهِ، إِنِّي انْطَلَقْتُ بَيْنَ أَيْدِيكُمْ حَتَّىٰ طَلَعْتُ جَبَلَ كَذَا وَكَذَا، فَإِذَا أَنَا بِهَوَازِنَ عَلَىٰ بَكْرَةِ آبَائِهِمْ بِظُعُنِهِمْ وَنَعَمِهِمْ وَشَائِهِمْ، اجْتَمَعُوا إِلَىٰ حُنَيْنٍ، فَتَبَسَّمَ رَسُولُ اللهِ ﷺ، وَقَالَ: «**تِلْكَ غَنِيمَةُ الْمُسْلِمِينَ غَدًا إِنْ شَاءَ اللهُ**»[٢].

فَكَانَ رَسُولُ اللهِ ﷺ يُعْطِي مِنَ الغَنِيْمَةِ العَطَاءَ الجَزِيْلَ، لِأُنَاسٍ حُدَثَاءِ عَهْدٍ بِكُفْرٍ؛ يَتَأَلَّفُهُمْ.

عَنْ ابْنِ شِهَابٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ: غَزَا رَسُولُ اللهِ ﷺ غَزْوَةَ الْفَتْحِ فَتْحِ مَكَّةَ، ثُمَّ خَرَجَ رَسُولُ اللهِ ﷺ بِمَنْ مَعَهُ مِنَ الْمُسْلِمِينَ، فَاقْتَتَلُوا بِحُنَيْنٍ، فَنَصَرَ اللهُ دِينَهُ وَالْمُسْلِمِينَ،

(١) «دِيْوَانُ أَبِي تَمَّامٍ» (٢٨).

(٢) (صَحِيْحٌ) أَخْرَجَهُ أَبُو دَاوُدَ (٢٥٠١)، وَصَحَّحَهُ الأَلْبَانِيُّ رَحِمَهُ اللهُ فِي «صَحِيْحِ أَبِي دَاوُدَ» (٢١٨٣).

وَأَعْطَىٰ رَسُولُ اللهِ ﷺ يَوْمَئِذٍ صَفْوَانَ بْنَ أُمَيَّةَ مِائَةً مِنَ النَّعَمِ، ثُمَّ مِائَةً ثُمَّ مِائَةً».

قَالَ ابْنُ شِهَابٍ: حَدَّثَنِي سَعِيدُ بْنُ الْمُسَيَّبِ أَنَّ صَفْوَانَ قَالَ: وَاللهِ لَقَدْ أَعْطَانِي رَسُولُ اللهِ ﷺ مَا أَعْطَانِي، وَإِنَّهُ لَأَبْغَضُ النَّاسِ إِلَيَّ، فَمَا بَرِحَ يُعْطِينِي حَتَّىٰ إِنَّهُ لَأَحَبُّ النَّاسِ إِلَيَّ»[١].

وَعَنْ أَنَسٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**إِنِّي أُعْطِي رِجَالًا حَدِيثِي عَهْدٍ بِكُفْرٍ؛ أَتَأَلَّفُهُمْ**»[٢].

وَكَانَ ﷺ يَقُولُ: «**وَاللهِ إِنِّي لَأُعْطِي الرَّجُلَ وَأَدَعُ الرَّجُلَ، وَالَّذِي أَدَعُ أَحَبُّ إِلَيَّ مِنَ الَّذِي أُعْطِي، وَلَكِنْ أُعْطِي أَقْوَامًا؛ لِمَا أَرَىٰ فِي قُلُوبِهِمْ مِنَ الْجَزَعِ وَالْهَلَعِ، وَأَكِلُ أَقْوَامًا؛ لِمَا جَعَلَ اللهُ فِي قُلُوبِهِمْ مِنَ الْغِنَىٰ وَالْخَيْرِ**»[٣]. وَقَدْ أَثْمَرَ هَذَا الْعَطْفُ فِي نُفُوسِ الْمُؤَلَّفَةِ قُلُوبُهُمْ.

قَالَ أَنَسٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: «إِنْ كَانَ الرَّجُلُ لَيُسْلِمُ مَا يُرِيدُ إِلَّا الدُّنْيَا، فَمَا يُسْلِمُ حَتَّىٰ يَكُونَ الْإِسْلَامُ أَحَبَّ إِلَيْهِ مِنَ الدُّنْيَا وَمَا عَلَيْهَا»[٤].

وَعَنْ أَنَسٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ: «مَا سُئِلَ رَسُولُ اللهِ ﷺ عَلَىٰ الْإِسْلَامِ شَيْئًا إِلَّا أَعْطَاهُ، قَالَ: فَجَاءَهُ رَجُلٌ فَأَعْطَاهُ غَنَمًا بَيْنَ جَبَلَيْنِ[٥]، فَرَجَعَ إِلَىٰ قَوْمِهِ، فَقَالَ: يَا قَوْمِ أَسْلِمُوا، فَإِنَّ مُحَمَّدًا يُعْطِي عَطَاءً لَا يَخْشَىٰ الْفَاقَةَ»[٦].

---

(١) رَوَاهُ مُسْلِمٌ (٢٣١٤).

(٢) رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ (٤٠٧٦)، ومُسْلِمٌ (١٠٥٩).

(٣) رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ (٨٨١).

(٤) رَوَاهُ مُسْلِمٌ (٢٣١٨).

(٥) أَيْ: كَثِيْرَةً كَأَنَّهَا تَمْلأُ مَا بَيْنَ جَبَلَيْنِ.

(٦) رَوَاهُ مُسْلِمٌ (٢٣١٢).

وَعَـنْ سَـعْدِ بْنِ أَبِـي وَقَّاصٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَـالَ: قَالَ رَسُـولُ اللهِ ﷺ: «**إِنِّـي لَأُعْطِي الرَّجُـلَ وَغَيْرُهُ أَحَبُّ إِلَـيَّ مِنْهُ؛ مَخَافَةَ أَنْ يُكَبَّهُ اللهُ فِي النَّـارِ**»[1]. لَكِنَّ هَؤُلَاءِ المُؤَلَّفَةَ قُلُوبُهُمْ بَعْدَ تَمَكُّنِ الإِيْمَانِ مِنْ قُلُوبِهِمْ، دَاسُوا الدُّنْيَا بِأَقْدَامِهِمْ.

فَهَذَا حَكِيْمُ بْنُ حِزَامٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ: «سَأَلْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ فَأَعْطَانِي، ثُمَّ سَأَلْتُهُ فَأَعْطَانِي، ثُمَّ سَـأَلْتُهُ فَأَعْطَانِي، ثُمَّ قَالَ: «**يَا حَكِيمُ إِنَّ هَذَا الْمَالَ خَضِرَةٌ حُلْوَةٌ، فَمَنْ أَخَذَهُ بِسَخَاوَةِ نَفْسٍ بُورِكَ لَهُ فِيهِ، وَمَنْ أَخَذَهُ بِإِشْرَافِ نَفْسٍ لَمْ يُبَارَكْ لَهُ فِيهِ، كَالَّذِي يَأْكُلُ وَلَا يَشْبَعُ، الْيَدُ الْعُلْيَا خَيْرٌ مِنَ الْيَدِ السُّفْلَى**».

قَالَ حَكِيمٌ: فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ، وَالَّذِي بَعَثَكَ بِالْحَقِّ لَا أَرْزَأُ أَحَدًا[2] بَعْدَكَ شَيْئًا حَتَّى أُفَارِقَ الدُّنْيَا.

فَـكَانَ أَبُـو بَكْـرٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ يَدْعُو حَكِيمًا إِلَـى الْعَطَاءِ فَيَأْبَـى أَنْ يَقْبَلَهُ مِنْـهُ، ثُمَّ إِنَّ عُمَرَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ دَعَاهُ لِيُعْطِيَهُ فَأَبَى أَنْ يَقْبَلَ مِنْهُ شَـيْئًا، فَقَالَ عُمَرُ: إِنِّي أُشْـهِدُكُمْ يَا مَعْشَـرَ الْمُسْـلِمِينَ عَلَى حَكِيمٍ، أَنِّي أَعْرِضُ عَلَيْهِ حَقَّهُ مِنْ هَذَا الْفَيْءِ فَيَأْبَى أَنْ يَأْخُذَهُ، فَلَمْ يَرْزَأْ حَكِيمٌ أَحَدًا مِنَ النَّاسِ بَعْدَ رَسُولِ اللهِ ﷺ حَتَّى تُوُفِّيَ»[3].

ذَكَـرْتُـكُـمُ لَـيْـلاً فَـنَـوَّرَ ذِكْرُكُـم ... دُجَى اللَّيْلِ، حَتَّى انْجَـابَ عَنْهُ دَيَاجِرُهْ
فَـوَاللهِ، مَـا أَدْرِي أَضَـوْءٌ مُـسَجَّرٌ ... لِـذِكْرَاكُـمْ، أَمْ يَـسْجُرُ اللَّيْـلَ سَـاجِرُهُ؟![4]

---

(١) رَوَاهُ البُخَارِيُّ (١٤٠٨)، ومُسْلِمٌ (١٥٠).

(٢) لاَ أَرْزَأُ: لَا أَنْقُصُ مَالَ أَحَدٍ.

(٣) رَوَاهُ البُخَارِيُّ (١٤٧٢)، ومُسْلِمٌ (١٠٣٥).

(٤) «دِيْوَانُ المَعَانِي» (٣٥٣).

قَالَ أُسْتَاذُنَا عَبْدُ الكَرِيْمِ العِمَادُ -حَفِظَهُ اللهُ-:

يَا سَيِّدِي، أَدَّبْتَهُمْ فَتَأَدَّبُوا ... أَدَبَ الكِرَامِ، فَأَثْمَرَ التَّأْدِيْبُ

فَرَأَيْتَهُمْ شُمَّ الأُنُوفِ أَكَارِمًا ... عَافُوا العَطَايَا، وَالزَّمَانُ خَصِيْبُ

يَطْوُونَ طَاوِيَةَ الكُشُوحِ تَعَفُّفًا ... وَتَقَرُّبًا لِلهِ، وَهُوَ قَرِيْبُ

عَرَفُوا حَقِيْقَةَ هَذِهِ الدُّنْيَا، فَلَمْ ... تَخْدَعْهُمُ، وَشِرَاكُهَا مَنْصُوبُ

(١) «دِيْوَانُ ابْنُ مَعْتُوقٍ» (١٣) والغَوْرُ: كُلُّ مَا انْحَدَرَ مُغَرِّبًا عَنْ تُهَامَةَ، وَالأَكَم: جَمْعُ أَكَمَّةٍ -بِفَتْحَتَيْنِ- وَهِي المَوْضِعُ يَكُونُ أَشَدُّ ارْتِفَاعًا مِمَّا حَوْلَهُ.

قُدُومُ وَفْدِ هَوَازِنَ

إِنَّ السُّيُوفَ غُدُوُّهَا وَرَوَاحُهَا ... تَرَكَتْ هَوَازِنَ مِثْلَ قَرْنِ الأَعْضَبِ(١)

بَعْدَ قِسْمَةِ الغَنَائِمِ، قَدِمَ وَفْدُ هَوَازِنَ يُعْلِنُ إِسْلَامَهُ، وَيَطْلُبُ مِنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ رَدَّ الأَمْوَالِ وَالسَّبْيِ عَلَيْهِمْ، فَخَيَّرَهُمْ رَسُولُ اللهِ ﷺ بَيْنَ السَّبْيِ والمَالِ، فَاخْتَارُوا السَّبْيِ.

فَعَنْ مَرْوَانُ بْنِ الحَكَمِ، وَالْمِسْوَرَ بْنَ مَخْرَمَةَ: أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَامَ حِينَ جَاءَ وَفْدُ هَوَازِنَ مُسْلِمِينَ، فَسَأَلُوهُ أَنْ يَرُدَّ إِلَيْهِمْ أَمْوَالَهُمْ وَسَبْيَهُمْ، فَقَالَ لَهُمْ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**مَعِي مَنْ تَرَوْنَ، وَأَحَبُّ الْحَدِيثِ إِلَيَّ أَصْدَقُهُ، فَاخْتَارُوا إِحْدَى الطَّائِفَتَيْنِ: إِمَّا السَّبْيَ، وَإِمَّا الْمَالَ، وَقَدْ كُنْتُ اسْتَأْنَيْتُ بِكُمْ**».

وَكَانَ أَنْظَرَهُمْ رَسُولُ اللهِ - ﷺ بِضْعَ عَشْرَةَ لَيْلَةً حِينَ قَفَلَ مِنَ الطَّائِفِ، فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ غَيْرُ رَادٍّ لَهُمْ إِلَّا إِحْدَى الطَّائِفَتَيْنِ قَالُوا: فَإِنَّا نَخْتَارُ سَبْيَنَا.

فَقَامَ رَسُولُ اللهِ ﷺ فِي الْمُسْلِمِينَ فَأَثْنَى عَلَى اللهِ بِمَا هُوَ أَهْلُهُ، ثُمَّ قَالَ: «**أَمَّا بَعْدُ فَإِنَّ إِخْوَانَكُمْ قَدْ جَاءُونَا تَائِبِينَ، وَإِنِّي قَدْ رَأَيْتُ أَنْ أَرُدَّ إِلَيْهِمْ سَبْيَهُمْ، فَمَنْ أَحَبَّ أَنْ يُطَيِّبَ ذَلِكَ فَلْيَفْعَلْ، وَمَنْ أَحَبَّ مِنْكُمْ أَنْ يَكُونَ عَلَى حَظِّهِ حَتَّى نُعْطِيَهُ إِيَّاهُ مِنْ أَوَّلِ مَا يُفِيءُ اللهُ عَلَيْنَا فَلْيَفْعَلْ**».

فَقَالَ النَّاسُ: قَدْ طَيَّبْنَا ذَلِكَ يَا رَسُولَ اللهِ.

---

(١) «دَوَاوِيْنُ الشِّعْرِ العَرَبِيِّ» (١٥/ ٨٧). الأَعْضَبِ: المَكْسُور، القَرْنِ: الدَّاخِلِ.

فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**إِنَّا لَا نَدْرِي مَنْ أَذِنَ مِنْكُمْ فِي ذَلِكَ مِمَّنْ لَمْ يَأْذَنْ، فَارْجِعُوا حَتَّىٰ يَرْفَعَ إِلَيْنَا عُرَفَاؤُكُمْ أَمْرَكُمْ**» فَرَجَعَ النَّاسُ فَكَلَّمَهُمْ عُرَفَاؤُهُمْ، ثُمَّ رَجَعُوا إِلَىٰ رَسُولِ اللهِ ﷺ فَأَخْبَرُوهُ أَنَّهُمْ قَدْ طَيَّبُوا وَأَذِنُوا»[1].

إِذَا كَانَ هَذَا الجِيْلُ أَتْبَاعَ نَهْجِهِ ... وَقَدْ حَكَمُوا السَّادَاتِ فِي البَدْوِ وَالحَضَرْ

فَقُلْ: كَيْفَ كَانَ المُصْطَفَىٰ وَهُوَ رَمْزُهُمْ ... مَعَ نُورِهِ لاَ تُذْكَرُ الشَّمْسُ وَالقَمَرْ؟!

---

(١) رَوَاهُ البُخَارِيُّ (٤٣١٩).

فَتْحُ الطَّائف

كُــلُّ يَـوْمٍ فَـتْـحٌ مُـبِيْـنٌ وَنَصْـرٌ   وَاعْـتِـلاَءٌ عَـلَـىٰ الأَعَـادِي وَقَـهْـرُ[1]

كَانَتْ شَفَقَةُ النَّبِيِّ ﷺ عَلَىٰ أَصْحَابِهِ، وَحَدَبُهُ عَلَيْهِمْ حِيَالَ حُصُونِ الطَّائِفِ المَنِيْعَةِ، جَعَلَتْهُ يَأْذَنُ لَهُمْ بِالْقُفُولِ؛ لِأَنَّهُ كَانَ يَرْجُو مِنَ اللهِ أَنْ يَهْدِي أَهْلَ الطَّائِفِ، فَقَالَ لِأَصْحَابِهِ: «**إِنَّا قَافِلُونَ غَدًا إِنْ شَاءَ اللهُ**»[2].

وَمَا هِيَ إِلَّا أَيَّامٌ قَلاَئِلُ حَتَّىٰ جَاءَ وَفْدُ الطَّائِفِ دُونَ قِتَالٍ، يَتَقَدَّمُهُمْ مَلِكُهُمْ مَالِكُ بْنُ عَوْفٍ النَّصْرِيُّ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، وَالَّذِي أَسْلَمَ، وَحَسُنَ إِسْلاَمُهُ، وَاسْتَعْمَلَهُ النَّبِيُّ ﷺ عَلَىٰ مَنْ أَسْلَمَ مِنْ قَوْمِهِ[3].

فَـتَـحَـتْ مَـبَادِئُـه الحُصُـونَ أَمَامَـهُ   قَـبْـلَ الـصَّـوَارِمِ وَالْقَنَـا[4] الرَّعَّـافِ

غَـزَتِ القُـلُـوبَ بِسِـحْرِهَا فَكَأَنَّهَـا   قَـدْ لاَمَسَـتْ مِنْهُـنَّ كُلَّ شِغَافِ[5]

أَيْـنَ الَّـذي يَغْـزو القُلُوبَ مِـنَ الَّذي   يَغْـزو الرِّقَـابَ بِحِـدَّةِ الأَسْيَافِ؟![6]

---

(١) «دِيْوَانُ أُسَامَةَ بْنِ مُنْقِذٍ» (٣٧٤).

(٢) تَقَدَّمَ تَخْرِيْجُهُ.

(٣) انْظُرْ: «الفُصُولُ فِي سِيْرَةِ الرَّسُولِ» لِابْنِ كَثِيْرٍ (٢٤١).

(٤) القَنَا: جَمْعُ قَنَاةٍ، وَهِيَ الرُّمْحُ.

(٥) الشَّغَاف -بِالفَتْحِ-: غِلافُ القَلْبِ، أَوْ حِجَابُهُ، أَوْ سُوَيْدَاؤُهُ.

(٦) «مُخْتَارَاتٌ مِنْ أَجْمَلِ الشِّعْرِ» (٤٣).

مَوْعِظَةُ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لِلأَنْصَارِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ

وَإِنَّكَ لَنْ تَلْقَىٰ مِنَ النَّاسِ مَعْشَرًا ... أَعَزَّ مِنَ الأَنْصَارِ عِزًّا وَأَفْضَلا(١)

تَأَثَّرَ بَعْضُ الأَنْصَارِ فِي بِدَايَةِ الأَمْرِ لِعَدَمِ شُمُولِهِمْ بِالأُعْطِيَّاتِ.

فَعَنْ أَنَسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: إِنَّ نَاسًا مِنْ الْأَنْصَارِ قَالُوا يَوْمَ حُنَيْنٍ حِينَ أَفَاءَ اللهُ عَلَىٰ رَسُولِهِ مِنْ أَمْوَالِ هَوَازِنَ مَا أَفَاءَ: فَطَفِقَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يُعْطِي رِجَالًا مِنْ قُرَيْشٍ الْمِائَةَ مِنَ الْإِبِلِ، فَقَالُوا: يَغْفِرُ اللهُ لِرَسُولِ اللهِ؛ يُعْطِي قُرَيْشًا، وَيَتْرُكُنَا وَسُيُوفُنَا تَقْطُرُ مِنْ دِمَائِهِمْ».

وَالَّذِي نُقِلَ عَنِ الأَنْصَارِ إِنَّمَا هُوَ عَنْ بَعْضِ شَبَابِهِمْ، لاَ عَنْ شُيُوخِهِمْ وَكُهُولِهِمْ، كَمَا قَالَ أَنَسٌ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، فَقَالَ لَهُ فُقَهَاءُ الْأَنْصَارِ: أَمَّا ذَوُو رَأْيِنَا يَا رَسُولَ اللهِ، فَلَمْ يَقُولُوا شَيْئًا، وَأَمَّا أُنَاسٌ مِنَّا حَدِيثَةٌ أَسْنَانُهُمْ فَقَالُوا: يَغْفِرُ اللهُ لِرَسُولِ اللهِ، يُعْطِي قُرَيْشًا، وَيَتْرُكُنَا وَسُيُوفُنَا تَقْطُرُ مِنْ دِمَائِهِمْ(٢).

وَمَعَ ذَلِكَ جَمَعَهُمْ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ شَبَابًا وَكُهُولاً وَشُيُوخًا، وَوَعَظَهُمْ مُوْعِظَةً بَلِيْغَةً، اشْتَمَلَتْ عَلَىٰ مَنَاقِبَ عَظِيْمَةٍ لَهُمْ، وَجَلَتْ لَهَا الْقُلُوبُ، وَذَرَفَتْ مِنْهَا الدُّمُوعُ.

---

(١) «دِيْوَانُ حَسَّانَ بْنِ ثَابِتٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ» (١٩٥).

(٢) رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ (٤٣٣١)، ومُسْلِمٌ (١٠٥٩).

فَعَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ، وَعَبْدِ اللهِ بْنِ زَيْدٍ، وَأَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُم قَالُوا: لَمَّا أَعْطَىٰ رَسُولُ اللهِ ﷺ مَا أَعْطَىٰ مِنْ تِلْكَ الْعَطَايَا، فِي قُرَيْشٍ وَفِي قَبَائِلِ الْعَرَبِ، وَلَمْ يَكُنْ فِي الْأَنْصَارِ مِنْهَا شَيْءٌ، وَجَدَ هَذَا الْحَيُّ مِنَ الْأَنْصَارِ فِي أَنْفُسِهِمْ؟، حَتَّىٰ كَثُرَتْ مِنْهُمُ الْقَالَةُ -أَيِ: الكَلَامُ الرَّدِيءُ- حَتَّىٰ قَالَ قَائِلُهُمْ: لَقَدْ لَقِيَ وَاللَّهِ رَسُولُ اللهِ قَوْمَهُ، فَدَخَلَ عَلَيْهِ سَعْدُ بْنُ عُبَادَةَ، فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللهِ، إِنَّ هَذَا الْحَيَّ مِنَ الْأَنْصَارِ قَدْ وَجَدُوا عَلَيْكَ فِي أَنْفُسِهِمْ، لِمَا صَنَعْتَ فِي هَذَا الْفَيْءِ الَّذِي أَصَبْتَ، قَسَمْتَ فِي قَوْمِكَ، وَأَعْطَيْتَ عَطَايَا عِظَامًا فِي قَبَائِلِ الْعَرَبِ، وَلَمْ يَكُ فِي هَذَا الْحَيِّ مِنَ الْأَنْصَارِ مِنْهَا شَيْءٌ.

قَالَ: «**فَأَيْنَ أَنْتَ مِنْ ذَلِكَ يَا سَعْدُ؟**».

قَالَ: يَا رَسُولَ اللهِ، مَا أَنَا إِلَّا امْرُؤٌ مِنْ قَوْمِي؟، قَالَ: «**فَاجْمَعْ لِي قَوْمَكَ فِي هَذِهِ الْحَظِيرَةِ**».

قَالَ: فَخَرَجَ سَعْدٌ، فَجَمَعَ النَّاسَ فِي تِلْكَ الْحَظِيرَةِ، قَالَ: فَجَاءَ رِجَالٌ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ فَتَرَكَهُمْ، فَدَخَلُوا، وَجَاءَ آخَرُونَ فَرَدَّهُمْ.

فَلَمَّا اجْتَمَعُوا أَتَاهُ سَعْدٌ، فَقَالَ: قَدْ اجْتَمَعَ لَكَ هَذَا الْحَيُّ مِنَ الْأَنْصَارِ، قَالَ: فَأَتَاهُمْ رَسُولُ اللهِ ﷺ، فَحَمِدَ اللهَ، وَأَثْنَىٰ عَلَيْهِ بِالَّذِي هُوَ لَهُ أَهْلٌ، ثُمَّ قَالَ:

«**يَا مَعْشَرَ الْأَنْصَارِ، مَا قَالَةٌ بَلَغَتْنِي عَنْكُمْ** -أَيْ كَلَامٌ- **وَجِدَةٌ وَجَدْتُمُوهَا فِي أَنْفُسِكُمْ** -أَيْ: سَخَطٌ وَغَضَبٌ-، **أَلَمْ آتِكُمْ ضُلَّالًا فَهَدَاكُمُ اللهُ؟، وَعَالَةً فَأَغْنَاكُمُ اللهُ؟، وَأَعْدَاءً فَأَلَّفَ اللهُ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ؟**».

قَالُوا: بَلَىٰ، اللهُ وَرَسُولُهُ أَمَنُّ وَأَفْضَلُ.

قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**أَلَا تُجِيبُونَنِي يَا مَعْشَرَ الْأَنْصَارِ**»، قَالُوا: وَبِمَاذَا نُجِيبُكَ

يَا رَسُولَ اللهِ، وَلِلَّهِ وَلِرَسُولِهِ الْمَنُّ وَالْفَضْلُ.

قَالَ رسـولُ اللهِ ﷺ: «**أَمَا وَاللهِ لَوْ شِئْتُمْ لَقُلْتُمْ فَلَصَدَقْتُمْ وَلَصُدِّقْتُمْ، أَتَيْتَنَا مُكَذَّبًا فَصَدَّقْنَاكَ، وَمَخْذُولًا فَنَصَرْنَاكَ، وَطَرِيدًا فَآوَيْنَاكَ،وَعَائِلًا فَأَغْنَيْنَاكَ، أَوَجَدْتُمْ فِي أَنْفُسِكُمْ يَا مَعْشَرَ الْأَنْصَارِ فِي لُعَاعَةٍ مِنَ الدُّنْيَا - أَيْ: الشَّيْءِ التَّافِهِ الحَقِيْرِ-، تَأَلَّفْتُ بِهَا قَوْمًا لِيُسْلِمُوا، وَوَكَلْتُكُمْ إِلَىٰ إِسْلَامِكُمْ؟!.**

أَلَا تَرْضَوْنَ يَا مَعْشَرَ الْأَنْصَارِ أَنْ يَذْهَبَ النَّاسُ بِالشَّاةِ وَالْبَعِيرِ، وَتَرْجِعُونَ بِرَسُولِ اللهِ ﷺ فِي رِحَالِكُمْ؟!! فَوَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ، لَوْلَا الْهِجْرَةُ لَكُنْتُ امْرَأً مِنَ الْأَنْصَارِ، وَلَوْ سَلَكَ النَّاسُ شِعْبًا، وَسَلَكَتْ الْأَنْصَارُ شِعْبًا، لَسَلَكْتُ شِعْبَ الْأَنْصَارِ، اللهُمَّ ارْحَمْ الْأَنْصَارَ، وَأَبْنَاءَ الْأَنْصَارِ، وَأَبْنَاءَ أَبْنَاءِ الْأَنْصَارِ!».

قَالَ: فَبَكَىٰ الْقَوْمُ حَتَّىٰ أَخْضَلُوا لِحَاهُمْ[1]، وَقَالُوا: رَضِينَا بِرَسُولِ اللهِ قِسْمًا وَحَظًّا[2].

قَالَ الشَّاعِرُ فِي مَدْحِ الْأَنْصَارِ:

وآزَرَهُ أَبْنَاءُ قِيْلَةَ [3] فَابْتَنَوا — مِنَ المَجْدِ بُنْيَانًا أَغَرَّ مُشَهَّرَا
وَسَمَّاهُمُ الرَّحْمَنُ أَنْصَارَ دِيْنِهِ — وَكَانَ عَطَاءُ اللهِ أَعْلَىٰ وَأَكْبَرَا

وَمَنْ يَتَأَمَّلْ خُطْبَةَ النَّبِيِّ ﷺ فِي الأَنْصَارِ، يَسْتَحْضِرُ قَوْلَهُ ﷺ: «**أُعْطِيت**

(١) أَخْضَلُوا لِحَاهُمْ أَيْ: أَبَلُّوهَا بِالدُّمُوعِ.

(٢) رَوَاهُ البُخَارِيُّ (٤٣٩٠) عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ زَيْدٍ، و(٤٣٣١)، و(٤٣٣٧)، عَنْ أَنَسٍ، ومُسْلِمٌ (١٠٥٩) عَنْ أَنَسٍ، و(١٠٦١) عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ زَيْدٍ، وَأَحْمَدُ (٣/ ٧٦-٧٧-٨٩) عَنْ أَبِي سَعِيْدٍ.

(٣) أَبْنَاءُ قِيْلَةَ: هُمُ الأَوْسُ وَالخَزْرَجُ، وَهُمُ الأَنْصَار.

جَوَامِعَ الْكَلِمِ»(١).

فَقَدِ اشْتَمَلَتْ عَلَىٰ أُمورٍ كَثِيْرَةٍ، فَمِنْهَا:

١- تَخْصِيْصُ خِطَابِ الأَسْئِلَةِ. ٢- التَّفْرِيْغُ النَّفْسِيُّ.

٣- الإِقْنَاعُ. ٤- الإِيْجَازُ.

٥- تَحْدِيْدُ العَنَاصِرِ. ٦- تَجَسُّدُ المَعَانِي(٢).

قَالَ الشَّاعِرُ وَأَحْسَنَ:

مَــا بَنَــىٰ جُمْلَــةً مِنَ اللَّفْظِ إِلا ... وَابْتَنَــىٰ اللَّفْــظُ أُمَّــةً مِــنْ عَـفَاءِ
مَــنْطِــقٌ يَـمْــلَأُ الـقُلُـوبَ جَـلاَلاً ... فِــي حُـبُــورٍ وَبَـهْـجَــةٍ وَصَــفَــاءِ

وقَالَ أَحْمَدُ شَوْقِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ:

يَــا أَفْـصَـحَ النَّاطِقِيْـنَ الضَّـادَ قَاطِبَـةً ... حَدِيْثُـكَ الشَّـهَدُ عِنْـدَ الذَّائِـقِ الفَهِـمِ
حُـلِّـيْتَ مِـنْ عَطَـلٍ جِيـدَ الْبَيَـانِ بِـهِ ... فِــي كُــلِّ مُنْتَثِرٍ فِي حُسنِ مُنْتَظِـمِ
بِـكُــلِّ قَــوْلٍ كَـرِيْـمٍ أَنْــتَ قَـائِلُـهُ ... تُحْيِي الْقُلوبَ وَتُحْيِـي مَيِّتَ الْهِمَمِ(٣)

---

(١) رَوَاهُ مُسْلِمٌ (٥٢٣).

(٢) انْظُرْ - غَيْرُ مَأْمُورٍ - كِتَابِي «تَسْهِيْلُ البَلاغَةِ» فِي حُلَّتِهِ القَشِيبَةِ.

(٣) «مَوْسُوعَةُ الشِّعْرِ الإِسْلاَمِي» (٥/ ٥٦٠).

غَزْوَةُ تَبُوك

مَضَىٰ عَلَىٰ الحَقِّ، لَمْ تَعْصِفْ بِهِمَّتِهِ ... رِيْحُ الضَّلَالِ، وَلَمْ يَحْفَلْ بِتَهْوِيْلِ (١)

١ ـ مَوْقِعُهَا:

تَقَعُ شَمَالَ الحِجَازِ، تَبْعُدُ عَنِ المَدِيْنَةِ ثَمَانِيَةً وَسَبْعِيْنَ وَثَمَانِمَائَةِ كَيْلٍ، حَسَبَ الطُّرُقِ المُعَبَّدَةِ فِي الوَقْتِ الحَاضِرِ، وَكَانَتْ مِنْ دِيَارِ قُضَاعَةَ الخَاضِعَةِ لِسُلْطَانِ الرُّومِ آنَذَاكَ.

٢ ـ سَبَبُ الغَزْوَةِ:

لَمَّا أَنْزَلَ اللهُ ﷻ عَلَىٰ رَسُولِهِ ﷺ: ﴿قَٰتِلُواْ ٱلَّذِينَ لَا يُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَلَا بِٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِ وَلَا يُحَرِّمُونَ مَا حَرَّمَ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَلَا يَدِينُونَ دِينَ ٱلۡحَقِّ مِنَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡكِتَٰبَ حَتَّىٰ يُعۡطُواْ ٱلۡجِزۡيَةَ عَن يَدٖ وَهُمۡ صَٰغِرُونَ ۝٢٩﴾ [التَّوْبَةُ: ٢٩].

نَدَبَ رَسُولُ اللهِ ﷺ أَهْلَ المَدِيْنَةِ، وَمَنْ حَوْلَهُمْ مِنَ الأَعْرَابِ، وَأَعْلَمَهُمْ بِغَزْوِ الرُّومِ، وَذَلِكَ فِي رَجَبٍ سَنَةَ تِسْعٍ»(٢).

٣ ـ التَّوَجُّهُ لِتَبُوكَ كَانَ مُعْلَنًا:

فِـي طَاعَـةِ اللـهِ مَمْسَاهُ وَمَصْبَحُـهُ ... وَمِـنْـهُ لِلْخَيْـرِ إِعْـلَانٌ وَإِسْـرَارُ(٣)

---

(١) «دِيْوَانُ أَحْمَد مُحَرَّم» (٤٣٥).

(٢) «الفُصُولُ» (٢٤٢-٢٤٣).

(٣) «دِيْوَانُ إِبْرَاهِيْمَ اليَازِجِيِّ» (٧٣).

أَخْبَرَ النَّبِيُّ ﷺ عَنْ وُجْهَةِ الجَيْشِ، بَعْدَ أَنْ ظَلَّ يَعْتَمِدُ عَلَىٰ عُنْصُرِ المُفَاجَأَةِ فِي غَالِبِ غَزَوَاتِهِ؛ لِأَنَّ العَدَدَ كَثِيرٌ، وَالمَسَافَةَ بَعِيدَةٌ، والحَرُّ شَدِيْدٌ، فَلاَ بُدَّ مِنَ الاسْتِعْدَادِ والتَّزَوُّدِ(١).

فَعَنْ كَعْبِ بْنَ مَالِكٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ: كَانَ رَسُولُ اللهِ ﷺ قَلَّمَا يُرِيدُ غَزْوَةً يَغْزُوهَا إِلَّا وَرَّىٰ بِغَيْرِهَا، حَتَّىٰ كَانَتْ غَزْوَةُ تَبُوكَ، فَغَزَاهَا رَسُولُ اللهِ ﷺ فِي حَرٍّ شَدِيدٍ، اسْتَقْبَلَ سَفَرًا بَعِيدًا وَمَفَازًا -أَيْ الصَّحَرَاءَ الَّتِي لاَ مَاءَ فِيهَا-، وَاسْتَقْبَلَ عَدُوًّا كَثِيرًا، فَجَلَّىٰ(٢) لِلْمُسْلِمِينَ أَمَرَهُمْ، لِيَتَأَهَّبُوا أُهْبَةَ عَدُوِّهِمْ، فَأَخْبَرَهُمْ بِوَجْهِهِ الَّذِي يُرِيدُ، وَالْمُسْلِمُونَ مَعَ رَسُولِ اللهِ ﷺ كَثِيرٌ وَلَا يَجْمَعُهُمْ كِتَابٌ حَافِظٌ(٣)»(٤).

٤ـ تَسْمِيَةُ غَزْوَةِ تَبُوكَ بِغَزْوَةِ العُسْرَةِ:

شُكْرًا وَأَجْرًا لِمَا أُوْلَيْتَ مِنْ نِعَمٍ ... فِي عُسْرَةٍ أَظْلَمَتْ فِيْهَا مَطَالِعُنَا(٥)

سُمِّيَتْ غَزْوَةُ تَبُوكَ بِغَزْوَةِ العُسْرَةِ، لِمَا لَقِيَهُ المُسْلِمُونَ مِنْ عُسْرَةٍ وَجَهْدٍ، وَعَطَشٍ وَبَلاَءٍ، وَحَرٍّ شَدِيْدٍ، وَمَسَافَةٍ بَعِيْدَةٍ.

قَالَ اللهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ: ﴿لَّقَد تَّابَ ٱللَّهُ عَلَى ٱلنَّبِيِّ وَٱلْمُهَـٰجِرِينَ وَٱلْأَنصَارِ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُ فِى سَاعَةِ ٱلْعُسْرَةِ﴾ [التَّوْبَةُ: ١١٧].

---

(١) انْظُرْ «صَحِيحِ السِّيْرَةِ» العَلِيِّ (٥٨٤).

(٢) فَجَلَّىٰ أَيْ: أَوْضَحَ وَكَشَفَ لَهُمْ الأَمْرَ.

(٣) وَلاَ يَجْمَعُهُمْ كِتَابٌ حَافِظٌ أَيْ: لَمْ تُقَيَّدْ أَسْمَاؤُهُمْ فِي سِجِلٍّ؛ حَتَّىٰ يُعْرَفَ الحَاضِرُ مِنَ الغَائِبِ.

(٤) رَوَاهُ البُخَارِيُّ (٢٩٤٨)، ومُسْلِمٌ (٢٧٦٩).

(٥) «دِيْوَانُ ابْنُ نَبَاتَةَ المَصْرِيِّ» (٢١٥٢).

٥ـ النَّفَقَةُ عَلَى الجِهَادِ(١):

وَجَهَّزَ جَيْشًا سَارَ فِي وَقْتِ عُسْرَةٍ ... تَعَذَّرَ مِنْ قُوتٍ بِهِ الصَّاعُ والمَدُّ (١)

حَثَّ النَّبِيُّ ﷺ عَلَى النَّفَقَةِ، وَوَعَدَ المُنْفِقِيْنَ بِعَظِيْمِ الأَجْرِ مِنَ اللهِ ﷻ، فَسَارَعَ أَغْنِيَاءُ الصَّحَابَةِ وَفُقَرَاؤُهُمْ إِلَىٰ تَقْدِيْمِ الأَمْوَالِ، وَكَانَ عُثْمَانُ بْنُ عَفَّانَ رضي الله عنه مِنْ أَكْثَرِ المُنْفِقِيْنَ عَلَىٰ جَيْشِ تَبُوكَ.

قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**مَنْ جَهَّزَ جَيْشَ الْعُسْرَةِ فَلَهُ الْجَنَّةُ**»، فَجَهَّزَهَا عُثْمَانُ(٢).

وَجَاءَ أَبُو خَيْثَمَةَ الأَنْصَارِيُّ بِصَاعِ التَّمْرِ فَلَمَزَهُ الْمُنَافِقُونَ.

فَعَنْ كَعْبِ بنِ مَالِكٍ رضي الله عنه قَالَ: «فَبَيْنَا هُوَ عَلَىٰ ذَلِكَ أَيْ: رَسُولُ اللهِ ﷺ رَأَىٰ رَجُلاً مُبَيِّضًا(٣) يَزُولُ بِهِ السَّرَابُ(٤)، فقالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**كُنْ أَبَا خَيْثَمَةَ**»، فَإِذا هوَ أَبُو خَيْثَمَةَ الأَنْصاريُّ وَهُوَ الَّذي تَصَدَّقَ بِصَاعِ التَّمْرِ حِيْنَ لَمَزَهُ المُنَافِقُونَ(٥)»(٦).

وَقَدْ أَنْزَلَ اللهُ ﷻ: ﴿ٱلَّذِينَ يَلْمِزُونَ ٱلْمُطَّوِّعِينَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ فِى ٱلصَّدَقَٰتِ وَٱلَّذِينَ لَا يَجِدُونَ إِلَّا جُهْدَهُمْ فَيَسْخَرُونَ مِنْهُمْ ۙ سَخِرَ ٱللَّهُ مِنْهُمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٧٩﴾﴾ [التَّوْبَةُ: ٧٩].

---

(١) «دَوَاوِيْنُ الشِّعْرِ العَرَبِيِّ» (٩/ ٣).

(٢) رَوَاهُ البُخَارِيُّ فِي كِتَابِ «الفَضَائِلُ» (٦١/ ٧)، وَهُوَ فِي البُخَارِيِّ (٢٧٧٨) عَنْ عُثْمَانَ بْنُ عَفَّانَ رضي الله عنه.

(٣) مُبَيِّضًا أَيْ: لَابِسًا البَيَاضَ.

(٤) يَزُولُ بِهِ السَّرَابُ أَيْ: يَتَحَرَّكُ وَيَنْهَضُ، وَالسَّرَابُ: هُوَ مَا يَظْهَرُ لِلإِنْسَانِ فِي الهَوَاجِرِ فِي البَرَارِي كَأَنَّهُ مَاءٌ.

(٥) لَمَزَهُ المُنَافِقُونَ أَيْ: عَابُوهُ واحْتَقَرُوهُ.

(٦) رَوَاهُ مُسْلِمٌ (٢٧٦٩).

يَشُوقُكَ مِنْهُمْ كُلُّ حِلْمٍ وَنَجْدَةٍ ... تَجَلَّتْ بِكُلٍّ مِنْهُمَا الشِّيْبُ وَالمُرْدُ (١)

بِهَالَيْلُ (٢) أَمَّا بَذْلُهُمْ فِي جِهَادِهِمْ ... فَأَنْفُسُهُمْ، والمَالُ، والنُّصْحُ، والحَمْدُ (٣)

٦ ـ عَدَدُ جَيْشِ المُسْلِمِيْنَ:

لَمْ يَغْزُ قَوْمًا، وَلَمْ يَنْهَضْ إِلَىٰ بَلَدٍ ... إِلَّا تَقَدَّمَهُ جَيْشٌ مِنَ الرُّعُبِ (٤)

نَهَضَ النَّبِيُّ ﷺ فِي أَكْبَرِ جَيْشٍ قَادَهُ فِي حَيَاتِهِ، إِذْ كَانُوا ثَلاَثِيْنَ أَلْفًا، وَهُوَ عَدَدٌ يَدُلُّ عَلَىٰ مَدَىٰ اسْتِجَابَةِ المُؤْمِنِيْنَ لِدَوَاعِي العَقِيْدَةِ فِي تِلْكَ الظُّرُوفِ القَاسِيَةِ مِنَ الحَرِّ الشَّدِيْدِ والعُسْرَةِ (٥).

فَغَالَبَهُمْ قَوْمٌ كَأَنَّ سِلَاحَهُمْ ... نُيُوبٌ وَأَظْفَارٌ لَهُمْ فَهُمُ أُسْدُ

ثِقَاتٌ مِنَ الإِسْلَامِ إِنْ يَعِدُوا يَفُوا ... وإِنْ يُسْأَلُوا يُهْدُوا وإِنْ يُقْصَدُوا يُجْدُوا (٦)

وَأَمَّا مَكَانُ الصِّدْقِ مِنْهُمْ فَإِنَّهُ ... مَقَالُهُمُ وَالطَّعْنُ والضَّرْبُ والوَعْدُ (٧)

٧ ـ اسْتِخْلَافُ عَلِيٍّ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ عَلَى النِّسَاءِ والذُّرِّيَّةِ:

جَعَلْتُكَ مِنِّي يَا عَلِيُّ بِمَنْزِلٍ ... كَهَارُونَ مِنْ مُوسَىٰ النَّجِيْبُ المُكَلِّمُ

---

(١) المُرْد: جَمْعُ أَمْرَدَ، وَهُوَ الَّذِي خَدَّاهُ أَمْلَسَانِ لَا شَعْرَ فِيْهَا.

(٢) البَهَالِيْلُ: السَّادَةُ، وَاحِدُهُمْ: بُهْلُولٌ.

(٣) «دَوَاوِيْنُ الشِّعْرِ العَرَبِيِّ» (٩/ ٣).

(٤) «دِيْوَانُ أَبِي تَمَّام» (٢٠).

(٥) انْظُرْ: «السِّيْرَةِ النَّبَوِيَّة الصَّحِيْحَة» لِلعُمْرِيِّ (٢/ ٥٠٧).

(٦) يُجْدُوا: يُعْطُوا.

(٧) «دَوَاوِيْنُ الشِّعْرِ العَرَبِيِّ» (٩/ ٣).

اسْتخْلَفُ النَّبِيُّ ﷺ عليّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ رضي الله عنه عَلَىٰ النِّسَاءِ والذُّرِّيَّةِ: فَآذَاهُ المُنَافِقُونَ، فَقَالُوا: تَرَكَهُ عَلَىٰ النِّسَاءِ وَالذُّرِّيَّةِ، فَلَحِقَ بِرَسُولِ اللهِ ﷺ فَشَكَا إِلَيْهِ ذَلِكَ، فَقَالَ لَهُ رَسُولُ اللهِ ﷺ، كَمَا رَوَىٰ ذَلِكَ عَنْهُ سَعْدُ بْنَ أَبِي وَقَّاصٍ رضي الله عنه قَالَ: «**يَا عَلِيُّ أَمَا تَرْضَىٰ أَنْ تَكُونَ مِنِّي بِمَنْزِلَةِ هَارُونَ مِنْ مُوسَىٰ؟، غَيْرَ أَنَّهُ لا نَبِيَّ بَعْدِي**»[1].

صِهْرَ النَّبِيِّ وَمَوْلاهُ وَنَاصِرَهُ ... أَضْحَتْ مَنَاقِبُهُ نُورًا وبُرْهانا
كَانَ مِنْهُ عَلَىٰ رَغْمِ الحَسُودِ لَهُ ... مَكَانَ هَارُونَ مِنْ مُوسَىٰ بْنِ عِمْرَانَا[2]

٨ـ عَدَدُ مَنْ تَخَلَّفَ عَنْ غَزْوَةِ تَبُوكَ:

سَيُقْبِلُ عَهْدٌ بِالمَسَرَّاتِ بَاسِمٌ ... وَيُدْبِرُ عَهْدٌ مِنْ نِفَاقٍ وَبُهْتَانِ[3]

تَخَلَّفَ عَنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ النِّسَاءُ، وَالذُّرِّيَةُ، وَمَنْ عَذَرَهُ اللهُ مِنَ الرِّجَالِ، مِمَّنْ لاَ يَجِدُ ظَهْرًا يَرْكَبُهُ، أَوْ نَفَقَةً تَكْفِيهِ، وَمِنْهُمُ العِرْبَاضُ بْنُ سَارِيَةَ رضي الله عنه.

فعَنْ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنُ عَمْرٍو السُّلَمِيُّ، وَحُجْرُ بْنُ حُجْرٍ، قَالَا: أَتَيْنَا الْعِرْبَاضَ بْنَ سَارِيَةَ رضي الله عنه وَهُوَ مِمَّنْ نَزَلَ فِيهِ: وَلَا عَلَىٰ الَّذِينَ إِذَا مَا أَتَوْكَ لِتَحْمِلَهُمْ قُلْتَ لَا أَجِدُ مَا أَحْمِلُكُمْ عَلَيْهِ ﴿وَلَا عَلَى ٱلَّذِينَ إِذَا مَآ أَتَوْكَ لِتَحْمِلَهُمْ قُلْتَ لَآ أَجِدُ مَآ أَحْمِلُكُمْ عَلَيْهِ تَوَلَّوا۟ وَّأَعْيُنُهُمْ تَفِيضُ مِنَ ٱلدَّمْعِ حَزَنًا أَلَّا يَجِدُوا۟ مَا يُنفِقُونَ ﴿٩٢﴾﴾ [التَّوْبَة:٩٣][4].

---

(١) رَوَاهُ البُخَارِيُّ (٤٤١٦)، ومُسْلِمٌ (٢٤٠٤).

(٢) «الحَمَاسَةُ المَغْرِبِيَّة» (٢/ ٧٩٥).

(٣) «دِيْوَانُ ابْنِ سَحْنُونَ» (٢٢٧).

(٤)(صَحِيْحٌ)أَخْرَجَهُ أَحْمَدُ(٤/ ١٢٦-١٢٧)، وَصَحَّحَهُ الأَلْبَانِيُّ رحمه الله فِي «الصَّحِيْحَةِ» (٩٣٧).

٩ ـ مُرُورُ المُسْلِمِيْنَ بِدِيَارِ الظَّالِمِيْنَ[١]:

فَمَنْ مُبْلِغُ الفِتْيَانِ: أَنِّي بَعْدَهُمْ مُقِيْمٌ بِدَارِ الظَّالِمِيْنَ وَحِيْدُ[٢]

سَارَ النَّبِيُّ ﷺ، فَمَرَّ فِي طَرِيْقِهِ الحِجْرِ، وَهِيَ مَدَائِنُ ثَمُودَ، المَعْرُوفَةُ اليَوْمَ بِاسمِ مَدَائِنِ صَالِحٍ، فَأَمَرَهُمْ أَلَّا يَدْخُلُوا عَلَيْهِمْ بُيُوتَهُمْ، إِلَّا أَنْ يَكُونُوا بَاكِيْنَ، وَأَلَّا يَشْرَبُوا إِلَّا مِنْ بِئْرِ النَّاقَةِ.

فَعَنِ ابْنَ عُمَرَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا قَالَ: مَرَرْنَا مَعَ رَسُولِ اللهِ ﷺ عَلَىٰ الْحِجْرِ، فَقَالَ لَنَا رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**لَا تَدْخُلُوا مَسَاكِنَ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ إِلَّا أَنْ تَكُونُوا بَاكِينَ، حَذَرًا أَنْ يُصِيبَكُمْ مِثْلُ مَا أَصَابَهُمْ**». ثُمَّ زَجَرَ فَأَسْرَعَ حَتَّىٰ خَلَّفَهَا[٢].

وَعَنْهُ قَالَ: «أَنَّ النَّاسَ نَزَلُوا مَعَ رَسُولِ اللهِ ﷺ عَلَىٰ الْحِجْرِ أَرْضِ ثَمُودَ، فَاسْتَقَوْا مِنْ آبَارِهَا وَعَجَنُوا بِهِ الْعَجِينَ، فَأَمَرَهُمْ رَسُولُ اللهِ ﷺ أَنْ يُهَرِيقُوا مَا اسْتَقَوْا وَيَعْلِفُوا الْإِبِلَ الْعَجِينَ، وَأَمَرَهُمْ أَنْ يَسْتَقُوا مِنَ الْبِئْرِ الَّتِي كَانَتْ تَرِدُهَا النَّاقَةُ»[٣].

وَفِي رِوَايَةٍ: «وَجَازَهَا مُقْنِعًا»[٤].

قَالَ النَّوَوِيُّ رَحِمَهُ اللهُ: «وَفِيهِ الْحَثُّ عَلَىٰ الْمُرَاقَبَةِ عِنْدَ الْمُرُورِ بِدِيَارِ الظَّالِمِينَ، وَمَوَاضِعِ الْعَذَابِ، وَمِثْلُهُ الْإِسْرَاعُ فِي وَادِي مُحَسِّرٍ؛ لِأَنَّ أَصْحَابَ الْفِيلِ هَلَكُوا هُنَاكَ، فَيَنْبَغِي لِلْمَارِّ فِي مِثْلِ هَذِهِ الْمَوَاضِعِ الْمُرَاقَبَةُ وَالْخَوْفُ وَالْبُكَاءُ، وَالِاعْتِبَارُ بِهِمْ وَبِمَصَارِعِهِمْ، وَأَنْ يَسْتَعِيذَ بِاللَّهِ مِنْ ذَلِكَ»[٥].

(١) «دَوَاوِيْنُ الشِّعْرِ العَرَبِيِّ» (٨٣/ ٤٠١).

(٢) رَوَاهُ البُخَارِيُّ (٣٣٨١)، ومُسْلِمٌ (٢٩٨٠).

(٣) رَوَاهُ البُخَارِيُّ (٣٣٧٩)، ومُسْلِمٌ (٢٩٨٠).

(٤) رَوَاهُ البُخَارِيُّ (٣٣٧٩).

(٥) «شَرْحُ النَّوَوِيِّ عَلَىٰ مُسْلِمٍ» (١٨/ ١١١-١١٢).

١٠ـ مَاذَا فَعَلَ النَّبِيُّ ﷺ عِنْدَمَا بَلَغَ تَبُوكَ؟:

حَـــرْبُـــهُ نَـــارٌ عَـلَـــىٰ أَعْـــدَائِـــهِ   فَـنَـجَـا مَـــنْ هُـوَ لِلْمُخْتَـارِ صُلْـحُ[1]

قَالَ ابْنُ كَثِيرٍ رَحِمَهُ اللهُ: ثُمَّ إِنَّ النَّبِيَّ ﷺ بَلَغَ تَبُوكَ ... وَلَمَّا انْتَهَىٰ إِلَىٰ هُنَاكَ، لَمْ يَلْقَ عَدُوًّا، وَرَأَىٰ أَنَّ دُخُولَهُمْ إِلَىٰ أَرْضِ الشَّامِ، هَذِهِ السَّنَةَ يَشُقُّ عَلَيْهِمْ؛ فَعَزَمَ عَلَىٰ الرُّجُوعِ، وَصَالَحَ ﷺ يُحَنَّةَ بْنَ رُؤْبَةَ صَاحِبَ أَيْلَةَ.

وَبَعَثَ خَالِدَ بْنَ الوَلِيْدِ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ إِلَىٰ أُكَيْدِرِ دَوْمَةَ الجَنْدَلِ[2]، فَجِيءَ بِهِ، فَصَالَحَهُ -أَيْضًا- وَرَدَّهُ.

ثُمَّ رَجَعَ النَّبِيُّ ﷺ، وَكَانَ رُجُوعُهُ مِنْ هَذِهِ الغَزْوَةِ فِي رَمَضَانَ سَنَةَ تِسْعٍ.

وَقَدْ أَنْزَلَ اللهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ: ﴿مَا كَانَ لِأَهْلِ ٱلْمَدِينَةِ وَمَنْ حَوْلَهُم مِّنَ ٱلْأَعْرَابِ أَن يَتَخَلَّفُوا۟ عَن رَّسُولِ ٱللَّهِ وَلَا يَرْغَبُوا۟ بِأَنفُسِهِمْ عَن نَّفْسِهِۦ ۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ لَا يُصِيبُهُمْ ظَمَأٌ وَلَا نَصَبٌ وَلَا مَخْمَصَةٌ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَلَا يَطَـُٔونَ مَوْطِئًا يَغِيظُ ٱلْكُفَّارَ وَلَا يَنَالُونَ مِنْ عَدُوٍّ نَّيْلًا إِلَّا كُتِبَ لَهُم بِهِۦ عَمَلٌ صَـٰلِحٌ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿١٢٠﴾ وَلَا يُنفِقُونَ نَفَقَةً صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً وَلَا يَقْطَعُونَ وَادِيًا إِلَّا كُتِبَ لَهُمْ لِيَجْزِيَهُمُ ٱللَّهُ أَحْسَنَ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١٢١﴾﴾ [التَّوْبَةُ: ١٢٠-١٢١][3].

١١ـ مَاذَا فَعَلَ النَّبِيُّ ﷺ حِيْنَ اقْتَرَبَ مِنَ المَدِيْنَةِ؟

إِذَا مَـــا ذَكَـرْنَـــا طِـيْـبَـةَ بَـعْـدَ بُرْهَـةٍ   مِـنَ الدَّهْـرِ عَاوَدْنَـاهُ، وَالعَـوْدُ أَحْمَـدُ[4]

---

(١) «دَوَاوِيْنُ الشِّعْرِ العَرَبِيِّ» (٩٠/ ١٤).

(٢) دَوْمَةَ الجَنْدَلِ: قَرْيَةٌ كَانَتْ بِشَمَالَيْ نَجْدٍ.

(٣) «الفُصُولُ» (٢٤٩).

(٤) «دَوَاوِيْنُ الشِّعْرِ العَرَبِيِّ» (٣١/ ٣٥٣).

لَمَّا اقْتَرَبَ النَّبِيُّ ﷺ مِنَ المَدِيْنَةِ، أَسْرَاعَ، وَقَالَ كَمَا فِي حَدِيْثِ أَبِي حُمَيْدٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: «**إِنِّي مُسْرِعٌ، فَمَنْ شَاءَ مِنْكُمْ فَلْيُسْرِعْ مَعِي، وَمَنْ شَاءَ فَلْيَمْكُثْ**»، فَخَرَجْنَا حَتَّىٰ أَشْرَفْنَا عَلَىٰ الْمَدِينَةِ، فقَالَ: «**هَذِهِ طَابَةُ وَهَذَا أُحُدٌ، وَهُوَ جَبَلٌ يُحِبُّنَا وَنُحِبُّهُ**»(١).

إِلَىٰ طَيْبَةَ الغَرَّا هُيَامٌ يَشُدُّنِي ... بِهَا مَسْجِدٌ لِلزَّائِرِيْنَ يُعَظَّمُ
بَنَاهُ رَسُولُ العَالَمِيْنَ مُحَمَّدٌ ... شَفِيْعُ الوَرَىٰ بَرٌّ يَجُودُ وَيَرْحَمُ

وَقَالَ آخَرُ:

وَحِيْنَ أَوْفَىٰ عَلَىٰ وَادِي تَبُوكَ سَعَىٰ ... إِلَيْهِ سَاكِنُهَا طَوْعًا بِلَا رَغَمِ
فَصَالَحُوهُ وَأَدَّوا جِزْيَةً وَرَضُوا ... بِحُكْمِهِ وَتَبِيْعُ الرُّشْدِ لَمْ يَهِمِ
أَلْفَىٰ بِهَا عَيْنَ مَاءٍ لا تَبِضُّ(٢) فَمُذْ ... دَعَا لَهَا انْفَجَرَت عَنْ سَائِغٍ(٣) سَنِمِ(٤)
وَراوَدَ الغَيْثَ فَانْهَلَّتْ بَوَادِرُهُ ... بَعْدَ الجُمُودِ بِمُنْهَلٍّ وَمُنْسَجِمِ(٥)
وَأَمَّ طَيْبَةَ مَسْرُوراً بِعَوْدَتِهِ ... يَطْوِي المَنَازِلَ بِالوَخَّادَةِ الرُّسُمِ(٦)

---

(١) رَوَاهُ البُخَارِيُّ (٢٧٤٢).
(٢) بَضَّ: يَبِضُّ بَضِيضًا أَيْ: سَالَ قَلِيْلًا قَلِيْلًا.
(٣) السَّائِغ: هُوَ الَّذِي يَسْهَلُ انْحِدَارُهُ.
(٤) السَّنِمُ: العَالِي عَلَىٰ وَجْهِ الأَرْضِ.
(٥) انْسَجَمَ المَاءُ فَهُوَ مُنْسَجِمٌ: إِذَا نَصَبَّ.
(٦) «مَوْسُوعَةُ الشِّعْرِ الإِسْلَامِي»(٧٦/ ٥٦٠).

١٣ ــ اسْتِقْبَالُ النَّاسِ لِرَسُولِ اللهِ ﷺ

وَيَشُوِّقُنِي مِنْ نَحْوِ طَيْبَةَ نَسْمَةٌ ... تُبْنَىٰ المَشُوقَ بِطَيِّبِ الأَطْبَابِ[١]

لَمَّا قَدِمَ رَسُولُ اللهِ ﷺ، خَرَجَ النَّاسُ لاسْتِقْبَالِهِ عِنْدَ ثَنِيَّةِ الوَدَاعِ.

فَعَنِ السَّائِبِ بْنِ يَزِيدَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ: «لَمَّا قَدِمَ رَسُولُ اللهِ ﷺ مِنْ تَبُوكَ خَرَجَ النَّاسُ يَتَلَقَّوْنَهُ إِلَىٰ ثَنِيَّةِ الْوَدَاعِ»[٢].

شَرُفَتْ بِكَ الأَرْضُ البَسِيْطَةُ بَعْدَمَا ... أَسْكِنْتَهَا، وَتَجَلَّتِ الأَقْطَارُ

فَالأَرْضُ حَيْثُ أَقَمْتَ فِيهَا جَنَّةٌ ... وَالأَرْضُ حَيْثُ رَحَلْتَ عَنْهَا نَارُ[٣]

---

(١) «دَوَاوِيْنُ الشِّعْرِ العَرَبِيِّ» (٨٣/ ٣٦٢).

(٢) رَوَاهُ البُخَارِيُّ (٣٠٨٢).

(٣) «الإِبَانَةُ عَنْ سَرِقَاتِ المُتَنَبِّي لَفْظًا وَمَعْنًى» (١٦٨).

قِصَّةُ الثَّلَاثَةِ الَّذِيْنَ خُلِّفُوا

إِنْ خَالَفُوا المَجْدَ، لَمْ يَعْدِلْ مُخَالِفَةً   أَوْ أَخْلَفُوا الوَعْدَ، لَمْ يُتْبِعْهُ إِخْلافَا [١]

تَخَلَّفَ عَنْ غَزْوَةِ تَبُوكَ ثَلاثَةٌ مِنْ خِيَارِ الصَّحَابَةِ، وَهُمْ:

١- مُرَارَةُ بْنُ الرَّبِيْعِ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ.

٢- كَعْبُ بْنُ مَالِكٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ.

٣- هِلالُ بْنُ أُمَيَّةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ [٢].

فَعَنْ كَعْبِ بْنِ مَالِكٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ: لَمْ أَتَخَلَّفْ عَنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ فِي غَزْوَةٍ غَزَاهَا -قَطُّ-، إِلَّا فِي غَزْوَةِ تَبُوكَ، غَيْرَ أَنِّي قَدْ تَخَلَّفْتُ فِي غَزْوَةِ بَدْرٍ، وَلَمْ يُعَاتِبْ أَحَدًا تَخَلَّفَ عَنْهَا، إِنَّمَا خَرَجَ رَسُولُ اللهِ ﷺ وَالْمُسْلِمُونَ يُرِيدُونَ عِيرَ [٣] قُرَيْشٍ، حَتَّىٰ جَمَعَ اللهُ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ عَدُوِّهِمْ عَلَىٰ غَيْرِ مِيعَادٍ.

قَالَ: وَلَمْ يَذْكُرْنِي رَسُولُ اللهِ ﷺ حَتَّىٰ بَلَغَ تَبُوكَ، فَقَالَ وَهُوَ جَالِسٌ فِي الْقَوْمِ بِتَبُوكَ: «**مَا فَعَلَ كَعْبُ بْنُ مَالِكٍ؟**»، قَالَ رَجُلٌ مِنْ بَنِي سَلِمَةَ: يَا رَسُولَ اللهِ، حَبَسَهُ بُرْدَاهُ [٤]، وَالنَّظَرُ فِي عِطْفَيْهِ [٥]، فَقَالَ مُعَاذُ بْنُ جَبَلٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: بِئْسَ مَا قُلْتَ، وَاللهِ

(١) «دَوَاوِيْنُ الشِّعْرِ العَرَبِيِّ» (٧٩/ ٢٤٩).

(٢) إِذَا أَرَدْتَ حِفْظَ أَسْمَائِهِمْ، فَقُلْ: (مَكَّةَ) فَالمِيمُ مُرَارَةُ، وَالكَافُ كَعْبٌ، وَالهَاءُ هِلَالٌ.

(٣) العِيْرُ - بِالكَسْرِ- الإِبِلُ تَحْمِلُ المِيْرَةَ (أَي: الطَّعَامَ)، ثُمَّ غَلَبَ عَلَىٰ كُلِّ قَافِلَةٍ.

(٤) البُرْد -بِالضَّمِّ- وَاحِدُ البُرُودِ، وَهِيَ ثِيَاب مِنَ اليَمَنِ فِيْهَا خُطُوطٌ.

(٥) عِطْفَا الإِنْسَان - بِالكَسْرِ- جَانِبَاهُ، وَهُوَ إِشَارَةٌ إِلَىٰ إِعْجَابِهِ بِنَفْسِهِ.

يَا رَسُولَ اللهِ مَا عَلِمْنَا عَلَيْهِ إِلَّا خَيْرًا، فَسَكَتَ رَسُولُ اللهِ ﷺ.

وَأَصْبَحَ رَسُولُ اللهِ ﷺ قَادِمًا وَكَانَ إِذَا قَدِمَ مِنْ سَفَرٍ بَدَأَ بِالْمَسْجِدِ فَيَرْكَعُ فِيهِ رَكْعَتَيْنِ، ثُمَّ جَلَسَ لِلنَّاسِ فَلَمَّا فَعَلَ ذَلِكَ جَاءَهُ الْمُخَلَّفُونَ، فَطَفِقُوا يَعْتَذِرُونَ إِلَيْهِ،وَيَحْلِفُونَ لَهُ، وَكَانُوا بِضْعَةً وَثَمَانِينَ رَجُلًا، فَقَبِلَ مِنْهُمْ رَسُولُ اللهِ ﷺ عَلَانِيَتَهُمْ، وَبَايَعَهُمْ وَاسْتَغْفَرَ لَهُمْ، وَوَكَلَ سَرَائِرَهُمْ إِلَىٰ اللهِ.

حَتَّىٰ جِئْتُ فَلَمَّا سَلَّمْتُ عَلَيْهِ، تَبَسَّمَ تَبَسُّمَ الْمُغْضَبِ، ثُمَّ قَالَ: «**تَعَالَ**» فَجِئْتُ أَمْشِي حَتَّىٰ جَلَسْتُ بَيْنَ يَدَيْهِ.

فَقَالَ لِي: «**مَا خَلَّفَكَ أَلَمْ تَكُنْ قَدْ ابْتَعْتَ ظَهْرَكَ**»، فَقُلْتُ: بَلَىٰ إِنِّي وَاللهِ لَوْ جَلَسْتُ عِنْدَ غَيْرِكَ مِنْ أَهْلِ الدُّنْيَا، لَرَأَيْتُ أَنْ سَأَخْرُجُ مِنْ سَخَطِهِ بِعُذْرٍ، وَلَقَدْ أُعْطِيتُ جَدَلًا -أَيْ فَصَاحَةً وَقُوَّةً فِي الكَلَامِ-، وَلَكِنِّي -وَاللهِ- لَقَدْ عَلِمْتُ لَئِنْ حَدَّثْتُكَ الْيَوْمَ حَدِيثَ كَذِبٍ تَرْضَىٰ بِهِ عَنِّي، لَيُوشِكَنَّ اللهُ أَنْ يُسْخِطَكَ عَلَيَّ، وَلَئِنْ حَدَّثْتُكَ حَدِيثَ صِدْقٍ تَجِدُ عَلَيَّ فِيهِ، إِنِّي لَأَرْجُو فِيهِ عَفْوَ اللهِ، لَا وَاللهِ مَا كَانَ لِي مِنْ عُذْرٍ، وَاللهِ مَا كُنْتُ -قَطُّ- أَقْوَىٰ وَلَا أَيْسَرَ مِنِّي حِينَ تَخَلَّفْتُ عَنْكَ.

قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**أَمَّا هَذَا فَقَدْ صَدَقَ، فَقُمْ حَتَّىٰ يَقْضِيَ اللهُ فِيكَ**».

فَقُمْتُ وَثَارَ رِجَالٌ مِنْ بَنِي سَلِمَةَ فَاتَّبَعُونِي فَقَالُوا لِي: وَاللهِ مَا عَلِمْنَاكَ كُنْتَ أَذْنَبْتَ ذَنْبًا قَبْلَ هَذَا، وَلَقَدْ عَجَزْتَ أَنْ لَا تَكُونَ اعْتَذَرْتَ إِلَىٰ رَسُولِ اللهِ ﷺ بِمَا اعْتَذَرَ إِلَيْهِ الْمُخَلَّفُونَ، قَدْ كَانَ كَافِيَكَ ذَنْبَكَ اسْتِغْفَارُ رَسُولِ اللهِ ﷺ لَكَ.

قَالَ: فَوَاللهِ مَا زَالُوا يُؤَنِّبُونَنِي حَتَّىٰ أَرَدْتُ أَنْ أَرْجِعَ فَأُكَذِّبَ نَفْسِي، ثُمَّ قُلْتُ لَهُمْ: هَلْ لَقِيَ هَذَا مَعِي أَحَدٌ؟، قَالُوا: نَعَمْ، رَجُلَانِ قَالَا مِثْلَ مَا قُلْتَ، فَقِيلَ لَهُمَا

مِثْلُ مَا قِيلَ لَكَ، فَقُلْتُ: مَنْ هُمَا؟

قَالُوا: مُرَارَةُ بْنُ الرَّبِيعِ الْعَمْرِيُّ، وَهِلَالُ بْنُ أُمَيَّةَ الْوَاقِفِيُّ.

قَالَ: فَذَكَرُوا لِي رَجُلَيْنِ صَالِحَيْنِ قَدْ شَهِدَا بَدْرًا، فِيهِمَا أُسْوَةٌ.

قَالَ: فَمَضَيْتُ حِينَ ذَكَرُوهُمَا لِي.

قَالَ: ثُمَّ صَلَّيْتُ صَلَاةَ الْفَجْرِ صُبْحَ خَمْسِينَ لَيْلَةً وَأَنَا عَلَىٰ ظَهْرِ بَيْتٍ مِنْ بُيُوتِنَا، فَبَيْنَا أَنَا جَالِسٌ عَلَىٰ الْحَالِ الَّتِي ذَكَرَ اللهُ، قَدْ ضَاقَتْ عَلَيَّ نَفْسِي وَضَاقَتْ عَلَيَّ الْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ، سَمِعْتُ صَوْتَ صَارِخٍ أَوْفَىٰ عَلَىٰ جَبَلِ سَلْعٍ[1]، بِأَعْلَىٰ صَوْتِهِ، يَا كَعْبُ بْنَ مَالِكٍ أَبْشِرْ، قَالَ: فَخَرَرْتُ سَاجِدًا، وَعَرَفْتُ أَنْ قَدْ جَاءَ الفَرَجُ.

قَالَ: فَآذَنَ رَسُولُ اللهِ ﷺ بِتَوْبَةِ اللهِ عَلَيْنَا حِينَ صَلَّىٰ صَلَاةَ الْفَجْرِ، فَذَهَبَ النَّاسُ يُبَشِّرُونَنَا، وَذَهَبَ قِبَلَ صَاحِبَيَّ مُبَشِّرُونَ، وَرَكَضَ إِلَيَّ رَجُلٌ فَرَسًا وَسَعَىٰ سَاعٍ مِنْ أَسْلَمَ فَأَوْفَىٰ عَلَىٰ الْجَبَلِ، وَكَانَ الصَّوْتُ أَسْرَعَ مِنْ الْفَرَسِ، فَلَمَّا جَاءَنِي الَّذِي سَمِعْتُ صَوْتَهُ يُبَشِّرُنِي نَزَعْتُ لَهُ ثَوْبَيَّ فَكَسَوْتُهُ إِيَّاهُمَا بِبُشْرَاهُ، وَاللهِ مَا أَمْلِكُ غَيْرَهُمَا يَوْمَئِذٍ، وَاسْتَعَرْتُ ثَوْبَيْنِ فَلَبِسْتُهُمَا.

وَانْطَلَقْتُ أَتَأَمَّمُ رَسُولُ اللهِ ﷺ، يَتَلَقَّانِي النَّاسُ فَوْجًا فَوْجًا، يُهَنُّونِي بِالتَّوْبَةِ، يَقُولُونَ: لِتَهْنِكَ تَوْبَةُ اللهِ عَلَيْكَ.

فَلَمَّا سَلَّمْتُ عَلَىٰ رَسُولِ اللهِ ﷺ قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ وَهُوَ يَبْرُقُ وَجْهُهُ مِنَ السُّرُورِ: «**أَبْشِرْ بِخَيْرِ يَوْمٍ مَرَّ عَلَيْكَ مُنْذُ وَلَدَتْكَ أُمُّكَ**».

قَالَ: قُلْتُ: أَمِنْ عِنْدِكَ يَا رَسُولَ اللهِ أَمْ مِنْ عِنْدِ اللهِ؟، قَالَ: «**لَا بَلْ مِنْ عِنْدِ اللهِ**».

قَالَ فَأَنْزَلَ اللهُ ﷻ: ﴿لَّقَد تَّابَ ٱللَّهُ عَلَى ٱلنَّبِيِّ وَٱلْمُهَٰجِرِينَ وَٱلْأَنصَارِ

---

(١) سَلْع -بِالفَتْحِ- جَبَلٌ عِنْدَ المَدِينَةِ.

ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُ فِى سَاعَةِ ٱلْعُسْرَةِ مِنۢ بَعْدِ مَا كَادَ يَزِيغُ قُلُوبُ فَرِيقٍ مِّنْهُمْ ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ ۚ إِنَّهُۥ بِهِمْ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿١١٧﴾ وَعَلَى ٱلثَّلَٰثَةِ ٱلَّذِينَ خُلِّفُوا۟ حَتَّىٰٓ إِذَا ضَاقَتْ عَلَيْهِمُ ٱلْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ وَضَاقَتْ عَلَيْهِمْ أَنفُسُهُمْ وَظَنُّوٓا۟ أَن لَّا مَلْجَأَ مِنَ ٱللَّهِ إِلَّآ إِلَيْهِ ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ لِيَتُوبُوٓا۟ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ ﴿١١٨﴾﴾ [التَّوْبَةُ: ١١٦-١١٧][١].

---

(١) رَوَاهُ البُخَارِيُّ (٤٤١٨)، ومُسْلِمٌ (٢٧١٩)، بِاخْتِصَارٍ قَلِيلٍ.

الوُفُــودُ

الـــسَّـمَـاوَاتُ شَـيِّـقَـاتٌ ظِـمَـاءُ ... والـفَـضَـا والـنُّـجُـومُ وَالأَضْـوَاءُ
كُـلُّـهَـا لَـهْـفَـةٌ إِلَىٰ الـعَـلَـمِ الهَـا ... دِي، وَشَـوْقٌ لِـذَاتِـهِ واحْـتِـفَـاءُ

اشْـتَهَرَتْ دَعْـوَةُ النَّبِيِّ ﷺ فِي جَزِيْرَةِ العَـرَبِ، وَمَا حَوْلَهَـا، وَكَانَتْ العَرَبِ تَقُولُ: اتْرُكُوهُ وَقَوْمَهُ؛فَإِنَّهُ إِنْ ظَهَرَ عَلَيْهِمْ، فَهُوَ نَبِيٌّ صَادِقٌ، وَكَانَتْ غَزْوَةُ فَتْحِ مَكَّةَ مَعْرَكَـةً فَاصِلَةً، عَرَفَتِ العَرَبُ لِأَجْلِهَا الحَقَّ مِنَ البَاطِلِ، وَزَالَتْ عَنْهُمُ الشُّبُهَاتُ، فَسَارَعُوا إِلَىٰ الدُّخُولِ فِي دِيْنِ اللهِ أَفْوَاجًا.

وَمِمَّـا يَـدُلُّ عَلَىٰ ذَلِـكَ حَدِيْثُ عَمْرِو بْنِ سَـلَمَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَـالَ: «كُنَّا بِمَـاءٍ مَمَرَّ النَّـاسِ، وَكَانَ يَمُـرُّ بِنَا الرُّكْبَانُ، فَنَسْـأَلُهُمْ: مَا لِلنَّاسِ، مَا لِلنَّاسِ، مَـا هَذَا الرَّجُلُ؟، - أَيْ: النَّبِـيِّ ﷺ فَيَقُولُـونَ: يَزْعُمُ أَنَّ اللهَ أَرْسَـلَهُ أَوْحَىٰ إِلَيْـهِ- أَوْ أَوْحَىٰ اللهُ بِكَذَا - فَكُنْـتُ أَحْفَـظُ ذَلِكَ الْكَلَامَ وَكَأَنَّمَا يُغْرَىٰ[١] فِي صَـدْرِي، وَكَانَتْ الْعَرَبُ تَلَوَّمُ[٢] بِإِسْـلَامِهِمُ الْفَتْحَ، فَيَقُولُـونَ: اتْرُكُوهُ وَقَوْمَهُ؛ فَإِنَّهُ إِنْ ظَهَرَ عَلَيْهِـمْ فَهُوَ نَبِيٌّ صَادِقٌ، فَلَمَّا كَانَتْ وَقْعَةُ أَهْلِ الْفَتْحِ بَادَرَ[٣] كُلُّ قَوْمٍ بِإِسْلَامِهِمْ، وَبَدَرَ أَبِي قَوْمِي بِإِسْلَامِهِمْ،

---

(١) يُغْرَىٰ أَيْ: مِنَ التَّغْرِيَةِ أَيْ: كَأَنَّمَا يُلْصَقُ.

(٢) تَلَوَّمُ أَيْ: تَنْتَظِرُ وَتَتَرَبَّصُ، وَأَصْلُهُ بِتَاءَيْنِ، فَحُذِفَتْ إِحْدَاهُمَا تَخْفِيْفًا.

(٣) بَادَرَ: أَسْرَعَ.

فَلَمَّـا قَدِمَ، قَالَ: جِئْتُكُمْ وَاللهِ مِنْ عِنْـدِ النَّبِيِّ ﷺ حَقًّا، فَقَالَ: «**صَلُّوا صَلَاةَ كَذَا فِي حِيـنِ كَذَا، وَصَلُّوا صَلَاةَ كَذَا فِي حِينِ كَذَا، فَإِذَا حَضَرَتِ الصَّلَاةُ، فَلْيُؤَذِّنْ أَحَدُكُمْ وَلْيَؤُمَّكُمْ أَكْثَرُكُمْ قُرْآنًا ...**»[(١) ٢].

لَـهَـا أَحَادِيـثُ مِـنْ ذِكْـرَاكِ تَشْـغَلُهَا ... عَــنِ الـطَّـعَـامِ وَتُلْهِيهَـا عَـنِ الـزَّادِ
لَـهَـا بِـوَجْـهِـكَ نُـورٌ تَسْتَضِيءُ بِهِ ... وَمِـنْ حَـدِيثِـك فِـي أَعْقَابِهَـا حَـادِي
إِذَا اشْـتكَتْ مِنْ كَلَالِ[(٣)] السَّيْرِ أَوْعَدَهَا ... رُوْحُ الْقُـــدُومِ فَـتَـحْـيَـا عِـنْـدَ مِيْعَـادِ

وَقَـدْ ذَكَرَ أَهْـلُ المَغَازِي: أَنَّ عَـدَدَ الوُفُودِ يَزِيْـدُ عَدَدُهَا عَلَىٰ سَـبْعِيْنَ وَفْدًا، وَسَوْفَ أَقْتَصِرُ عَلَىٰ ذِكْرِ بَعْضِهَا:

١ ـ وَفْدُ بَنِي تَمِيْمٍ:

وَإِذَا أُنَــادِمُ[(٤)] عُـصْـبَـةً عَـرَبِـيَّــةً ... بَــدَرَتْ إِلَـىٰ ذِكْـرِ الـفَخَـارِ تَمِيْـمُ[(٥)]

عَـنْ عِمْـرَانَ بْنِ حُصَيْـنٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا قَالَ: أَتَىٰ نَفَرٌ مِـنْ بَنِي تَمِيمٍ النَّبِـيَّ ﷺ فَقَالَ: «**اقْبَلُوا الْبُشْـرَىٰ يَا بَنِي تَمِيمٍ**»، قَالُوا: يَا رَسُـولَ اللهِ، قَدْ بَشَّـرْتَنَا فَأَعْطِنَا. فَرُئِيَ ذَلِكَ فِـي وَجْهِـهِ، فَجَـاءَ نَفَرٌ مِنَ الْيَمَنِ، فَقَـالَ: «**اقْبَلُوا الْبُشْـرَىٰ إِذْ لَمْ يَقْبَلْهَـا بَنُو تَمِيمٍ**»، قَالُوا: قَدْ قَبِلْنَا يَا رَسُولَ اللهِ[(٥)].

---

(١) رَوَاهُ البُخَارِيُّ (٤٣٠٢).
(٢) الكِلَال -بِالفَتْحِ- التَّعَبُ وَالإِعْيَاء.
(٣) نَادَمَهُ مُنَادَمَةً وَنِدَامًا: جَالَسَهُ عَلَىٰ الشَّرَابِ.
(٤) «دَوَاوِيْنُ الشِّعْرِ العَرَبِيِّ» (١/ ٣٣٣).
(٥) رَوَاهُ البُخَارِيُّ (٤٣٦٥).

٢ـ وَفْدُ الأَشْعَرِيْن:

قَــوْمٌ إذا هَــطَلَـتْ جُـودًا أكفُّـهُـمُ   عَلِمْـتَ أنَّ النَّدَىٰ مُذْ كَانَ في الْيَمَنِ[١]

عَـنْ أَنَسِ بنِ مَالِكٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رسُـولُ الله ﷺ يَقْـدُمُ عَلَيْكُمْ أَقْوَامٌ، أَرَقُّ أَفئِـدَةً، فَقَـدِمَ الأَشْـعَرِيُّونَ، فيهم أَبُو مُوسَـىٰ، فَجَعَلُوا لَمَّا دَنَوْا مِـنَ المدِينَة جَعَلُوا يَرْتَجِزُونَ، يَقُولُونَ: غَدًا نَلْقَىٰ الأَحِبَّةْ مُحَمَّدًا وَحِزْبَهْ.

وَفِـي رِوَايَـةٍ: يَقْـدُمُ غـدًا أقـوامٌ، هُـمْ أَرَقُّ قُلُوبًـا للإِسْـلَامِ مِنْكُـمْ، قَـالَ: فَقَـدِمَ الأَشْـعَرِيُّونَ، مِنْهُـمْ أَبُـو مُوسـىٰ الأَشْـعَرِيُّ، فَلَمَّا دَنُـوا مِـنَ الْمَدِينَـةِ، جَعَلُوا يَرْتَجِزُونَ: يَقُولُونَ:

غَـدًا نَلْقَـىٰ الأَحبَّـةَ مُحَمَّـدًا وحِزْبَـهْ

فَلَمَّا أنْ قَدِمُوا تَصَافَحُوا، فكَانُوا أَوَّلَ مَنْ أَحْدَثَ المُصَافَحَةَ»[٢].

٣ـ وَفْدُ عَبْدِ القَيْسِ:

أَمَــلٌ أَنَــاخَ بِـهِـمْ وُفُـوداً فَاغْتَـدَوا   مِــنْ عِـنْـدِه وَهُـمُ مُـنَـاخُ وفُـودِ[٣]

عَـنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، فقَالَ: إِنَّ وَفْدَ عَبْدِ القَيْـسِ أَتَوُا النَّبِيَّ ﷺ، فَقَالَ: «مَنِ الوَفْدُ أَوْ مَنِ القَوْمُ».

قَالُوا: رَبِيعَةُ.

---

(١) «ديوان أبي تمام» (٣٩٠)..

(٢) (صحيح) أخرجه أحمد (١٢٠٤٩)، وأبو داود (٢٧٦١)، وصححه الألباني في «الصحيحة» (٥٢٨).

(٣) «أَمَالِي القَالِـي» (١/ ٢٣٩).

فَقَالَ: «**مَرْحَبًا بِالقَوْمِ أَوْ بِالوَفْدِ، غَيْرَ خَزَايَا وَلاَ نَدَامَىٰ**»[١].

هَـيْنُونَ لَيْنُونَ أَيْسَارٌ ذَوُو يُسُرٍ ... أَهْـلُ العِبَادَةِ حَفَّاظُونَ لِلْجَارِ

لَا يَنْطِقُونَ عَنِ الْفَحْشَاءِ إِنْ نَطَقُوا ... وَلا يُمَارُونَ -إِنْ مَارَوْا- بِإِكْثَارِ

٤ـ وَفْدُ دَوْسٍ:

سَلِمْتَ وَصَادَفْتَ خَيْراً وَيُمْنًا ... رِكَابُكَ فِي رَوَاحٍ وَابْتِكَارِ[٢]

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ: جَاءَ الطُّفَيْلُ بْنُ عَمْرٍو إِلَىٰ النَّبِيِّ ﷺ فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللهِ، إِنَّ دَوْسًا قَدْ عَصَتْ وَأَبَتْ فَادْعُ اللهَ عَلَيْهِمْ، فَقَالَ: «**اللهُمَّ اهْدِ دَوْسًا وَأْتِ بِهِمْ**»[٣].

قَالَ أُسْتَاذُنَا عَبْدُ الكَرِيْمِ العِمَادُ -حَفِظَهُ اللهُ-:

رَحْمَةٌ أَنْتَ جِئْتَ بِالنُّورِ والْخَيْرِ ... وَبِالبِشْرِ والْهُدَىٰ وَالصَّلَاحِ

تَفْتَحَ الْمِصْرَ بِالسُّيُوفِ وَطوْرًا ... بِالدُّعَاء، والدُّعَاءُ خَيْرُ سَلاحِ

٥ـ وَفْدُ بَنِي حَنِيْفَةَ:

شَخَصَتْ لِمَوْكِبِهِ العُيُونُ فَأَبْصَرَتْ ... بَدْراً تَأَلَّقَ فِي غَمَامِ وُفُودِ[٤]

---

(١) رَوَاهُ البُخَارِيُّ (٥٣)، ومُسْلِمٌ (١٧).

(٢) «دِيْوَانُ أَحْمَدُ مُحَرَّم» (٦٣).

(٣) رَوَاهُ البُخَارِيُّ (٤٣٩٢)، ومُسْلِمٌ (٢٥٢٤).

(٤) «دِيْوَانُ إِبْرَاهِيْم اليَازِجيِّ» (٣٣).

عـن أبي هُرَيْـرَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ: بَعَثَ رَسُـولُ اللهِ ﷺ خَيْلاً قِبَلَ نَجْـدٍ، فَجَاءَتْ بِرَجُلٍ مِنْ بَنِي حَنِيفَةَ يُقَالُ لَهُ ثُمَامَةُ بْنُ أُثَالٍ، فَرَبَطُوهُ بِسَارِيَةٍ مِنْ سَوَارِي الْمَسْجِدِ، فَخَرَجَ إِلَيْهِ النَّبِيُّ ﷺ فَقَالَ: «**مَا عِنْدَكَ يَا ثُمَامَةُ؟**».

فَقَالَ: عِنْدِي خَيْرٌ يَا مُحَمَّدُ! إِنْ تَقْتُلْ تَقْتُلْ ذَا دَمٍ، وَإِنْ تُنْعِمْ تُنْعِمْ عَلَىٰ شَاكِرٍ، وَإِنْ كُنْتَ تُرِيدُ الْمَالَ فَسَلْ مِنْهُ مَا شِئْتَ.

فَتُرِكَ حَتَّىٰ كَانَ الْغَدُ؛ ثُمَّ قَالَ لَهُ: «**مَا عِنْدَكَ يَا ثُمَامَةُ؟**».

قَالَ: مَا قُلْتُ لَكَ: إِنْ تُنْعِمْ تُنْعِمْ عَلَىٰ شَاكِرٍ!، فَتَرَكَهُ حَتَّىٰ كَانَ بَعْدَ الْغَدِ فَقَالَ: «**مَا عِنْدَكَ يَا ثُمَامَةُ؟**». فَقَالَ: عِنْدِي مَا قُلْتُ لَكَ!

فَقَالَ: «**أَطْلِقُوا ثُمَامَةَ**».

فَانْطَلَقَ إِلَىٰ نَخْلٍ قَرِيبٍ مِنَ الْمَسْـجِدِ، فَاغْتَسَـلَ، ثُمَّ دَخَلَ الْمَسْـجِدَ فَقَالَ: أَشْـهَدُ أَنْ لا إِلَهَ إِلا اللهُ، وَأَشْـهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا رَسُـولُ اللهِ! يَا مُحَمَّدُ! وَاللهِ، مَا كَانَ عَلَىٰ الأَرْضِ وَجْهٌ أَبْغَضَ إِلَيَّ مِنْ وَجْهِكَ، فَقَدْ أَصْبَحَ وَجْهُكَ أَحَبَّ الْوُجُوهِ إِلَيَّ، وَاللـهِ مَا كَانَ مِنْ دِيـنٍ أَبْغَضَ إِلَيَّ مِنْ دِينِكَ، فَأَصْبَحَ دِينُكَ أَحَبَّ الدِّينِ إِلَيَّ، وَاللهِ مَـا كَانَ مِنْ بَلَـدٍ أَبْغَضُ إِلَيَّ مِنْ بَلَدِكَ، فَأَصْبَحَ بَلَدُكَ أَحَـبَّ الْبِلَادِ إِلَيَّ. وَإِنَّ خَيْلَكَ أَخَذَتْنِي، وَأَنَا أُرِيدُ الْعُمْرَةَ، فَمَاذَا تَرَىٰ؟

فَبَشَّرَهُ رَسُولُ اللهِ ﷺ وَأَمَرَهُ أَنْ يَعْتَمِرَ فَلَمَّا قَدِمَ مَكَّةَ، قَالَ لَهُ قَائِلٌ: صَبَوْتَ؟!، قَـالَ: لا، وَلَكِـنْ أَسْـلَمْتُ مَعَ مُحَمَّدٍ، رَسُـولِ اللـهِ ﷺ، وَلا، وَاللـهِ لَا يَأْتِيكُمْ مِنَ الْيَمَامَةِ حَبَّةُ حِنْطَةٍ حَتَّىٰ يَأْذَنَ فِيهَا النَّبِيُّ ﷺ(١).

---

(١) رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ (٤٣٧٢)، ومُسْلِمٌ (١٧٦٤).

جَزَاهُـمُ اللـهُ عَنْ دِيْـنِ الرَّسُـولِ، فَمَا ... أَحْلَـىٰ مَآثِرَهُـمْ فِي سَـالِفِ الحِقَبِ [١]

لَـوْلاَ لَطَائِـفُ صُـنْـعِ اللـهِ مَـا نَبَـتَـتْ ... تِلْـكَ المَكَارِمُ فِي لَحْـمٍ وَلاَ عَصَبِ [٢]

٦ ـ وَفْدُ مُسَيْلَمَةِ الكَذَّابِ بِمَنْ مَعَهُ مِنْ بَنِي حَنِيْفَةَ:

عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا قَالَ: قَدِمَ مُسَيْلِمَةُ الْكَذَّابُ عَلَىٰ عَهْدِ النَّبِيِّ ﷺ الْمَدِينَةَ، فَجَعَلَ يَقُولُ: إِنْ جَعَلَ لِي مُحَمَّدٌ الْأَمْرَ مِنْ بَعْدِهِ تَبِعْتُهُ، وَقَدِمَهَا فِي بَشَرٍ كَثِيرٍ مِنْ قَوْمِهِ، فَأَقْبَلَ إِلَيْهِ النَّبِيُّ ﷺ وَمَعَهُ ثَابِتُ بْنُ قَيْسِ بْنِ شَمَّاسٍ، وَفِي يَدِ النَّبِيِّ ﷺ قِطْعَةُ جَرِيدَةٍ، حَتَّىٰ وَقَفَ عَلَىٰ مُسَيْلِمَةَ فِي أَصْحَابِهِ، فَقَالَ: «**لَوْ سَأَلْتَنِي هَذِهِ الْقِطْعَةَ مَا أَعْطَيْتُكَهَا، وَلَنْ أَتَعَدَّىٰ أَمْرَ اللهِ فِيكَ، وَلَئِنْ أَدْبَرْتَ لَيَعْقِرَنَّكَ اللهُ، وَإِنِّي لَأُرَاكَ الَّذِي أُرِيتُ فِيكَ مَا أُرِيتُ**»، وَهَذَا ثَابِتٌ يُجِيبُكَ عَنِّي ثُمَّ انْصَرَفَ عَنْهُ[٣].

فَقَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا: فَسَأَلْتُ عَنْ قَوْلِ النَّبِيِّ ﷺ «**إِنَّكَ أَرَىٰ الَّذِي أُرِيتُ فِيكَ مَا أُرِيتُ**»، فَأَخْبَرَنِي أَبُو هُرَيْرَةَ أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: «**بَيْنَا أَنَا نَائِمٌ رَأَيْتُ فِي يَدَيَّ سِوَارَيْنِ مِنْ ذَهَبٍ فَأَهَمَّنِي شَأْنُهُمَا، فَأُوحِيَ إِلَيَّ فِي الْمَنَامِ أَنْ انْفُخْهُمَا، فَنَفَخْتُهُمَا فَطَارَا، فَأَوَّلْتُهُمَا كَذَّابَيْنِ يَخْرُجَانِ مِنْ بَعْدِي، فَكَانَ أَحَدُهُمَا الْعَنْسِيَّ صَاحِبَ صَنْعَاءَ، وَالْآخَرُ مُسَيْلِمَةُ**»[٤].

ظَـلاَمُ بَنِي حَنِيْفَةَ عَادَ ضَوْءاً ... بِصُحْبَةِ مَنْ أَظَلَّتْهُ الغَمَامَةْ

---

(١) حِقْبَةٍ -بِالكَسْرِ- وَهِيَ السَّنَةُ.

(٢) انْظُرْ: «رَسَائِلُ الثَّعَالِبِيِّ» (٣٢).

(٣) رَوَاهُ البُخَارِيُّ (٤١١٥).

(٤) رَوَاهُ البُخَارِيُّ (٣٤٢٤).

لَقَدْ ذَهَبُوا إِلَىٰ رِبْحٍ وَوَلَىٰ ... إِلَىٰ الخُسْرَانِ كَذَّابُ الْيَمَامَة

قَالَ الحَافِظُ رَحِمَهُ اللهُ:

«وَيُسْتَفَادُ مِنْ هَذِهِ الْقِصَّةِ أَنَّ الْإِمَامَ يَأْتِي بِنَفْسِهِ إِلَىٰ مَنْ قَدِمَ يُرِيدُ لِقَاءَهُ مِنَ الْكُفَّارِ إِذَا تَعَيَّنَ ذَلِكَ طَرِيقًا لِمَصْلَحَةِ الْمُسْلِمِينَ».

قَوْلُهُ: (وَهَذَا ثَابِتُ بْنُ قَيْسٍ يُجِيبُكَ عَنِّي) أَيْ لِأَنَّهُ كَانَ خَطِيبَ الْأَنْصَارِ، وَكَانَ النَّبِيُّ ﷺ قَدْ أُعْطِيَ جَوَامِعَ الْكَلِمِ فَاكْتَفَىٰ بِمَا قَالَهُ لِمُسَيْلِمَةَ وَأَعْلَمَهُ أَنَّهُ إِنْ كَانَ يُرِيدُ الْإِسْهَابَ فِي الْخِطَابِ فَهَذَا الْخَطِيبُ يَقُومُ عَنِّي فِي ذَلِكَ، وَيُؤْخَذُ مِنْهُ اسْتِعَانَةُ الْإِمَامِ بِأَهْلِ الْبَلَاغَةِ فِي جَوَابِ أَهْلِ الْعِنَادِ وَنَحْوِ ذَلِكَ[١].

فَآمَنَ أَقْوَامٌ بِذَاكَ وَأَيْقَنُوا ... فَأَمْسَوْا بِحَمْدِ اللهِ مُجْتَمِعِي الشَّمْلِ
وَأَنْكَرَ أَقْوَامٌ فَزَاغَتْ قُلُوبُهُمْ ... فَزَادَهُمْ ذُو الْعَرْشِ خَبْلًا[٢] عَلَىٰ خَبْلُ[٣]

٧ـ وَفْدُ نَجْرَانَ:

تَسَامَىٰ فِي ذُرَا نَجْرَانَ وَفْدٌ ... جَدِيْرٌ بِالوَفَا والمَكْرَمَاتِ[٤]

عَنْ حُذَيْفَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ: جَاءَ العَاقِبُ وَالسَّيِّدُ، صَاحِبَا نَجْرَانَ، إِلَىٰ رَسُولِ اللهِ ﷺ يُرِيدَانِ أَنْ يُلَاعِنَاهُ، قَالَ: فَقَالَ أَحَدُهُمَا لِصَاحِبِهِ: لَا تَفْعَلْ، فَوَاللهِ لَئِنْ كَانَ نَبِيًّا

(١) «الفَتْحُ» (٧/ ٦٩١-٦٩٢).
(٢) الخَبْلُ -بِالفَتْحِ- الفَسَادُ، والجَمْعُ خُبُولٌ.
(٣) «دَوَاوِيْنُ الشِّعْرِ العَرَبِيِّ» (١١/ ١٩٨).
(٤) «المَذَاهِبُ الأَدَبِيَّة فِي الشِّعْرِ الحَدِيْثِ» (٢٢٣).

فَلاَعَنَّـا لاَ نُفْلِـحُ نَحْنُ وَلاَ عَقِبُنَا مِنْ بَعْدِنَا، قَالاَ: إِنَّا نُعْطِيكَ مَا سَـأَلْتَنَا، وَابْعَثْ مَعَنَا رَجُلًا أَمِينًا، وَلاَ تَبْعَثْ مَعَنَا إِلَّا أَمِينًا. فَقَالَ: «**لَأَبْعَثَنَّ مَعَكُمْ رَجُلًا أَمِينًا حَقَّ أَمِينٍ**».

فَاسْتَشْرَفَ[١] لَهُ أَصْحَابُ رَسُولِ اللهِ ﷺ فَقَالَ: «**قُمْ يَا أَبَا عُبَيْدَةَ بْنَ الجَرَّاحِ**» فَلَمَّا قَامَ، قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**هَذَا أَمِينُ هَذِهِ الأُمَّةِ**»[٢].

٨ـ وَفْدُ ضِمَامِ بْنِ ثَعْلَبَةَ عَنْ قَوْمِهِ بَنِي سَعْدِ بْنِ بَكْرٍ:

سَـرَيْنَا وُفُـودَ الشُّـكْرِ مِـنْ كُلِّ تَلْعَةٍ[٣] إِذَا مَا وَزَعْنَا اللَّيْلَ بِاسْـمِكَ أُسْـرِجَا[٤]

عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، قَالَ: بَيْنَمَا نَحْنُ جُلُوسٌ مَعَ النَّبِيِّ ﷺ فِي الْمَسْجِدِ، دَخَلَ رَجُلٌ عَلَىٰ جَمَلٍ فَأَنَاخَهُ فِي الْمَسْجِدِ، ثُمَّ عَقَلَهُ[٥]، ثُمَّ قَالَ لَهُمْ: أَيُّكُمْ مُحَمَّدٌ؟، وَالنَّبِـيُّ ﷺ مُتَّكِـئٌ بَيْـنَ ظَهْرَانَيْهِـمْ، فَقُلْنَا: هَذَا الرَّجُـلُ الْأَبْيَضُ الْمُتَّكِـئُ، فَقَالَ لَهُ الرَّجُـلُ: يَا ابْنَ عَبْدِ الْمُطَّلِـبِ[٦]، فَقَالَ لَهُ النَّبِيُّ ﷺ: قَدْ أَجَبْتُكَ، فَقَالَ الرَّجُلُ لِلنَّبِيِّ ﷺ: إِنِّي سَائِلُكَ، فَمُشَدِّدٌ عَلَيْكَ فِي الْمَسْأَلَةِ فَلَا تَجِدْ عَلَيَّ فِي نَفْسِكَ.

فَقَالَ: «**سَلْ عَمَّا بَدَا لَكَ**»، فَقَالَ: أَسْأَلُكَ بِرَبِّكَ وَرَبِّ مَنْ قَبْلَكَ، آللَّهُ أَرْسَلَكَ إِلَىٰ النَّاسِ كُلِّهِمْ؟

فَقَالَ: «**اللهُمَّ نَعَمْ**».

---

(١) الاسْتِشْرَافُ لِلشَّيْءِ: التَّعَرُّضِ لَهُ، وَأَصْلُهُ مِنَ الارْتِفَاعِ والعُلُوِّ، وَكَأَنَّهُمْ رَفَعُوا رُءُوسَهُمْ لِذَلِكَ.

(٢) رَوَاهُ البُخَارِيُّ (٣٧٤٥)، ومُسْلِمٌ (٢٤٢٠).

(٣) التَّلْعَةُ -الفَتْحِ- الأَرْضُ المُرْتَفِعَةُ الغَلِيْظَةُ - العَرِيْضَةُ، والجَمْعُ تِلَعٌ وَتِلَاعٌ.

(٤) «دَوَاوِيْنُ الشِّعْرِ العَرَبِيِّ» (٣/ ٢٢٥).

(٥) عَقَلَـهُ أَيْ: شَدَّ عَلَىٰ سَاقِهِ مَعَ ذِرَاعِهِ حَبْلًا، بَعْدَ أَنْ ثَنَىٰ رُكْبَتَهُ.

(٦) ابْنَ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ أَيْ: فَنَادَهُ بِقَوْلِهِ: يَابْنَ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ.

قَالَ: أَنْشُدُكَ بِاللهِ،آللَّهُ أَمَرَكَ أَنْ نُصَلِّيَ الصَّلَوَاتِ الْخَمْسَ فِي الْيَوْمِ وَاللَّيْلَةِ؟.

قَالَ: «**اللهُمَّ نَعَمْ**».

قَالَ: أَنْشُدُكَ بِاللهِ، آللَّهُ أَمَرَكَ أَنْ نَصُومَ هَذَا الشَّهْرَ مِنَ السَّنَةِ.

قَالَ: «**اللهُمَّ نَعَمْ**».

قَالَ: أَنْشُدُكَ بِاللهِ، آللَّهُ أَمَرَكَ أَنْ تَأْخُذَ هَذِهِ الصَّدَقَةَ مِنْ أَغْنِيَائِنَا فَتَقْسِمَهَا عَلَىٰ فُقَرَائِنَا.

فَقَالَ: «**اللهُمَّ نَعَمْ**».

فَقَالَ الرَّجُلُ: آمَنْتُ بِمَا جِئْتَ بِهِ، وَأَنَا رَسُولُ مَنْ وَرَائِي مِنْ قَوْمِي، وَأَنَا ضِمَامُ بْنُ ثَعْلَبَةَ، أَخُو بَنِي سَعْدِ بْنِ بَكْرٍ[(١)].

٩ ـ وَفْدُ تَمِيمٍ الدَّارِيِّ وَأَخْبَارُهُ:

فِتْنَةُ الدَّجَّالِ كَمْ مِنْ جَاهِلٍ رَاحَ يُلْقِي نَفْسَهُ فِيهَا فَطَاحَا

عَنْ فَاطِمَةَ بِنْتِ قَيْسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، قَالَتْ: سَمِعْتُ نِدَاءَ الْمُنَادِي مُنَادِي رَسُولِ اللهِ ﷺ يُنَادِي الصَّلَاةَ جَامِعَةً، فَخَرَجْتُ إِلَىٰ الْمَسْجِدِ فَصَلَّيْتُ مَعَ رَسُولِ اللهِ ﷺ، فَكُنْتُ فِي صَفِّ النِّسَاءِ الَّتِي تَلِي ظُهُورَ الْقَوْمِ، فَلَمَّا قَضَىٰ رَسُولُ اللهِ ﷺ صَلَاتَهُ جَلَسَ عَلَىٰ الْمِنْبَرِ وَهُوَ يَضْحَكُ، فَقَالَ: «**لِيَلْزَمْ كُلُّ إِنْسَانٍ مُصَلَّاهُ**»، ثُمَّ قَالَ: «**أَتَدْرُونَ لِمَ جَمَعْتُكُمْ؟**».

قَالُوا: اللهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ.

قَالَ: «**إِنِّي وَاللهِ مَا جَمَعْتُكُمْ لِرَغْبَةٍ وَلَا لِرَهْبَةٍ، وَلَكِنْ جَمَعْتُكُمْ لِأَنَّ تَمِيمًا**

---

(١) رَوَاهُ البُخَارِيُّ (٦٣)، ومُسْلِمٌ (١٢).

الـدَّارِيَّ كَانَ رَجُلًا نَصْرَانِيًّا، فَجَاءَ فَبَايَعَ وَأَسْـلَمَ، وَحَدَّثَنِي حَدِيثًا وَافَقَ الَّذِي كُنْتُ أُحَدِّثُكُـمْ عَنْ مَسِـيْحِ(١) الدَّجَّـالِ(٢)، حَدَّثَنِي أَنَّهُ رَكِبَ فِي سَـفِينَةٍ بَحْرِيَّـةٍ مَعَ ثَلَاثِينَ رَجُلًا مِنْ لَخْمٍ وَجُذَامَ، فَلَعِبَ بِهِمُ الْمَوْجُ شَـهْرًا فِي الْبَحْرِ، ثُمَّ أَرْفَئُوا(٣) إِلَىٰ جَزِيرَةٍ فِي الْبَحْرِ حَتَّىٰ مَغْرِبِ الشَّـمْسِ، فَجَلَسُـوا فِي أَقْرُبْ السَّـفِينَةِ(٤)، فَدَخَلُوا الْجَزِيرَةَ، فَلَقِيَتْهُمْ دَابَّةٌ أَهْلَبُ(٥) كَثِيرُ الشَّعَرِ لاَ يَدْرُونَ مَا قُبُلُهُ مِنْ دُبُرِهِ مِنْ كَثْرَةِ الشَّعَرِ.

فَقَالُوا: وَيْلَكِ مَا أَنْتِ؟، فَقَالَتْ: أَنَا الْجَسَّاسَةُ(٦)، قَالُوا: وَمَا الْجَسَّاسَةُ؟.

قَالَتْ: أَيُّهَا الْقَوْمُ انْطَلِقُوا إِلَىٰ هَذَا الرَّجُلِ فِي الدَّيْرِ(٧)،فَإِنَّهُ إِلَىٰ خَبَرِكُمْ بِالأَشْوَاقِ.

قَالَ: لَمَّا سَمَّتْ لَنَا رَجُلًا، فَرِقْنَا مِنْهَا أَنْ تَكُونَ شَيْطَانَةً، قَالَ: فَانْطَلَقْنَا سِرَاعًا حَتَّىٰ دَخَلْنَا الدَّيْرَ، فَإِذَا فِيهِ أَعْظَمُ إِنْسَانٍ رَأَيْنَاهُ قَطُّ خَلْقًا، وَأَشَدُّهُ وِثَاقًا مَجْمُوعَةٌ يَدَاهُ إِلَىٰ عُنُقِهِ مَا بَيْنَ رُكْبَتَيْهِ إِلَىٰ كَعْبَيْهِ بِالْحَدِيدِ.

قُلْنَا: وَيْلَكَ مَا أَنْتَ؟.

---

(١) قِيْلَ لَهُ: المَسِيْحُ؛ لأَنَّهُ يَمْسَحُ الأَرْضَ، أَوْ لأَنَّهُ مَمْسُوحُ العَيْنِ أَعْوَرُهَا.

(٢) قِيْلَ لَهُ: الدَّجَّالُ؛ لأَنَّهُ مَطْمُوسُ العَيْنِ مِنْ قَوْلِهِمْ: دَجَلَ الأَثَرُ: إِذَا انْمَحَىٰ، وَقِيْلَ: مِنْ دَجَلَ أَيْ: كَذَبَ.

(٣) أَرْفَئُوا إِلَىٰ جَزِيرَةٍ: لَجَئُوا إِلَيْهَا.

(٤) أَقْرُبْ السَّفِينَةِ: قَوَارِبُهَا الصِّغَارِ الَّتِي يَكُونُ مَعَ السَّفِيْنَةِ لِقَضَاءِ حَوَائِجِهِمْ، وَالوَاحِدُ قَارِبٌ، وَلَكِنَّهُ جَاءَ هَا هُنَا عَلَىٰ غَيْرِ قِيَاسٍ.

(٥) أَهْلَبُ أَيْ: كَثِيْرُ الشَّعْرِ، يُقَالُ: رَجُلٌ أَهْلَبُ: إِذَا كَانَ شَعْرُ ذِرَاعِيْهِ غَلِيْظًا.

(٦) الْجَسَّاسَةُ: سُمِّيَتْ لِتَجَسُّسِهَا الأَخْبَارَ لِلدَّجَالِ عَمَّا يَحْدُثُ عِنْدَ النَّاسِ، وَجَاءَ عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ عَمْرِو بْنِ العَاصِ - رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا -: أَنَّهَا دَابَّةُ الأَرْضِ المُذْكُورَةُ فِي القُرْآنِ.

(٧) الدَّيْرِ -بِالفَتْحِ- القَصْرُ الكَبِيْـرِ.

قَالَ: قَدْ قَدَرْتُمْ عَلَىٰ خَبَرِي، فَأَخْبِرُونِي مَا أَنْتُمْ؟.

قَالُوا: نَحْنُ أُنَاسٌ مِنَ الْعَرَبِ رَكِبْنَا فِي سَفِينَةٍ بَحْرِيَّةٍ، فَصَادَفْنَا الْبَحْرَ حِينَ اغْتَلَمَ، فَلَعِبَ بِنَا الْمَوْجُ شَهْرًا، ثُمَّ أَرْفَأْنَا إِلَىٰ جَزِيرَتِكَ هَذِهِ، فَجَلَسْنَا فِي أَقْرُبِهَا فَدَخَلْنَا الْجَزِيرَةَ، فَلَقِيَتْنَا دَابَّةٌ أَهْلَبُ كَثِيرُ الشَّعَرِ لَا يُدْرَىٰ مَا قُبُلُهُ مِنْ دُبُرِهِ مِنْ كَثْرَةِ الشَّعَرِ.

فَقُلْنَا: وَيْلَكِ مَا أَنْتِ؟.

فَقَالَتْ: أَنَا الْجَسَّاسَةُ، قُلْنَا: وَمَا الْجَسَّاسَةُ؟، قَالَتْ: اعْمِدُوا[1] إِلَىٰ هَذَا الرَّجُلِ فِي الدَّيْرِ، فَإِنَّهُ إِلَىٰ خَبَرِكُمْ بِالْأَشْوَاقِ، فَأَقْبَلْنَا إِلَيْكَ سِرَاعًا وَفَزِعْنَا مِنْهَا، وَلَمْ نَأْمَنْ أَنْ تَكُونَ شَيْطَانَةً، فَقَالَ: أَخْبِرُونِي عَنْ نَخْلِ بَيْسَانَ[2]، قُلْنَا: عَنْ أَيِّ شَأْنِهَا تَسْتَخْبِرُ؟، قَالَ: أَسْأَلُكُمْ عَنْ نَخْلِهَا هَلْ يُثْمِرُ؟.

قُلْنَا لَهُ: نَعَمْ، قَالَ: أَمَا إِنَّهُ يُوشِكُ أَنْ لَا تُثْمِرَ؟.

قَالَ: أَخْبِرُونِي عَنْ بُحَيْرَةِ الطَّبَرِيَّةِ؟، قُلْنَا: عَنْ أَيِّ شَأْنِهَا تَسْتَخْبِرُ؟، قَالَ: هَلْ فِيهَا مَاءٌ؟، قَالُوا: هِيَ كَثِيرَةُ الْمَاءِ، قَالَ: أَمَا إِنَّ مَاءَهَا يُوشِكُ أَنْ يَذْهَبَ؟، قَالَ: أَخْبِرُونِي عَنْ عَيْنِ زُغَرَ[3]، قَالُوا: عَنْ أَيِّ شَأْنِهَا تَسْتَخْبِرُ؟، قَالَ: هَلْ فِي الْعَيْنِ مَاءٌ وَهَلْ يَزْرَعُ أَهْلُهَا بِمَاءِ الْعَيْنِ؟.

قُلْنَا لَهُ: نَعَمْ، هِيَ كَثِيرَةُ الْمَاءِ وَأَهْلُهَا يَزْرَعُونَ مِنْ مَائِهَا.

قَالَ: أَخْبِرُونِي عَنْ نَبِيِّ الْأُمِّيِّينَ مَا فَعَلَ؟، قَالُوا: قَدْ خَرَجَ مِنْ مَكَّةَ وَنَزَلَ يَثْرِبَ.

---

(١) اعْمِدُوا -بِكَسْرِ المِيْمِ- أَيِ: اقْصِدُوا.

(٢) بَيْسَانَ -بِالفَتْحِ-: هِيَ قَرْيَةٌ بِالشَّامِ شَمَالَ فِلَسْطِيْنَ.

(٣) زُغَرَ: هِيَ بَلْدَةٌ مَعْرُوفَةٌ فِي الجَانِبِ القِبْلِيِّ مِنَ الشَّامِ.

قَالَ: أَقَاتَلَهُ الْعَرَبُ؟، قُلْنَا: نَعَمْ، قَالَ: كَيْفَ صَنَعَ بِهِمْ، فَأَخْبَرْنَاهُ أَنَّهُ قَدْ ظَهَرَ عَلَىٰ مَنْ يَلِيهِ مِنَ الْعَرَبِ وَأَطَاعُوهُ، قَالَ لَهُمْ: قَدْ كَانَ ذَلِكَ؟، قُلْنَا: نَعَمْ، قَالَ: أَمَا إِنَّ ذَاكَ خَيْرٌ لَهُمْ أَنْ يُطِيعُوهُ، وَإِنِّي مُخْبِرُكُمْ عَنِّي إِنِّي أَنَا الْمَسِيحُ، وَإِنِّي أُوشِكُ أَنْ يُؤْذَنَ لِي فِي الْخُرُوجِ، فَأَخْرُجَ فَأَسِيرَ فِي الْأَرْضِ، فَلَا أَدَعَ قَرْيَةً إِلَّا هَبَطْتُهَا فِي أَرْبَعِينَ لَيْلَةً غَيْرَ مَكَّةَ، وَطَيْبَةَ فَهُمَا مُحَرَّمَتَانِ عَلَيَّ كِلْتَاهُمَا، كُلَّمَا أَرَدْتُ أَنْ أَدْخُلَ وَاحِدَةً أَوْ وَاحِدًا مِنْهُمَا اسْتَقْبَلَنِي مَلَكٌ بِيَدِهِ السَّيْفُ صَلْتًا[١] يَصُدُّنِي عَنْهَا، وَإِنَّ عَلَىٰ كُلِّ نَقْبٍ[٢] مِنْهَا مَلَائِكَةً يَحْرُسُونَهَا».

قَالَتْ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «وَطَعَنَ بِمِخْصَرَتِهِ[٣] فِي الْمِنْبَرِ، هَـٰذِهِ طَيْبَةُ، هَذِهِ طَيْبَةُ، هَذِهِ طَيْبَةُ يَعْنِي الْمَدِينَةَ، أَلَا هَلْ كُنْتُ حَدَّثْتُكُمْ ذَلِكَ؟».

فَقَالَ النَّاسُ: نَعَمْ. «فَإِنَّهُ أَعْجَبَنِي حَدِيثُ تَمِيمٍ أَنَّهُ وَافَقَ الَّذِي كُنْتُ أُحَدِّثُكُمْ عَنْهُ وَعَنِ الْمَدِينَةِ وَمَكَّةَ، أَلَا إِنَّهُ فِي بَحْرِ الشَّأْمِ أَوْ بَحْرِ الْيَمَنِ، لَا بَلْ مِنْ قِبَلِ الْمَشْرِقِ مَا هُوَ مِنْ قِبَلِ الْمَشْرِقِ، مَا هُوَ مِنْ قِبَلِ الْمَشْرِقِ، مَا هُوَ وَأَوْمَأَ بِيَدِهِ إِلَىٰ الْمَشْرِقِ.

قَالَتْ: فَحَفِظْتُ هَذَا مِنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ[٤].

قَالَ الشَّاعِرُ:

وُفُـودٌ أَقْبَلَتْ مِـنْ كُـلِّ فَـجٍّ ... تَـمُـوجُ كَـأَنَّـهَا لُجَجُ الـبِحَـارِ
سَـلِمَتْ وَصَادَفَتْ خَيْرًا وَيُمْنًا ... رِكَـابُـكَ فِـي رَوَاحٍ وَابْتِـكَارِ[٥]

---

(١) صَلْتًا أَيْ: مُتَجَرِّدًا مَسْلُولًا مِنْ غِمْدِهِ، تَهَيُّئُوا لِلضَّرْبِ بِهِ.
(٢) النَّقْبُ -بِالفَتْحِ- الطَّرِيْقُ فِي الجَبَلِ، وَالجَمْعُ أَنْقَابٌ.
(٣) المِخْصَرَة -بِالكَسْرِ-: عَصًا أَوْ قَضِيبٌ كَانَتْ تَكُونُ مَعَ المَلِكِ إِذَا تَكَلَّمَ أَوِ الخَاطِبِ.
(٤) رَوَاهُ مُسْلِمٌ (٢٩٤٢).

وَقَالَ آخَرُ[1]:

ثُــمَّ اِسْتَـهَلَّتْ وُفُـودُ النَّـاسِ قَاطِبَـةً إِلَــىٰ حِــمَـاهُ فَـلاقَـتْ وَافِـرَ الكَـرَمِ

فَــكَانَ عَــامَ وُفــودٍ كُلَّمـا اِنْصَرَفَتْ عِصَابَـةٌ أَقبَلَـتْ أُخْـرَىٰ عَلَـىٰ قَـدَمِ[1]

(١) «مَوْسُوعَةُ الشِّعْرِ الإِسْلاَمِي» (١٩/ ٦٠٦).

حَجُّ أَبِي بَكْرٍ الصِّدِّقِ بِالنَّاسِ

فَلِلَّهِ صِدِّيْقُ النَّبِيِّ الَّذِي لَهُ ... فَضَائِلُ لَمْ يُدْرِكْ بَعْدٌ لَهَا حَدُّ
وَمَنْ كَانَ لِلمُخْتَارِ فِي الغَارِ ثَانِيًا ... وَجَادَ إِلَىٰ أَنْ صَارَ لَيْسَ لَهُ وَجْدُ[(١)]

لَمْ يَحُجَّ رَسُولُ اللهِ ﷺ عَامَ الفَتْحِ، بَلِ اعْتَمَرَ مِنَ الجعْرَانَةِ بَعْدَ رُجُوعِهِ مِنَ الطَّائِفِ، وَرَجَعَ إِلَىٰ المَدِيْنَةِ.

وَقَدْ حَجَّ المُسْلِمُونَ والمُشْرِكُونَ مَعًا فِي العَامِ الثَّامِنِ، وَالَّذِي حَجَّ بِالمُسْلِمُونَ عَتَّابُ بْنُ أُسَيْدٍ أَمِيرُ مَكَّةَ مِنْ قِبَلِ النَّبِيِّ ﷺ، فَلَمَّا كَانَ العَامُ التَّاسِعُ مِنَ الهِجْرَةِ أَمَرَ النَّبِيُّ ﷺ أَبَا بَكْرٍ الصِّدِّيْقَ أَنْ يَحُجَّ بِالنَّاسِ، فَخَرَجَ فِي ذِي الحِجَّةِ إِلَىٰ مَكَّةَ، فَلَمَا خَرَجَ أَبُو بَكْرٍ الصِّدِّيْقَ، نَزَلَتْ سُورَةِ (بَرَاءَةٌ)، فَأَرْسَلَ النَّبِيُّ ﷺ عَلِيَّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ بِصَدْرِ سُورَةُ (بَرَاءَةٌ)؛ لِيُعْلِنَهَا عَلَىٰ النَّاسِ فِي مَوْسِمِ الحَجِّ يَوْمَ النَّحْرِ، وَهُوَ العَاشِرُ مِنْ ذِي الحِجَّةِ، وَقَالَ: «**لَا يُبَلِّغُهَا إِلَّا رَجُلٌ مِنْ أَهْلِ بَيْتِي**».

فَعَنْ أَبِي جَعْفَرٍ مُحَمَّدِ بْنِ عَلِيٍّ قَالَ: لَمَّا نَزَلَتْ بَرَاءَةٌ عَلَىٰ رَسُولِ اللهِ ﷺ، وَقَدْ كَانَ بَعَثَ أَبَا بَكْرٍ الصِّدِّيقَ لِيُقِيمَ لِلنَّاسِ الْحَجَّ، قِيلَ لَهُ: يَا رَسُولَ اللهِ لَوْ بَعَثْتُ بِهَا إِلَىٰ أَبِي بَكْرٍ، فَقَالَ: لَا يُؤَدِّي عَنِّي إِلَّا رَجُلٌ مِنْ أَهْلِ بَيْتِي، ثُمَّ دَعَا عَلِيَّ بْنَ أَبِي طَالِبٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، فَقَالَ لَهُ: اُخْرُجْ بِهَذِهِ الْقِصَّةِ مِنْ صَدْرِ بَرَاءَةٍ، وَأَذِّنْ فِي النَّاسِ يَوْمَ

---

(١) «دَوَاوِيْنُ الشِّعْرِ العَرَبِيِّ» (٩/ ٣).

النَّحْرِ إِذَا اجْتَمَعُوا بِمِنًى، أَنَّهُ لَا يَدْخُلُ الْجَنَّةَ كَافِرٌ، وَلَا يَحُجُّ بَعْدَ الْعَامِ مُشْرِكٌ، وَلَا يَطُوفُ بِالْبَيْتِ عُرْيَانٌ، وَمَنْ كَانَ لَهُ عِنْدَ رَسُولِ اللهِ ﷺ عَهْدٌ فَهُوَ لَهُ إِلَى مُدَّتِهِ، فَخَرَجَ عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ عَلَى نَاقَةِ رَسُولِ اللهِ ﷺ الْعَضْبَاءِ، حَتَّى أَدْرَكَ أَبَا بَكْرٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ بِالطَّرِيقِ، فَلَمَّا رَآهُ أَبُو بَكْرٍ بِالطَّرِيقِ قَالَ: أَأَمِيرٌ أَمْ مَأْمُورٌ؟

فَقَالَ: بَلْ مَأْمُورٌ، ثُمَّ مَضَيَا.

فَأَقَامَ أَبُو بَكْرٍ لِلنَّاسِ الْحَجَّ، وَالْعَرَبُ إِذْ ذَاكَ فِي تِلْكَ السَّنَةِ عَلَى مَنَازِلِهِمْ مِنَ الْحَجِّ، الَّتِي كَانُوا عَلَيْهَا فِي الْجَاهِلِيَّةِ، حَتَّى إِذَا كَانَ يَوْمُ النَّحْرِ، قَامَ عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، فَأَذَّنَ فِي النَّاسِ بِالَّذِي أَمَرَهُ بِهِ رَسُولُ اللهِ ﷺ.

فَقَالَ: أَيُّهَا النَّاسُ، إِنَّهُ لَا يَدْخُلُ الْجَنَّةَ كَافِرٌ، وَلَا يَحُجُّ بَعْدَ الْعَامِ مُشْرِكٌ، وَلَا يَطُوفُ بِالْبَيْتِ عُرْيَانًا، وَمَنْ كَانَ لَهُ عِنْدَ رَسُولِ اللهِ ﷺ عَهْدٌ فَهُوَ لَهُ إِلَى مُدَّتِهِ»[(١)].

وَأَجَّلَ النَّاسَ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ مِنْ يَوْمِ أَذَّنَ فِيهِمْ، لِيَرْجِعَ كُلُّ قَوْمٍ إِلَى مَأْمَنِهِمْ أَوْ بِلَادِهِمْ، ثُمَّ لَا عَهْدٌ لِمُشْرِكٍ وَلَا ذِمَّةٌ إِلَّا أَحَدٌ كَانَ لَهُ عِنْدَ رَسُولِ اللهِ ﷺ عَهْدٌ إِلَى مُدَّةٍ، فَهُوَ لَهُ إِلَى مُدَّتِهِ. فَلَمْ يَحُجَّ بَعْدَ ذَلِكَ الْعَامِ مُشْرِكٌ، وَلَمْ يَطُفْ بِالْبَيْتِ عُرْيَانٌ. ثُمَّ قَدِمَا عَلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ.

وَلَمْ يَكُنْ عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ لِوَحْدِهِ، بَلْ كَانَ هُنَاكَ مُؤَذِّنُون آخَرُونَ، ثَبَّتَهُمْ أَبُو بَكْرٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ فِي المَجَامِعِ الكَبِيْرَةِ؛ يُعِينُونَ عَلِيًّا رَضِيَ اللهُ عَنْهُ عَلَى إِبْلَاغِ رِسَالَتِهِ،

---

(١) (حَسَنٌ أَخْرَجَهُ ابْنِ هِشَامٍ فِي السِّيْرَةِ» (٢/ ٥٤٥)، وَهُوَ مُرْسَلٌ، لَكِنْ لَهُ شَوَاهِدُ يَتَقَوَّى بِهَا، ذَكَرَهَا ابْن كَثِيْر فِي «السِّيْرَةِ» (٤/ ٧٠-٧٢) وَحَسَّنَهُ الأَلْبَانِيُّ فِي حَاشِيَةِ «فِقْه السِّيْرَةِ» (٤٥٢).

وَيُصِيْحُونَ هُنَا وَهُنَاك: «**لَا يَحُجُّ بَعْدَ الْعَامِ مُشْرِكٌ، وَلَا يَطُوفُ بِالْبَيْتِ عُرْيَانٌ**».

فَعَـنْ حُمَيْدِ بْنِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ: أَنَّ أَبِـي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ أَخْبَرَهُ أَنَّ أَبَا بَكْرٍ الصِّدِّيقَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ بَعَثَـهُ فِـي الْحَجَّةِ الَّتِي أَمَّرَهُ النَّبِـيُّ ﷺ عَلَيْهَا قَبْلَ حَجَّةِ الْـوَدَاعِ يَوْمَ النَّحْرِ فِي رَهْطٍ، يُؤَذِّنُ فِي النَّاسِ: «**لَا يَحُجُّ بَعْدَ الْعَامِ مُشْرِكٌ، وَلَا يَطُوفُ بِالْبَيْتِ عُرْيَانٌ**»[١].

---

(١) رَوَاهُ البُخَارِيُّ (٣٦٩)، (٣١٧٧)، ومُسْلِمٌ (١٣٤٧).

بَعْثُ مُعَاذٍ وَأَبِي مُوسَى رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا إِلى اليَمَنِ

بَعَثَ الرَّسُولُ مُعَلِّمًا وَمُهَذِّبًا ... يَبْنِي الحَيَاةَ جَدِيْدَةً يَتَأَنَّقُ(١)

عَنْ أَبِي مُوسَىٰ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ: أَقْبَلْتُ إِلَىٰ النَّبِيِّ ﷺ وَمَعِي رَجُلَانِ مِنَ الْأَشْعَرِيِّينَ، أَحَدُهُمَا عَنْ يَمِينِي، وَالْآخَرُ عَنْ يَسَارِي، فَكِلَاهُمَا سَأَلَ الْعَمَلَ، وَالنَّبِيُّ ﷺ سَاكِتٌ، فَقَالَ: «**مَا تَقُولُ يَا أَبَا مُوسَىٰ**» - **أَوْ** «**يَا عَبْدَ اللهِ بْنَ قَيْسٍ؟**».

قُلْتُ: وَالَّذِي بَعَثَكَ بِالْحَقِّ، مَا أَطْلَعَانِي عَلَىٰ مَا فِي أَنْفُسِهِمَا، وَمَا شَعَرْتُ أَنَّهُمَا يَطْلُبَانِ الْعَمَلَ، وَكَأَنِّي أَنْظُرُ إِلَىٰ سِوَاكِهِ تَحْتَ شَفَتِهِ قَلَصَتْ، قَالَ: «**لَنْ نَسْتَعْمِلَ - أَوْ لَا نَسْتَعْمِلُ - عَلَىٰ عَمَلِنَا مَنْ أَرَادَهُ، وَلَكِنِ اذْهَبْ أَنْتَ يَا أَبَا مُوسَىٰ -أَوْ يَا عَبْدَ اللهِ بْنَ قَيْسٍ-**»، فَبَعَثَهُ عَلَىٰ الْيَمَنِ، ثُمَّ أَتْبَعَهُ مُعَاذَ بْنَ جَبَلٍ، قَالَ: فَلَمَّا قَدِمَ عَلَيْهِ مُعَاذٌ، قَالَ: انْزِلْ، وَأَلْقَىٰ لَهُ وِسَادَةً، وَإِذَا رَجُلٌ عِنْدَهُ مُوثَقٌ، قَالَ: مَا هَذَا؟.

قَالَ: هَذَا كَانَ يَهُودِيًّا، فَأَسْلَمَ، ثُمَّ رَاجَعَ دِينَهُ دِينَ السُّوءِ، قَالَ: لَا أَجْلِسُ حَتَّىٰ يُقْتَلَ، قَضَاءُ اللهِ وَرَسُولِهِ، قَالَ: نَعَمْ اجْلِسْ، قَالَ: لَا أَجْلِسُ حَتَّىٰ يُقْتَلَ قَضَاءُ اللهِ وَرَسُولِهِ، ثَلَاثَ مَرَّاتٍ، فَأَمَرَ بِهِ فَقُتِلَ، ثُمَّ تَذَاكَرَا قِيَامَ اللَّيْلِ، فَقَالَ: مُعَاذُ بْنُ جَبَلٍ:

(١) «دِيْوَانُ أَحْمَد مُحَرَّم» (٨٨٢).

أَمَّا أَنَا فَأَنَامُ وَأَقُومُ- أَوْ أَقُومُ وَأَنَامُ- وَأَرْجُو فِي نَوْمَتِي مَا أَرْجُو فِي قَوْمَتِي»[١].

أحيا بك الله أرواحًا قد اندثرت ... وفي تُرْبَةِ الْوَهْمِ بَيْنَ الكأسِ والصَّنَمِ

نَفَضْتَ عنها غُبَارَ الذُّلِّ فاتَّقَدَتْ ... وأبْدَعَتْ وَرَوتْ مَا قُلْتَ للأُمَمِ[٢]

(١) رَوَاهُ البُخَارِيُّ (٤٧٤٧)، ومُسْلِمٌ (١٩).

(٢) «موسوعة الشعر الإسلامي» (٧٥/ ٥٦٠).

بَعْثُ خَالد بْن الوَلِيْد وَعَلِيٍّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا إِلَى اليَمَن

ثُـغُـورُ الـنَّـصْرِ بِـاسِـمَـةٌ إِذَا مَـا ... تَـجَـهَّـزَ جَـحْـفَـلٌ، وَتَـلاهُ بَعْـثُ[١]

عَـنِ الْبَرَاءِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَـالَ: بَعَثَ النَّبِيُّ ﷺ خَالِدَ بْنَ الْوَلِيدِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ إِلَىٰ أَهْلِ الْيَمَنِ، يَدْعُوهُمْ إِلَىٰ الْإِسْلَامِ فَلَمْ يُجِيبُوهُ، ثُمَّ إِنَّ النَّبِيَّ ﷺ بَعَثَ عَلِيَّ بْنَ أَبِي طَالِبٍ وَأَمَرَهُ أَنْ يَقْفُـلَ[٢] خَالِدًا وَمَـنْ كَانَ مَعَهُ إِلاَّ رَجُلًا مِمَّنْ كَانَ مَعَ خَالِـدٍ أَحَبَّ أَنْ يُعَقِّبَ مَعَ عَلِيٍّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فَلْيُعَقِّبْ[٣] مَعَهُ.

قَـالَ الْبَرَاءُ: فَكُنْتُ مِمَّنْ عَقَّبَ مَعَهُ، فَلَمَّا دَنَوْنَا مِنَ الْقَوْمِ خَرَجُوا إِلَيْنَا فَصَلَّىٰ بِنَا عَلِيٌّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وَصَفَّنَا صَفًّا وَاحِدًا، ثُمَّ تَقَدَّمَ بَيْنَ أَيْدِينَا، فَقَرَأَ عَلَيْهِمْ كِتَابَ رَسُولِ اللهِ ﷺ فَأَسْـلَمَتْ هَمْدَانُ جَمِيعًا[٤]، فَكَتَبَ عَلِيٌّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ إِلَىٰ رَسُولِ اللهِ ﷺ بِإِسْلاَمِهِمْ، فَلَمَّا قَرَأَ رَسُـولُ اللهِ ﷺ الْكِتَابَ خَرَّ[٥] سَـاجِدًا، ثُمَّ رَفَعَ رَأْسَهُ فَقَالَ: «**السَّلَامُ عَلَىٰ**

(١) «دَوَاوِيْنُ الشِّعْرِ العَرَبِيِّ» (٨٧/ ٢٩٧).

(٢) أَقْفَلَهُ: أَرْجَعَهُ.

(٣) التَّعْقِيْبُ: أَنْ تَعْمَلَ عَمَلًا ثُمَّ تَعُودَ إِلَيْهِ ثَانِيَةً.

(٤) هَمْدَانُ: مِنْ أُمَّهَاتِ القَبَائِلِ اليَمَنِيَّةِ، وَمِنْ أَشَدِّهَا بَأْسًا، وَمِمَّنْ سَارَعَتْ إِلَىٰ الإِسْلامِ، وَثَبَتَتْ عَلَيْهِ، فَلَمْ يَرْتَدَّ مِنْهُمْ أَحَدٌ، وَقَدْ فَشَا فِيْهِمْ الإِسْلاَمُ قَبْلَ الهِجْرَةِ النَّبَوِيَّةِ،وَ هَمْدَانُ هِيَ قَبَائِلُ بِلَيْلِ وَحَاشِدٍ جَمِيْعُهَا، وَيُضْرَبُ بِهَا المَثَلُ فِي الأَخْلاَقِ وَالمُرُوءَةِ، وَالنَّجْدَةِ وَالغَيْرَةِ الشَّدِيْدَةِ عَلَىٰ الأَعْرَاضِ وَالدِّمَاءِ حَتَّىٰ يَوْمِنَا هَذَا.

(٥) خَرَّ: سَقَطَ، وَبَابُهُ ضَرَبَ وَدَخَلَ.

هَمْدَانَ، السَّلَامُ عَلَىٰ هَمْدَانَ»(١).

لِهَمْدَانَ أَخْلاقٌ، وَدِيْنٌ يُزِينُهُمْ — وَأُنْسٌ- إِذَا لَقَوْا - وَحُسْنُ كَلامِ
فَلَوْ كُنْتُ بَوَّابًا عَلَىٰ بَابِ جَنَّةٍ — لَقُلْتُ لِهَمْدَانَ ادْخُلُوا بِسَلامِ(٢)

(١) (صَحِيْحٌ) أَخْرَجَهُ البَيْهَقِيُّ (٢/ ٣٦٩)، وَأَخْرَجَ صَدْرَهُ البُخَارِيُّ (٤٣٤٩)، وَصَحَّحَهُ الأَلْبَانِيُّ رَحِمَهُ اللهُ فِي «الإِرْوَاءِ» (٤٧٤).

(٢) «دَوَاوِيْنُ الشِّعْرِ العَرَبِيِّ» (١١/ ٢٠٦).

حَجَّةُ الوَدَاعِ

عَلَيْكَ سَلَامُ اللهِ مَا حَجَّ مُحْرِمٌ وَهَلَّلَ فِي تِلْكَ البِقَاعِ وَكَبَّرَا (١)

١ ـ سَبَبُ تَسْمِيَةِ هَذِهِ الحَجَّةِ بِحَجَّةِ الوَدَاعِ:

كَانَتْ حَجَّةُ الوَدَاعِ فِي العَامِ العَاشِرِ مِنَ الهِجْرَةِ، وَسُمِّيَتْ حَجَّةَ الوَدَاعِ؛ لِأَنَّ النَّبِيَّ ﷺ وَدَّعَ النَّاسَ فِيْهَا، وَلَمْ يَحُجَّ بَعْدَهَا.

فَعَنْ ابْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا قَالَ: «كُنَّا نَتَحَدَّثُ بِحَجَّةِ الْوَدَاعِ، وَالنَّبِيُّ ﷺ بَيْنَ أَظْهُرِنَا، وَلَا نَدْرِي مَا حَجَّةُ الْوَدَاعِ» (٢).

وَفِي رِوَايَةٍ عَنْهُ قَالَ: «وَقَفَ النَّبِيُّ ﷺ يَوْمَ النَّحْرِ بَيْنَ الْجَمَرَاتِ فِي الْحَجَّةِ الَّتِي حَجَّ بِهَا، وَقَالَ: **هَذَا يَوْمُ الْحَجِّ الْأَكْبَرِ**»، فَطَفِقَ النَّبِيُّ ﷺ يَقُولُ: «**اللهُمَّ اشْهَدْ**»، وَوَدَّعَ النَّاسَ؛ فَقَالُوا: هَذِهِ حَجَّةُ الْوَدَاعِ (٣).

قَالَ الحَافِظُ ابْنُ حَجَرٍ رَحِمَهُ اللهُ:

قَوْلُهُ: (وَلَا نَدْرِي مَا حَجَّةُ الْوَدَاعِ) كَأَنَّهُ شَيْءٌ ذَكَرَهُ النَّبِيُّ ﷺ فَتَحَدَّثُوا بِهِ وَمَا فَهِمُوا أَنَّ الْمُرَادَ بِالْوَدَاعِ وَدَاعُ النَّبِيِّ ﷺ، حَتَّىٰ وَقَعَتْ وَفَاتُهُ ﷺ بَعْدَهَا بِقَلِيلٍ، فَعَرَفُوا الْمُرَادَ، وَعَرَفُوا أَنَّهُ وَدَّعَ النَّاسَ بِالْوَصِيَّةِ الَّتِي أَوْصَاهُمْ بِهَا أَنْ لَا يَرْجِعُوا

(١) «دَوَاوِيْنُ الشِّعْرِ العَرَبِيِّ» (٢٣/ ١٩٩).

(٢) رَوَاهُ البُخَارِيُّ (٤٤٠٢).

(٣) رَوَاهُ البُخَارِيُّ (١٦٥٥).

بَعْدَهُ كُفَّارًا، وَأَكَّدَ التَّوْدِيعَ بِإِشْهَادِ اللهِ -تَعَالَىٰ- عَلَيْهِمْ بِأَنَّهُمْ شَهِدُوا أَنَّهُ قَدْ بَلَّغَ مَا أُرْسِلَ إِلَيْهِمْ بِهِ، فَعَرَفُوا حِينَئِذٍ الْمُرَادَ بِقَوْلِهِمْ: حِجَّةُ الْوَدَاعِ(١).

٢ـ وَأَذِّنْ فِي النَّاسِ بِالحَجِّ:

مَعَالِمُ شَيَّدَهُنَّ الخَلِيْلُ وَأَذَّنَ بِالحَجِّ فِيْهَا مُشَيَّدَا(٢)

لَمَّا عَزَمَ النَّبِيُّ ﷺ عَلَىٰ الحَجِّ، أَذَّنَ فِي النَّاسِ بِهِ، فَتَجَهَّزُوا لِلخُرُوجِ، يُرِيْدُونَ الحَجَّ مَعَهُ ﷺ.

قَالَ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللهِ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: إِنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ مَكَثَ تِسْعَ سِنِينَ لَمْ يَحُجَّ، ثُمَّ أَذَّنَ فِي النَّاسِ فِي الْعَاشِرَةِ: أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ حَاجٌّ، فَقَدِمَ الْمَدِينَةَ بَشَرٌ كَثِيرٌ، كُلُّهُمْ يَلْتَمِسُ أَنْ يَأْتَمَّ بِرَسُولِ اللهِ ﷺ، وَيَعْمَلَ مِثْلَ عَمَلِهِ، فَخَرَجْنَا مَعَهُ»(٣).

إِذَا نَحْنُ أَدْلَجْنَا وَأَنْتَ أَمَامَنَا كَفَىٰ لِمَطَايَانَا بِذِكْرَاكَ حَادِيا(٤)

وَقَالَ أُسْتَاذُنَا عَبْدُ الكَرِيْمِ العِمَادُ -حَفِظَهُ اللهُ-:

يَا لَيْتَنِي كُنْتُ مَعَكَ يَا سَعْدَ مَنْ حَجُّوا مَعَكْ

يَا لَيْتَنِي قَدَّمْتُ رُوْحِي وَدَمِي لِأَمْنَعَكْ

يَا سَعْدَ مَنْ أَصْغَىٰ إِلَيْـ ـكَ مُنْصِتًا كَيْ يَسْمَعَكْ

(١) «فَتْحُ البَارِيُّ» (٨/ ١٠٧).

(٢) «دَوَاوِيْنُ الشِّعْرِ العَرَبِيِّ» (٤١/ ٤٧٢).

(٣) رَوَاهُ مُسْلِمٌ (١٩٠٩).

(٤) «زَهْرَةُ الأَدَبِ» (٢/ ٥٥١).

يَا فَخْرَ مَنْ أَحْنَىٰ إِلَيْـ ـكَ ظَهْرَهُ لِيَرْفَعَكْ
يَا عِزَّ مَنْ شَمَّرَ عَنْ سَاقَيْهِ حَتَّىٰ يَتْبَعَكْ

٣ـ فَضْلُ حِجَّةِ الْوَدَاعِ:

لَقَدْ سَعِدَ الحُجَّاجُ إِذْ كُنْتَ فِيْهِمُ وَحُقَّ لَهُمْ أَنْ يَسْعَدُوا وَيُوَفَّقُوا(١)

كَانَتْ حِجَّةُ الْوَدَاعِ أَعْظَمَ حَجَّةٍ فِي التَّارِيْخِ وَأَفْضَلَهَا؛ لِأَنَّ فِيْهَا رَسُولَ اللهِ ﷺ وَهُوَ إِمَامُهُمْ.

وَقَدْ أَقَامَ النَّبِيُّ ﷺ فِيْهَا شَعَائِرَ اللهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، وَعَظَّمَ حُرُمَاتِهِ، وَصَدَعَ بِدِينِهِ، وَبَيَّنَ لِلنَّاسِ مَنَاسِكَهُمْ، وَخَطَبَ يُنْذِرُهُمْ، وَيُعَلِّمُهُمْ، وَيُبَشِّرُهُمْ.

قَالَ أُسْتَاذُنَا عَبْدُ الكَرِيْمِ العِمَادُ -حَفِظَهُ اللهُ-:

وَحَجَّةٌ أَنْتَ فِيْهَا لاَ يُقَاسُ بِهَا طُولَ الْمَدَىٰ حِجَّةٌ مِنْ مَنْشَإِ الحَرَمِ
سُنِّيَّةٌ خَطَوُهَا، نُورٌ مَسَالِكُهَا عَلَمٌ مَنَاسِكُهَا، مَوْفُورَةُ النِّعَمِ

٤ـ الخُرُوجُ إِلَى الحَجِّ:

رَأَىٰ الحُجَّاجُ يَوْمَ حَجَجْتَ بَدْرًا وَبَحْرًا لَنْ يُغَامَ، وَلَنْ يُجَازَا(٢)

صَلَّىٰ رَسُولُ اللهِ ﷺ الظُّهْرَ يَوْمَ الخَمِيْسِ، لِسِتٍّ بَقِيْنَ مِنْ ذِي القَعْدَةِ، مِنْ سَنَةِ عَشْرٍ بِالمَدِيْنَةِ، ثُمَّ خَرَجَ مِنْهَا بِمَنْ مَعَهُ مِنَ المُسْلِمِيْنَ مِنْ أَهْلِ المَدِيْنَةِ، وَمَنْ

(١) «دَوَاوِيْنُ الشِّعْرِ العَرَبِيِّ» (٣٣/ ٢٩٢).
(٢) «دَوَاوِيْنُ الشِّعْرِ العَرَبِيِّ» (٩٥/ ٤٠).

تَجَمَّعَ مِنَ الأَعْرَابِ، فَصَلَّىٰ العَصْرَ بِذِي الحُلَيْفَةِ (هُوَ مِيْقَاتُ أَهْلِ المَدِيْنَةِ، وَيُعْتَبَرُ جُزْءًا مِنْ وَادِي العَقِيْقِ) وَأَتَاهُ آتٍ مِنْ رَبِّهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ وَهُوَ فِي وَادِي العَقِيْقِ، يَأْمُرُهُ رَبِّهِ أَنْ يَقُولَ فِي حَجَّتِهِ هِذِهِ: «**حَجَّةٌ فِي عُمْرَةٍ**»[١].

فَأَصْبَحَ؛ فَأَخْبَرَ النَّاسَ بِذَلِكَ، وَطَافَ عَلَىٰ نِسَائِهِ بِغُسْلٍ وَاحِدٍ[٢]، وَسَاقَ الهَدْيَ مِنْ ذِي الحُلَيْفَةِ، وَأَمَرَ مَنْ كَانَ مَعَهُ هَدْيٌ أَنْ يُهِلَّ كَمَا أَهَلَّ ﷺ، وَسَارَ ﷺ وَالنَّاسُ بَيْنَ يَدَيْهِ، وَخَلْفَهُ، وَعَنْ يَمِيْنِهِ، وَشِمَالِهِ أُمَمًا، لاَ يُحْصَوْنَ كَثْرَةً، كُلُّهُمْ قَدِمَ؛ لِيَأْتَمَّ بِهِ ﷺ.

فَلَمَّا قَدِمَ ﷺ مَكَّةَ، طَافَ لِلقُدُومِ، ثُمَّ سَعَىٰ بَيْنَ الصَّفَا والمَرْوَةِ، وَأَمَرَ الَّذِيْنَ لَمْ يَسُوقُوا هَدْيًا أَنْ يَفْسَخُوا حَجَّهُمْ إِلَىٰ عُمْرَةٍ، وَيَتَحَلَّلُوا حِلًّا تَامًّا، ثُمَّ يُهِلُّوا بِالحَجِّ وَقْتَ خُرُوجِهِمْ إِلَىٰ مِنىً، وَقَالَ: «لَوْ اسْتَقْبَلْتُ مِنْ أَمْرِي مَا اسْتَدْبَرْتُ، لَمَا سُقْتُ الْهَدْيَ، وَلَجَعَلْتُهَا عُمْرَةً»[٣].

وَقَدِمَ عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ مِنَ اليَمَنِ هَدْيًا، فَأَشْرَكَهُ ﷺ فِي هَدْيِهِ، وَكَانَ حَاصِلُهَا مِائَةَ بَدَنَةٍ، ثُمَّ خَرَجَ ﷺ إِلَىٰ مِنىً، فَبَاتَ بِهَا، وَكَانَتْ لَيْلَةَ الجُمُعَةِ، التَّاسِعَ مِنْ ذِي الحجَّةِ، ثُمَّ أَصْبَحَ فَسَارَ إِلَىٰ عَرَفَةَ، وَخَطَبَ بِنَمِرَةَ خُطْبَةً عَظِيْمَةً، شَهِدَهَا مِنَ أَصْحَابِهِ نَحْوٌ مِنْ أَرْبَعِينَ أَلْفًا - رَضِيَ اللهُ عَنْهُمْ أَجْمَعِيْنَ - وَجَمَعَ بَيْنَ الظُّهْرِ والعَصْرِ، ثُمَّ وَقَفَ بِعَرَفَةَ، ثُمَّ بَاتَ بِالمُزْدَلِفَةِ، وَجَمَعَ بَيْنَ المَغْرِبِ والعِشَاءِ لَيْلَتَئِذٍ، ثُمَّ أَصْبَحَ فَصَلَّىٰ الفَجْرَ فِي أَوَّلِ وَقْتِهَا.

---

(١) رَوَاهُ البُخَارِيُّ (١٥٣٤).

(٢) رَوَاهُ البُخَارِيُّ (٢٧)، ومُسْلِمٌ (١١٩٢).

(٣) رَوَاهُ البُخَارِيُّ (١٥٦٨)، ومُسْلِمٌ (١٢١٨).

ثُمَّ سَارَ قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ إِلَىٰ مِنَىٰ، فَرَمَىٰ جَمْرَةِ العَقَبَةِ، وَنَحَرَ وَحَلَقَ، ثُمَّ أَفَاضَ، فَطَافَ بِالبَيْتِ طَوَافَ الفَرْضِ، وَهُوَ طَوَافُ الزِّيَارَةِ، وَخَطَبَ ثَانِي يَوْمِ النَّحْرِ خُطْبَةً عَظِيْمَةً، وَوَصَّىٰ وَحَذَّرَ وَأَنْذَرَ، وَأَشْهَدَهُمْ عَلَىٰ أَنْفُسِهِمْ: أَنَّهُ بَلَّغَ الرِّسَالَةَ.

فَنَحْنُ نَشْهَدُ أَنَّهُ بَلَّغَ الرِّسَالَةَ، وَأَدَّىٰ الأَمَانَةَ، وَنَصَحَ الأُمَّةَ، ﷺ تَسْلِيْمًا كَثِيْرًا دَائِمًا إِلَىٰ يَوْمِ الدِّيْنِ.

ثُمَّ أَقْبَلَ ﷺ مُنْصَرِفًا إِلَىٰ المَدِيْنَةِ، وَقَدْ أَكْمَلَ اللهُ لَهُ دِيْنَهُ.(١) ٢) ٣) ٤) ٥)

غَسَلَ الكَرَىٰ (٢) عَنْ أَعْيُنِ الدُّنْيَا كَمَا ... يُجْلَىٰ الدُّجَىٰ بِالفَجْرِ فِي فَلَقَاتِهِ
وَأَنَارَ بِالآيَاتِ كُلَّ بَصِيْرَةٍ ... فَكَأَنَّ نُورَ الشَّمْسِ مِنْ قَسِمَاتِهِ (٣)
وَاقْتَادَ لِلْجَنَّاتِ أَسْمَىٰ مَوْكِبٍ ... ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ﴾ تَمْتَمَاتُ حُدَاتِهِ (٤) (٥)

---

(١) انْظُرْ: «الفُصُولُ فِي سِيْرَةِ الرَّسُولِ» لابْنِ كَثِيْرٍ (٢٥٤-٢٥٩) بِاخْتِصَارٍ شَدِيْدٍ.

(٢) الكَرَىٰ: النُّعَاسَ.

(٣) القَسَمَات: مَلَامِحُ الوَجْهِ ن وَاحِدُهَا: قَسِمَةٌ - بِكَسْرِ السِّيْنِ -.

(٤) الحُدَاة: جَمْعُ حَادٍ، والحُدَاءُ: هُوَ رَجَزُ الحَادِي خَلْفَ الإِبِلِ (الرَّجَزُ: ضَرْبٌ مِنَ الشِّعْرِ).

(٥) «مَوْسُوعَةُ الشِّعْرِ الإِسْلَامِيِّ» (٧٣/ ٥٦٠).

مَرَضُ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَوَفَاتُهُ

وَنَقُولُ لِلهِ المُهَيْمِنِ حِكْمَةٌ ... فِي مَرْضَةٍ حَصَلَتْ بِهِ مَرْضَاتُهُ

بَعْدَ أَنْ تَكَامَلَتِ الدَّعْوَةُ، وَبَلَّغَ رَسُولُ اللهِ ﷺ البَلاَغَ المُبِيْنَ، أَخَذَتْ طَلاَئِعُ التَّوْدِيْعِ لِلحَيَاةِ تَلُوحُ فِي الآفَاقِ، فَمِنْ ذَلِكَ:

١ـ نَعْيُ[1] اللهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى نَبِيَّهُ إِلَى نَفْسِهِ:

وَلَمَّا أَنْ نَعَى النَّاعِي مُحَمَّدًا ... حَسِبْتُ سَمَاءَهُمْ دُهِيَتْ بِلَيْلِ[2]

قَالَ اللهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿إِذَا جَآءَ نَصْرُ ٱللَّهِ وَٱلْفَتْحُ ① وَرَأَيْتَ ٱلنَّاسَ يَدْخُلُونَ فِى دِينِ ٱللَّهِ أَفْوَاجًا ② فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَٱسْتَغْفِرْهُ إِنَّهُۥ كَانَ تَوَّابًۢا ③﴾ [النَّصْرُ: ١-٣].

عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا قَالَ: كَانَ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ يُدْنِينِي، فَقَالَ لَهُ عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ عَوْفٍ: إِنَّ لَنَا أَبْنَاءً مِثْلَهُ، فَقَالَ: إِنَّهُ مِنْ حَيْثُ تَعْلَمُ، فَسَأَلَ عُمَرُ ابْنَ عَبَّاسٍ عَنْ هَذِهِ الْآيَةِ، ﴿إِذَا جَآءَ نَصْرُ ٱللَّهِ وَٱلْفَتْحُ﴾ فَقَالَ: أَجَلُ رَسُولِ اللهِ ﷺ أَعْلَمَهُ إِيَّاهُ، فَقَالَ: مَا أَعْلَمُ مِنْهَا إِلَّا مَا تَعْلَمُ»[3].

(١) النَّعْيُ: الإِعْلامُ بِخَبَرِ المَيِّتِ.

(٢) «الأَغَانِي» (١٢-٢٣٤)، وَدُهِيَتْ بِلَيْلِ أَيْ: أَظْلَمَتْ نَهَارًا، كَأَنَّ لَيْلًا دَهَاهَا.

(٣) رَوَاهُ البُخَارِيُّ (٣٦٢٧).

٢ـ نَعْيُ النَّبِيِّ ﷺ نَفْسَهُ إِلَى النَّاسِ:

فَقَدْ نَعَىٰ مِلْءَ أَفْوَاهٍ وَأَفْئِدَةٍ ... وَقَدْ نَعَىٰ مِلْءَ أَبْصَارٍ وَأَسْمَاعِ(١)

عَنْ جَابِرِ بْنَ عَبْدِ اللهِ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**لِتَأْخُذُوا عَنِّي مَنَاسِكَكُمْ، فَإِنِّي لا أَدْرِي لَعَلِّي لا أَحُجُّ بَعْدَ حَجَّتِي هَذِهِ**»(٢).

عَنْ زَيْدِ بْنِ أَرْقَمَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**أَمَّا بَعْدُ، أَلَا أَيُّهَا النَّاسُ، فَإِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ، يُوشِكُ أَنْ يَأْتِيَ رَسُولُ رَبِّي فَأُجِيبَ**»(٣).

٣ـ ابْتِدَاءُ مَرَضِهِ ﷺ:

تَفْدِيْكَ رُوْحِي وَأُمِّي فِي الوَرَىٰ وَأَبِي ... فَإِنَّمَا أَنْتَ خَيْرُ المُنْجِبِيْنَ أَبَا(٤)

عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهَا، قَالَتْ: «رَجَعَ إِلَيَّ رَسُولُ اللهِ ﷺ ذَاتَ يَوْمٍ مِنْ جِنَازَةٍ بِالْبَقِيعِ وَأَنَا أَجِدُ صُدَاعًا فِي رَأْسِي، فَأَنَا أَقُولُ: وَارَأْسَاهُ.

قَالَ: «**بَلْ أَنَا وَارَأْسَاهْ**».

«**قَالَ: وَمَا ضَرَّكِ لَوْ مِتِّ قَبْلِي، فَغَسَّلْتُكِ وَكَفَّنْتُكِ، وَصَلَّيْتُ عَلَيْكِ وَدَفَنْتُكِ؟**».

قَالَتْ: لَكَأَنِّي بِكَ وَاللهِ لَوْ فَعَلْتَ ذَلِكَ، لَرَجَعْتَ إِلَىٰ بَيْتِي، فَأَعْرَسْتَ فِيهِ بِبَعْضِ نِسَائِكَ.

قَالَتْ: «**فَتبَسَّمَ رَسُولُ اللهِ ﷺ، ثُمَّ بُدِئَ فِي وَجَعِهِ الَّذِي مَاتَ فِيهِ**»(٥).

---

(١) «دِيْوَانُ ابْنِ رَشِيْقٍ» (٥٨).

(٢) رَوَاهُ مُسْلِمٌ (١٢٩٧).

(٣) رَوَاهُ مُسْلِمٌ (٢٤٠٨).

(٤) «دَوَاوِيْنُ الشِّعْرِ العَرَبِيِّ» (٢٣/ ٢٧٧).

(٥) (صَحِيْحٌ) أَخْرَجَهُ أَحْمَدُ (٢٥٣٨)، وَصَحَّحَهُ الأَلْبَانِيُّ رَحِمَهُ اللهُ فِي «الإِرْوَاءِ» (٧٠٠).

٤ـ ثِقَلُ الوَجَعِ عَلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ:

لَـــوْ كَــانَ يَـبْغِـيْ الفِـدَاءَ قُلْـتُ لَـهُ   هَــا أَنَــا دُوْنَ الحَبِيْـبِ يَـا وَجَـعُ[١]

عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهَا، قَالَتْ: «لَمَّا ثَقُلَ رَسُولُ اللهِ ﷺ، وَاشْتَدَّ بِهِ وَجَعُهُ، اسْتَأْذَنَ أَزْوَاجَـهُ أَنْ يُمَرَّضَ فِي بَيْتِي، فَـأَذِنَّ لَهُ، فَخَرَجَ وَهُوَ بَيْنَ رَجُلَيْنِ، تَخُطُّ[٢] رِجْلاهُ فِي الأَرْضِ، بَيْنَ عَبَّاسِ بْنِ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ، وَبَيْنَ رَجُلٍ آخَرَ.

قَالَ عُبَيْدُ اللهِ: فَأَخْبَرْتُ عَبْدَ اللهِ بِالَّذِي قَالَتْ عَائِشَـةُ، فَقَالَ لِي عَبْدُ اللهِ بْنُ عَبَّاسٍ: هَلْ تَدْرِي مَنِ الرَّجُلُ الآخَرُ الَّذِي لَمْ تُسَمِّ عَائِشَةُ؟

قَالَ: قُلْتُ: لَا، قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: هُوَ عَلِيٌّ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ.

وَكَانَتْ عَائِشَةُ رَضِيَ اللهُ عَنْهَا تُحَدِّثُ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ بَعْدَ مَا دَخَلَ بَيْتَهُ وَاشْتَدَّ وَجَعُهُ، قَالَ: «**هَرِيقُوا[٣] عَلَيَّ مِنْ سَبْعِ قِرَبٍ لَمْ تُحْلَلْ أَوْكِيَتُهُنَّ[٤]، لَعَلِّي أَعْهَدُ إِلَى النَّاسِ**».

فَأَجْلَسْنَاهُ فِي مِخْضَبٍ[٥] لِحَفْصَةَ، ثُمَّ طَفِقْنَا[٦] نَصُبُّ عَلَيْهِ تِلْكَ القِرَبِ، حَتَّى طَفِقَ يُشِيرُ إِلَيْنَا «**أَنْ قَدْ فَعَلْتُنَّ**».

---

(١) «دِيْوَانُ المَعَانِي» (١٦٦).

(٢) تَخُطُّ: يَمشِي مُتَثَاقِلًا، تُؤَثِّرُ رِجْلَاهُ فِي الأَرْضِ، كَأَنَّهَا تَخُطُّ خطًّا، إِخْبَارٌ عَنْ مَبْلَغِ ضَعْفِ قُوَاهُ، وَأَنَّ رِجْلَيْهِ لَمْ تُقِلَّهُ، بَلْ كَانَ يَجُرُّهُمَا بِالأَرْضِ.

(٣) هَرِيقُوا: صُبُّوا.

(٤) أَوْكِيَتُهُنَّ: جَمْعُ وِكَاءٍ -بِالكَسْرِ-، وَهُوَ مَا يُرْبَطُ بِهِ فَمُ القِرْبَةِ، وَالغَرَضُ مِنْ أَنَّهَا لَمْ تُحْلَلْ أَوْكِيَتُهُنَّ المُبَالَغَةُ فِي كَوْنِهَا طَاهِرَةً.

(٥) المِخْضَب -بِالكَسْرِ- إِنَاءٌ وَاسِعٌ تُغْسَلُ فِيهِ الثِّيَابُ.

(٦) طَفِقْنَا: شَرَعْنَا.

قُلْتُ: «ثُمَّ خَرَجَ إِلَىٰ النَّاسِ، فَصَلَّىٰ بِهِمْ، وَخَطَبَهُمْ ...»(١).

إِقْرَأْ مَعَانِي الوَحْيِ فِي كَلِمَاتِهِ ... فِي نُسْكِهِ، وَحَيَاتِهِ، وَمَمَاتِهِ
لَوْ نُظِّمَتْ كُلُّ النُّجُومِ مَدَائِحًا ... كَانَتْ قَلَائِدُهُنَّ بَعْضَ صِفَاتِهِ(٢)

٥- أَمْرُهُ ﷺ أَبَا بَكْرٍ أَنْ يُصَلِّي بِالنَّاسِ:

وَقَامَ مِنْ بَعْدِهِ الصِّدِّيْقُ مُقْتَدِيًا ... بِهَدْيِهِ تَابِعًا لِلحَقِّ إِذْ خَلَفَا(٣)

عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهَا، قَالَتْ: لَمَّا ثَقُلَ رَسُولُ اللهِ ﷺ جَاءَ بِلالٌ يُؤْذِنُهُ بِالصَّلاةِ، فَقَالَ: «**مُرُوا أَبَا بَكْرٍ أَنْ يُصَلِّيَ بِالنَّاسِ**»، فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ، إِنَّ أَبَا بَكْرٍ رَجُلٌ أَسِيفٌ(٤)، وَإِنَّهُ مَتَىٰ مَا يَقُومُ مَقَامَكَ لا يُسْمِعِ النَّاسَ، فَلَوْ أَمَرْتَ عُمَرَ.

فَقَالَ: «**مُرُوا أَبَا بَكْرٍ أَنْ يُصَلِّيَ بِالنَّاسِ**»، فَقُلْتُ لِحَفْصَةَ: قُولِي لَهُ: إِنَّ أَبَا بَكْرٍ رَجُلٌ أَسِيفٌ، وَإِنَّهُ مَتَىٰ مَا يَقُومُ مَقَامَكَ لا يُسْمِعِ النَّاسَ، فَلَوْ أَمَرْتَ عُمَرَ، قَالَ: «**إِنَّكُنَّ لأَنْتُنَّ صَوَاحِبُ يُوسُفَ**(٥)، **مُرُوا أَبَا بَكْرٍ أَنْ يُصَلِّيَ بِالنَّاسِ**».

---

(١) رَوَاهُ البُخَارِيُّ (٤٤٤٢)، واللَّفْظُ لَهُ، ومُسْلِمٌ (٤١٨).
(٢) «مَوْسُوعَةُ الشِّعْرِ الإِسْلَامِيِّ» (٧٤/ ١٠٢٤).
(٣) «دَوَاوِيْنُ الشِّعْرِ العَرَبِيِّ» (٩٠/ ٣٦).
(٤) أَسِيْف: رَقِيْقُ القَلْبِ، إِذَا قَرَأَ غَلَبَهُ البُكَاءُ.
(٥) صَوَاحِبُ يُوسُفَ: هُنَّ امْرَأَةُ العَزِيْزِ وَمِنْ مَعَهَا، فَقَدْ أَدْخَلَتِ امْرَأَةُ العَزِيْزِ النِّسَاءَ دَارَهَا، وَأَكْرَمَتْهُنَّ، وَلَمْ تَقْصِدْ إِكْرَامَهُنَّ، بَلْ قَصَدَتْ أَنْ يَرَيْنَ يُوسُفَ؛ فَيَعْذُرْنَهَا فِي افْتِتَانِهَا بِجَمَالِهِ، فَأَظْهَرَتْ شَيْئًا، وَأَبْطَنَتْ غَيْرَهُ، فَعَائِشَةُ رَضِيَ اللهُ عَنْهَا، اعْتَذَرَتْ بِأَنَّ أَبَاهَا رَجُلٌ أَسِيفٌ، وَهِيَ لاَ تَقْصِدُ هَذَا، وَإِنَّمَا تَقْصِدُ أَلَّا يَتَشَاءَمَ النَّاسُ بِأَبِيهَا، فَيَمُوتُ النَّبِيُّ ﷺ، وَأَبُو بَكْرٍ قَدْ صَلَّىٰ بِالنَّاسِ، وَهِيَ صَحَابِيَّةٌ مَهْمَا بَلَغَتْ مَحْدُودَةُ التَّفْكِيرِ، لَكِنْ مَا أَرَادَهُ اللهُ شَيْءٌ أَعْظَمُ، فَقَدْ كَانَتْ صَلاَةُ أَبِي بَكْرٍ بِالنَّاسِ هِيَ مِنْ أَكْبَرِ التَّمْهِيدِ لِأَنْ يَكُونَ خَلِيْفَةً بَعْدَ النَّبِيِّ ﷺ فِي الأُمَّةِ.

فَلَمَّا دَخَلَ فِي الصَّلاةِ، وَجَدَ رَسُولُ اللهِ ﷺ فِي نَفْسِهِ خِفَّةً، فَقَامَ يُهَادَىٰ بَيْنَ رَجُلَيْنِ[1]، وَرِجْلاهُ يَخُطَّانِ فِي الأَرْضِ حَتَّىٰ دَخَلَ الْمَسْجِدَ، فَلَمَّا سَمِعَ أَبُو بَكْرٍ حِسَّهُ، ذَهَبَ أَبُو بَكْرٍ يَتَأَخَّرُ، فَأَوْمَأَ إِلَيْهِ رَسُولُ اللهِ ﷺ، فَجَاءَ النَّبِيُّ ﷺ حَتَّىٰ جَلَسَ عَنْ يَسَارِ أَبِي بَكْرٍ، فَكَانَ أَبُو بَكْرٍ يُصَلِّي قَائِمًا، وَكَانَ رَسُولُ اللهِ ﷺ يُصَلِّي قَاعِدًا، يَقْتَدِي أَبُو بَكْرٍ بِصَلاةِ رَسُولِ اللهِ ﷺ، وَالنَّاسُ يَقْتَدُونَ بِصَلاةِ أَبِي بَكْرٍ»[2].

٦ ـ نَظْرَةُ الوَدَاعِ:

مَاذَا الوَدَاعُ وَدَاعُ الوَامِقِ[3] الكَمِدِ[4] ... هَذَا الوَدَاعُ وَدَاعُ الرُّوحِ لِلجَسَدِ[5]

عَنْ أَنَسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: أَنَّ أَبَا بَكْرٍ كَانَ يُصَلِّي لَهُمْ فِي وَجَعِ النَّبِيِّ ﷺ الَّذِي تُوُفِّيَ فِيهِ، حَتَّىٰ إِذَا كَانَ يَوْمُ الاِثْنَيْنِ وَهُمْ صُفُوفٌ فِي الصَّلاَةِ، فَكَشَفَ النَّبِيُّ ﷺ سِتْرَ الحُجْرَةِ يَنْظُرُ إِلَيْنَا وَهُوَ قَائِمٌ كَأَنَّ وَجْهَهُ وَرَقَةُ مُصْحَفٍ[6]، ثُمَّ تَبَسَّمَ يَضْحَكُ، فَهَمَمْنَا أَنْ نَفْتَتِنَ مِنَ الفَرَحِ بِرُؤْيَةِ النَّبِيِّ ﷺ، فَنَكَصَ أَبُو بَكْرٍ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ لِيَصِلَ الصَّفَّ، وَظَنَّ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ خَارِجٌ إِلَىٰ الصَّلاَةِ «**فَأَشَارَ إِلَيْنَا النَّبِيُّ ﷺ أَنْ أَتِمُّوا**

---

(١) يُهَادَىٰ بَيْنَ رَجُلَيْنِ: أَيْ: كَانَ يَمْشِي بَيْنَهُمَا، يَعْتَمِدُ عَلَيْهِمَا مِنْ ضَعْفِهِ وَتَمَايُلِهِ.

(٢) رَوَاهُ البُخَارِيُّ (٧١٣)، ومُسْلِمٌ (٤١٨).

(٣) الوَامِق: المُحِبُّ.

(٤) الكَمِد: المَغْمُوم.

(٥) «دِيْوَانُ المُتَنَبِّي» (٥٠).

(٦) أَيْ: في الجَمَالِ البَارِعِ، وَحُسْنِ البَشَرَةِ، وَصَفَاءِ الوَجْهِ وَاسْتِنَارَتِهِ.

صَلاتَكُمْ وَأَرْخَىٰ السِّتْرَ فَتُوُفِّيَ مِنْ يَوْمِهِ»[١].

يَـا مَـنْ بَنَـىٰ لِلْكَوْنِ أَكْرَمَ أُمَّـةٍ ... مِـنْ عِلْمِـهِ، مِـنْ حِلْمِـهِ، وَأَنَاتِـهِ[٢]

صَـارُوا مُلُـوكًـا لِلْأَنَـامِ بُعَيْـدَ أَنْ ... كَـانُـوا رِعَـاءَ الشَّـاءِ فِي فَلَواتِـهِ[٣][٤]

٧ــ بَلِ الرَّفِيْقُ الأَعْلَى:

لَـهُ السُّؤْدَدُ الأَعْلَىٰ عَلَىٰ كُلِّ سُؤْدَدٍ ... وَمَا بَعْـدَ ذَاكَ الفَخْـرِ فَخْرٌ وَسُـؤْدَدُ[٥]

عَنْ عَائِشَـةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهَا قَالَـتْ: كَانَ النَّبِيَّ ﷺ يَقُولُ وَهُوَ صَحِيـحٌ: «إِنَّهُ لَمْ يُقْبَضْ نَبِيٌّ قَطُّ حَتَّىٰ يُرَىٰ مَقْعَدُهُ مِنَ الْجَنَّةِ؛ ثُمَّ يُخَيَّرَ».

فَلَمَّا نَزَلَ بِهِ وَرَأْسُهُ عَلَىٰ فَخِذِي غُشِيَ عَلَيْهِ سَاعَةً، ثُمَّ أَفَاقَ، فَأَشْخَصَ بَصَرَهُ إِلَىٰ السَّقْفِ، ثُمَّ قَالَ: «اللهُمَّ الرَّفِيقَ الْأَعْلَىٰ».

قَالَتْ عَائِشَـةُ: قُلْتُ: إِذًا لَا يَخْتَارُنَا، وَعَرَفْتُ الْحَدِيثَ الَّذِي كَانَ يُحَدِّثُنَا بِهِ وَهُـوَ صَحِيحٌ، قَالَتْ: فَكَانَتْ آخِرُ كَلِمَةٍ تَكَلَّمَ بِهَا رَسُولُ اللهِ ﷺ، قَوْلَهُ: «اللهُمَّ الرَّفِيقَ الْأَعْلَىٰ»[٦].

وَإِذَا لِـقَـاءُ اللـهِ يَـأْسِرُ فِي رِضَـا ... وَتَشَـوُّقِ مَـنْ كَـانَ عَبْدِ حِصَاتِـهِ

---

(١) رَوَاهُ البُخَارِيُّ (٦٨٠)، ومُسْلِمٌ (١٤٩).

(٢) الأَنَاة: الحِلْمَ وَضَبْطُ النَّفْسِ.

(٣) الفَلَوَات: جَمْعُ فَلَاةٍ، وَهِيَ الصَّحَرَاء

(٤) «مَوْسُوعَةُ الشِّعْرِ الإِسْلَامِيِّ» (٧٤/ ١٠٢٤).

(٥) «دَوَاوِيْنُ الشِّعْرِ العَرَبِيِّ» (٢٣/ ١٥٧).

(٦) رَوَاهُ البُخَارِيُّ (٤٤٦٣)، ومُسْلِمٌ (٢٤٤٤).

وَرَأَىٰ جِنَانَ الخُلْدِ حَقًّا فَازْدَرَىٰ دُنْيَاهُ وَاسْتَعَلَىٰ عَلَىٰ لَذَّاتِهِ[٢]

فَتَأَلَّقِي -يَا نَفْسُ- فِي نَفَحَاتِهِ وَاسْتَشْرِ فِي الغَايَاتِ مِنْ غَايَاتِهِ[٣]

وَقَالَ أُسْتَاذُنَا عَبْدُ الكَرِيْمِ العِمَادُ -حَفِظَهُ اللهُ-[١]:

قَضَىٰ حَيَاةَ الضَّنَىٰ شَوْقًا لِخَالِقِهِ حَتَّىٰ أَتَىٰ الوَعْدُ لَمْ يَنْظُرْ إِلَىٰ أَحَدِ

تَشْتَاقُهُ الخُلْدُ والفِرْدَوْسُ نَاظِرَةٌ والحُورُ فِي عُرْسِهَا مَوْفُورَةُ العَدَدِ

---

(١) «مَوْسُوعَةُ الشِّعْرِ الإِسْلَامِيِّ» (٧٤/ ١٠٣٤).

تَجْهِيْزُ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ

أَظْلَمَتِ الأَرْضُ لِفِقْدَانِهِ ... وَاسْوَدَّ نُورُ القَمَرِ النَّاصِلِ[١][٢]

١ ـ غُسْلُ النَّبِيِّ ﷺ:

عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قَالَتْ: لَمَّا أَرَادُوا غُسْلَ رَسُولِ اللهِ ﷺ اخْتَلَفُوا فِيهِ، فَقَالُوا: وَاللهِ مَا نَرَىٰ[٣] كَيْفَ نَصْنَعُ، أَنُجَرِّدُ رَسُولَ اللهِ ﷺ كَمَا نُجَرِّدُ مَوْتَانَا أَمْ نُغَسِّلُهُ وَعَلَيْهِ ثِيَابُهُ؟.

قَالَتْ: فَلَمَّا اخْتَلَفُوا أَرْسَلَ اللهُ عَلَيْهِمْ السِّنَةَ[٤] حَتَّىٰ وَاللهِ مَا مِنَ الْقَوْمِ مِنْ رَجُلٍ إِلَّا ذَقْنُهُ فِي صَدْرِهِ نَائِمًا، قَالَتْ: ثُمَّ كَلَّمَهُمْ مِنْ نَاحِيَةِ الْبَيْتِ، لَا يَدْرُونَ مَنْ هُوَ، فَقَالَ: اغْسِلُوا النَّبِيَّ ﷺ وَعَلَيْهِ ثِيَابُهُ، قَالَتْ: فَثَارُوا إِلَيْهِ، فَغَسَّلُوا رَسُولَ اللهِ ﷺ وَهُوَ فِي قَمِيصِهِ يُفَاضُ عَلَيْهِ الْمَاءُ وَالسِّدْرُ، وَيُدَلِّكُهُ الرِّجَالُ بِالْقَمِيصِ، وَكَانَتْ تَقُولُ: لَوْ اسْتَقْبَلْتُ مِنَ الْأَمْرِ مَا اسْتَدْبَرْتُ مَا غَسَّلَ رَسُولَ اللهِ ﷺ إِلَّا نِسَاؤُهُ»[٥].

(١) قَمَرٌ نَاصِلٌ: زَائِلٌ عَنْهُ ضَوْءُهُ.

(٢) «دِيْوَانُ حَسَّان» (١٧٤).

(٣) «سُنَن أَبِي دَاوُدَ» (٢٧٣٧): «وَاللهِ مَا نَرَىٰ كَيْفَ نَصْنَعُ».

(٤) السِّنَة -بِوَزْنِ عِدَةٍ- النُّعَاس وَأَوَّلُ النَّوْمِ.

(٥) (حَسَنٌ) أَخْرَجَهُ الإِمَامُ أَحْمَدُ (٢٥٧٧٤)، وَأَبُو دَاوُدَ (٢٧٣٣)، وَحَسَّنَهُ شَيْخُنَا الوَادِعِيُّ فِي «الصَّحِيحِ المُسْنَد» (٢/ ٤٧١).

٢ـ كَفَنُ النَّبِيِّ ﷺ:

لَوْ صِيْغَ مِنْ غُرِّ الفَضَائِلِ والعُلاَ ... كَفَنٌ لَبِسْتَ أَحَاسِنَ الأَكْفَانِ(١)

عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهَا قَالَتْ: «إِنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ كُفِّنَ فِي ثَلَاثَةِ أَثْوَابٍ يَمَانِيَّةٍ، بِيضٍ سَحُولِيَّةٍ(٢)، مِنْ كُرْسُفٍ(٣)، لَيْسَ فِيْهِنَّ قَمِيصٌ وَلَا عِمَامَةٌ»(٤).

---

(١) «دِيْوَانُ شَوْقِي» (٥٣١).

(٢) السَّحُولِيَّةِ: ثِيَابٌ قُطْنِيَّةٌ بِيضٌ، وَقِيْلَ: مَنْسُوبَةٌ إِلَىٰ سَحُولَ بَلَدٍ بِاليَمَنِ.

(٣) الكُرْسُف -بِضَمِّ الكَاف والسِّين- القُطْنُ.

(٤) رَوَاهُ البُخَارِيُّ (١٢٦٤).

الصَّلاةُ على النَّبِيِّ ﷺ وَدَفْنُه

وَأَظْـلَـمَـتِ الـبِـلادُ عَـلَيْـهِ حُزْنًـا   وَقُـلْـتُ: أَفَـارِقَ القَمَـرُ المُنِيْـرُ[١]

عَنْ سَالِمِ بْنِ عُبَيْدٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، قَالَ: أُغْمِيَ عَلَىٰ رَسُولِ اللهِ ﷺ فِي مَرَضِهِ فَأَفَاقَ، فَقَالَ: «حَضَرَتِ الصَّلاةُ»؟ ...».

وَفِيْهِ: فَقَالُوا: لِأَبِي بَكْرٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ أَقُبِضَ رَسُولُ اللهِ؟ قَالَ: نَعَمْ.

فَقَالُوا: يَا صَاحِبَ رَسُولِ اللهِ، نُصَلَّىٰ عَلَىٰ رَسُولِ اللهِ؟

قَالَ: نَعَمْ.

قَالُوا: وَكَيْفَ؟

قَالَ: يَدْخُلُ قَوْمٌ فَيُكَبِّرُونَ وَيُصَلُّونَ، وَيَدْعُونَ، ثُمَّ يَخْرُجُونَ، ثُمَّ يَدْخُلُ قَوْمٌ فَيُكَبِّرُونَ وَيُصَلُّونَ وَيَدْعُونَ، ثُمَّ يَخْرُجُونَ، حَتَّىٰ يَدْخُلَ النَّاسُ.

قَالُوا: يَا صَاحِبَ رَسُولِ اللهِ، أَيُدْفَنُ رَسُولُ اللهِ ﷺ؟.

قَالَ: نَعَمْ.

قَالُوا: أَيْنَ؟.

قَالَ: فِي الْمَكَانِ الَّذِي قَبَضَ اللهُ فِيهِ رُوحَهُ، فَإِنَّ اللهَ لَمْ يَقْبِضْ رُوحَهُ إِلا فِي مَكَانٍ طَيِّبٍ.

فَعَلِمُوا أَنْ قَدْ صَدَقَ، ثُمَّ أَمَرَهُمْ أَنْ يَغْسِلَهُ بَنُو أَبِيهِ.

---

(١) «دِيْوَانُ جَرِيْرٍ» (٢٠٩).

وَاجْتَمَعَ الْمُهَاجِرُونَ يَتَشَاوَرُونَ، فَقَالُوا: انْطَلِقُوا بِنَا إِلَىٰ إِخْوَانِنَا مِنَ الأَنْصَارِ نُدْخِلُهُمْ مَعَنَا فِي هَذَا الأَمْرِ، فَقَالَتِ الأَنْصَارُ: مِنَّا أَمِيرٌ وَمِنْكُمْ أَمِيرٌ.

فَقَالَ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: مَنْ لَهُ مثل هَذِا ﴿إِذْ هُمَا فِي ٱلْغَارِ إِذْ يَقُولُ لِصَٰحِبِهِۦ لَا تَحْزَنْ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَنَا﴾ [التَّوْبَةُ: ٤٠]، مَنْ هُمَا؟، ثُمَّ بَسَطَ يَدَهُ فَبَايَعَهُ وَبَايَعَهُ النَّاسُ بَيْعَةً حَسَنَةً جَمِيلَةً[١].

قَالَ أَبُو مِحْجَنٍ الثَّقَفِي رَضِيَ اللهُ عَنْهُ:

وَسُمِّيتَ صِدِّيقًا وَكُلُّ مُهَاجِرٍ ... سِوَاكَ يُسَمَّىٰ بِاسْمِهِ غَيْرَ مُنْكَرِ

سَبَقْتَ إِلَىٰ الإِسْلامِ وَاللهُ شَاهِدٌ ... وَكُنْتَ جَلِيسًا بِالْعَرِيْشِ الْمُشَهَّرِ

وَبِالْغَارِ إِذْ سُمِّيتَ بِالْغَارِ صَاحِبًا ... وَكُنْتَ رَفِيقًا لِلنَّبِيِّ الْمُطَهَّرِ[٢]

---

(١) (صَحِيْحٌ) أَخْرَجَهُ ابْنُ أَبِي عَاصِمٍ فِي «الآحَادِ وَالمَثَانِي» (٣-١٢)، وَصَحَّحَهُ شَيْخُنَا الوَادِعِيُّ رَحِمَهُ اللهُ فِي «الصَّحِيْحِ المُسْنَد» (١/ ٣١١-٣١٢)، وَصَحَّحَهُ الأَلْبَانِيُّ رَحِمَهُ اللهُ فِي «صَحِيحِ ابْنِ مَاجهْ» (١٠٢٦).

(٢) ؟؟؟؟؟؟؟؟؟؟؟؟؟؟؟؟؟؟

أَثَرُ وَفَاةُ النَّبِيِّ ﷺ عَلَى أَصْحَابِهِ

لِلَّهِ دَرُّكَ إِنْ عَرَفْتَ مَكَانَهُ ... فِي قَوْمِهِ، وَوَهَبَتْ مِنْكَ لَهُ يَدَا[1]

١ ـ مَنْزِلَةُ النَّبِيِّ ﷺ فِي قُلُوبِ أَصْحَابِهِ:

أَخَذَ السِّمَاكَ[2]،وَنَالَ مَنْزِلَةَ السُّهَىٰ[3] ... وَأَرَاكَ أَبْعَدَ مَأْخَذًا وَمَنَالا[4]

مَنْزِلَةُ النَّبِيِّ ﷺ فِي قُلُوبِ أَصْحَابِهِ لاَ تُضَاهِيْهَا مَنْزِلَةٌ،فَهُمْ أَعْلَمُ النَّاسِ بِهِ ﷺ، وَأَعْرَفُهُمْ بِحَقِّهِ، فَحُبُّهُ ﷺ فَرْضٌ عَلَىٰ كُلِّ مُسْلِمٍ، وَلاَ يَتِمُّ الإِيْمَانُ إِلَّا بِذَلِكَ.

فَعَنْ أَنَسٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**لاَ يُؤْمِنُ أَحَدُكُمْ، حَتَّىٰ أَكُونَ أَحَبَّ إِلَيْهِ مِنْ وَالِدِهِ، وَوَلَدِهِ، وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ**»[5].

وَعَنْ عَبْدِ اللهِ بْنَ هِشَامٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ: كُنَّا مَعَ النَّبِيِّ ﷺ، وَهُوَ آخِذٌ بِيَدِ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، فَقَالَ لَهُ عُمَرُ: يَا رَسُولَ اللهِ، لَأَنْتَ أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ إِلَّا مِنْ نَفْسِي، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «**لَا وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ، حَتَّىٰ أَكُونَ أَحَبَّ إِلَيْكَ مِنْ**

---

(١) «دَوَاوِيْنُ الشِّعْرِ العَرَبِيِّ» (١٥/ ٣٧).

(٢) السِّمَاكُ: بِالكَسْرِ- آخِرُ نُجُومِ الصَّيْفِ.

(٣) السُّهَىٰ: كَوْكَبٌ صَغِيْرٌ خَفِيٌّ.

(٤) «دِيْوَانُ أَحْمَد مُحَرَّم» (٥١١).

(٥) رَوَاهُ البُخَارِيُّ (١٥)، ومُسْلِمٌ (٤٤).

نَفْسِكَ»، فَقَالَ لَهُ عُمَرُ: فَإِنَّهُ الْآنَ وَاللهِ لَأَنْتَ أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ نَفْسِي، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «الْآنَ يَا عُمَرُ»(١).

إِنَّ الرَّزِيَّةَ -لا رَزِيَّةَ مِثْلُهَا- مَيْتٌ بِطَيْبَةَ مِثْلُهُ لَمْ يُفْقَدِ
فَلَقَدْ أُصِيْبَ جَمِيْعُ أُمَّتِهِ بِهِ مَنْ كَانَ مَوْلُودًا وَمَنْ لَمْ يُولَدِ (٢)

٢ـ مُصِيْبَةُ المُسْلِمِيْنَ فِي فَقْدِ نَبِيِّهِمْ:

فَوَامُصِيْبَةَ أَهْلِ الأَرْضِ أَجْمَعِهِمِ بِفَقْدِهِ حِيْنَ وَارَوْهُ، وَيَا أَسَفَا! (٣)

مُصِيْبَةُ المُسْلِمِيْنَ بِنَبِيِّهِمْ مُصِيْبَةُ العُمُرِ، وَلاَ مُصِيْبَةَ أَعْظَمُ مِنْهَا.

فَعَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «إِذَا أُصِيبَ أَحَدُكُمْ بِمُصِيبَةٍ، فَلْيَذْكُرْ مُصِيبَتَهُ بِي؛ فَإِنَّهَا مِنْ أَعْظَمِ الْمَصَائِبِ»(٤).

قَالَ الشَّاعِرُ:

اصْبِرْ لِكُلِّ مُصِيبَةٍ وَتَجَلَّدِ وَاعْلَمْ بِأَنَّ الْمَرْءَ غَيْرُ مُخَلَّدِ
وَإِذَا ذَكَرْتَ مُصِيبَةً تَشْجَىٰ (٥) بِهَا فَاذْكُرْ مُصَابَكَ بِالنَّبِيِّ مُحَمَّدِ (٦)

---

(١) رَوَاهُ البُخَارِيُّ (٦٦٣٢).

(٢) «الزَّهْرَةُ» (١٥١).

(٣) «دِيْوَانُ ابْنِ مُشَرَّفٍ» (١٧٢).

(٤) (صَحِيْحٌ) أَخْرَجَهُ الدَّرَامِيُّ فِي «سُنَنِهِ» (١/ ٤٠)، وَصَحَّحَهُ الأَلْبَانِيُّ رَحِمَهُ اللهُ فِي «الصَّحِيْحَةِ» (١١٠١).

(٥) تَشْجَىٰ بِهَا أَيْ: تَحزَنُ بِهَا.

(٦) «أَحْسَنَ مَا سَمِعْتُ» لِلثَّعَالِبِيِّ (١٠٢).

وقال آخر:

يَقُولُ أُنَاسٌ: لَوْ تَعَزَّيْتَ بَعْدَهُ ... فَكُلُّ عَزَاءٍ[١] فِي مُصَابِكَ عَازِبُ[٢][٣]

٣ـ تَكْذِيْبُ بَعْضِ الصَّحَابَةِ مَوْتَ نَبِيِّهِمْ ﷺ:

فَلاَ رُزْءَ[٤] مِنْ هَذَا أَعَمُّ مُصِيْبَةً ... وَلاَ خَطْبَ[٥] مِنْ هَذَا أَمَرُّ وَأَفْدَحُ[٦]

حِيْنَ مَاتَ رَسُولُ اللهِ ﷺ طَاشَتْ عُقُولُ كَثِيْرٍ مِنَ الصَّحَابَةِ، فَلَمْ يُصَدِّقُوا أَنَّ نَبِيَّهُمُ الَّذِي أَخَذَ بِأَيْدِيهِمْ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَىٰ النُّورِ، وَأَحَبُّوهُ أَعْظَمَ مِنْ حُبِّهِمْ لِأَنْفُسِهِمْ مَاتَ.

عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهَا قَالَتْ: أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ، مَاتَ وَأَبُو بَكْرٍ بِالسُّنْحِ، - يَعْنِي بِالعَالِيَةِ - فَقَامَ عُمَرُ يَقُولُ: وَاللهِ مَا مَاتَ رَسُولُ اللهِ.

قَالَتْ: وَقَالَ عُمَرُ: وَاللهِ مَا كَانَ يَقَعُ فِي نَفْسِي إِلَّا ذَاكَ، وَلَيَبْعَثَنَّهُ اللهُ، فَلَيَقْطَعَنَّ أَيْدِيَ رِجَالٍ وَأَرْجُلَهُمْ، فَجَاءَ أَبُو بَكْرٍ فَكَشَفَ عَنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ فَقَبَّلَهُ، قَالَ: بِأَبِي أَنْتَ وَأُمِّي، طِبْتَ حَيًّا وَمَيِّتًا، وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لاَ يُذِيقُكَ اللهُ المَوْتَتَيْنِ أَبَدًا، ثُمَّ خَرَجَ فَقَالَ: أَيُّهَا الحَالِفُ عَلَىٰ رِسْلِكَ.

فَلَمَّا تَكَلَّمَ أَبُو بَكْرٍ جَلَسَ عُمَرُ، فَحَمِدَ اللهَ أَبُو بَكْرٍ وَأَثْنَىٰ عَلَيْهِ، وَقَالَ: أَلا مَنْ كَانَ يَعْبُدُ مُحَمَّدًا، فَإِنَّ مُحَمَّدًا قَدْ مَاتَ، وَمَنْ كَانَ يَعْبُدُ اللهَ فَإِنَّ اللهَ حَيٌّ لاَ

---

(١) الرُّزْءُ - بِالضَّمِّ - المُصِيْبَة، والجَمْعُ أَرْزَاءٌ.

(٢) الخَطْب -بِالفَتْحِ- الأَمْرُ العَظِيْمِ، والجَمْعُ خُطُوبٌ.

(٣) «دَوَاوِيْنُ الشِّعْرِ العَرَبِيِّ» (٥١/ ٤٥٦).

(٤) العَزَاءُ: الصَّبْرُ.

(٥) عَازِب: ذَاهِبٌ غَائِبٌ.

(٦) «دَوَاوِيْنُ الشِّعْرِ العَرَبِيِّ» (٢٥/ ١٧٠).

يَمُوتُ، وَقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُم مَّيِّتُونَ ۝٣٠﴾، [الزُّمَر: ٣٠]، وَقَالَ: ﴿وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ ٱلرُّسُلُ ۚ أَفَإِيْن مَّاتَ أَوْ قُتِلَ ٱنقَلَبْتُمْ عَلَىٰٓ أَعْقَٰبِكُمْ ۚ وَمَن يَنقَلِبْ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ فَلَن يَضُرَّ ٱللَّهَ شَيْـًٔا ۗ وَسَيَجْزِى ٱللَّهُ ٱلشَّٰكِرِينَ ۝١٤٤﴾ [آل عِمْرَانَ: ٣٠]، قَالَ: فَنَشَجَ النَّاسُ يَبْكُونَ»[١].

مَا كَانَ فِي الدُّنْيَا كَيَوْمِكَ مَشْهَدٌ ... بَهَرَ العُقُولَ، وَلاَ أَرَاهُ يَكُونُ
لَمْ يُبْقِ مَحْذُورًا فَكُلُّ مُصِيبَةٍ ... جَلَلٍ لَدَيْهِ، وَكُلُّ خَطْبٍ دُونُ[٢][٣]

٤ـ لَمَّا مَاتَ النَّبِيُّ ﷺ أَظْلَمَتْ الدُّنْيَا:

أَظْلَمَتِ الآمَالُ مِنْ بَعْدِهِ ... وَعُرِيَتْ مِنْ كُلِّ حُسْنٍ وَطِيْبِ[٤]

عَنْ أَنَسٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، قَالَ: «لَمَّا كَانَ الْيَوْمُ الَّذِي دَخَلَ فِيهِ رَسُولُ اللهِ ﷺ الْمَدِينَةَ أَضَاءَ مِنْهَا كُلُّ شَيْءٍ، فَلَمَّا كَانَ الْيَوْمُ الَّذِي مَاتَ فِيهِ أَظْلَمَ مِنْهَا كُلُّ شَيْءٍ»، وَقَالَ: «وَمَا نَفَضْنَا عَنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ الأَيْدِيَ حَتَّىٰ أَنْكَرْنَا قُلُوبَنَا»[٥].

وَعَنْهُ أَيْضًا رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، وَذَكَرَ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: «شَهِدْتُهُ يَوْمَ دَخَلَ الْمَدِينَةَ، فَمَا رَأَيْتُ يَوْمًا قَطُّ، كَانَ أَحْسَنَ وَلَا أَضْوَأَ مِنْ يَوْمٍ دَخَلَ عَلَيْنَا فِيهِ رَسُولُ اللهِ ﷺ، وَشَهِدْتُهُ يَوْمَ مَوْتِهِ، فَمَا رَأَيْتُ يَوْمًا كَانَ أَقْبَحَ، وَلَا أَظْلَمَ مِنْ يَوْمٍ مَاتَ فِيهِ رَسُولُ اللهِ ﷺ»[٦].

---

(١) رَوَاهُ البُخَارِيُّ (٣٦٧٠).

(٢) دُونَهُ أَيْ: أَقَلُّ وَأَصْغَرُ.

(٣) «الأَفْضَلِيَّات» (٥٧).

(٤) «دِيْوَانُ أَبِي تَمَّامٍ» (٤٣٩).

(٥) (صَحِيْحٌ) أَخْرَجَهُ أَحْمَدُ (١٣٤١٨)، وَصَحَّحَهُ الأَلْبَانِيُّ رَحِمَهُ اللهُ فِي «حَاشِيَةِ فِقْهِ السِّيْرَةِ» (٢٠١).

(٦) (صَحِيْحٌ) أَخْرَجَهُ الدَّرَامِيُّ (٨٨)، وَالتِّرْمِذِيُّ (٣٥٥١)، وَابْنُ مَاجَهْ (١٦٢١)، وَصَحَّحَهُ شَيْخُنَا =

قَالَ الشَّاعِرُ:

بِرَغْمِ العُلَىٰ،والجُودِ، والمَجْدِ،وَالنَّدَىٰ   طَـوَاكَ الرَّدَىٰ يـا خَيْرَ حَـافٍ وَنَاعِلِ[1]

وَقَالَ آخَرُ:

فَهَـذِهِ طَيْبَـةُ وَالطِّيْـبُ تُرْبَتُهَـا   اللـهَ اللـهَ مَـا أَحْلَـىٰ أَرَاضِيْهَـا!

هَـذَا المَقَـامُ، هُنَـا حَـلَّ الحَبِيْـبُ هُنَـا   تَحْكِـي دُمُوعُ الهَـوَىٰ أَشْـوَاقَ بَاكِيْهَا

هُنَـا هُنَـا وَدَّعَ الأَنْصَـارُ سَـيِّدَهُمْ   مِـنْ بَعْـدِ أَحْمَدَ مَـا الدُّنْيَا وَمَـا فِيْهَا؟!

هُنَـا هُنَـا أَسْبَلَ الأَصْحَـابُ مَدْمَعَهُمْ   لاَ الدَّمْعُ جَـفَّ،وَلاَ ابْتَلَّتْ صَوَادِيْهَا[2]

=الوَادِعِيُّ رَحِمَهُ اللهُ فِي «الصَّحِيحِ المُسْنَد» (١/ ١٠٤).

(١) «أَمَالِي القَالِي» (٢/ ١٤٤).

(٢) الصَّوَادِي: جَمْعُ صَادِيَةٍ، وَهِي العَطْشَ.

الخَاتِمَةُ

يَكْفِيكَ عَنْ كُلِّ مدحٍ مدحُ خَالِقِهِ ... وأقرأ بربِّكَ مَبْدَأ سُورةِ الْقَلَمِ

هذا جَهْدُ مُقِلٍّ، بَذَلْتُ فيه جُهْدًا، وأَفْرَغْتُ فيه وُسْعًا فإن تحقَّقَ المُرادُ، فَهُوَ مِنْ توفيقِ اللهِ وهدايتِهِ، وإعانتِهِ وتَسْدِيدِهِ، ولَهُ الْحَمْدُ أَوَّلًا وآخِرًا، ظاهِرًا وَبَاطِنًا.

وإن كانت الثانِيَةُ، فأسألَ الله أن يَغْفِرَ لي زَلَلي وتقصيري.

وقَبْلَ أن أضَع الْقَلَم مودعًا أقُول لو اجْتَمعَ الخَلْقُ فمدحوا النَّبيَّ ﷺ فمدحهم قاصرٌ لا غناءٌ فيه بعد أن مَدَحَهُ الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى في كتابه: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ﴿٤﴾﴾ [القلم: ٤].

وَحَسْبُهُ هذا المدحُ الكريمُ مِنْ رَبِّهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عزًّا وشرفًا حَيْثُ تَوَّجه ربُّهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى بِتَاجِ الْكَمَالِ كُلِّهِ، إِذْ لَيْسَ بَعْدَ حُسْنِ الْخُلُقِ حُلْيةٌ تتحَلَّى بِهِ النُّفُوسُ! وَلَيْسَ بَعْدَ مَدْحِ اللهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى تاجٌ تتوَّجُ بِهِ الرءُوسُ!

أَرَىٰ كُلَّ مَنْ مَدَحَ النَّبِيَّ مُقَصِّرًا ... وإِنْ بَالَغَ المُدَّاحُ فِيهِ وأَكْثَرَا

إذا كَانَ فِي الْقُرآنِ جاءَ مَدِيحُهُ ... فَهَلْ سَتُشَرِّفُهُ أَمادِيحُ الْوَرَىٰ؟!

وختامًا حَقٌّ لِمَنْ بَدَأَ بِعَنْبَرٍ أَنْ يَخْتِمَ بِمِسْكٍ ولا مسكَ أَطْيَبُ من الصَّلاةِ والسَّلامِ عَلَىٰ رَسُولِ اللهِ ﷺ.

إن أَنْتَ أَكْثَرْتَ الصَّلاةَ عَلىٰ الَّذي ... صَلَّىٰ عَلَيْهِ اللهُ فِي الآياتِ

وَجَعَلْتَها وِردًا عَلَيْكَ مُحَتَّمًا ... حَلَّتْ عَلَيْكَ بَشَائِرُ الْخَيْرَاتِ

وكَتَبَهُ/ **فَيْصَلُ الْحَاشِدِيُّ**

الْمَدِينَةُ النَّبَوِيَّةُ ٢٥ ربيع أول سنة ١٤٤٠ هـ.

فهرس الموضوعات